

خطابُ المرحلة

توثيق لرؤى سماحة
المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

حول قضايا الدين والانسان والأمة والوطن
ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق
بعد استشهاد استاذہ
السيد الشهيد الصدر الثاني (رضي الله عنه) عام ١٩٩٩

الجزء الثالث عشر

تموز / ٢٠٢١ - تموز ٢٠٢٣

هوية الكتاب

اسم الكتاب: خطابُ المرحلة / الجزء الثالث عشر

تأليف: توثيق لخطابات وبيانات سماحة

..... المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي

الطبعة: الأولى

السنة: ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

الناشر: دار الصادقين للطباعة والنشر والتوزيع

النجف الاشرف / شارع الرسول (ﷺ)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٦١) لسنة ٢٠٢٣

ISBN: 978-9922-711-31-7



خطاب المرحلة

(٦٦٠)

بسمه تعالى

أيها الشباب: احذروا الضجر والكسل^(١)

﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ (يوسف: ٣٢)

كيفية ضبط الغرائز والشهوات

أودع الله تبارك وتعالى لدى الانسان غرائز وقوى وميول ليتكامل عملها مع الحواس والأعضاء الأخرى حتى يتحقق الغرض من خلقه ويصل الى الهدف المنشود وهو إعمار الحياة الدنيا بالخير والصلاح والفوز برضوان الله تعالى في الآخرة، فلولا الغريزة الجنسية لما أقدم على تحمل مسؤوليات الزواج والانجاب والتكاثر، ولولا القوة الغضبية لما دافع عن المقدسات والحرمات وواجه الظلم والفساد، ولولا حب الذات والأنا لما اندفع بحماس للكسب وجلب المصلحة ودفع المضرة وهكذا.

وقد جعل الله تبارك وتعالى شريعة وأحكاماً لتنظيم هذه الغرائز وضبط الاستجابة لها بما يحقق الهدف، ومن أولى منه تبارك وتعالى بوضع هذه القوانين وهو خالق العباد والعارف بما يسعدهم ويصلح شأنهم، فأوجب الزكاة والخمس لمعالجة الشح بالمال والبخل، والصوم للتدريب على الامتناع من

(١) خطبتا صلاة عيد الأضحى للعام ١٤٤٢هـ- الموافق ٢٠٢١/٧/٢١م التي أقامها سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه بعدد محدود بسبب وباء كورونا أعادنا الله تعالى جميعاً منه.

مشتهيات النفس المحللة فضلاً عن المحرمة، والحج للتححرر من علائق الأهل والديار والممتلكات، والصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأباح ما يلبي احتياجات الجسد والنفس:-

بلا تفريط يؤدي الى الكبت والخمول والضعف قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ (الحديد: ٢٧)، ويوبخ المترهين ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (الأعراف: ٣٢)، وفي الحديث الشريف (لا رهبانية في الإسلام)^(١).

ولا إفراط يؤدي الى الخراب والهلاك ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٢٧)، فالإنسان قد يضعف أمام هذه الغرائز والشهوات ويندفع لها ويستجيب لمؤثراتها من دون مراعاة حدود العقل والفطرة والدين فيحصل الانحراف والفساد والظلم بأبشع صورته كالذي صدر من المقبورين هتلر وصدام فقتلا ملايين البشر وخرّبوا البلاد بسبب طغيان نزوة أو شهوة وهذه هي أصول الوقوع في الذنوب.

إن هذه الغرائز والقوى الممنوحة للإنسان يمكن ان تساعد على التكامل ليكون أفضل من الملائكة^(٢)، وتكون بمنزلة البراق الذي يعرج به في مدارج الكمال كما وصل بها رسول الله (ﷺ) إلى حيث لا يصل حتى الملائكة

(١) بحار الأنوار- العلامة المجلسي: ٣١٩/٦٥.

(٢) قال الامام علي (عليه السلام): (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَكَّبَ فِي الْمَلَائِكَةِ عَقْلًا بِلَا شَهْوَةٍ وَرَكَّبَ فِي الْبُهَائِمِ شَهْوَةً بِلَا عَقْلٍ وَرَكَّبَ فِي بَنِي آدَمَ كِلَيْهِمَا فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتُهُ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلَهُ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْبُهَائِمِ) (علل الشرائع: ٤/ح ١).

المقربون لأنهم لا يملكون هذه الوسيلة، ويمكن أن يتسافل بها الإنسان ليكون كالحيوان ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٤) بحيث يوجد في بعض أدبيات الصهاينة أنك اذا استطعت أن تقتل ثلثي العالم لتحكم الثلث الآخر فافعل، وهذا نداء غريزة الأنانية وحب الزعامة والرئاسة والجاه واكتناز الثروات إن لم يسيطر عليها، وهكذا تفعل شهوة الجنس والبطن فتصبح قيمة الإنسان ما يخرج منه كما في كلمة أمير المؤمنين (من كان همُّه ما يدخل في جوفه كانت قيمته ما يخرج منه)^(١).

لذا كان من الضروري التعرّف على كوابح هذه الغرائز والشهوات وكيفية ضبط الاستجابة لها حتى يتحلّى بصفة العفاف التي ورد فيها الحديث الشريف (العفة رأس كل خير)^(٢)، ويراد بها حالة الانضباط هذه في كل الغرائز والميول وليس الجنسية فقط.

أما بقاء التبعية لهذه الغرائز والميول والتعلق بها وعدم السيطرة عليها في الدنيا فإنه يجعل الانتقال منها صعباً ومؤلماً لأنه يستلزم تقطيع كل هذه العلائق الوثيقة عند الموت الذي هو آتٍ بلا شك وكم حكي عن أشخاص أريد تلقينهم الشهادات حال الاحتضار فامتنعوا وهم يلهجون بذكر أموالهم وما تعلقت به قلوبهم وهذا بعض وجوه ما تتحدث عنه الأخبار من صعوبة سكرات الموت^(٣).

(١) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٣٢٠/٢٠.

(٢) غرر الحكم: رقم ٧٣٠.

(٣) أنظر: ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ٢٩٧١/٤.

وقد ضرب لنا القرآن الكريم مثالين من الرجال والنساء للتأسي بهما في العفاف وضبط الغرائز والشهوات وعدم الخضوع لتأثيراتها والافتتان بها وهما النبي الكريم يوسف الصديق (عليه السلام) ومريم بنت عمران السيدة الطاهرة الصديقة (عليها السلام)، فقال الله تبارك وتعالى عن يوسف ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾، وقال تعالى عن مريم (عليها السلام) ﴿أَخْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ (التحریم: ١٢)، وقد جمع الحديث الشريف عن الامام الصادق (عليه السلام) هاتين الاسوتين في ما رواه الشيخ الكليني (رحمته الله) في روضة الكافي بسنده عنه (عليه السلام) قال: (يؤتى بالمرأة الحسنة يوم القيامة التي قد افتنت في حسنها، فتقول: يا رب حسنت خلقي حتى لقيت ما لقيت، فيجاء بمريم (عليها السلام) فيقال: أنت أحسن أو هذه؟ قد حسناها فلم تفتتن، ويجاء بالرجل الحسن الذي قد افتتن في حسنه، فيقول: يا رب حسنت خلقي حتى لقيت من النساء ما لقيت؛ فيجاء بيوسف ويقال: أنت أحسن أو هذا؟ قد حسناه فلم يفتتن، ويجاء بصاحب البلاء الذي قد أصابته الفتنة في بلائه فيقول: يا رب شددت علي البلاء حتى افتنت فيؤتى بأيوب فيقال: أبليتك أشد أو بلية هذا؟ فقد ابتلي فلم يفتتن)^(١).

و﴿اسْتَعْصَمَ﴾ على وزن استفعل وتدل بحسب الغالب على طلب الفعل، نحو (استخرج) أي طلب اخراج الشيء و(استغفر) بمعنى طلب المغفرة وعلى هذا المعنى حملها الراغب في المفردات، قال: (كأنه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة وتحري ما يعصمه)^(٢)، ولكنها قد تكون بمعنى الفعل الثلاثي

(١) روضة الكافي: ١٩١/ح ٢٩١.

(٢) مفردات غريب القرآن - الراغب الأصفهاني: ٣٣٧.

نحو (استقر) أي قرّ، فيمكن فهم (استعصم) على كلا المعنيين أي اعتصم أو طلب العصمة.

وأرى أنها يمكن أن تفيد معنى المبالغة والاشتداد نحو (استعر) فالتعبير لا يخلو عن إشارة إلى ما كان يعانيه يوسف (عليه السلام) من مجاهدة في التغلب على ما يعانيه، فقد كان محاصراً بأجواء الفتنة والاثارة والاغراء من امرأة العزيز وبقية النسوة وهو تحت الضغط والتهديد لا يملك لنفسه قراراً بل كان مملوكاً لامرأة العزيز ومسلوب الحرية، ولكنه (عليه السلام) كان بما منحه الله تعالى من عصمة مستعداً للتنازل عن حياته المرفهة في قصر العزيز بكل امتيازاتها والذهاب إلى قعر السجون إذا لم يوجد حل أمامه للتخلص من هذه الغرائز الجامحة للنسوة الا هذا، لأنه يخاف على نفسه من الميل إلى اغرائهن ﴿قالَ رَبِّ السُّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف: ٣٣) فأثر رضا الله تعالى على هواه وما تشتهي نفسه.

ولاشك أنه (عليه السلام) استعصم بالله تعالى وبألطافه وعنايته وقدرته، وكان طلبه العصمة من الله تعالى صادقاً مخلصاً يخرج من أعماق قلبه صريحاً بقوله: ﴿وَاللَّا تَصْرَفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: ٣٣)، ولم يكتفي بالاعتماد على قدراته ومناعته الذاتية، وقد لبى الله تعالى دعوته ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يوسف: ٣٤) وقد وجد يوسف الصديق (عليه السلام) تلك الاستجابة يقيناً في قلبه وقوة في إرادته وبصيرة في سلوكه ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤) فهو لو

لم تدركه هذه اللطاف برهاناً من ربِّه لهمَّ بها ووقع في شراكها للخطة المحكمة التي هياتها فصرف الله تعالى عنه الفحشاء وكل مقدمة سوء، وقد أوضحنا في قبس^(١) سابق أن ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ (يوسف: ٢٤) أعلى رتبة من (لنصرفه عن السوء والفحشاء).

ونريد الآن أن نتعرف على الأمور التي تساعد على ضبط الغرائز والميول وكبح الشهوات، وهي على قسمين:

١- العوامل الذاتية التي تنبع من داخل الإنسان.

٢- العوامل الخارجية التي تؤثر على الإنسان من خارجه إذ ان أحد أسباب الانحراف هو تأثير البيئة ودفع الشخص نحو ما يعرف بالسلوك الجمعي الذي يضطر الفرد لمجاراته والسير خلفه وان علم بخطأه فنحتاج الى كوابح لحركة المجتمع أيضاً وهي بدورها ستضبط غرائز الفرد ونوازعه.

أولاً: العوامل الذاتية وتتضمن:

١- الايمان بالله تعالى وليس المقصود كل إيمان فان كثيراً ممن ينطقون الشهادتين بألسنتهم يفعلون الجرائم الكبيرة ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤) فلا بد أن يكون الايمان حاضراً في وجدانه وقلبه وقائداً له في سلوكه وقناعاته فيستشعر حقيقة أن الله تعالى حاضر معه ومطلع على أفعاله بل على خواطره وأفكاره ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (العلق: ١٤) ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، (الحديد:

(١) أنظر: من نور القرآن: ٢ / ٢٨٩ / قبس: ٦٨ ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ (يوسف: ٢٤).

﴿٤﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوسَّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦)، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (الأنفال: ٢٤)، وإن العباد راجعون الى الله تعالى ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦)، ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ (العلق: ٨)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٧-٢٨)، وإن الله تعالى سيبعث العباد في يوم القيامة ويحاسبهم على أفعالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء بعقوبات تقشعر منها الأبدان ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: ١-٢) فإن هذا الخوف من الله تعالى واستحضار الرقابة الإلهية سيردعه.

وينبغي الالتفات الى أن الطاعة المبنية على الخوف من العقاب هي ادنى مراتب العلاقة مع الله تعالى، وأعلى منها أن يوظف قواه وغرائزه لطاعة الله تعالى حباً لله تعالى وشكراً له سبحانه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فنفعل ما يحبه وإن لم يكن الفعل واجباً نعاقب على تركه، ونتجنب ما يكرهه وإن لم يكن العمل حراماً يعاقب فاعله ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ * إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿ (الانسان: ٨-٩) وقد قيل في الحكمة (إن المحب لمن أحب مطيع)^(١).

روى الشيخ الكليني (رحمته الله) في الكافي بسند معتبر عن أبي بصير عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: (كان رسول الله (ﷺ) عند عائشة ليلتها، فقالت: يا

(١) أنظر: الأمالي - الشيخ الصدوق: ٥٧٨/ح ٣.

رسول الله: لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال:
يا عائشة، افلا أكون عبداً شكوراً^(١).

٢- الاصغاء الى صوت العقل ونداء الفطرة السليمة غير الملوثة ومن
مجموعهما يتشكل الضمير والوجدان الذي يهتز فرحاً وحماساً عند فعل الخير،
وحزناً وألماً عند حصول الشر فيشعر بوخز الضمير عند ارتكاب الخطأ لردعه
عنه وهي إثارات النفس اللوامة. هذا الضمير الحي الذي جعله النبي (ﷺ)
معياراً للتمييز بين الخير والشر وإن قيل لك خلاف ذلك قال (ﷺ): (البرُّ ما
اطمئن اليه النفس، والبرُّ ما اطمأن به الصدر، والإثم ما تردّد في الصدر، وجال
في القلب، وإن افتاك الناس وافتوك)^(٢).

فقد جعل الله تعالى العقل والفطرة هاديين للإنسان الى ما هو الصحيح
﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم: ٣٠)، ﴿صِبْغَةَ
اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ (البقرة: ١٣٨).

ورد في وصية الامام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم (ان الله تعالى على
الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة،
واما الباطنة فالعقول)^(٣)، وقال الامام الصادق (عليه السلام) (حجة الله على العباد
النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل)^(٤).

(١) الكافي: ٦/٧٧/٢ ح.

(٢) وسائل الشيعة: ١٦٦٦/٢٧ ح ٣٩.

(٣) أصول الكافي: ١/ كتاب العقل والجهل ح ١٢.

(٤) أصول الكافي: ١/ كتاب العقل والجهل ح ٢٢.

ويعترف أهل النار بأن سقوطهم لأنهم لم يصغوا الى صوت العقل ونداء الفطرة، قال تعالى على لسان أهل النار ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك: ١٠)، وفي الحديث، عن الامام الرضا (عليه السلام) قال: (ما استودع الله عبداً عقلاً الا استنقذه به يوماً)^(١)، فلنحافظ على العقل والفطرة نقيين طاهرين ولا نلوثهما ولنصغ لندائهما.

وقد عرف الحديث الشريف عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) العقل بأنه (ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان)^(٢)، اما استعماله في غير ذلك فإنه يخرج عن عنوانه ويصبح مكرراً ودهاءً وشيطنة ففي نفس هذا الحديث سأله الراوي (قلت: فالذي كان في معاوية؟ فقال: تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل).

٣- التفات الإنسان الى كرامته التي وهبه الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وقيمة نفسه^(٣)، وأنها أعلى شيء ولا تقدر بثمن وقد وصفها الله تعالى بأسمى الصفات قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (الحجر: ٢٩)، فلا يليق به أن ينزل بها الى مستوى البهائم ولا ثمن لها الا نيل رضوان الله تبارك وتعالى والجنة قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أنه ليس لأنفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها)^(٤)، وقال (عليه السلام): (العارف من عرف نفسه

(١) بحار الأنوار: ١/٨٨/١٢، عن أمالي المفيد.

(٢) أصول الكافي: ١/١١/٣.

(٣) راجع تفصيل هذه الفكرة في خطاب المرحلة: ١٠٢/١٢.

(٤) نهج البلاغة: ١٠٥/٤.

فأعتقها ونزهاها عن كل ما يبعدها ويوبقها^(١)، وقال (عليه السلام): (هلك امرؤ لم يعرف قدره)^(٢)، فلا يمكن أن يخسرها باتباع شهوة أو اشباع غريزة حتى لو كانت عظيمة كنييل زعامة ورئاسة أو شهرة عالمية أو كثرة اتباع ونحو ذلك فإن هذه كلها أوهام لا تلبث ان تزول قال تعالى: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١)، وفي هذا يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته)^(٣)، وروي عنه (عليه السلام) قوله: (قبيح بذى العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون إنساناً)^(٤)، وقال: (ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً)^(٥).

ويحذر الإمام الصادق (عليه السلام) من تضييع النفس بالانجرار وراء الشهوات والمطامع، أو اتباع الزعامات غير الجامعة للشروط، أو الانخداع بالدعوات الضالة من دون تثبت، لأنه اذا قضى عمره على هذا المنوال فلا يعطى فرصة أخرى للتدارك قال (عليه السلام): (اتقوا الله وانظروا لأنفسكم، فان أحق من نظر إليها أنتم، لو كان لأحدكم نفسان فقدّم أحدهما وجربّ بها، استقبل التوبة بالأخرى ولكنها نفس واحدة اذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة)^(٦).

٤- العلم والمعرفة والتفقه في أمور الدين، فبدونها يتخبّط الانسان ولا

(١) غرر الحكم: ١٧٨٨، ١٩٨٥.

(٢) نهج البلاغة: حكمة ١٤٩.

(٣) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد: ٩٩/٢٠، حكمة ٤٥٨.

(٤) آثار الذنوب، الشيخ محسن قرائتي: ١٩٠.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٣٢.

(٦) وسائل الشيعة: ٥٣/١٥، أبواب جهاد العدد، باب ١٣/ح ١٠.

يميز بين الحق والباطل، وبين ما يجوز فعله وما لا يجوز، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (العلم رأس الخير كله، والجهل رأس الشر كله)^(١)، وعن الامام الباقر (عليه السلام) قال: (إن قلباً ليس فيه شيء من العلم كالبيت الخراب الذي لا عامر له)^(٢)، وروي عن الامام الصادق (عليه السلام) قوله: (من أراد التجارة فليتفقه في دينه ليعلم بذلك ما يحلُّ له مما يُحرّمُ عليه، ومن لم يتفقه في دينه ثم اتجرَّ تورَّط في الشبهات)^(٣)، والتحذير لا يختص بالتجارة وانما سائر فعاليات الحياة، اذ لكل عمل فقهه وأحكامه التي لا يجوز تجاوزها، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (إن قلوب الجاهل تستفزها الاطماع وترتهنها المنى وتستغفلها الخدائع)^(٤) وقال (عليه السلام): (لا يرى الجاهل الا مُفرطاً أو مفرطاً)^(٥)، والعلم وحده لا يكفي مالم يهذب به نفسه ويطهر به قلبه، انظر مثلاً الى ما يحكيه القرآن عن أحد علماء بني إسرائيل الكبار حيث بلغ منزلة ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ لكنه لم يهذب بها غريزة الأنا والشهوات ولم يستفد من علمه ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ * وَكُوْشِنَا لِرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴿ (الأعراف: ١٧٥-١٧٦).

(١) بحار الأنوار: ٧٧ / ١٧٥ ح ٩.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ٥٤٣ ح ١١٦.

(٣) وسائل الشيعة: ٣٨٢/١٧ ح ٤.

(٤) أصول الكافي: ١ / كتاب العقل والجهل ح ١٦.

(٥) بحار الأنوار: ١٥٩/١ ح ٣٥.

ثانياً: العوامل الخارجية التي تضبط سلوك المجتمع:

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الرقابة الاجتماعية وهي وظيفة عظيمة تميزت بها الأمة الإسلامية ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠) فجميع أفراد الأمة مسؤولون عن تقويم حركتها وإصلاح أخطائها ومعالجة مشاكلها، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١)، روي عن الامام الباقر (عليه السلام) قوله في حديث: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمين المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر)^(١)، وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعنا منهم البركات، وسلطنا بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء)^(٢).

٢- قوانين العقوبات:

فان كثيراً من الناس لا يمتلكون وازعاً إيمانياً أو عقلياً، ولا يستجيبون لداعي الأمر والنهي، ولا تردعهم الأمور المتقدمة فيرتكبون القبيح، ولكنهم يخافون من العقوبات فقط كالسجن وأمثاله، وهذا هو الذي يضبط سلوك أكثر الناس في الغرب وليس عوامل ذاتية صالحة، لذا تجد الفوضى تحصل عندهم بمجرد غياب القانون كما حصل ويحصل في أوقات الكوارث أو عند انقطاع

(١) وسائل الشيعة: ١٦/١١٩، أبواب الأمر والنهي، باب ١/ح ٦.

(٢) وسائل الشيعة: ١٦/١٢٣/ح ١٨.

الكهرباء، فتشريع القوانين المنظمة للحقوق والواجبات والتي تحدّد العقوبات على المخالفين أمر ضروري لردع المتجاوزين والخارجين على القانون.

ومن هنا فقد تسالم العقلاء على ضرورة وجود حكومة تحفظ النظام الاجتماعي العام وتوفر للناس الأمن والخدمات العامة وتيسّر معاش العباد ونحو ذلك، وتنظم الحقوق والواجبات بين أفراد المجتمع لضرورة وقوع التراحم والتدافع بين أهواء الناس ومشتهايتهم ونزوعهم إلى التوسع في تحصيل الثروات وحرية التصرف وتلبية الشهوات والغرائز ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ (القيامة: ٥) فلا يكتفي بما صدر منه بل يريد ان يفعل ما يشاء في مستقبل أيامه أيضاً فيمتد بعضهم على حساب بعض قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

(فَإِنَّهُ لَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ)^(١)، فان كانت السلطة عادلة فهو المطلوب وبها يحفظ الدين ففي علل الفضل بن شاذان عن الإمام الرضا (عليه السلام) (انه لو لم يجعل لهم إماماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة)^(٢)، وان لم تكن السلطة عادلة ففي وجودها المصالح التي ذكرناها، وفي كلمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (والظلم غشوم خير من فتنة تدوم)^(٣)، وروى بعض العامة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (إن الله يزّع بالسلطان ما لا يزّع بالقرآن)^(٤).

(١) نهج البلاغة: ٨٧/١، بشرح محمد عبده/الخطبة: ٤٠.

(٢) علل الشرائع: ٩٥/١، باب ١٨٢/ح ٩.

(٣) الغرر والدرر ٦ / ٢٣٦/ح ١٠١٠٩.

(٤) شرح السير الكبير: ١٦٩/١، وأورد مضمونه في الفتوحات المكية: ٤٨٤/٤.

٣- نشر الوعي الفكري والأخلاقي لزيادة بصيرة المجتمع بحيث تكون الثقافة السائدة في المجتمع مبنية على الأهداف النبيلة والوسائل النظيفة ومثل هذا المجتمع يساعد افراده في توجيه ميولهم نحو الصواب ويجعل من المعيب ممارسة الفعل الخاطئ حتى على مستوى القاء النفايات في الشارع العام أو عدم الالتزام بالإشارات المرورية فضلاً عن قبول الرشوة أو تخريب الممتلكات العامة أو التقصير في خدمة الناس وحينئذ لا يجد الفرد صعوبة في مسaire هذا الجو العام وعدم الخروج عليه فان الثقافة العامة والسلوك الجمعي مؤثران في سلوك الفرد، وقد ورد عن أمير المؤمنين قوله: (الناس يميلون مع كل ريح)^(١)، وكان السيد الشهيد الصدر الثاني (تذُّهُ) يقول لتكن ريح الحوزة - أي الدين - هي الأقوى حتى تميل الناس معها.

٤- توسيع الشعائر الدينية وانتشار المساجد والمشاعر الدينية وإقامة الفعاليات المتنوعة فإنها تخلق بيئة تهذب ميول الإنسان ولا تبقى مجالاً لاستتارة شهواته وغرائزه والتجارب تشهد بذلك فان كثيراً من الناس يمتلكون شجاعة وقوة لمقاومة النظرة المريبة والسلوك غير النظيف في أجواء شهر رمضان أو محرم أو خلال المسيرة الأربعينية، بما لا يجدونه في غيرها، وقد جرّب العراقيون كيف ان إقامة السيد الشهيد الصدر الثاني (تذُّهُ) لصلاة الجمعة أدت الى انحسار الجريمة بنسبة (٨٠٪) في المدن التي تقام فيها بحسب احصائيات الشرطة، لأنها وفّرت البيئة المساعدة على الطاعة وأصبح فعل المعصية يلاقي استهجاناً عاماً واستغراباً.

(١) أنظر: الخصال - الشيخ الصدوق: ١٨٦/ح ٢٥٧.

وإذا أردنا تقييم هذه العوامل من حيث قوة التأثير فإنها متفاوتة، ولا شك ان الايمان بالله تعالى يقف على رأسها، إذ ان العوامل الخارجية يغيب تأثيرها عندما يكون الانسان في خلوة ولا يجد رقابة عليه كالذي فعلته امرأة العزيز ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ (يوسف: ٢٣) وكذا تضعف العوامل الذاتية عندما تغطي الغريزة وتشتد الشهوة، ولا يبقى رادع الا الاستعاذة بالله تعالى وطلب العصمة منه، ولا يوجد ضامن لصلاح الناس مثله، وقد اعترف زعيم الإلحاد مؤخراً بأننا اذا عزلنا الدين عن حياة الناس فسنخسر الكثير مما يردع الناس عن فعل الشر، لذا علينا تعزيز الإيمان في النفوس وتقويته من خلال وسائل مؤثرة فاعلة ذكرناها في مناسبات شتى ومنها قيس ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١) حيث عددنا مقومات كون العمل حسناً بل أحسن.

وقد روى لنا التاريخ الإسلامي مواقف سامية للتحكم في الغرائز لم يربها أي شيء سوى التعلق بالله تعالى كالذي روي عن زوجة ابي طلحة الانصاري - وهو ممن شهد العقبة وبدراً وأحداً والمشاهد كلها- وكانا من خيار الأنصار (فقد مرض ولدهما وكان أبو طلحة يتعاهده كلما يرجع الى الدار فمات الولد اثناء خروجه فأخفته في زاوية الدار ولما عاد أبو طلحة وسألها عنه قالت: دعه فإنه قد هدأ واستراح فسُرُّ أبو طلحة وآوى الى فراشه ومكنته من نفسها، فلما أصبح قالت: يا أبا طلحة: أرايت قوماً أعارهم بعض جيرانهم عارية فاستمتعوا بها مدة ثم استرجع العارية أهلها فجعل الذين كانت عندهم يبكون عليها

(١) القيس: ١٦٤ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ مقومات إحسان العمل: من نور

لاسترجاع أهلها إياها من عندهم ما حالهم؟ قال: مجانين، قالت: فلا نكون نحن من المجانين، إن ابنك هلك فتعزَّ بعزاء الله وسلِّم إليه وخذ في جهازه.

فأتى أبو طلحة النبي (ﷺ) فأخبره الخبر فتعجب النبي (ﷺ) من أمرها ودعا لها وقال: «اللهم بارك لهما في ليلتهما» فحملت من تلك الليلة من أبي طلحة بعبد الله، فلما وضعت لفتته في قماش وأرسلت به الى النبي (ﷺ) فحنكه ودعا له وكان من أفضل أبناء الأنصار^(١)، وقد كان عبدالله بن ابي طلحة مالياً لأمير المؤمنين (عليه السلام) وشهد معه صفين.

والمثال الآخر ما رواه في كتاب عيون المعجزات قال (استأذن إبراهيم الجمال على أبي الحسن علي بن يقطين الوزير فحجبه، فحج علي بن يقطين في تلك السنة فاستأذن بالمدينة على مولانا موسى بن جعفر فحجبه، فرآه ثاني يومه فقال علي بن يقطين: ياسيدي ماذني؟ فقال: حجيت لأنك حجبت أخاك إبراهيم الجمال وقد أبى الله أن يشكر سعيك أو يغفر لك إبراهيم الجمال، فقلت: سيدي ومولاي من لي بإبراهيم الجمال في هذا الوقت وأنا بالمدينة وهو بالكوفة؟ فقال: إذا كان الليل فامض إلى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك أحد من أصحابك وغلما نك واركب نجيباً هناك مسرجاً قال: فوافى البقيع وركب النجيب ولم يلبث أن أناخه على باب إبراهيم الجمال بالكوفة فقرع الباب وقال: أنا علي بن يقطين.

فقال إبراهيم الجمال من داخل الدار: وما يعمل علي بن يقطين الوزير بيابي؟! فقال علي بن يقطين: يا هذا إن أمري عظيم وآلى عليه أن يأذن له، فلما

(١) الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي: ١/ ١٥٤، عن شرح الأخبار ٢/ ٢٦.

دخل قال: يا إبراهيم إن المولى أبى أن يقبلني أو تغفر لي، فقال: يغفر الله لك فألى علي بن يقطين على إبراهيم الجمال أن يطأ خده فامتنع إبراهيم من ذلك فألى عليه ثانيا ففعل، فلم يزل إبراهيم يطأ خده وعلي بن يقطين يقول: اللهم اشهد، ثم انصرف وركب النجيب وأناخه من ليلته بباب المولى موسى بن جعفر بالمدينة فأذن له ودخل عليه فقبله^(١).

وإذا أردنا المزيد من المواقف العظيمة في ضبط الغرائز وتهذيبها فان معركة كربلاء حافلة بفصول سامية منها، فالإمام الحسين (عليه السلام) يتخلى عن حياة الرفاهية والدعة والجاه الاجتماعي الواسع لدى الأمة ويقدم على الشهادة بنفسه وولده وأهله وأصحابه وسبي عياله خير نساء الدنيا، لأن نفسه الكريمة أبت الذلّة في غير طاعة الله تعالى، وفي ذلك يقول السيد حيدر الحلبي (رحمه الله تعالى)

وسامته يركب إحدى اثنتين وقد صرّت الحربُ أسنانها
فإما يرى مدعناً أو تموت نفس أبى العز إذعانها
فقال لها اعتصمي بالإبا فنفس الأبى وما زانها^(٢)

وأبو الفضل العباس (عليه السلام) يصل الى ماء الفرات وقلبه يتقطر من العطش ويمدّ يده الى الماء ليشرب لكنه يرمي الماء من يده مواساة للإمام ابي عبد الله (عليه السلام) ولو فعل لما لامه أحد لأنه يتقوى به على الأعداء لكنه آثر الكمال والتسامي عما تريده النفس.

(١) بحار الأنوار: ٤٨ / ٨٥ / ح ١٠٥.

(٢) الدر النضيد: ٣١٢.

والحر الرياحي تنازل عن القيادة العسكرية وامتيازاتها والموضع المقرَّب من السلطة ليلحق بركب الشهادة بين يدي ابي عبد الله الحسين (عليه السلام) مؤثراً لآخرفته على دنياه.

وفي المقابل وجدت نماذج سيئة اطاعت شهواتها وغرائزها فقادتها ميولها التافهة نحو الهلاك كعمر بن سعد قائد الجيش الأموي الذي أغراه ملك الري فأقدم على قتل ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يحصل منه على شيء، أو عبيد الله بن الحر الجعفي الذي دعاه الإمام الحسين (عليه السلام) الى نصرته وتحصيل الفوز والسعادة الا انه أخلد الى الأرض واتبع هواه وطمع في السلامة فتخاذل وحاول إرضاء الامام بالتبرع بفرسه لكن الامام (عليه السلام) أبى وقال: (اما وقد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في شيء من مالك)^(١).

(١) مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: ٧٣، انظر: الإرشاد للمفيد: ٢ / ٨١-٨٢.

خطاب المرحلة

(٦٦١)

خلال لقائه الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)

المرجع اليعقوبي: العالم يعيش عصر ازدهار التشيع

استقبل سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه في النجف الأشرف^(١) الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام) سماحة آية الله الشيخ رضا رمضان (دامت بركاته) وعددًا من كبار مساعديه والوفد المرافق له.

وأثنى سماحة المرجع على حسن اختيار الشيخ الرضائي لهذا الموقع الشريف لما يتمتع به من فضيلة علمية عالية وخبرة في إدارة العمل الدعوي والتبليغي وحكمة وهدوء في تجاوز الصعاب وحل المشكلات.

ثم بين سماحة الشيخ رمضان الغرض من تأسيس المجمع منذ ثلاثين عاماً وهو إيجاد رابطة تجمع أتباع أهل البيت (عليه السلام) في مختلف دول العالم وتوفير فرصة انفتاح بعضهم على بعض، ودعم التشيع ونشر تعاليم أهل البيت (عليه السلام) في أنحاء المعمورة وتمكين أتباع أهل البيت (عليه السلام) في بلدانهم، ثم استعرض سماحته المهام والمسؤوليات التي يضطلع بها المجمع والإنجازات التي حققها في مجالات التأليف والنشر والتبليغ باللغات المختلفة للشعوب وتأسيس جامعة تشمل على مختلف التخصصات لرفد المجتمعات الشيعية

(١) في يوم الثلاثاء ١٩/ شوال/ ١٤٤٢هـ - الموافق ٢٠٢١/٦/١م.

بالكفاءات العلمية والمهنية من أبنائهم.

وثمّن المرجع اليعقوبي خلال حديثه تأسيس هذا المجمع العالمي مشيراً الى ان هذا المشروع المبارك يأتي استجابة لقول الله تبارك وتعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١) فإن النعمة التي أمرنا بالتحدث بها ونشرها هي ولاية أهل البيت (عليهم السلام) كما دلت عليها الآيات الكريمة الأخرى كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر: ٨)، وقوله تعالى: ﴿وَأَتَمَّمْتُمْ عَلَيَّكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٣)، بحسب ما فسّرت الروايات الشريفة عن المعصومين (سلام الله تعالى عليهم أجمعين)^(١)، مؤكداً في الوقت ذاته على ضرورة العمل بهمة عالية وتسخير الإمكانيات المطلوبة لتحقيق الأهداف المرجوة من عمل المجمع.

وأشار سماحة المرجع (دام ظله) الى أن العالم اليوم يعيش في عصر ازدهار التشيع متفائلاً بسرعة انتشار الإسلام الحقيقي الأصيل الذي نقله أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عن جدّهم المصطفى (صلى الله عليه وآله) لانسجامه مع الفطرة الإنسانية النقية والعقل السليم وهذا ما أكدّه المعصومون (عليهم السلام) بقولهم: (فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)^(٢).

وتعقياً على إعجاب الضيف الكريم بأبحاث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) في الفقه الاجتماعي وتطبيقاته على مسائل عديدة، والتي فتحت آفاقاً جديدة في الفقه الإسلامي وقدرته على تنظيم الحياة البشرية في كل

(١) أنظر: بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٢٤ / ٥٤.

(٢) معاني الأخبار - الشيخ الصدوق: ١ / ١٨٠.

مجالاتها، أكدّ سماحة المرجع على ضرورة انفتاح الحوزات العلمية في النجف وقم وغيرها على هذه الأبحاث وبذل الوسع في إثارتها والتحقيق فيها - كتحقيق سماحته في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجلدين - والا فإن أغلب أحكام الشريعة ستبقى معطلة أو محدودة الفائدة وتظهر الشريعة الإسلامية عاجزة عن تقديم نظام متكامل لقيادة البشرية، واستشهد سماحته ببعض الروايات التي يرى فيها الامام الباقر (عليه السلام)^(١) ضرورة وجود قوة وتأثير لدى المشرّع الإسلامي على السلطة والحكم ليستطيع تطبيق أحكام الشريعة كما يريد الله تعالى.

ونبه سماحته الى أهمية تأسيس الحركة الدعوية والتبليغية على معارف القرآن الكريم وعلومه فإنه الثقل الأكبر وفيه تبيان كل شيء وهو يدعو الى اتباع أهل البيت (عليهم السلام) والتمسك بولايتهم فإن ذلك أدعى لاستجابة الناس وثقتهم بالمشروع.

وحتّ سماحته على مضاعفة الاهتمام بالساحات البكر التي لم تحظَ بوجودِ كافٍ للمبلغين والدعاة كالقارة الافريقية فإن أهلها طيبون وينقادون لنداء الفطرة، فلا بدّ من زيادة عدد المبلغين وتأسيس الحوزات العلمية التي تؤهّل أبناء تلك الدول على هداية شعوبهم وأهلهم فأنهم أعرف بلغاتهم

(١) عن يزيد الصائغ قال: (سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: إن النساء لا يرثن من ربا الأرض شيئاً، ولكن لهن قيمة الطوب والخشب، قال: فقلت له: إن الناس لا يأخذون بهذا، فقال: إذا وليناهم ضربناهم بالسوط، فإن انتهوا وإلا ضربناهم بالسيف عليه) وسائل الشيعة: كتاب الميراث، أبواب ميراث الأزواج، باب ٦،

وطبائعهم وثقافتهم، منوّهاً الى أن أفضل السبل لكسب الناس وأقربها الى الله تبارك وتعالى هي المشاريع الخيرية لمساعدة الناس وقضاء حوائجهم والمشاريع الاستثمارية التي تشغل الشباب وتكفل لهم أسباب الحياة الكريمة. وكان سماحة المرجع العقبوبى (دام ظله) قد حذّر في حديث سابق^(١) من الأمور التي تعيق انتشار التشيع وتشوه صورته وتنفر الناس منه وتخلق حاجزاً دون قبوله.

وفي ختام اللقاء دعا سماحة المرجع (دام ظله) الى المزيد من التواصل العلمى والعملى وتبادل الخبرات بين حوزتى النجف الاشرف وقم المقدسة واصفاً إياهما بالجناحين اللذين يطير بهما التشيع بلحاظ وحدة هدفهما وقواسمهما المشتركة، وإن تنوعت أدوارهما.

(١) أنظر: كلمة بعنوان: (معوقات انتشار التشيع في العالم) موسوعة خطاب المرحلة: ٩ / ٤٧٠.

خطاب المرحلة

(٦٦٢)

بسمه تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (النور: ٢١)

خطا الشيطان الناعمة للوصول الى غرضه^(١)

قال الله تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (النور: ٢١)

الخطوة: مصدر مرة من الخطو، وهي مسافة ما بين القدمين عند السير، وجمعها خُطوات وتقرأ بضميتين مثل عُرفة وعُرُفات، وقد حكي عن الفراء قوله: (العرب تجمع فُعلة من الأسماء على فُعلات نحو حُجرة وحُجرات، فرقاً بين الاسم والنعته، النعت يُخفف مثل حُلوة وحُلوات)^(٢)، والمشي يقتضي تجاوز الموضوع، فالتعدي والتجاوز من لازم المعنى وليس هو مدلول اللفظ كما في معجم مقاييس اللغة، قال (والخطأ من هذا لأنه مجاوزة حد الصواب)^(٣).

واتباع الخطوات تعني اقتفاء الأثر والملازمة في السير، وكذا اتباع خطوات الشيطان يعني السير على منهجه ومتابعته والاستجابة لما يأمر به، وقد

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) يوم الجمعة ٩/صفر/١٤٤٣هـ-

الموافق ١٧/٩/٢٠٢١م.

(٢) التحقيق للمصطفوي: ٩٩/٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ١٩٨/٢، مادة (خَطَوًا).

ذكرت الآية سبب النهي عن اتباع الشيطان ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ ويسوق أتباعه إلى الضلال والشقاء وتعدي حدود الله تعالى والابتعاد عن طاعة الله تعالى وتكون النتيجة ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص: ٨٥).

فمنهج الشيطان هو الدفع باتجاه الوقوع في المنكر وهو كل أمر سيء يستبقه العقل والشرع فعلاً أو قولاً، والفحشاء وهي المنكرات التي تتجاوز الحدود المقبولة على صعيد الفرد أو المجتمع خصوصاً ما يتعلق بأعراض الناس وأموالهم وأمنهم وغذائهم.

والأمر بمعنى الدعوة إلى الفحشاء والمنكر بتزيينها والتحريض عليهما وإيجاد الدوافع لهما كما تقول: نفسي تأمرني بكذا، أي تدعوني إليه، إذ من المعلوم أن الشيطان ليس له سلطة قاهرة على الإنسان ولا يستطيع إكراهه على شيء، وكل فعله الوسوسة وتحديث النفس الأمارة بالسوء وتزيين فعل الشيء والإغراء بالفحشاء والمنكر لا أزيد من ذلك، وقد حكى الله تعالى قوله لمن ضلوا بسببه ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ (إبراهيم: ٢٢)، والإنسان مخير في اتباعه أو مقاومته بتأييد الله تعالى ولطفه، وقد يُسَلِّم الشقي قياده للشيطان فيسيره كيف يشاء ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ١٠٠) ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ (المجادلة: ١٩)، وهذا ما يقوم به أعوانه من شياطين الجن والإنس فإنهم يقعدون في طريق الناس الذين يسرون نحو الله تعالى بحسب فطرتهم

فيحرفون مسيرتهم بخطوات ضالة مبعدة عن الغرض الأسمى.

والمراد بخطوات الشيطان ضلالاته التي تؤدي الى ابتعاد الإنسان عن الدين القويم والصراط المستقيم فمنهجه ومشروعه الأمر بالفحشاء والمنكر، فهو سبب كل فساد وانحراف، وهو المهيج لكل جريمة وفعل منكر سواء كان على مستوى العقيدة أو الفكر أو السلوك.

وأضاف تعالى في آية أخرى دعوة الشيطان إلى أمر آخر غير الفحشاء والمنكر وهو ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٦٩)، أي يدعوهم إلى الحكم بغير ما أنزل الله ونسبة أشياء إلى الشريعة وهي ليست منها.

وقد وقع هذا التحذير والنهي عن اتباع خطوات الشيطان في سياق الآيات الكريمة التي سجّلت ما يعرف بحديث الإفك وهي الإشاعة الباطلة التي مسّت عرض وشرف رسول الله (ﷺ) سيد الخلق على الاطلاق والقائد الأعلى للدولة، وهي خطوة دفع الشيطان باتجاهها لتكون بداية لخطوات على طريق نشر الفحشاء والمنكر بعد أن كسر هذا الحاجز العظيم، وكادت هذه الإشاعة أن تفتك بالمجتمع المسلم وتؤدي إلى إنهاره لولا رحمة الله تعالى ولطفه، لذا كانت بقية الآية ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٢١).

وقد صور الله تعالى الحالة بأبشع صورة تهزّ الوجدان بعنف وتدفع الإنسان إلى الابتعاد عنها حيث يسير الشيطان الذي هو عدو مبين ومجمع القاذورات نحو هدفه وهو الخراب والتدمير ونشر الشقاء والهلاك ويسير خلفه جماعة متبعين خطواته مبتعدين عن منهج السعادة والكمال فأى حال أشقى من

هذا، وحديث الإفك وإشاعته كان نموذجاً له.

وقد تكرر التحذير من اتباع خطوات الشيطان في عدة مواضع أخرى ووصفه الله تعالى فيها بما يوجب هذا الحذر قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: ٦)، والعقل والفطرة يدعوان الى الحذر من العدو والفرار منه.

والذي يتأمل في هذه المواضع المتعددة من التحذير ويجد فيها بياناً لبعض منافذ الشيطان وتطبيقات لخطواته، فقد جاء النهي عن اتباع الشيطان تارة في مورد التشريعات المحرمة بغير ما أمر الله تعالى به، كما في بعض قضايا الطعام حيث جعل الله تعالى كل ما في الأرض حلالاً طيباً الا ما استثناه، لذا كان الأصل في الأشياء الحلية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٦٨-١٦٩)، ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأنعام: ١٤٢)، لكن أهل الكتاب والمشركين حرموا بعض ما أحله الله تعالى وبذلك فقد جعلوا أنفسهم آلهة يشرعون من دون الله تعالى فاستنكر الله تعالى ذلك منهم وقال: ﴿اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (يونس: ٥٩)، ونفى حرمة هذه الأشياء، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَا كِنٍّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة: ١٠٣)،

(١) أنظر: سورة البقرة: (الآيات: ١٦٨-٢٠٨) وسورة الأنعام: (الآية: ١٤٢).

كما أحلوا بعض ما حرّم الله تعالى كالربا ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: ٢٧٥).

وورد النهي عن اتباع خطوات الشيطان تارة أخرى في مورد التنازع والعنف قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨)، فالقطيعة التي تحصل بين الأخوة والتباغض والمهاترات هي من فعل الشيطان ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (المائدة: ٩١).

وذكرت الروايات مصاديق لخطوات الشيطان كصحيحة منصور بن حازم في التهذيب قال: (قال لي أبو عبدالله (عليه السلام): أما سمعت بطارق، ان طارقاً كان نخاساً بالمدينة فأتى أبا جعفر (عليه السلام) فقال: يا أبا جعفر إني هالك إني حلفت بالطلاق والعتاق والنذر، فقال له: يا طارق ان هذه من خطوات الشيطان)^(١).

وفي رواية الكافي بسند معتبر عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا حلف الرجل على شيء والذي حلف عليه اتيانه خير من تركه فليات الذي هو خير ولا كفارة عليه، وإنما ذلك من خطوات الشيطان)^(٢)، وروى العياشي في تفسيره عن محمد بن مسلم مثلاً على ذلك عن الامام الباقر أو الصادق (عليه السلام) (أنه سئل عن امرأة جعلت مالها هدياً وكل مملوك لها حراً إن كلمت أختها

(١) التهذيب - الشيخ الطوسي: ٨ / ٢٨٧ / ح ٥٠.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ٧ / ٤٤٣ / ح ١.

أبدأ، قال: تكلمها وليس هذا بشيء إنما هذا وأشباهه من خطوات الشيطان^(١).
ومن خطوات الشيطان الوسوسة في العبادات وخطور الأوهام والشكوك
التي لا واقع لها، فقد روى في الكافي بسنده عن عبدالله بن سنان قال: (ذكرت
لأبي عبد الله (عليه السلام) رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة وقلت: هو رجل عاقل،
فقال: أبو عبد الله وأي عقل له وهو يطيع الشيطان؟ فقلت له: وكيف يطيع
الشيطان؟ فقال سله هذا الذي يأتيه من أي شيء هو؟ فإنه يقول لك من عمل
الشيطان)^(٢).

وفي الحقيقة فإن لاتباع الشيطان مراتب عديدة أوضحها ترك الواجب
وفعل المحرم على مستوى العقيدة أو السلوك، ثم اقتحام الشبهات من دون
تحقق، ثم ترك المستحبات وفعل المكروهات، ولا ينتهي عند الغفلة عن الله
تعالى والتعلق بما سواه من الأسباب، فإن كل هذه مصاديق بمراتب متعددة
لخطوات الشيطان الذي يسير نحو هدف هو الإبعاد عن طاعة الله تعالى
ورضوانه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (النور:
٢١)، (ولا يخفى أن أول قدم منه هو رؤية النفس والتوجه إليها وتكبيرها
وتجليلها، وهذا يخالف العبودية ويجرُّ الإنسان إلى أي وادٍ مظلم مضلِّ
مهلك)^(٣).

ومن الخطوات المؤثرة والحاسمة في اتباع الشيطان وعدمه هي الولاية

(١) تفسير العياشي: ١/ ٧٣/ ح ١٤٦.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ١/ كتاب العقل / ح ١١.

(٣) التحقيق في كلمات القرآن للمصطفوي: ٣/ ١٠٠.

فقد وردت روايات عديدة في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨)، أنهم أمروا بالدخول في ولاية أهل البيت (عليه السلام)، وان اتباع خطوات الشيطان بالدخول في ولاية غير أهل البيت (عليه السلام)^(١).

ولأن الإنسان في هذه الدنيا لا بد له من إتباع ما، وهي الحقيقة التي تبه إليها أمير المؤمنين (عليه السلام) (الا وإن لكل مأموم إماماً يقتدى به ويستضيء بنور علمه)^(٢)، فاذا لم يتبع المنهج الرباني الذي يدعو إليه الله تعالى والأنبياء والرسل والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) والعلماء الأبرار العاملون، فلا شك في أنه واقع في اتباع الشيطان وجنوده والنفس الأمارة بالسوء، لأنه بين هذين الخيارين والدافعين، وهنا يسجل القرآن الكريم استغرابه ممن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَسَّ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: ١٦٢).

ويمكن النظر الى ورود خطوات الشيطان في الآيات الكريمة على نحو الجمع باتجاه متوازي أو متوالي - اذا صح التعبير - أما التوازي فبلحاظ ان تعدد الخطوات تعني تنوع ضلالاته وشبهاته وفتنه المردية والسبل الموصلة اليها، فينقلهم من معصية إلى معصية حتى يوقعهم فيها جميعاً، لذا كانت سبل الضلال متعددة أما الصراط المستقيم فواحد، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

وأما التوالي فنقصد به إتخاذ الشيطان عدة خطوات تدريجية مترتبة للوصول إلى غرضه وعدم دعوته إلى المنكر والفحشاء مباشرة، لأن الإنسان قد

(١) راجع الروايات في تفسير البرهان: ٩٢ / ٢.

(٢) نهج البلاغة: ٧٠ / ٣ من رسالته (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري واليه على البصرة.

يرفض مثل هذه الدعوة المباشرة للخروج عن الدين أو الفطرة السليمة ويأبأها الضمير الحي اذا جاءت بشكل دفعي، وهذا مما يوجب زيادة الحذر منه، لأن الخطوة الأولى منه قد تكون مقبولة ظاهراً لدى الشخص وكذا الثانية وهو لا يعلم النتيجة التي يريد أن يوصله إليها، وهو عين ما يفعله شياطين الإنس للتغريب بضحاياهم بحرب ناعمة لا يلتفت الى بداياتها الا الفطن إلى أن تحصل الكارثة.

مثلاً يريد أن يغري شاباً وفتاة في الجامعة بعلاقة غير مشروعة فيقنعهما أولاً بتبادل المحاضرات ومساعدة أحدهما الآخر في حل المسائل العلمية وأنها علاقة بريئة بين زملاء في الدراسة، ينشأ منها حب ومودة ثم يحصل إعجاب بينهما وميل، ثم مواعيد للقاء بينهما بدون رابطة شرعية، وقد يسعيان للزواج فيلاقيان إعتراضاً من الأهل فيقرران الهروب معاً وقد يعثر الأهل عليهما فيقتلون الفتاة غسلًا للعار بحسب العرف ويقتلون الشاب انتقاماً وتستمر الثارات، وكان بالإمكان تجنب هذه الكارثة من أول خطوة وغلق باب أي علاقة مع الجنس الآخر حتى لو كان الأمر مباح ظاهراً لأنه باب للشور والآثام.

وكذا النزاعات العشائرية العبثية التي تخلف قتلى ومصابين وأرامل وأيتام وعدم أمن واستقرار قد تبدأ بكلمات مزاح بين إثنين يتطور إلى بذاءه وكلمات جارحة ثم عراك شخصي ثم وعيد وتهديد واستنصار بالعشيرة وتستمر الحماقات الناتجة من اتباع خطوات الشيطان حتى تصل الى القتال وفي ذلك كلمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) عندما نهى عن بعض المكروهات خشية انتهائها إلى ارتكاب المحرمات فقد روى الشيخ الصدوق في العلل قال:

(جاء رجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: أقبّل وأنا صائم؟ فقال (عليه السلام):
أعفّ صومك، فإن بدء القتال اللطام)^(١).

إن كل ما تعانیه البشرية من كوارث وأزمات في مختلف المجالات هو نتيجة ابتعادهم عن المنهج الإلهي واتباع خطوات الشيطان فالله تعالى يدعوهم إلى الانتفاع بكل ما جعل لهم في الأرض ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ (البقرة: ١٦٨)، وقال تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ (الأنعام: ١٤٢)، ثم عقبهما بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، فإنه يدعوكم إلى الكسل والالتكالية المنتجة للتخلف والانحطاط أو يوحى إلى اتباعه بسنّ قوانين وضعية تعيق حركة الانتفاع هذه كإقطاع الأراضي الواسعة لذوي النفوذ وحرمان الأيدي العاملة منها، أو تركز الثروات بيد فئة قليلة تستخدم أساليب الظلم والقهر لإدامة هيمنتها وتسلطها واستئثارها وتقرر الرواتب العالية والهبات الجزيلة للمتسلطين، فرفضوا هذه القوانين الشيطانية التي تحطّ من كرامة الإنسان وتستعبده وتحرمه من حقوقه.

وهذا واحد من الفروق بين المنهج الرباني الذي يؤسس للعدالة الاجتماعية وكرامة الإنسان وبين المنهج الشيطاني الذي يستعبد الإنسان ويذلّه ويحقّره ويقوده إلى الهلاك.

أعاذنا الله تعالى وإياكم من مكائد شياطين الجن والإنس ومن اتباع خطواتهم.

(١) وسائل الشيعة: ٩٩/١٠، أبواب ما يمسك عنه الصائم، باب ٣٣/ح ٩ وح ٥ وح ١٥.

خطاب المرحلة

(٦٦٣)

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾^(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَاقْصُصَ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ * مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٥-١٧٨).

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ يأمر الله تعالى نبيه (ﷺ) أن يقرأ على الناس ويقصّ لهم ﴿نَبَأً﴾ أي خيراً عظيماً فيه موعظة نافعة عن ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ عن شخص أعطاه الله تعالى علماً جماً وحقائق ومعارف في النفس والكون تهدي الى الصراط المستقيم الموصل الى الله تبارك وتعالى، فكان مقامه مميزاً بين الجماعة الصالحة ويشار إليه بالسبق والتقدم.

﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ لكنه تجرد عنها كما يُسَلَخُ جلد الحيوان وينزع الحيوان عنه، لأن السلخ هو نزع جلد الحيوان، وتخلّى هو باختياره وإرادته ولم يسلخه الله تعالى، منها فإنه في منعطف من حياته وأمام بريق الإغراءات لم يستطيع

(١) الكلمة التي ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ العنبري (دام ظله) على طلبة بحث الخارج في

الثبات على الحق فسقط في الامتحان.

والتعبير بالانسلاخ يعني ان الحجج والبيانات كانت محيطة به ولازمة له وملتصقة بذاته التصاق الجلد بالإنسان، وهكذا التصاق الإيمان بالفطرة السليمة والعقل، الا انه لسوء سريرته وغلبة شهوته على عقله وفطرته تجرد عن العلوم والمعارف التي من الله تعالى عليه بها كما ينسلخ الجلد عن الحيوان، وأعرض عنها فلم ينتفع بها ولم يحوّلها إلى واقع عملي في حياته وإنما اتبع هواه ومشتهيات نفسه، ونحن نعلم ان الجلد له أكثر من فائدة فهو جمال للإنسان ولو انكشف بحرقٍ وغيره كانت خلخته مشوهة، وهو حافظ للبدن فلو ازيل هجمت عليه المكروبات والفيروسات وأصابته الأمراض الخطيرة، فكذلك المعرفة والعلوم النافعة جمال وكمال للإنسان وحماية له من الحماقة والضلالة فاذا تعرى منها كُشفت سوأته.

﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ ولما رأى الشيطان إمكانية الزلل والانحراف عنده وميله إلى الدنيا طمع فيه بعد أن كان يائساً من إغوائه عندما كان في الجماعة الصالحة ويظهر بزيّهم، وكان في رعاية الله وحصنه فلحقه الشيطان وتبعه لما رآه خرج من حصن الله تعالى ورعايته، وظل يغريه ويمنيه فزاده ضلالاً حتى جعله تابعاً له، وربما أتبعه بجمع من الناس يصدقونه ويجعلونه زعيماً لهم ليغريه أكثر، ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ > أي من الخاسرين الهالكين الذين ضلّوا الطريق فتسلّط عليهم الشيطان ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٤٢).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾، تعبير بأسف واستياء عن مصير مثل هذا

الشخص باننا وفرّنا له فرصة الارتقاء نحو الكمال وكان يمكن أن نرفع منزلته ودرجته ونزيده كمالاً الى كماله بتلك الآيات التي أعطيناها لو أراد العمل بصدق وإخلاص من أجل القرب من الله تعالى فان الله تعالى لا يجبر أحداً بل يتركه ليختار بحرية ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢).

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ لكن هذا الشخص لم يحسن الاختيار فرغب في الدنيا ومال الى بهرجتها الزائفة وآثر متعتها الزائلة فرغب في الدعة والراحة واللذة والأمور الدنيئة المرتبطة بجسده الفاني المخلوق من التراب وسكن الى الأرض ولم يجعل غرضه الكمالات الروحية السماوية اتباعاً لهواه وتغليبا لشهواته.

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ﴾ فهو دائم اللهاث في طلب الدنيا سواء في موارد الحاجة الطبيعية لها التي يعذر فيها بل يحمد أحياناً كالتوسعة على العيال والانفاق في سبيل الله تعالى، أو لا لحاجة اليها بل مجرد هوس واتباع لنفسه الأمانة بالسوء التي لا تشبع ولا تقف عند حد وإنما تلهث بنهم وراء النزوات والشهوات وتستزيد منها بلا حدود عقلانية فلا يعذر في طلبها، ورد في الحديث الشريف (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يتغى الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)^(١)، فهو مثل الكلب دائم اللهاث يخرج لسانه من فمه سواء هاجمته وحملت عليه

(١) مسند أحمد: ١١٧/٥، وأخرجه البخاري بحديث قريب منه: ٢٥٣/١١، باب ما يتقى من فتنة المال،

واضطر الى الهرب وادركه الاعمى والتعب والعطش كما هي الحالة الاعتيادية للهاث، أو كان في وضع الاستراحة، وطالب الدنيا كذلك يلهث وراءها عطشاً إليها سواء كان محتاجاً إليها أو لا، ولا ينتفع بشيء من آيات الله البينات التي تروي عطشه الروحي سواء وعظته بها أو لم تعظه.

(وقيل إنما شبه بالكلب في الخسة وقصور الهمة وسقوط المنزلة، ثم وصف الكلب باللهث على عادة العرب في تشبيههم الشيء بالشيء، ثم يأخذون في وصف المشبه به، وإن لم يكن ذلك الوصف في المشبه، وذلك يكثر في كلامهم - عن ابي مسلم-) (١).

أقول: والأول أقرب وإنما قالوا هذا لعدم قناعتهم بوجه للتشبيه بالهاث.

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾ هذه هي صفة وعاقبة كل الذين يعرضون عن داعي الهداية والصلاح والاستقامة على طاعة الله تعالى وينساقون وراء أهوائهم وشهواتهم وتزيين شياطين الجن والانس ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ﴾ وانقل لهم موارد العظة والعبرة من أحوال الناس السابقين وتجاربهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فان القصص لا نسردها للتسلية وقضاء الوقت عبثاً بل لأخذ الدروس والعبر منها والاستفادة من أخطاء الآخرين حتى لا نقع فيها ولا نكررها فيصيبنا نفس ما أصابهم.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾ فكان أمثال هؤلاء بسئ المثل لمن يأتي خلفهم وأصبحوا عبرة لمن اعتبر ﴿وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ فقد جنوا على أنفسهم وحرموها من السعادة التي هيأ الله تعالى لهم أسبابها وظروفها،

واختاروا الشقاوة بعصيان ما أمر الله تعالى به فهم بعصيانهم يضرون أنفسهم، والله تعالى لا يضره كيدهم ولا طغيانهم وعصيانهم كما لا ينتفع بإيمانهم ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ (آل عمران: ١٧٦)، ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ (النساء: ١١٣).

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ إذ لا صلاح ولا سعادة ولا نجاة الا باتباع شريعة الله تعالى والتوفيق بلطفه وعنايته ولن تجدها عند غيره، وهذه حقيقة يقرُّ بها المؤمنون ويرددون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف: ٩٣).

﴿وَمَنْ يُضِلِّ﴾ الله من الناس بسوء اختيارهم وعدم استفادتهم مما هبأ الله تعالى لهم من سبيل الخير فوكلهم الله تعالى الى أنفسهم وما اختاروا فان الله تعالى لا يجبرهم على الهدى والصلاح إن لم يريدوه فكان الشقاء نتيجة حتمية لهم، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في دعاء الصباح (وَإِنْ خَذَلْنِي نَصْرُكَ عِنْدَ مُحَارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ فَقَدْ وَكَلْنِي خِذْلَانِكَ إِلَى حَيْثُ النَّصَبُ وَالْحِرْمَانُ)^(١).

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فقد خسروا أنفسهم ولم يوظفوها لما تستحق من الثمن وهي الجنة، وخسروا نعيم الآخرة ومرافقة الصالحين الأبرار، وخسروا رضوان الله تعالى وأي خسارة أعظم من تضييع هذه النعم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَبئس القرار ﴿إبراهيم: ٢٨-٢٩﴾ فبئس الصفقة.

وتذكر الروايات ان الآية الكريمة نزلت في بلعام بن باعورا وكان من

كبار علماء بني إسرائيل لكنه رغب في دنيا الفراعنة وروي في تفسير القمي عن الامام الرضا (عليه السلام) قوله: (أنه اعطي بلعم بن باعورا الأسم الأعظم وكان يدعو به فيستجاب له فمال الى فرعون)^(١) فجعلته الآية الكريمة مثلاً لكل من تخلى عن مبادئه وقيمه الدينية والإنسانية التي تعلمها وعرفها طلباً للدنيا.

لذا طبقه الامام الباقر (عليه السلام) على بعض من كان محسوباً عليه، روى العياشي في تفسيره عن سليمان اللبان قال: (قال أبو جعفر (عليه السلام): أتدري ما مثل المغيرة بن سعيد قال: قلت: لا، قال: مثله مثل بلعم الذي أوتي الاسم الأعظم الذي قال الله تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٢)).

ونبين هنا بعض الدروس المستفادة من الآيات الكريمة التي تجري في جميع الناس بحسب مراتبهم:

١- ان الناس - عدا من عصمه الله تعالى - يتركون ما أعد الله تعالى لهم من الكرامة والمقام الرفيع ويرضون بالأدنى التافه، وبعضهم يكون له أعمال وإنجازات كبيرة لكنه لما يحين وقت الحصول على الجائزة الكبرى وقطف الثمرة يتركها ويذهب بعيداً عنها الى حيث الفتات، وربما يظن ان ذلك تواضع منه وزهد لأنه لا يستحق هذا العطاء وهو واهم لأن الله تعالى لا يعطي على الاستحقاق، حتى يرفضه لعدم الاستحقاق وإنما يعطي كرمًا وتفضلاً، وربما يهرب من نيل العطاء لا لشيء يحصل عليه سوى جلد الذات وعقاب النفس

(١) تفسير القمي: ٢٤٨/١، بحار الأنوار: ٣٧٧/١٣.

(٢) البرهان: ١٤٣/٤، عن تفسير العياشي: ٤٢/٢ ح ١١٨.

فيتكون كرامة الله تعالى ويطلبون عقوبته، وهو أحد معاني ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (ما أعرف أحداً الا وهو أحق في ما بينه وبين ربه)^(١)، لأنه لم يحسن استثمار الفرصة بتمامها، وقد أخذه (عليه السلام) مما ورد في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر (رضي الله عنه) (يا أبا ذر لا يصيب الرجل حقيقة الإيمان حتى يرى الناس كلهم حمقى في دينهم عقلاء في دنياهم)^(٢)، إلى أن يتأكد من كونهم عقلاء في دينهم أيضاً.

لذا كان من أسماء يوم القيامة يوم التغابن لأن الجميع يشعر بالغبن حتى المؤمنون، ولما يجد الشيطان في الإنسان تلك الرغبة وذلك التوجه يتشبث به ولا يدعه حتى يضلّه.

فمثله كمثل الكلب يقوم بأعمال كبيرة لصاحبه ثم يجلس وقت الطعام بعيداً ويكتفي بما يلقي إليه من العظام وبقايا الطعام، ولو دعوا الى الموائد لما استجابوا لأنهم لا يحسنون الأكل الا مع الكلاب، وهذا وجه آخر للتشبيه، كقريش وأهل الكتاب فانهم كانوا ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (البقرة: ٨٩)، ويطلبون الفتح والنصر بان يرسل لهم الله تعالى رسولاً هادياً الى طاعة الله تعالى، فلما بعثه إليهم وهم يعرفون صدقه وأمانته وإخلاصه لهم كذبوه ووجدوا بآيات الله ونكصوا على أعقابهم.

فمجيء هذه الآيات بعد آية الميثاق ليجدد الإنسان دائماً ميثاقه الذي تعهد به أمام ربه تبارك وتعالى ويثبت عليه.

(١) بحار الأنوار: ١٠٧/٧٨.

(٢) أمالي الطوسي: ٥٣٣.

٢- خطورة دور العلماء والمفكرين والنخب المثقفة اذا تخلّوا عن مسؤولياتهم وانحرفوا عن أداء رسالتهم ومالوا الى الدنيا طمعاً في مال أو جاه أو زعامة أو حسداً لمن هم أجدر منهم، فيرضون لأنفسهم بأن يتحولوا الى أبواب للظالمين وأدوات لهم لخداع الناس وتجهيلهم وتدجينهم ليسهل على المتسلطين سوقهم الى ما يريدون، روى الشيخ الطبرسي في مجمع البيان عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: (الأصل في ذلك بلعم ثم ضربه الله مثلاً لكل مؤثر هو اه على هدى الله من أهل القبلة)^(١).

وكم سمعنا ورأينا ممن عرف اشياءً من علوم الدين لكنه ينحرف عنها ويكتمها بل يظهر خلافها طلباً لدنيا ينالها من سلطانٍ جائر فيشرعن له ظلمه وجوره ويكون للظالم عوناً وللمظلوم خصماً عكس ما هو مطلوب^(٢)، بل قد تجدهم يتسابقون الى ظلم أنفسهم بطاعة الظالم وتنفيذ رغباته وابتكار مالم يطلبه منهم والسير في ركابه والانسلاخ من مبادئهم وعدم الكلل من تقديم كل ما يسرع بإرسالهم الى قعر جهنم والعياذ بالله تعالى.

لذا أمر المعصومون (عليهم السلام) باتباع العلماء العاملين المخلصين المضحجين من أجل الدين وكرامة الإنسان وحذروا من العلماء الذين يتخذون الدين وسيلة لتحقيق مكاسب شخصية، وليتأنّ الإنسان كثيراً وليمحص قبل أن يختار من يتبعه ويأخذ بأقواله وأفعاله ولا تغرّه بعض المظاهر والشكليات.

(١) مجمع البيان: ٢٠٧/٤.

(٢) إشارة لوصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) حين استشهاده (كونوا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً) (نهج البلاغة: الكتب والرسائل: الرسالة: ٤٧).

٣- يجب على المؤمنين أن يملأوا الساحة بما يقتضيه المنهج الإسلامي في جميع الاتجاهات: العقائدية والفكرية والأخلاقية والاجتماعية حتى السياسية والاقتصادية، فإن الساحة إذا خلت ملاًها الشيطان واتباعه، فهذا الذي ضربته الآية مثلاً لما خرج من الجماعة الصالحة وترك المنهج الرباني أتبعه الشيطان فوراً وأغواه وزاده ضلالاً وملاً الفراغ الذي أخرج نفسه إليه.

٤- إن التزود بالعلوم والمعارف وحده لا يكفي للنجاة والفوز ما لم تتحول الى التزام عملي واقعي متكامل لأن وجود أي ثغرة في التطبيق يمكن أن ينفذ منها الشيطان ويهدم بنيانه كله، لذا ورد في دعاء الافتتاح (اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه وما قصرنا عنه فبلغناه)^(١) فلا بد أن تتحول المعرفة الى هم نحمله ونعيشه بكل كياناتنا ونسعى الى تحقيقه بمعونة الله تعالى.

إن الآية تنطبق بشكل كبير على من يسمون بوعاظ السلاطين، ومنهم شريح القاضي فبعد أن كان قاضياً لأمير المؤمنين (عليه السلام) في مسجد الكوفة أغراه الموقع وامتيازاته حتى كان هو من خذّل الناس عن مسلم بن عقيل عندما أشرف من قصر الامارة على الناس المحتجين بقيادة مسلم وأخبرهم ان هاني بن عروة بخير وانه في ضيافة الأمير^(٢)، ثم اعطى الشرعية للخروج إلى حرب الامام الحسين (عليه السلام) بأنه خارج على خليفة المسلمين فكانت فتواه سبباً لقتل الامام الحسين (عليه السلام)^(٣).

(١) مفاتيح الجنان: ٢٣٢.

(٢) أنظر: الارشاد- الشيخ المفيد: ٥٠/٢.

(٣) راجع خطاب المرحلة: ٤٢٣/٦، بعنوان (الفتوى التي قتلت الامام الحسين (عليه السلام)).

خطاب المرحلة

(٦٦٤)

القيام الحسيني حركة وعي وإصلاح

نغتني إطلالة شهر محرم الحرام لتأكيد الدعوة التي تركيز
الموالين الأفاضل من الخطباء والشعراء وأصحاب المواكب وعموم
المؤمنين على جانبي الوعي والإصلاح اللذين استهدفهما الامام
الحسين (عليه السلام) من قيامه المبارك، بحسب ما ورد في زيارته الشريفة
يوم الأربعين عن الامام الصادق (عليه السلام) (وَبَدَلَ مُهَجَّتَهُ فَيْكَ لَيْسَتْ تَقْدَ
عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَخَيْرَ الضَّلَالَةِ)^(١)، وقد بين أهدافه بوضوح في
خطاباته العديدة ومنها قوله: (وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة
جدي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر،
وأسير بسيرة جدي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة أبي علي بن أبي طالب
(عليه السلام)^(٢)).

وهذا كله يندرج في الغرض الإلهي العظيم من إنزال الشرائع
السماوية، وهو إقامة الدين في حياة الفرد والمجتمع، وجمع الناس على
أساس الحق والعدل، قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ
نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ

(١) مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي: ٥٤٣.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٣٢٩/٤٤.

أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿الشورى: ١٣﴾.

لذا نطلق مبادرة جديدة نرجو أن تكون من الشعائر الحسينية المعظمة، تتضمن نشر الكتب والكراريس التي تبين هذه القراءة الواعية لنهضة الامام الحسين (عليه السلام) وتأسيس مكاتب في المساجد والحسينيات والمواكب والهيئات، تُرفد بمثل هذه الكتب لإتاحة أوسع فرصة للاستفادة منها، ولو تبرع كل شخص بكتاب لكانت حصيلة شهر محرم آلاف المكتبات وملايين الكتب التي تقدّم النهضة الحسينية كأعظم إنجاز حضاري حفظ إنسانية الإنسان بعد الرسالة السماوية.

لقد كانت مبادرة (الحسين بسمة تلميذ)^(١) التي أطلقناها منذ عدة سنوات فاستجاب لها المؤمنون ناجحة وثمررة بكل المقاييس وتركت آثاراً مباركة، حيث حصل من خلالها آلاف الطلبة على مناهجهم الدراسية وزوّدت المدارس بعدد كبير من مقاعد الدراسة والتجهيزات الأخرى، وأجريت الترميمات والإصلاحات لكثير منها مما عجزت وزارة التربية عن القيام به، فكانت الحركة بحق صورة واعية جديدة من الشعائر الحسينية تبين الوجه الحضاري للنهضة المباركة، والمأمول أن تكون هذه المبادرة كتلك.

والدعوة لا تختص ببلدنا الحبيب العراق بل هي موجهة الى المؤمنين في كل بقاع العالم ولعل تلك الدول أحوج اليها ويحسنُ اقترانها بفعاليات تحفّز الناس خصوصاً الشباب على القراءة والمطالعة

(١) أنظر: خطاب المرحلة: ٣٩٤/١٠.

كفعالية (اقرأ عشر دقائق وتملك الكتاب) أو إجراء المسابقات ببعض المعلومات فيها، أو تخصيص مكافآت لمن يلخص كتاباً ونحو ذلك. وقد وفقنا الله تعالى لإصدار خطابات كثيرة في هذا المجال جُمع كثيرٌ منها في كتاب (في ثقافة الرفض وإصلاح المجتمع) كما توجد كتب كثيرة تقدّم رؤى معاصرة للقضية الحسينية نأمل إعادة طبعها ونشرها بإذن الله تعالى ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧).

محمد يعقوبي - النجف الأشرف

٢٤ / ذوالحجة / ١٤٤٢ هـ

٢٠٢١/٨/٤ م

خطاب المرحلة

(٦٦٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

نعزّي الأمة الإسلامية جمعاء برحيل علم من أعلام مدرسة أهل البيت (عليه السلام) وهو المرجع الديني الكبير سماحة السيد محمد سعيد الحكيم (رضوان الله تعالى عليه)، ونسأل الله تعالى أن يعلي في الجنان درجته بما تحمّل من أذى وعذاب في سجون النظام الصدامي المقبور لعدة سنوات متزامنة مع استشهاد العشرات من علماء أسرته الكريمة، وبما قدّم من آثار علمية جليلة متنوعة ينتهل منها طالبو الفضيلة والعلم.

وندعو الله تعالى أن يلهم محبيه وذويه خصوصاً أولاده وإخوته الكرام الصبر والسلوان وأن يأخذ بأيديهم لیسدوا الثلثة التي حدثت بفقدان الراحل الكبير.

محمد اليعقوبي - النجف الاشرف

٢٥/المحرم الحرام/١٤٤٣هـ

خطاب المرحلة

(٦٦٦)

بسمه تعالى

﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ (البقرة: ٣٧)

لنحذر الحسرة يوم القيامة^(١)

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرًا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة: ١٦٧).

تصوّر الآية مشهداً من مشاهد القيامة حيث يتبرأ الزعماء والرؤساء والقادة والمتبعون عموماً من اتباعهم ويتنصّلون عما سبّوه لهم من ضلال وانحراف وفساد، والتضحية من أجلهم بالأموال والأنفس وتنفيذ قراراتهم الحمقاء، فيتمنى الأتباع لو يرجعون الى الدنيا ليتبرأوا من هؤلاء الزعماء بعد أن انكشف لهم خداعهم ومكرهم والسراب الذي توهموه ﴿لَوْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرًا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾، وفي آية أخرى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ (الزخرف: ٣٨) وهي أمني لا تتحقق اذا لا رجوع إلى الدنيا ليتداركوا ما سلف منهم كما أخبر تعالى في نهاية الآية ﴿وَمَا هُمْ

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد العقبوي (دام ظله) في المؤتمر العام لأئمة المساجد في العراق الذي عُقد في النجف الأشرف تحت شعار (المسجد يقود الحياة) يوم السبت ١٦/ربيع الأول/

بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠) وهم ليسوا صادقين أصلاً حتى في تمنيتهم هذا وقد أخبر الله تعالى عنهم ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (الأنعام: ٢٨) فهم لا يتعظون ولا بصيرة لهم تهديهم إلى الطريق الصحيح.

فتصف الآية الكريمة حالهم بأنهم ستنكشف لهم حقيقة أعمالهم وسيرونها حسرات وقد ذكر تعالى أمثلة لهذه الحسرات في آيات أخر ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٧)، ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ (الفرقان: ٢٨-٢٩) ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ (الأنفال: ٣٦)، حتى كان من أسماء يوم القيامة يوم الحسرة ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: ٣٩).

والحسرة - في فهم العرف بغض النظر عن أصلها اللغوي - أشد مراتب الندامة والأسف المصحوبة بغم شديد على ما مضى وفات من أفعال سيئة ارتكبوها، أو أعمال خير تركوها وقصروا فيها وأوهام زائفة تعلقوا بها وفرص للطاعة لم يغتنموها.

ومفتاح كل ذلك اتباع زعامات وقيادات على خلاف ما أمر الله تعالى به وهم الذين وصفتهم الآية السابقة عليها بالأنداد ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥) سواء اتخذوهم على مستوى التأليه والربوبية أم على مستوى الحب والاتباع والطاعة،

روى العياشي في تفسيره عن جابر عن الامام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (والله يا جابر، هم أئمة الظلم وأشياءهم)^(١)، ثم انكشف لهم يوم القيامة أن اتباعهم لهؤلاء الناشئ من حبهم لهم وطلب تحصيل القوة والعزة منهم هو في حقيقته حسرة وندامة مؤلمة، وسيندمون أشد الندم على جعل أنفسهم وأموالهم وكرامتهم والأهم من ذلك آخرتهم بيد هؤلاء المتبوعين، وورد في الحديث الشريف (ان أشد الناس ندامة يوم القيامة رجل باع آخرته بدنيا غيره)^(٢)، حيث ساهموا بشكل وآخر في تقوية طغيان وظلم زعمائهم .

وتزداد حسرتهم حينما يرون ما أعدَّ الله تعالى من الجزاء الحسن لمن اغتتم عمره ووجوده في الدنيا لاكتساب الصالحات، فقد تكون الحسرة لأنه اختار طريق الضلال والفساد بدل الهداية والصلاح، أو لأنه حصل على درجات دانية وحُرْم من الدرجات العليا ومرافقة أولياء الله تعالى.

ويظهر من الآية أن هؤلاء الناس كانوا قادرين على أن يكونوا أختياراً وفي حال أفضل مهما ادَّعوا من عدم استطاعتهم ذلك، أو قدّموا من أعدار ومبررات ولذا أصابتهم الحسرة ولو كان الذي حصل منهم خارجاً عن اختيارهم وفوق استطاعتهم لما صحَّ التحسر عليه كأني فعل يستحيل عليه القيام به، فالإنسان لا يتحسر لأنه لم يستطيع القفز ليكون على سطح القمر مثلاً.

وتذكر الروايات أمثلة لما يوجب الحسرة يوم القيامة، فقد روى الشيخ الكليني بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في

(١) تفسير العياشي: ٧٢/١ ح ١٤٢، البرهان: ٣٠/٢ ح ٣.

(٢) كنز العمال: ٥١٠/٣ ح ٧٦٦٠.

طاعة الله بخلا، ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو في معصية الله فإن عمل به في طاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرة وقد كان المال له وإن كان عمل به في معصية الله قواه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله عز وجل^(١)، وروى الشيخ المفيد في أماليه بسنده عن الامام الباقر أو الصادق (عليهما السلام) قال: (الرجل يكسب مالا فيحرم أن يعمل فيه خيرا فيموت، فيرثه غيره، فيعمل فيه عملاً صالحاً، فيرى الرجل ما كسب حسناً في ميزان غيره)^(٢)، وأشدُّ منهم حسرة من ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله: (إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالا في غير طاعة الله فورثه رجل فأنفقه في طاعة الله سبحانه فدخل به الجنة ودخل الأول به النار)^(٣).

وهذه الأمثلة لما يوجب الحسرة ولا تنحصر بها والا فإن كل تقصير في حق الله تعالى بترك طاعة أو ارتكاب معصية يوجب الحسرة، قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (الزمر: ٥٦).

ونسبة الفعل الى الله تعالى في ﴿يُرِيهِمْ﴾ لأنه تعالى يكشف لهم هذه الحقائق، ولأنه تعالى المسبب الحقيقي وهو لا ينافي الأسباب الظاهرية باعتبار أنهم بأعمالهم أوجبوا هذه الحسرات عليهم.

والآية واحدة من آيات كثيرة تدل على أن أعمال الانسان تبدو على

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ٤٢/٤ ح ٢.

(٢) الأمالي - الشيخ المفيد: ٢٠٥ ح ٣٥.

(٣) نهج البلاغة / الحكمة: ٤٢٩.

حقيقتها يوم القيامة، وهذه الحقائق التي هي الصور الواقعية لأعمالهم تكون جزاءً لهم على أعمالهم الحسنة أو السيئة وليس الجزاء شيئاً آخر يعده الله تعالى غير أعمالهم، قال تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: ٩٠)، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران: ٣٠).

ويومئذ يجد الذي يأكل أموال اليتامى ظلماً وعدواناً ويتبجح بازدياد أمواله من الحرام أنه في الحقيقة يدخل ناراً في جوفه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠)، فدخل النار في جوفه ليس جزاءً على عمله بل هو نفس عمله وهكذا يجد الزانيان حقيقة عملهما بالصورة التي وصفها الحديث النبوي الشريف (انفجر من فرجهما من صديد وادٍ مسيرة خمسمائة عام يتأذى أهل النار من نتن ريحهما وكانا من أشد الناس عذاباً^(١))، ويوجد متعاطي الغيبة حالته التي وصفتها الآية الكريمة بأن ﴿يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ (الحجرات: ١٢)، وقد رأى النبي (ﷺ) هذه الصورة حقيقة في فم بعض أزواجه وخاطبها بالقول (الفظي الفظي! فلفظت مضغة لحم)^(٢)، لكنهم لغفلتهم وانشغالهم باللهو واللعب والعبث وأنسهم بالدنيا لا يلتفتون الى ذلك، كمن يكون منشداً الى أمر ما فلا يدري ما يحصل له من جرح وألم فلا يعي ما حصل له حتى يصحو من ذهوله،

(١) بحار الأنوار: ٣٦٦/٧٦ ح ٣٠.

(٢) ما أخرجه ابن أبي الدنيا عن عائشة قالت: (قلت لإمرأة مرت وأنا عند رسول الله (ﷺ) إن هذه بطويلة الذيل فقالت الفظي الفظي فلفظت مضغة من لحم)، الخصائص الكبرى - السيوطي: ١٧٨/٢.

كصويحبات يوسف الصديق فإنهن قطعن أيديهن بالسكاكين من فرط دهشتهن بجمال يوسف (عَلَيْهِ السَّلَام) من دون أن يلتفتن أو يشعرن بالألم.

وفي قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحریم: ٦) وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ وَاِرْدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٨) إشارة إلى أن هؤلاء هم بأنفسهم نار وليست النار شيئاً آخر أعدت جزاءً لأعمالهم.

نقل المرحوم العلامة الأميني (قده) في سفره القيم (الغدير) ان الحافظ العاصمي أخرج في كتابه (زين الفتى في شرح سورة هل أتى) (أن رجلاً أتى عثمان بن عفان وهو أمير المؤمنين ويده جمجمة إنسان ميت فقال: إنكم تزعمون النار يعرض على هذا وإنه يعذب في القبر وأنا قد وضعت عليها يدي فلا أحس منها حرارة النار. فسكت عنه عثمان وأرسل إلى علي بن أبي طالب المرتضى يستحضره، فلما أتاه وهو في ملأ من أصحابه قال للرجل: أعد المسألة. فأعادها، ثم قال عثمان بن عفان: أجب الرجل عنها يا أبا الحسن! فقال علي: ايتوني بزند وحجر. والرجل السائل والناس ينظرون إليه فأتي بهما فأخذهما وقدهما النار، ثم قال للرجل: ضع يدك على الحجر. فوضعها عليه ثم قال: ضع يدك على الزند. فوضعها عليه فقال: هل أحسست منهما حرارة النار فبهت الرجل فقال عثمان: لولا علي لهلك عثمان^(١). فالنار موجودة في باطن الحجر لكننا غير عارفين بالحقيقة ولا نحسها بوجودنا لأننا محجوبون

(١) موسوعة الغدير - الشيخ الاميني: ٢١٤/٨، وكتاب العسل المصفى من تهذيب زين الفتى في شرح سورة هل أتى - أحمد بن محمد بن علي العاصمي: ٣١٨/١.

في هذه الدنيا عن الحقائق، وهكذا فأن مبدأ وأساس النار التي تغلي هو باطن العصاة.

قال الشيخ البهائي (قده) بعد ان ذكر ان الروايات متكررة في تجسّم الأعمال وظهورها على حقيقتها يوم القيامة ((قال بعض أصحاب القلوب: ان الحيات والعقارب بل والنيران التي تظهر في القيامة هي بعينها الأعمال القبيحة والأخلاق الذميمة والعقائد الباطلة التي ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة وتجلبت بهذه الجلايب، كما أنّ الرّوح والريحان والهور والثمار هي الأخلاق الزكية والأعمال الصالحة والاعتقادات الحقّة التي برزت في هذا العالم بهذا الزيّ وتسمّت بهذا الاسم، إذ الحقيقة الواحدة تختلف صورها باختلاف المواطن، فتجلى في كلّ موطن بحلية وتزيّ في كلّ نشأة بزيّ))^(١).

فالمعاصي التي كانت تبدو في الدنيا جميلة جاذبة وفيها لذة ومتعة تظهر صورها على حقيقتها المؤذية المؤلمة المتشكلة على أساس نية صاحبها (انما الأعمال بالنيات)^(٢)، وقد يكون عمل واحد نوراً لشخص وناراً لآخر كإنفاق المال اذا كان في سبيل الله فهو نور ورحمة أو كان رياءً أو للصدّ عن سبيل الله تعالى فهو نار وعذاب، والفرق هو في نية العمل وليس في نفس المال فإنه يتقلب في أيدي الناس بين هذا وذاك، وفي الحديث الشريف (إن الله عزوجل يحشر الناس على نياتهم)^(٣)، وروي عن النبي (ﷺ) قوله: (إنما هي أعمالكم

(١) الأربعون حديثاً - الشيخ البهائي: ٤٩٣.

(٢) وسائل الشيعة ط. مؤسسة آل البيت (عليه السلام): ١/٤٨/ح ١٠.

(٣) الكافي - الشيخ الكليني: ١/٢٠/٥ ح ١.

تردُّ إليكم^(١).

وتظهر بعض الحقائق أحياناً في الدنيا قبل الآخرة فشرِب الخمر قد يبدو فيه لذة وراحة لشاربه الا أنه سرعان ما يكتشف أنه أدخل الى جوفه سمّاً فتاكاً يخرّب بدنه ويتلف أعضائه ويذهب عقله، والجاهل يغيره منظر النار والنور المنبعث منها فيندفع للعبث بها الا أنه سرعان ما يكتشف احراقها.

وقد ورد هذا المعنى في الأحاديث الشريفة فإن المعاصي تكون مقرونة بالشهوات واللذائذ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وما من معصية الله شيء الا ويأتي في شهوة)، لكنه (عليه السلام) قال: (إنّ النار حُفَّت بالشهوات)^(٢)، أي ان هذه الشهوات التي ظاهرها المتعة واللذة والانس هي نار في حقيقتها وباطنها لكنها مغلفة ومحجوبة بالشهوات، كالسم المخلوط بالعسل فإنه لا يغيّر من حقيقته شيئاً، وهذا ما يشعر به من مارس الشهوات المحرمة وما أن ينتهي منها حتى يجد ألمها وعذابها في باطنه بشكل لا يطاق وقد يدفع بعضهم الى الانتحار، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف الدنيا (مَثَلُ الدُّنْيَا مِثْلُ الحَيَّةِ لِينِ مَسِّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا)^(٣) فهي ظاهراً ناعمة الملمس تغري الجاهل بالاقتراب منها واللعب بها لكن باطنها السم القاتل، وهكذا المعاصي قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد: ١٥)، وتوجد أبحاث مفصلة في مسألة تجسّم الأعمال لسنا بصدد عرضها.

(١) بحار الأنوار: ٩٠/٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٦٨.

وما نريد أن نستفيده هنا أمران:

١- اغتنام كل فرصة للطاعة وعدم اضاعتها فان (إضاعة الفرصة غصّة)^(١) وحسرة، وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (إن أعظم الناس يوم القيامة حسرة من وصف عدلاً ثم خالفه الى غيره)^(٢)، وعنه (عليه السلام) قال: (إن الحسرة والندامة والويل كلّه لمن لم ينتفع بما أبصره ومن لم يدر ما الأمر الذي هو عليه مقيم: أنفع له أم ضرّ)^(٣)، وأن لا نستصغر أي خطيئة (لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت)^(٤)، ولا تقلل من شأن أي طاعة، وأعظمها بركة الإحسان إلى الاخوان، والأحاديث في ذلك كثيرة منها قول الإمام السجاد (عليه السلام) (معاشر شيعتنا اما الجنة فلا تفوتكم سريعاً كان أو بطيئاً ولكن تنافسوا في الدرجات، واعلموا أن أرفعكم درجات وأحسنكم قصوراً ودوراً وأبنية أحسنكم فيها إيجاباً لإخوانه المؤمنين، وأكثرهم مواساة لفقرائهم، إن الله عز وجل يقرب الواحد منكم إلى الجنة بكلمة يكلم بها أخاه المؤمن الفقير بأكثر من مسير مائة ألف عام في سنة بقدمه وإن كان من المعذيين بالنار فلا تحتقروا الإحسان إلى إخوانكم، فسوف ينفعكم الله تعالى حيث لا يقوم مقام ذلك شيء غيره)^(٥).

واذكر هنا مثلاً على بركة هذا الإحسان وإن كان ضئيلاً، وهو ما رواه

(١) ميزان الحكمة: ٣/ ٢٣٩٩.

(٢) أمالي الطوسي: ٦٦٣/ ح ١٣٨٦.

(٣) الكافي: ٤١٩/٢ ح ١.

(٤) بحار الأنوار: ٧٤/٧٧.

(٥) تفسير البرهان: ١/١٢٥/٤ ح ٤، عن تفسير العسكري: ٩٤/٢٠٤.

شخص أنه كان يقود دراجة وتوقف عند علامة المرور وإلى جانبه سيارة يطلّ طفل من نافذتها ومعه أبوه وأمه قال: وفي هذه الثواني لاطفت الطفل ببعض الحركات التي أضحكته قبل أن نتحرك ثم علمت أن الأب والأم كانا على خلاف شديد وهما ذاهبان لإيقاع الطلاق ولما ضحك الطفل أعاد لهما مشاعر الأبوة والأمومة وحرص كل منهما على سعادة الطفل وعدم ضياعه إذا انفصلا فعدلا عن الطلاق وعاشا بسعادة ووثام واعيد بناء أسرة من جديد ببركة تلك الثواني وانتقلت الحالة من (ما من شيء أبغض إلى الله عز وجل من بيت يخرب في الإسلام بالفرقة)^(١)، يعني الطلاق إلى (ما بني بناء في الإسلام أحبُّ إلى الله من التزويج)^(٢).

٢- علينا أن نعيش الحسرة والندامة في هذه الدنيا على كل ما فاتنا من خير وما وقعنا فيه من سوء وعلى كل ما صدر من قصور وتقصير ليدفعنا ذلك إلى التدارك والإصلاح ما دامت فرصتهما موجودة في هذه الدنيا هذا التحسّر والألم الذي تطفح به أدعية أهل البيت (عليهم السلام) ومناجاتهم عند الانتهاء من المواسم العبادية كشهر رمضان والحج رغم أنهم استثمروها بأعلى أشكالها، وهو ما يشعر به المؤمنون الموالون أيضاً عند الانتهاء من خدمة زوار الامام الحسين (عليه السلام) في الأربعينية وغيرها من المناسبات الدينية فيكون متأسفين رغم ما قدموه من خدمات جليلة.

هذا التحسر والتأسف في الدنيا مثمر ومنتج أما عدم الإحساس به

(١) وسائل الشيعة ط. مؤسسة آل البيت (عليهم السلام): ٢٠/١٦ ح ١٠

(٢) وسائل الشيعة ط. مؤسسة آل البيت (عليهم السلام): ٢٠/١٤ ح ٤.

وتأخيره فإنه يعني استحالة الحصول على فائدة منه بعد الموت كما نطقت به الآية محل البحث وحكى الله تعالى عنهم ﴿قَالَ رَبُّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠).

خطاب المرحلة

(٦٦٧)

بسمه تعالى

نداء الأقصى

التقى^(١) سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) في مكتبه بقافلة (نداء الأقصى) التي ضمت جمعاً من علماء الدين المجاهدين من فلسطين وسوريا ولبنان من الطائفتين، الذين عزموا على إقامة موكب لهم في طريق زوار الامام الحسين (عليه السلام) لحث المؤمنين على إدامة ذكر القدس وإبقاء جذوة الجهاد حيّة حتى إعادة الأراضي المغتصبة، وبعد أن عرف الحاضرون أهداف هذه المبادرة وشرحوا معاناة الشعب الفلسطيني وصموده تحدث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) بكلمة نقرر ما تيسر منها:

نحييكم تحية الإسلام ونرحب بكم في هذا المكان المبارك بجوار فتى الإسلام أمير المؤمنين (عليه السلام) بحسب نداء الروح الأمين جبرائيل في معركة أحد (لا سيف الا ذوالفقار ولا فتى الا علي)^(٢) قامع شيطنة اليهود ومكائدهم وخبثهم وقالع باب خيبر حيث كانت نهاية وجودهم في أرض الإسلام. وفي هذا الزمان المبارك ونحن نحیی ذكری القيام الحسيني رمز الجهاد والمقاومة ورفض الظلم والاستعباد والاستكبار والاستئثار وأسوة الثائرين

(١) تاريخ اللقاء: ١٢/ صفر/ ١٤٤٣هـ - الموافق ٩/٢٠/ ٢٠٢١م.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ٨/ ١١٠/ ح ٩٠.

الدعاة الى تحرير الانسان وكرامته ونيل حقوقه واقامة الحق والعدل.
وليس من باب الصدفة أن يكون الذي أشار على يزيد بقتل الحسين
(عليه السلام) هو مستشاره الصليبي سرجون (السير جون)^(١) رغم وصية أبيه معاوية
بعدم التورط بدم الحسين (عليه السلام)، فالإمام ذهب ضحية مؤامرة دولية نفذها
حتالات من أهل الكوفة.

إنّ القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين لها مكانة خاصة في قلوب
المسلمين منذ صدر الإسلام وكان أول دم أريق على طريق تحريرها هو جعفر
بن ابي طالب الطيار في الجنة قائد المسلمين في معركة مؤتة في ارض الشام
وتلاه الشهيدان زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة^(٢).

وقد أولت المرجعية الدينية قضية فلسطين والقدس اهتماماً كبيراً منذ
وقت مبكر فقد حضر المرجع الديني والمصلح الكبير المرحوم الشيخ محمد
حسين آل كاشف الغطاء بنفسه المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس عام
١٣٥٠هـ-١٩٣١م مع بدايات هجرة اليهود الى أرض فلسطين عقب وعد بلفور
عام ١٩١٧م والقى خطاباً بليغاً ارتجالياً استغرق ساعتين على ما نقل، ولما حان
وقت الصلاة أمّ الحضور الحاشد من جميع الطوائف الإسلامية اعترافاً بمكانته
السامية وروحه الوثابة وتأكيده على وحدة المسلمين^(٣)، ولما رجع الى النجف

(١) أنظر: الإرشاد - الشيخ المفيد: ٤٢/٢.

(٢) أنظر: تاريخ الطبري: ٣١٨/٢، بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٥٠/٢١ باب غزوة مؤتة وما جرى
بعدها.

(٣) أنظر: شعراء الغري - علي الخاقاني: ١٢٠/٨.

أقيمت له احتفالات واستقبل كالقادة المنتصرين وشارك جدي المرحوم الشيخ محمد علي اليعقوبي بقصيدة مليئة بالحماس والوعي لأصل المشكلة وكيفية حلها مطلعها:

حيّاك يشكر سعيك الإسلامُ وزهت بمطلع سعدك الأيامُ
وقد سجّل فيها هذه الحادثة قائلاً:

قد قدّموك أمامهم بصلاتهم علماً بأنك في الزمان إمام^(١)

وفي العام التالي قدم إلى النجف الأشرف وفد المؤتمر الإسلامي برئاسة مفتي القدس السيد أمين الحسيني وأقيمت احتفالات مهيبة أفتتحت بقصيدة جدي الشيخ محمد علي اليعقوبي ومطلعها:

يحيي الشعب والبلد الأمينُ قدومك أيها الشهم (الأمين)^(٢)

قال فيها:

وموت العز خيرٌ من حياةٍ يذلل المرء فيها أو يهونُ

وعندما صدر قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م وإعلان دولة إسرائيل في مايس ١٩٤٨م أقيمت احتفالات الاسى والالام والرفض والدعوة الى الثورة في النجف الاشرف وكانت لجدي اليعقوبي قصائد تحمل هذه المعاني منها هذه قصيدته التي مطلعها:

متى يا شرق تبلغ ما تُريد وتبدو في مطالعك السعودُ
وجوه العيش كانت فيك بيضاً فكيف اليوم عادت وهي سودُ

(١) ديوان اليعقوبي : ١١/١.

(٢) ديوان اليعقوبي : ١٢/١.

ولمّا انطلق العمل الفدائي عام ١٩٦٩م بعد حادثة حرق مسجد الأقصى برك المرجع الديني الأعلى في النجف يومئذ السيد محسن الحكيم (قدس الله روحه) هذه الانطلاقة وأذن بصرف الأموال الشرعية التي يؤديها الاتباع الى المرجعية على هذه العمليات.

واستمر هذا التفاعل مع الأحداث وكانت الساحة اللبنانية مسرحاً للتعاون الفعلي المشترك بين أبناء الإسلام من العراق وإيران وسوريا وفلسطين. وكانت المرجعية الدينية تدعو دائماً الى اتخاذ خيار الإسلام في المواجهة لأن العدو يخوض الحرب بناءً على عقيدة يحملها ويضحى من اجلها، فلا بد من مواجهته بالعقيدة، وهو نفس الموقف الذي اتخذناه عندما استطاع اراهابيو داعش ومن ساندهم من السيطرة على بعض المدن العراقية عام ٢٠١٤م حيث اعلنا مباشرة عن ضرورة تشكيل جيش عقائدي بقيادات مؤمنة مخلصه كفوءة يكون رديفاً للجيش النظامي لمواجهة الإرهاب التكفيري، وانبثقت بعده فكرة الحشد الشعبي^(١).

ورغم تأكيد المرجعية الدينية منذ عشرات السنين على ضرورة جعل القضية الفلسطينية إسلامية، الا أنّ الأنظمة الحاكمة وانطلاقاً من الأجندات التي تؤمن بها وتحركها رفعت شعارات القومية العربية التي لم تكن دافعاً كافياً للتضحية مالم تقترن بعقيدة الإسلام، وبذلك عزلوا شعوب المسلمين كافة عن الصراع وأوهموهم ان القضية الفلسطينية لا تعنيكم وانها عربية خالصة.

وهكذا حصل في حرب ١٩٧٣م فقد كنا نسميها في حينها حرب ١٠

(١) أنظر: خطاب المرحلة: ٣٣/٩، بيان: (رُبَّ ضارة نافعة.. سقوط الموصل).

رمضان لأنها انطلقت بصيحات الله أكبر من حناجر المؤمنين الصائمين في ذلك اليوم وتحقق الانتصار في بداية المعركة بفعل هذه الحركة المخلصة، لكنهم أخفوا هذا الجانب وسموها حرب ٦ أكتوبر لتضيق معالمها الروحية.

وقد تغيرت المعادلة عام ١٩٨٧م عندما تبنى المجاهدون خيار الإسلام وانطلقت حركة المقاومة الإسلامية فازدادت قوة الى قوتها وهي التي ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الأنفال: ٦٥)، ويعلها تبارك وتعالى بقوله في نهاية الآية ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾، فالزخم الايماني الذي تمتلكونه يضاعف قوتكم عشرة اضعاف لأن عندكم معرفة وايمان وإخلاص لله تعالى وهم فارغون من هذه القيم الروحية ومتكلمون على قوتهم المادية التي توهموا انها ستحميهم وتجلب لهم النصر ﴿وَوَظَّنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ (الحشر: ٢).

وهذه هي حقيقتهم التي وصفها الله تعالى بقوله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١).

لقد تغير ميزان القوى وحصل توازن في الرعب والردع اليوم بفضل الله تبارك وتعالى لصالح المجاهدين المحتسبين فأنهم بعد ان كانوا يرحمون اعدائهم الصهانية بالحجارة ويتلقون الرصاص بصدور عارية قذفوا في عملية سيف القدس الأخيرة الآف الصواريخ على رؤوس اعدائهم حتى أصيبت مدن الكيان الصهيوني بالشلل.

وقد اثبتت هذه المواجهة أن قضية تحرير فلسطين لازالت حيّة في قلوب وضمائر الفلسطينيين ولم تخدعهم مشاريع التطبيع والدين الابراهيمى وصفقة القرن وأمثالها وكانت مشاركة من يعرفون بـ(فلسطينى الداخل) أي في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م في الانتفاضة مفاجئاً للجميع بعد ان اعتقدوا أنهم ذابوا في الكيان الصهيونى.

كما إن التعاطف العالمى مع مظلومية الفلسطينيين أثبت حقانية هذه المطالب الإنسانية للمحرومين والمظلومين.

لقد نجح الأعداء في إيجاد مشاكل محلية في كل بلد من بلدان المسلمين لأشغالهم بها عن قضاياهم المصيرية التي يجب أن يكرسوا جهودهم لها وساعدوا في وصول حكام مرفوضين من قبل شعوبهم ويرتكبون الحماقات في إدارتهم فأدّت عزلتهم هذه الى الاستعانة بالقوى المستكبرة وتنفيذ اجنداتهما، فصار كل الشعب الآن يعيش همومه الخاصة.

ومضى الاستكبار الى أبعد من ذلك فأوجد عداوات مصطنعة بين بلدان المسلمين واشعل الحروب بينهم، وأوهمهم بأن لا ملجأ لهم الا التبعية للمستكبرين، فلا بد أن نعي هذه المكائد الشيطانية الخبيثة، وأن نعود الى وحدتنا ووعي أهدافنا وقضايانا، وأن نتكاتف كالبنيان المرصوص لإدامة زخم المواجهة وتحقيق الانتصار بإذن الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ (الصف: ٤).

خطاب المرحلة

(٦٦٨)

البيان الختامي لزيارة الأربعين للعام ١٤٤٣هـ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾ (الأعراف: ٤٣)

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أبي الفضل العباس وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين (عليه السلام) ورحمة الله وبركاته.

في هذا العام وفي كل عام يقدم ملايين المسلمين العاشقين لنهج الحسين (عليه السلام) رسالة العدالة والسعادة والسلام والمحبة والأخوة الى جميع بني البشر ورفض الظلم والاستعباد والاستكبار والاستئثار من خلال هذه المسيرة المليونية الممتدة على مسافة مئات الكيلومترات التي تنطق بكل المبادئ الإنسانية النبيلة.

في العراق حين نقدم كل هذه الخدمات المجانية لأكثر من عشرة ملايين زائر على مدى عدة أيام لا نرى فيها منة على أحد ولا ننتظر من أي أحد جزاءً ولا شكوراً، وإنما نعتبرها واجباً علينا وأداءً لشكر الله تعالى المنعم، حيث اختار أرضنا الطيبة لتكون مثوى أوليائه العظام واختارنا لتكون أهل هذه الأرض، فحقاً علينا أن نكرم زائريهم بما يجعلنا أهلاً لهذه النعمة، ولاحتضان دولة العدل الالهي التي يقيمها الإمام المهدي الموعود (ارواحنا له الفداء) على

هذه الارض المباركة ويتخذها عاصمة له وينطلق منها ليملا العالم أمنًا وسلاماً ونعيماً.

إنّ الخصوم عابوا علينا هذه المسيرة وأثاروا عليها الشبهات والشكوك لأنهم لا يملكون البصيرة التي يدركون بها عظمة هذه الشعيرة المقدسة وبركاتها على البشرية جمعاء في الماضي والحاضر والمستقبل ويكفي أنّ فيها إظهاراً لمودة أهل البيت الذين أمر الله تعالى بمودتهم ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣) وسبباً لهداية كثير من الناس الى طريق الحق، وبيعةً للمضي على ما مضى عليه الشهداء والصدّيقون والصالحون.

إنهم يطالبوننا بمعجزة لُنثبت بها حقانية هذه الشعائر، وما أكثر المعاجز لأولي الألباب، ومنها هذه الأخلاق النبيلة السامية التي أظهرها المشاركون بكل تفان وإخلاص وإيثار، حيث لا يوجد لها نظير في عالم اليوم الغارق في الماديات.

ولكنني ألفت نظرهم الى واحدة من تلك المعاجز وهي أنّ مسيرة تضمُّ أكثر من عشرة ملايين زائر يسيرون متقاربين على مدى أيام ويجمعون في أماكن مكتظة ولم تُسجّل المفارز الطبية التي سألتناها والموجودة على طريق الزوار أي إصابة مؤكدة بوباء كورونا.

وإنّ الاحصاء اليومي للإصابات في عموم محافظات العراق التي كانت قبل المناسبة تناهز العشرة آلاف انخفضت خلال أيام المناسبة الى حدود الألفين بينما تسبّب حضور عشرات الآلاف في ملعب لندن في تموز الماضي

بارتفاع غير مسبوق في عدد الإصابات تجاوز الخمسين ألف يومياً رغم أخذ أكثر من نصف سكان بريطانيا اللقاحات المضادة ومن المفارقات أن يحصل ذلك في اليوم الذي تقرّر فيه رفع القيود بسبب كورونا وسمّوه يوم الحرية. مع ملاحظة أنّ كلامي هذا لا يتضمّن أي دعوة لمخالفة الإجراءات الوقائية التي توجّه بها الجهات المختصة وإنّما أتحدّث عن أمر واقع قد حصل. إنّ للشعائر الإلهية دوراً عظيماً في إقامة الدين وتثبيت العقيدة في قلوب الناس، ولا نستطيع أن نتصور كيف سيكون حال الناس بدونها سوى أنّهم سيعودون إلى جاهليّتهم الأولى كما حصل للأمم الأخرى حينما ابتعدت عن تعاليم الأنبياء الهداة.

نسأل الله أن يُديم نعمه علينا ويحفظ عراقنا الحبيب وكل بلاد الإسلام من كيد الأعداء وخبثهم ومكرهم وأن يُثبّتنا على طريق الاستقامة إنّهُ ولي النعم.

محمد يعقوبي - النجف الأشرف

٢٠/صفر/١٤٤٣هـ

٢٨/٩/٢٠٢١م

خطاب المرحلة

(٦٦٩)

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ (ص: ٦٣)

عاقبة التسقيط والاستهزاء الذي يتعرض له الرساليون^(١)

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (ص: ٦٢-٦٤)

مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة ينقل لنا حواراً يجري بين أهل النار زعماءً واتباعاً يسألون فيه عن اشخاص كانوا يعدُّونهم في الدنيا من سقط الناس وأراذلهم وأنهم لا قيمة لهم وان النار والعذاب والشقاء خلق لهم وهو استحقاقهم كما كان ينظر طواغيت قريش وأثريائها مثل الوليد بن المغيرة وأبي جهل وأبي سفيان وأمّية بن خلف إلى ضعفاء المسلمين الأوائل كبلال الحبشي وصهيب الرومي وعمار بن ياسر، ففي يوم القيامة حيث يُلقى هؤلاء الطواغيت واتباعهم في النار ينظرون في أهلها الأشقياء فلا يجدون أولئك الذين كانوا يترفعون عنهم ويسخرون منهم فيتساءلون بينهم: لماذا لا نجدهم معنا في النار؟ هل هم في الجنة وقد فازوا بالنعيم وإننا كنا مخطئين حينما كنا نسخر منهم ونستهزئ بهم ونحتقرهم ونستصغر شأنهم ولم نحمل أمرهم على الجدّ وننظر

(١) تقرير لحديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) امام حشد من الطلبة المقبولين في الجامعات هذا العام يوم السبت ٧/ربيع الثاني/١٤٤٣هـ الموافق ١٣/١١/٢٠٢١م.

في دعاواهم بإنصاف وموضوعية؟ أم إنهم معنا في النار فعلاً كما كنا نظن في الدنيا إلا أن أبصارنا مالت عنهم فلم ترهم بسبب ظلمات النار وعذابها وشقائها ودخانها.

وكما كانوا في الدنيا أهل خصومة ولجاج وعناد واستكبار ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف: ٥٨) فإنهم يصحبون صفاتهم هذه إلى يوم القيامة فيتخاصمون في النار حتى الاتباع مع قادتهم بعد أن كادوا يفدونهم بأرواحهم في الدنيا والمستكبرين مع مستضعفيهم حيث يتبادلون الاتهامات والأوصاف البذيئة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحَنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ (سبأ: ٣١-٣٢) ولو كانوا عقلاء وأهل حكمة لاستفادوا مما يقال فيهم من نقد وتقويم وتصحيح ولا اعترفوا بأخطائهم لا أن يرشقوا منتقديهم ببذيء الكلام والبهتان والافتراء.

وتتناول آيات أخر من سورة الصافات هذه الحالة لكن من زاوية أخرى في الجنة حيث يحصل نفس التساؤل عند أهلها، قال تعالى بعد أن وصف الحياة الطيبة السعيدة التي تنعم بها المؤمنون ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾ (الصافات: ٥٠-٥٧)، ففي بعض جلسات الود والهناء والإقبال

وهم ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧) يتحدث بعض المؤمنين إلى بعض بأنه كان لي زميل في الجامعة أو في العمل أو في المنطقة يسخر مني ويستهزئ بمعتقداتي ويقول لي هل انك تصدق فعلاً بأننا سنبعث بعد الموت وتلاشي أبداننا ونقوم للحساب يوم القيامة فيعاقب المسيء على أساءته ويكافأ المحسن على إحسانه؟ فكان يعد هذه العقائد وهماً وخرافات لا يصدقها العقل وتخلفاً ورجعية.

وحينئذ يطلب هذا المؤمن المنعم من رفقائه في الجنة أن يتطلعوا إلى النار لعلهم يجدون هذا الزميل فيها بعد أن افتقده بين أهل الجنة، وليطمئن قلبه إلى نتائج الأعمال في الدنيا إحساناً وإساءةً كما كان يؤمن ويعتقد، فلما نظروا في أهل النار وجدوا ذلك الزميل في وسطها كما كان في الدنيا وسط العصاة والفسقة والملحدين، وهنا يستعيد المؤمن ما كان يفعله هذا الزميل الشقي البائس من الاستهزاء والتسقيط والافتراء والضغط النفسي وقد يصل الى استعمال العنف والتهديد ليصدّه عن دينه ويشكّكه في معتقداته، ويقسم المؤمن بالله تعالى أن هذا الزميل مارس كل ألوان الضغط عليه والكيد له وكاد أن ينجح في مساعيه لأن مقاومة الإنسان للإغراء أو التهديد محدودة وقد يضعف أمام بعض مراتبها، لكنه هنا يستذكر نعمة الله ولطفه وتأيدته إذ ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ (الحجرات: ٧) وتولى عصمته من الزلل والانحراف ولولا ذلك لكان من المحضرين في عذاب جهنم كهذا الزميل ﴿فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿ (الصفافات: ١٢٧-١٢٨) فإنه وإن لم يفلح في هداية هذا الزميل من

الضلال لسبب منه أو من الآخر أو لأمر خارج عنهما إلا أنه بفضل الله تعالى لم يتأثر به ولم يخضع لإغراءاته أو تهديداته بل بقي متمسكاً بدينه وأخلاقه الفاضلة.

ثم يصف هذه النتيجة السعيدة التي حصل عليها ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الصفات: ٦٠) ويوصي بالثبات على هذا المنهج الرباني العظيم وتكريس الجهود والطاقات له لا لغيره من أمور الدنيا الفانية ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (الصفات: ٦١).

إن المقصودين بهذا الحوار فئات عديدة إذ يمكن أن يجري بين المؤمنين وغيرهم وهو الظاهر من سياق الآيات الكريمة، أو بين طائفة وطائفة أخرى من المسلمين كالذي يتعرض له اتباع أهل البيت (عليهم السلام) من بعض الحساد والحاقدين وأهل المصالح الدنيوية الضيقة والمتطرفين والتكفيريين والنواصب ممن يدعون الإسلام فيكفرون الشيعة ويقتلونهم ويفترون عليهم ويصفونهم بأقذر الأوصاف.

ويمكن أن يجري هذا الحوار في بعض مراتبه بين أبناء الطائفة الواحدة حيث يتعرض بعضهم من البعض الآخر إلى شتى أنواع الافتراء والأوصاف القذرة الشنيعة لإقصائهم وعزلهم والتنفير منهم، ويمكن أن تجري الآيات الكريمة على الحكومات الجائرة الظالمة التي تصف الشعب الثائر عليهم المطالب بحقوقه بأنهم غوغاء وفوضويون وعملاء للأجانب وجواسيس وطابور خامس ومفسدون وأشرار كما وصف صدام المقبور أبطال الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م من أبناء محافظات الوسط والجنوب عندما ثاروا على ظلمه وطغيانه

وهكذا يمكن تطبيق المشهد على كثير من الحالات.

وقد تحتقر شخصاً لأنك ترى أنك تمتلك من الدين أو الثقافة أو الورع ما لا يمتلكه فتتكبر عليه وتستصغر شأنه، ولعلك تنكر نعمة ينعمها الله عليه وتستغرب من اختصاص الله تعالى له بها. وقد تستمر بفكرة قديمة عنه ويكون قد تاب عنها وانصلح وتغير، أو أنه كان وقتها يمر بانتكاسة، فتمسك بها ويعفو الله تعالى عنها، ويتوب على عبده فيما تستمر أنت باحتقاره وكرهه. وأنت تظن أنك تكرهه لسبب ديني وأن معاداتك له مبررة ولا بأس فيها، بينما هي تنخر بإيمانك وتظلم بها نفسك.

إن هؤلاء الذين كانوا يحتقرون المؤمنين ويظنونهم من الأشرار يحتمل أنهم من داخل العنوان الديني ويَزنون الشر والخير بميزان ديني، ولكنهم احتقروا فئة من المؤمنين مذهبياً أو سلوكياً، واحتفظوا بسخريتهم واحتقارهم لهم حتى وهم في النار، فلا يتصورون أن أولئك الذين سخروا منهم أحياناً فيحتملون أنهم في النار أيضاً ولكن لم يروه.

وهذه مواقف خطيرة ينبغي على المؤمنين الانتباه لها، والحذر منها لا سيما أولئك الذين يظنون أنهم محسوبون على الله تعالى، ويتكبرون باسم الدين وينقمون بسوط الله على الناس، وقد رأينا خلال عمرنا وتجربتنا أنه كانت هناك فئة من المتدينين تكبروا على المجتمع الجاهل وفرحوا بما عندهم من التدين، ثم قيض الله للجاهلين من يعلمهم حتى صاروا خيراً من أولئك في الثقافة والورع والعمل، وعادت قلوب أولئك قاسية وألسنتهم جارحة وتحول التكبر إلى حقد وكبرياء وجنون.

وهناك حديث ينبغي أن يحمل المنتظرين للإمام المهدي (عليه السلام) والداعين لدولته على القلق والأرق ومحاسبة النفس والتدقيق في حقيقتها، وهو ما رواه النعماني في الغيبة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إذا خرج القائم (عليه السلام) خرج من هذا الأمر من كان يرى (أو يرى) أنه من أهله ودخل فيه شبه عبدة الشمس والقمر)^(١).

وتطبق الروايات الشريفة هذا المشهد على اتباع أهل البيت (عليهم السلام) الصادقين وما يلاقونه من خصومهم، فقد روى الشيخ الكليني بسنده عن ميسر قال: (دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: كيف أصحابك؟ فقلت: جعلت فداك لنحن عندهم أشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، قال: وكان متكئا فاستوى جالسا، ثم قال: كيف قلت؟ قلت والله لنحن عندهم أشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا فقال: أما والله لا تدخل النار منكم اثنان لا والله ولا واحد، والله إنكم الذين قال الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ أَتَّخَذْنَاَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ ثم قال: طلبوكم والله في النار فما وجدوا منكم أحدا)^(٢).

وروى الشيخ الطوسي في أماليه بإسناده قال: (دخل سماعة بن مهران على الصادق (عليه السلام)، فقال له: يا سماعة، من شر الناس؟ قال: نحن يا بن رسول الله. قال: فغضب حتى احمرت وجنتاه، ثم استوى جالسا، وكان متكئا، فقال: يا

(١) بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٦٣ / ح ١٣٧.

(٢) الكافي: ٧٨ / ٨ / ح ٣٢.

سماعة، من شر الناس عند الناس؟

فقلت: والله ما كذبتك يا بن رسول الله، نحن شر الناس عند الناس، لأنهم سمونا كفارا ورفضة، فنظر إلي ثم قال: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنة، وسيق بهم إلى النار، فينظرون إليكم فيقولون: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَنَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ يا سماعة بن مهران، إنه والله من أساء منكم إساءة مشينا إلى الله يوم القيامة بأقدامنا فنشفع فيه فنشفع، والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم خمسة رجال، والله لا يدخل النار منكم ثلاثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجل واحد، فتنافسوا في الدرجات واكمدوا عدوكم بالورع. والله ما عنى ولا أراد غيركم، صرتم عن أهل هذا العالم شرار الناس، وأتم والله في الجنة يحبرون، وفي النار تطلبون^(١).

أيه الأحبة:

أنتم مقبلون على الدراسة الجامعية التي لها مميزات تختلف عما تعودتكم عليه في دراستكم السابقة، ومن تلك المميزات وجود تنوع فكري وايدولوجي وديني وطائفي واجتماعي وطبقي، وهذا التنوع فيه جانب إيجابي لأنه يقوّي الشخصية وينضجها ويثري الثقافة ويفجّر الطاقات، وبنفس الوقت يشكل لكم تحدياً وصراعاً يستلزم تحصيل الأدوات والصفات والقدرات التي تمكنكم من النجاح في هذا الاختبار.

فالطالب والطالبة الجامعيان المتدينان سيجدان من يسخر من التزامهما

(١) الأمالي - الشيخ الطوسي: ١/٢٩٥/٢٨، البرهان: ٨/١٩٩/٧.

بالتعاليم الدينية ويصفهما بالتخلف والرجعية والأفكار البالية التي لم تعد مناسبة للعصر ولا توجد حاجة إليها ونحو ذلك، فيقال للفتاة المحجبة ان الحجاب تضيق للحرية وحرمان لها من التمتع بالجمال والجاذبية واعجاب الآخرين فعليةا أن تكون شجاعة وذات ارادة قوية وتمتلك الإجابات الداخضة لشبهات المعارضين كأن تقول أن التبرج وإظهار المفاتن امام الغرباء مرض فتاك يؤدي إلى تخريب المجتمع وفساده وان المتبرجة لا تقلّ خطراً عن الفايروسات المعدية التي تنقل الأمراض الفتاكة فيجب الوقاية منها وتجنبها وان الحجاب يحمي المجتمع من هذا الخطر المدمر، ولإثبات ذلك عملوا في الغرب استبياناً لحالات التحرش الجنسي فوجدوها تزداد كلما كانت المرأة أكثر إغراءً وإظهاراً للمفاتن وينعدم التحرش عندما تكون المرأة محجبة فارتداء الحجاب وقاية للنفس والمجتمع.

أو تقول: إن حجابي هو التزام بالقانون الذي أو من به وهو الذي وضعه خالق الإنسان والعارف بتركيبته وما يصلحه وما يفسده وما يكفل سعادته في الدنيا والآخرة فهل في الالتزام بالقوانين مصادرة للحريات أم هو تضحية ببعض الأهواء والمشتهيات الشخصية من أجل حفظ النظام الاجتماعي العام؟ فالذي يتوقف عند الإشارة المرورية الحمراء وهو يودّ أن ينطلق بسيارته لا يقال له بأنك مسلوب الحرية، وكذا المرأة التي تمرّ بسوق الصاغة وترى المجوهرات والمصوغات الذهبية التي تشتهي أن تمد يدها وتأخذها لتزين بها لكنها تكبح جماح أهوائها وتتوقف لأن القانون يحرمّ الاعتداء على ممتلكات الآخرين وغير ذلك فهذه كلها ليست مصادرة للحريات بل تنظيم لها وتهذيبها بقوانين

تحفظ النظام الاجتماعي العام، وهكذا القوانين الإلهية فإنها شرعت لحفظ كرامة الإنسان والمجتمع وسعادتهما وتحقيق العدالة الاجتماعية، مع البون الشاسع بين القوانين الوضعية التي يشرعها بشر ناقصون قاصرون خطأون تتحكم فيهم الأهواء والمصالح الضيقة وبين القوانين الإلهية التي أودعها في كتاب ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فصلت: ٤٢).

وقد كشفت آيات صورة ص والصافات المتقدمة ان المتدينين سيقطفون ثمرة ثباتهم على الدين واستقامتهم وعدم انسياقهم وراء الشهوات والاهواء وخضوعهم لضغوط المنافقين والطغاة والمتمردين الذين سيجدون ضلال فعلهم حينما كانوا يسخرون من المؤمنين وينتقصونهم ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٨).

ولكي نزداد ثباتاً وتمسكاً بالدين علينا ان نلتفت إلى أن هؤلاء المستهزئين ليسوا مقتنعين بما يقولون فينا ويعلمون أنه باطل وافتراء مثلاً قريش كانت تصف رسول الله (ﷺ) بأنه الصادق الأمين وتضع عنده الأشياء الثمينة أمانات وما وجدت له كذبة قط، ولكن ما إن دعاهم إلى التوحيد ونبذ عبادة الأصنام التي منها مصالحهم الدنيوية حتى وصفوه بأنه ساحر مرتد مثير للفتنة كذاب إلى آخره، وكذلك الفسقة والعصاة فإنهم يعلمون أن ما عليه المتدينون صواب وسمو وكمال وفضيلة حتى أن المجتمع يسمي المتدين (خير) وهي صيغة مبالغة من الخير أي ان المؤمن كله خير ولا يتوقع منه الا الخير، إذن ما الذي نقموا من المؤمنين حتى عابوهم وسخروا منهم واستهزؤا بهم، يشرح لنا الامام الصادق (عليه السلام) السبب في ما رواه يعقوب بن شعيب - وهو حفيد

الشهيد ميثم التمار (رضوان الله تعالى عليه) - عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): من أشد الناس عليكم؟ قال: قلت: جعلت فداك كل، "أي كل الناس شديدون علينا ومبغضون لنا" قال: أتدري مم ذاك يا يعقوب؟ قال: قلت: لا أدري جعلت فداك قال (عليه السلام): إن إبليس دعاهم فأجابوه وأمرهم فأطاعوه ودعاهم فلم تجيبوه وأمرهم فلم تطيعوه فأغرى بكم الناس)^(١).

إذن إنه الحسد وعقدة الحقارة والصغار امام المؤمنين وفقدانهم الإرادة والشجاعة للإرتقاء والتكامل حتى يكونوا مثلهم فيتخذون كل وسيلة قذرة للإيقاع بالمؤمنين وإفسادهم حتى ينزلوهم الى الحضيض الذي هم فيه.

فيكون ردنا عليهم بمزيد من الثبات والاستقامة والبصيرة حتى يحصل عندهم اليأس من أن يسلبونا هذه الجوهرة الثمينة التي حباها الله تعالى بها - أعني الايمان بالله تعالى كما ورد في الرواية المتقدمة (وأكدوا عدوكم بالورع) - وأن ننظر إليهم كمرضى مصابين بالأمراض المعنوية فيستحقون منا الشفقة والنصح والرعاية والتوجيه وتصحيح الأفكار ونحن أهلها لأننا على الحق ونمتلك الأدلة القوية ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (الأنعام: ١٤٩).

وعلينا أن نكون واثقين بأنفسنا شجعاناً ولا تهزمنا الاشاعات والافتراءات والتسقيط الإعلامي ولا نكون كبعض الذي يرفعون عناوين إسلامية لكنهم ينهزمون في هذه الحالات خوفاً على دنياهم البائسة.

(١) الكافي: ١٤١/٨ ح ١٠٤، (الروضة: ح ١٠٥).

خطاب المرحلة

(٦٧٠)

حول ارتفاع نسبة الفقر والبطالة في العراق

صدر^(١) مؤخراً عن وزارة التخطيط تقرير مرعب كشف عن أن جائحة كورونا وارتفاع سعر صرف الدولار دفعت ٤,٥ مليون عراقي الى ما دون خط الفقر وارتفاع معدلاته من ٢٠٪ عام ٢٠١٨م الى ٣١,٧٪. علماً بأن تداعيات كورونا لم تستمر طويلاً وعادت الحياة الى وضعها الطبيعي تقريباً منذ مدة وان سعر برميل النفط تجاوز ٨٤ دولاراً، أي انه تضاعف عمّا كان عليه مع زيادة في كميات التصدير والانتهاه من حرب داعش التي كانت ترهق ميزانية الدولة مع ما قيل من سيطرة الدولة على المنافذ الحدودية وجباية الضرائب وغيرها، زاد من إيرادات الدولة بإيرادات ضخمة، فكيف تزداد نسبة الفقر وما دون الفقر؟

والغريب أن الدولة تدّعي أن عدد المستفيدين من رواتبها الشهرية من موظفين ومتقاعدين ورعاية اجتماعية وغيرهم يبلغ ثمانية ملايين وان معدل الراتب الشهري يكفي لإعالة خمسة أشخاص في المتوسط فالمفروض اكتفاء الشعب العراقي البالغ أربعين مليوناً بالرواتب الرسمية مع العلم بان عدداً كبيراً من الناس يعملون في القطاع

(١) بحسب وثيقة (الاستجابة وخطة التعافي من تداعيات كورونا) التي كشف عنها مدير عام الاستراتيجية في وزارة التخطيط في لقائه مع الصحيفة الرسمية يوم ١٠ / ١١ / ٢٠٢١م.

الخاص.

إن هذا كله يعني أن هذه الكوارث سببها شيء آخر وهو ما اعترف به التقرير، أي القرار الجائر بخفض قيمة الدينار الذي لم يكن له مبررٌ إلاً اقتطاع نسبة ٢٣٪ من رواتب الموظفين وأدى الى ركود السوق وارتفاع أسعار السلع الأساسية وكل ما قيل من تبرير ظهر أنه وهم.

والسبب الرئيسي الآخر هو الفساد المستشري الذي يستنزف ثروات البلد ويذهب بها في مهب الريح من دون اتخاذ إجراءات حقيقية رادعة مع افتضاح قضايا كثيرة للفساد يشيب منها الرضيع.

إن هذا الوضع يؤلم قلب كل إنسان غيور يحمل مشاعر الرحمة والإنسانية والغيرة الوطنية، ويتحمّل كل من له نفوذ وتأثير في القرار السياسي من الجهات الدينية والسياسية والإعلامية والثقافية مسؤولية الإصلاح والمعالجة والا كان كل هؤلاء المحرومين خصمهم يوم القيامة بين يدي المنتقم الجبار.

إن معالجة ظاهرة الفقر والبطالة والركود الاقتصادي والفساد يجب أن تكون على رأس أولويات الحكومة المقبلة ويجب على الجهات الفنية المتخصصة إعداد الدراسات والخطط التي تتناول أسباب هذه الامراض الاجتماعية الفتاكة وكيفية استئصالها لتكون جاهزة بين يدي المسؤولين في الحكومة الجديدة بإذن الله تعالى.

إن العدالة الاجتماعية وتوفير أسباب الحياة الكريمة للإنسان أهم

دعائم الأمن والاستقرار والازدهار الاقتصادي ووحدة النسيج الاجتماعي، وان العراقيين يستحقون حياة مرفهة طيبة، فإن بلدهم غني وفي أرضه وسمائه ومياهه ما يفيض عن حاجته من الخيرات فلماذا يعيش الملايين منه تحت خط الفقر؟!

محمد اليقوبي

١١/ربيع ١٤٤٣هـ

٢٠٢١/١١/١٧م

خطاب المرحلة

(٦١)

قراءة في سيرة سماحة المرجع اليعقوبي

فصل في مرجعيته:

تريث الشيخ اليعقوبي في إعلان اجتهاده مراعاةً لأدبيات الحوزة العلمية، لكنه كان يضمن درسه في كفاية الأصول - الذي كان يلقيه في مسجد الرأس الشريف المجاور لحرم أمير المؤمنين (عليه السلام) إتماماً لدرس السيد الشهيد الصدر (قلبي) بطلب من تلامذته ثم بدأ دورة جديدة عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، بحضور عدد كبير من الأساتذة والفضلاء - مناقشاته لصاحب الكفاية ويؤسس لمبانيه الأصولية المستقلة، كما قام بنشر بعض بحوثه الاستدلالية التي كتبها إيضاحاً لبعض المسائل الخلفية منذ عام ١٤٢٠هـ مما عزز القناعة لدى كثيرين بأن وصية الشهيد الصدر (تذ) في سماحة الشيخ التي انتشرت بصوته وقال فيها: (والآن أستطيع ان أقول: أن المرشح الوحيد من حوزتنا هو جناب الشيخ محمد اليعقوبي إلى وقت أمد الله لي في العمر وشهد باجتهاده..) قد تنجرت لكن سماحته كان يرى إن وقت إعلان الاجتهاد لم يحن وفق السياقات المعمول بها في الحوزة العلمية وان كانت الملكة موجودة ثبوتاً كما يقولون لكن الجانب الإثباتي لا يقل أهمية عنه.

فكان يوصي أتباع السيد الشهيد الصدر (قلبي) بالصبر والتأني وان

الساحة بحاجة الى قيادة إسلامية أكثر من حاجتها الى مرجعية تقليد لوجود من

تبرأ الذمة بالرجوع اليه، وأن الشهيد الصدر (قَلْبِي) أوصى بالرجوع إلى المرشح البديل قيادةً أولاً حتى يُشهد له بالاجتهاد فيمكن الرجوع إليه قيادةً وتقليداً حيث قال (تَدْبِي): (...يحتاج الشعب العراقي إلى قيادة لا تمثل التقليد يقلدون شخصاً ويأتمرون بأمر شخص آخر بعنوان الوكالة أو بأي عنوان آخر إلى أن يقول (تَدْبِي): فإن أمد الله تعالى في عمري وبقيت عدة سنوات أخرى فيوجد بالتأكيد هناك من طلابي ممن أتوخى منهم الإخلاص والتعب على نفسه والاجتهاد طيب القلب وخبير وورع ونحو ذلك قابل لأن تحول عليه القيادة الحوزوية ولربما في ذلك الحين يكون هو الأعلَم...^(١)، فأهتم سماحة الشيخ بالتصدي لقيادة الحركة الإسلامية في العراق في تلك الفترة.

وحين أعلن اجتهاده في خطبتي صلاة الجمعة في الكاظمية المقدسة في صفر عام ١٤٢٤هـ الموافق نيسان ٢٠٠٣م وشهد له بالاجتهاد عدد من مراجع الدين والعلماء والفضلاء بعد الاطلاع على بحوثه الاستدلالية سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م منهم سماحة آية الله الشيخ محمد علي الكرامي (دام ظله الشريف) (المجاز بالاجتهاد من قبل سماحة آية الله الشيخ المنتظري (تَدْبِي))، وسماحة آية الله الشيخ محمد الصادقي الطهراني (تَدْبِي) (المجاز بالاجتهاد من قبل السيد الخوئي (تَدْبِي) عام ١٣٨٦هـ) وآخرون، رحم الله الماضين وحفظ الباقيين، ازداد إلحاح المثقفين والواعين خصوصاً من أتباع السيد الشهيد الصدر الثاني (تَدْبِي) عليه للتصدي للمرجعية إلا أنه أمرهم بالصبر والتريث وإعطاء الفرصة

(١) أحد الحوارات التي أجريت مع السيد الشهيد الصدر الثاني (قَلْبِي) ومسجل على شريط كاسيت في

للمتصدين لينهضوا بمسؤولياتهم من دون إثارة حساسية أو مشاكل، مع استمراره بقيادة الحركة الإسلامية الواعية بعد استشهاد السيد الصدر الثاني عام ١٩٩٩م، إذ لم يكن سماحة الشيخ اليعقوبي يرى في يومٍ ما المرجعية والزعامة على أنها هدف وغاية، وإنما هي وسيلة لإقامة الدين ونشر تعاليم أهل البيت (عليه السلام) وحفظ كرامة الإنسان والدفاع عن حقوقه والارتقاء بالفرد والمجتمع في سُلّم الكمال، لذا كان همّة السعي لدعم الحوزات العلمية ونشرها ومساعدة المشتغلين بالعلم والعمل وملئ الساحات الفارغة من العمل الديني وإصلاح الفساد والانحراف من خلال إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة لفعل الخير والتوعية لرفعة الإسلام وعزة أبنائه قبل تصديه للمرجعية.

وبعد أن بدأ بإلقاء البحث الخارج في ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، وما أبرزه من مقدرة علمية راقية انتشرت من خلال موسوعة (فقه الخلاف) تعززت قناعة كثير من أساتذة وفضلاء الحوزة العلمية والمؤمنين الواعين والنخب المثقفة بضرورة التصدي للمرجعية، واقرن ذلك بتشخيص سماحته وجود مساحات فارغة كثيرة من العمل الديني لرفعة الإسلام وعزة أبنائه ونشر الدعوة إلى الله تبارك وتعالى لا يمكن القيام به إلا تحت عنوان المرجعية.

قدّم سماحته رسالته العملية (سبل السلام) للطبع عام ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، مؤذناً للمؤمنين بالرجوع إليه تقليداً بعد أن كانوا يرجعون إليه قيادة وتوجيهاً، وكان همّة الرئيسي هو ملئ هذا الفراغ ودعم الحوزات العلمية ونشرها في بلاد المسلمين ومساعدة المشتغلين بالعلم والعمل.

وساهمت أبحاثه العلمية العميقة وأخلاقه الرفيعة وخطاباته الواعية

المستوعبة للقضايا المعاصرة وهموم المسلمين وتطلعاتهم في إقناع المزيد من المؤمنين في الرجوع إليه، حتى أصبح من الواضح ان مرجعته المباركة اليوم تأتي في المقام الثاني بعد مرجعية السيد السيستاني (دام ظله الشريف) وقد ثبت ذلك بحسب الاحصائيات التي أجراها فريق من الخبراء الغربيين المتخصصين على عينات من ملايين الزوار في الأربعينية وساعدتهم فرق متدربة، ونُشرت الدراسة في كتاب عنوانه (الوجهة كربلاء)^(١) طبعته ونشرته الأمانة العامة للعتبة العباسية المطهرة، وأظهرت النتائج أن أتباع المرجع اليعقوبي يزيدون على مجموع أتباع المرجعيات الأخرى عدا السيد السيستاني طبعاً.

وتوالت الطلبات لفتح مكاتب وممثليات لسماحته في مختلف دول العالم لكنه لم يستجب إلا لتحقيق الأغراض أعلاه، حيث توجد اليوم في قم ومشهد ولبنان وسوريا والهند وباكستان وأفغانستان وإندونيسيا وتايلاند وبورما وأكثر من ٢٠ دولة أفريقية.

وكان المرجع الراحل المرحوم السيد محمود الهاشمي الشاهرودي (قدس الله سره) يرى في سماحة الشيخ مرجعية قوية واعدته - بحسب ما رواه اثنان من العلماء المقربين إليه - ووجه رئيس تحرير مجلة فقه أهل البيت (عليه السلام) التي يشرف سماحته عليها بنشر الأبحاث الفقهية الاستدلالية لسماحة المرجع في قسم البحوث الإجتهدية التي تنشر أبحاث المراجع الكبار ووصفها بأنها رصينة

(١) فوتيني كريستا، اليزابيث داكسير، درين نو كس، الوجهة كربلاء ص ١٥٢ الطبعة الأولى، الناشر مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت العتبة العباسية المقدسة ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

ودقيقة.

وقد وصل صدى مرجعته المباركة إلى الأمم المتحدة حيث أُشير إليها في الإصدارين الذين نشرتهما منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) عن مدينة النجف، فقد ورد في الإصدار الأول المُعنون (النجف بوابة الحكمة) ما نصّه (ولقد التحق بهؤلاء المراجع الأربع الكبار مرجع جديد يفوقهم حداثة والتزاماً بالأمر السياسي وهو الشيخ محمد يعقوبي أحد تلامذة السيد محمد محمد صادق الصدر صاحب الجاذبية المؤثرة الذي اغتيل لعام ١٩٩٩م، وهو يدير مدرسة دينية وقد ارتقى إلى مكانة المراجع إذ أنه جذب إليه مقلدين كثيرين من داخل العراق)^(١).

وورد في الإصدار الثاني المُعنون (النجف: تاريخ وتطور المدينة المقدسة) ما نصّه (وهناك مجتهدون آخرون تصدوا للمرجعية ومن البارزين بين هؤلاء المرجع آية الله العظمى الشيخ محمد يعقوبي الذي يتمتع بمكانة متميزة. أن المرجع محمد يعقوبي تصدى للمرجعية إستناداً إلى وصية مكتوبة من أستاذه المرجع محمد محمد صادق الصدر)^(٢).

(١) ياسر طباع، صابرينا ميرفان، ارك بونيرن، النجف بوابة الحكمة، ص ١٣١، الناشر منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة بالتعاون مع مكتب اليونسكو للعراق عمان الأردن، ٢٠١٤م.

(٢) د. صابرينا ميرفان، د. روبرت كليف، د. جيرالدين شاتلار، النجف، تاريخ وتطور مدينة المقدسة، ص ٣٧٧ منشورات اليونسكو الناشر دار الوراق للنشر ٢٠١٦م.

وقال في موضع آخر: (عندما يذكر النجفيون المرجعية يقصدون أحد المراجع الأربعة الكبار أو الأربعة بمجملهم وقد يضاف إليهم محمد اليعقوبي كمرجع خامس)^(١).

(١) د. صابرينا ميرفان، د. روبرت كليف، د. جيرالدين شاتلار، النجف، تاريخ وتطور مدينة المقدسة، ص ٢٠٣ منشورات اليونسكو الناشر دار الوراق للنشر ٢٠١٦م.

خطاب المرحلة

(٦٧٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ (الصف: ١٤)

(١) القيام الفاطمي نصرته لله تعالى

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (الصف: ١٤).

دعوة من الله تبارك وتعالى إلى جميع المؤمنين أن ينصروا الله تعالى وذلك بأن يكونوا من أنصار رسول الله (ﷺ) في نشر الإسلام والدفاع عنه، وهذه الدعوة تشريف للإنسان وسبب لرفعه وافتخاره بأن خالق السماوات والأرض ومن بيده ملكوتهما يدعوه إلى نصرته ليحفّزهم على ذلك، فأن ربط النصره بالله تعالى يعطيها أكبر زخم، كما أنه يحقق شرط تحصيل الأجر بأن تكون النية خالصة لله تعالى، وليس طمعاً بما عند الرسول (ﷺ).
ويذكرهم الله تعالى بمثل من الرسل أولي العزم ليتأسوا به وهو السيد

(١) الخطاب الفاطمي السنوي في عامه السابع عشر الذي ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على الجموع المحتشدة في ساحة ثورة العشرين قبل إنطلاق مواكب العزاء نحو الحرم الطاهر لأمير المؤمنين (عليه السلام) في ذكرى استشهاد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم الجمعة ٣/جمادي الثانية/١٤٤٣هـ- الموافق ٢٢/١٧/٢٠٢٢م.

المسيح عيسى بن مريم (صلوات الله عليه) حينما دعا الحواريين وهم خاصة مردييه الملازمين له المنقطعين إليه أن ينصروه في دعوته إلى الله تبارك وتعالى وأن يعينوه على أداء رسالته - فالنصر هو العون- ويعاضدوه في هداية الناس إلى السبيل الموصل إلى الله تبارك وتعالى، فاستجاب له الحواريون وأعلنوا استعدادهم لبذل النصرة والعون لله تعالى من خلال نصرة رسوله ودينه، إذ لا بد لكل صاحب مشروع أن يكون له أنصار ومؤيدون ليعينوه على إقامة المنهج الإلهي في الأرض.

فلماذا يدعو (عليه السلام) الحواريين إلى نصرته وقد كانوا معه (عليه السلام) ومؤمنين به ويتبعونه ويستفيدون منه، وورد فيهم عن الامام الرضا (عليه السلام) قوله: (وأما عندنا فسمي الحواريون حواريين لأنهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكر)^(١)؟ وإنما دعاهم إلى نصرته لأنه (عليه السلام) أراد منهم تأكيد هذه النصرة والثبات عليها لما رأى علامات الخذلان والتكذيب من قومه بني إسرائيل رغم الآيات المتواترة والحجج البينة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٥٢-٥٣)، فاستجاب له الحواريون وأشهدوه على تسليمهم المطلق واستعدادهم لبذل الغالي والنفيس في سبيل الحق وكان ذلك بلطف الله تعالى وتأيدته لهم ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة:

(١) علل الشرائع: ١/٨٠ باب ٧٢، تفسير البرهان: ٢/٢٢٢/ح ١.

(١١١).

وقد أخذ النبي (ﷺ) من أصحابه مثل هذا التعهد بالنصرة والثبات عليها أكثر من مرة ففي بيعة العقبة طالب أهل يثرب أن ينتخبوا اثني عشر رجلاً ليكونوا نقباء عليهم^(١)، وكذا في بيعة الشجرة، لإدامة العمل الرسالي وتنظيمه، وتمكين النخبة من قيادة الأمة وإدارة جميع شؤونها، وعدم إحداث فراغ في حياتها، فإذا تحقق ذلك فإن الأمة ستلتف حولهم لما تراه من الخير والصلاح والسعادة، وتنفرز الجماعة المؤمنة عن الفاسدة والمنافقة في معتقداتها وأفكارها وأخلاقها وسلوكها، ﴿فَأَمَّنْتَ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ﴾.

فاذا تحقق هذا الوضوح في الهوية والانتماء: أتى نصر الله والفتح ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلٰى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (الصف: ١٤) ﴿وَكَفَىٰ رَبُّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (الفرقان: ٣١).

فيدعو الله تعالى المؤمنين بالنبي (ﷺ) وأتباع رسالته في جميع الأزمنة والعصور إلى تأكيد مثل هذه النصرة والاستمرار عليها والتواصي بها، ويستنهض همهم للعمل في سبيل الله لأن الخطاب عام ولا يختص بأصحاب رسول الله (ﷺ)، فقد روى الطبرسي في الاحتجاج عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث (ولم يُخل أرضه من عالم بما يحتاج الخليفة إليه ومتعلم على سبيل نجاة، أولئك هم الأقلون عدداً، وقد بين الله ذلك في أمم الأنبياء، وجعلهم مثلاً

(١) روى السيوطي في (الدر المنثور: ٢١٤/٦) ان رسول الله (ﷺ) قال لأهل بيعة العقبة (أخرجوا إليّ اثني عشر رجلاً منكم يكونون كفلاء على قومهم كما كفلت الحواريون لعيسى بن مريم).

لمن تأخر عنه مثل قوله في حواربي عيسى حيث قال لسائر بني إسرائيل ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ﴾^(١) يعني مسلمون لأهل الفضل فضلهم ولا يستكبرون عن أمر ربهم فما أجابه الا الحواريون

وتصرح الآية الكريمة بأن النصره المطلوبة مشروطة بأن تكون لله تبارك وتعالى وفي سبيل الله وإعلاء كلمة الله تعالى وإعزاز دينه فلا قيمة لأي نصره على أساس التعصب للعشيرة أو الحزب أو شخص معين أو أي عنوان آخر. إن الله تعالى لم يطلب نصره عباده لعجز أو ضعف أو نقص في القدرة والقوة وهو تعالى وصف نفسه بكل قدرة وقوة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٤٨)، وقال تعالى: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: ١٦٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ١٠)، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ (آل عمران: ١٦٠).

وأثبت سبحانه عجز كل ما سواه من القوى وإن استعلت واستكبرت وتجبرت قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٧٣)، وقال تعالى: ﴿أَيَّتُّنَّوْنَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٣٩).

وكذلك فإنه تبارك وتعالى لم يستقرضنا من فقر أو نقص أو عجز بقوله:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: ١١).

وإنما كان طلب النصره منه تعالى ليوفر لنا فرصاً عظيمة للطاعة والتكامل حتى نسمو ونرتقي وننال الدرجات الرفيعة، وفي ذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلِّ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلِّ اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَاسْتَقْرِضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ حَيْرَانَ اللَّهِ فِي دَارِهِ رَافِقَ بِهِمْ رُسُلَهُ وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَدًا وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَنَصَبًا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)^(١).

والسؤال هنا: كيف لمخلوق ضعيف عاجز مثلنا يطلب منه أن ينصره الله تعالى؟ وفي الإجابة نقول إن نصره الله تعالى تتجلى في ميادين عديدة ولها اشكال متنوعة:

أولها: النفس وهي الساحة الأولى والأهم لنصرة الله تعالى قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥)، ورد عن النبي (ﷺ): (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر)^(٢)، وهذا المعنى مكرّر كثيراً في كلمات المعصومين (عليهم السلام) حتى

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٣.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٦٧ / ٧٣ / ح ٢٦.

أصبح متواتراً كقول علي (عليه السلام): (سياسة النفس الأمانة بالسوء وكبح جماح شهواتها والسيطرة على غرائزها وتنقيتها من أغلال الأنانية والحقد والتعصب والحسد وحب الدنيا وسائر الرذائل، وتزيينها بالفضائل والعلوم النافعة والتفقه في الدين والعمل به، وقد أطلق النبي (صلى الله عليه وآله) على هذه الحركة المباركة (الجهاد الأكبر)^(٢)، وفي دعاء الصباح لأمير المؤمنين (عليه السلام): (وَإِنْ خَدَّكَ نَصْرُكَ عِنْدَ مُحَارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ فَقَدْ وَكَلَّنِي خِدْلَانِكَ إِلَى حَيْثُ النَّصَبُ وَالْجِرْمَانُ)^(٣).

ثانياً: الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وتحبيبه إلى الناس بذكر عظيم رحمته وكرمه وإحسانه وجميل صنعه وسمو صفاته، ودحض الإلحاد والشرك بالحجج والبيانات، وقد أتاح الله تعالى لنا اليوم أعظم الوسائل للدعوة والتبليغ والنشر من خلال التقنيات المعاصرة فنستطيع أن نوصل صوت الإيمان إلى ملايين البشر من خلال المنصات الإلكترونية الفاعلة والجاذبة والمؤثرة.

ثالثاً: نصره حجج الله تعالى على خلقه وهم النبي (صلى الله عليه وآله) وآله المعصومون (عليهم السلام) وتعظيمهم ومودتهم ونشر سيرتهم العطرة والاستفادة منها والدفاع عن حقهم وإظهار مظلوميتهم.

رابعاً: الالتفاف حول العلماء العاملين المخلصين لربهم ودينهم وأمتهم

(١) غرر الحكم: ٥٥٨٩.

(٢) وسائل الشيعة: ١٥/١٦١/ أبواب جهاد النفس، باب ١/ ح ١.

(٣) مفاتيح الجنان: ٩٦/ دعاء الصباح.

فإنهم ورثة الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) وحملة رسالتهم المباركة.

خامساً: نصره دين الله تعالى بنشره وتعريف الناس به وتحبيبه إلى الناس وتثبيت قلوب المؤمنين ورد الشبهات ووأد الفتن والعمل على هداية الناس وإرشادهم إلى الحق وتعليمهم الأحكام الشرعية والأخلاق الفاضلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أداء هذه الفريضة الإلهية أعظم نصره لله تعالى، روي عن الامام الباقر (عليه السلام) قوله (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله، فمن نصرهما أعزه الله ومن خذلهما خذله الله)^(١).

سادساً: السعي لتحقيق العدالة الاجتماعية وكرامة الإنسان وتحريره من أغلال الظلم والانحراف والمعاصي والعبودية للطواغيت والمستكبرين ونصرة المستضعفين والمحرومين التواقين للكمال والحرية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ فالغرض من بعث الأنبياء والرسول وإنزال الكتب والشرائع إقامة العدالة الاجتماعية وتحرير الإنسان، ثم قال تعالى ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥) وقد تعني ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في زمان عدم حضور المعصوم (عليه السلام) لوفاة أو غيبة كزماننا الحاضر.

سابعاً: إقامة شعائر الله تعالى والحث عليها والمساهمة فيها بما يتيسر، وإعمار المساجد وتفعيل دور المسجد والقرآن في حياة الأمة وفق البرامج التي

(١) وسائل الشيعة: ١٦/١٢٤/ح ٢٠.

ذكرناها في خطابات سابقة^(١).

ثامناً: الانضمام إلى الأنشطة الاجتماعية المثمرة كالأعمال الخيرية والخدمية والتنموية والتوعوية والعلمية والثقافية ورعاية المواهب والكفاءات وإيجاد فرص العمل وقضاء حوائج الناس وتزويج المتعفين فهذه كلها من الدين وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ (الأنفال: ٧٢).

ويحذر الله تبارك وتعالى من التقاعس عن هذه النصرة ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٣)، وقد ضمّنها النبي (ﷺ) في حديثه عن مخاطر ترك سنة الزواج^(٢).

أيها السيدات والسادة الموالون للنبي وآله الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين):- لقد خرجت السيدة الزهراء (عليها السلام) من دارها وهي العقيلة الخفراء التي كانت تكره الخروج من منزلها وقد قالت ذلك لأmir المؤمنين (عليه السلام) (خرجتُ كاظمةً وعُدتُ راغمةً)^(٣)، لكنها خرجت تلبية لهذا النداء الإلهي العظيم، لتنصر الله تعالى ورسوله ووليّه الأعظم، ولتعيد الحق إلى نصابه، وتصون الدين من الانحراف والتشويه، وتحمي الأمة من الفساد والضلال وتستنهبهم وتستشيرهممهم للدفاع عن الحق، فتخاطب الأنصار بقولها: (إيها

(١) أنظر: من نور القرآن: ٢٨٣/٣.

(٢) في الكافي والتهديب عدة روايات معتبرة عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) (وسائل الشيعة: ٧٦/٢٠ أبواب مقدمات النكاح، باب ٢٨).

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ١٣٧/١.

بني قيلة، وأنتم ذوو العدد والعدّة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجُنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت^(١).

فما كان عذرهم إلا أن قالوا: ((يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر قبل أن يبرم العهد ويحكم العقد، لما عدلنا عنه إلى غيره)) فقالت (عليها السلام): (إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم)^(٢).

وببركة ذلك القيام الفاطمي المخلص لله تبارك وتعالى تعززت مسيرة نصره الدين وإقامة أحكامه ورفض الظلم والفساد والانحراف، وسار على خطاها المؤمنون الصادقون، فلا تقصروا في الالتحاق بهذا الركب المبارك وعدم إدخار أي جهد عن نصره الدين وأهله وهنا يحثنا أمير المؤمنين (عليه السلام) على بذل كل الجهود في هذه المجالات المتنوعة لنصرة الله تعالى قال (عليه السلام): (أَسْهَرُوا عْيُونَكُمْ وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ وَأَسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)^(٣).

وهذه هي الدعوة التي نعلن تليبيتها عند زيارة الامام الحسين (عليه السلام) فنقول له (لبيك داعي الله إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١٣٣/١.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ١٤٠/١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٣

استنصارك فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري^(١).

وقد كتب الله تعالى على نفسه ان ينصر من نصره ويثبت قدمه على الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصفافات: ١٧١-١٧٣)، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١)، أي في الدنيا والآخرة بالتمكين وقوة الحجة وظهور أمر الدين.

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠)، وقال تعالى ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٥).

نعم قد يتأخر نصر الله تعالى لحكمة يعلمها ولا نعلمها أو لتمحيص الناس وتمييز الصادق من المدعي والمخلص من المنافق ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ (الحديد: ٢٥)، وقد يمر المؤمنون بصعاب ومكاره وشدائد تزلزل نفوسهم، إلا أنها تقوي إيمانهم وتنقي إخلاصهم، وأنهم في النهاية هم المنتصرون ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤)، وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف: ١١٠)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّنْ

(١) مفاتيح الجنان: ٤٧٣، الزيارة المخصوصة في أول رجب والنصف منه ومن شعبان.

قَبْلِكَ فَصَبِّرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ
وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿الأنعام: ٣٤﴾.

واعلموا أن من يتقاعس ويتخاذل ويبخل فإنه لا يضر إلا نفسه وإن الله غني عن العالمين وسيأتي بقوم آخرين يقومون بهذا الواجب ويفوزون بثوابه العظيم ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (التوبة: ٤٠)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨).

أيها الأحبة:

إن جهودكم وتضحياتكم في نصرة الدين وتعظيم هذه الشعائر الإلهية بعين الله تعالى وأوليائه العظام وهي مدخرة لكم عنده تبارك وتعالى، وأنقل لكم هذه البشارة على لسان الإمام الصادق (عليه السلام) لكل الموالين العاملين المخلصين حيث فضلهم الإمام (عليه السلام) على حواري عيسى (عليه السلام)، فقد روى الشيخ الكليني (ره) بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن حواري عيسى (عليه السلام) كانوا شيعته وإن شيعتنا حوارينا وما كان حواري عيسى بأطوع له من حوارينا لنا وإنما قال عيسى (عليه السلام) الحواريين: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ فلا والله ما نصره من اليهود ولا قاتلوهم دونه وشيعتنا والله لم يزلوا منذ قبض الله عز ذكره رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ينصروننا ويقاتلون دوننا ويحرقون ويعذبون ويشردون في البلدان، جزاهم الله عنا خيرا. وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «والله لو ضربت خيشوم محبينا بالسيف ما أبغضونا»،

ووالله لو أدنيت إلى مبغضينا وحثوت لهم من المال ما أحبونا»^(١).
نسأل الله تعالى ان يثبتنا على دينه وولاية أهل البيت (عليهم السلام) وان يجعلنا
ممن ينتصر بهم لدينه ويرضى عنهم ببركة السيدة فاطمة الزهراء وأبيها وبعلمها
وبنيها والسر المستودع فيها (صلوات الله عليهم أجمعين).

(١) الكافي (الروضة): ٢٦٨/٨ ح/٣٩٦، تفسير البرهان: ٢٩٢/٩ ح/٢.

خطاب المرحلة

(٦٧٣)

بسمه تعالى

مسؤوليتنا عن حفظ الدين^(١)

اتخذ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) عدة اجراءات تمهيداً للحالة التي ستمر بها الأمة من بعده حيث اقتضت الحكمة الإلهية غيبة ولده المهدي المنتظر (عليه السلام) عن الناس، ومن تلك الاجراءات توجيه الأمة الى إتباع العلماء العاملين المخلصين، ومن أقواله (عليه السلام) في هذا المجال: (فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون الا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم)^(٢).

أقول: محل كلامي قوله (عليه السلام): (حافظاً لدينه) وقد فهم المشهور منها أن يكون الفقيه محافظاً على دينه الشخصي أي ورعه والتزامه بالشريعة وهو معنى صحيح بلا شك ولكن هذا الشرط مذكور في الفقرة التالية لها كما هو واضح ولا يظهر ان الإمام (عليه السلام) بصدد بيان وشرح بعض الفقرات ببعضها، والذي أفهمه ان المراد بـ(دينه) ليس دينه الشخصي بل الدين الذي يؤمن به وينتمي إليه وهو دين الإسلام نظير قول أبي الفضل العباس في رجزه يوم

(١) كلمة مختصرة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظلّه) على طلبه البحث الخارج يوم الإثنين ٢٢/ جمادى الأولى / ١٤٤٣هـ - الموافق ٢٧/١٢/٢٠٢١م.

(٢) وسائل الشيعة: ١٣١/٢٧، عن الاحتجاج: ٤٥٧، تفسير الامام العسكري: ١٢٠.

عاشوراء: (إني أحامي أبداً عن ديني وعن إمام صادق اليقين)^(١)، فإنه لا يقصد دينه الشخصي بل دين الإسلام المتمثل بقائده العظيم الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) فيكون معنى الفقرة أن من شروط الفقيه الذي يرجع إليه الناس أن يبذل ما في وسعه لحفظ الدين وصيانه من التشويه والتحريف وحمايته من الاعتداء والانتهاك.

وحينئذ يكون هذا الشرط ضرورياً وعلى القاعدة، لأن العلماء ورثة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) كما ورد في الكافي وغيره^(٢) وهم نوابهم بالنيابة العامة، والوراثة والنيابة تقتضي القيام بمسؤولياتهم ووظائفهم بحسب ما يُيسره الله تعالى، وماذا كانت الرسالة المشتركة لجميع الأنبياء (عليهم السلام)؟ إنه ما أخبر به الله تعالى بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ (الشورى: ١٣) فهذا هو مشروع الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) إقامة الدين وحمايته والدفاع عنه، وقد ورد في زيارة الجامعة الكبيرة وصف الأئمة (عليهم السلام) بالذادة الحماة^(٣) فهم يدودون عن هذا الدين ويحمونه من تحريف الغالين وانتحال المبطلين، ويصونون عقائد شيعتهم من المذاهب الباطلة، وعقولهم من الآراء والأيديولوجيات الفاسدة.

وهذا الشرط مستفاد أيضاً من أحاديث أخرى واردة عن المعصومين

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٤٠/٤٥.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ١/٣٤/ح ١، - بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٣٨٠/٧٢.

(٣) مفاتيح الجنان: ٦٢٣.

(عَلَيْهِ السَّلَامُ) منها:

١- قول الإمام موسى بن جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في حديث (إن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها)^(١).

أقول: فتشبيه الفقهاء بالحصون يفيد هذا المعنى بوضوح، والدين لا يختص بالعبادات المعروفة وإنما يشمل أحكامه العامة وسياسة أمور المجتمع بما يكفل العدالة الاجتماعية ويحفظ ثوابته الأخلاقية.

٢- وقول الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (الفقهاء امناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا)^(٢).

أقول: كون الفقهاء امناء الرسل أي انهم يؤتمنون على اداء رسالة الأنبياء والقيام بوظائفهم وهي لا تختص بتبليغ الأحكام عن الله تعالى وبيانها للناس بل السعي لإقامة العدالة الاجتماعية قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥) وما يتطلبه من الوقوف في وجه الظلم والانحراف والفساد واستعادة كرامة الإنسان وحرية التي صادرها الطغاة والمستبدون.

٣- رواية تحف العقول عن الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وقيل أنه مروى عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وفيها: (ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الامناء على حلاله وحرامه)^(٣).

(١) الكافي: ١/ كتاب فضل العلم/ باب فقه العلماء/ ح ٢.

(٢) نفس المصدر: ١/ ٤٦٦/ ح ٥.

(٣) تحف العقول: ١٧٠ ط، مؤسسة الأعلمي.

أحببت إلفات النظر الى هذه المسؤولية العظيمة الملقاة على عاتق الحوزات العلمية بل عموم المؤمنين بحسب مواقعهم وإمكانياتهم اذ يقول الإمام الحسين (عليه السلام) في نهاية خطبته الأنفة: (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويُعمل بفرائضك وسننك وأحكامك - ثم يخاطب عموم الناس بقوله - فإنكم إن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير)^(١).

وكان للإمام السجاد (عليه السلام) دعاء يدعوا به كل صباح ومساء يتضمن طلب التوفيق لحيطة الإسلام أي ان نحيط به ونكون له سوراً حافظاً وحصناً واقياً، قال (عليه السلام): (اللهم صلِّ على محمد وآله، ووفقنا في يومنا هذا وليتنا هذه وفي جميع أيامنا وليالينا: لاستعمال الخير، وهجران الشر، وشكر النعم، واتباع السنن، ومجانبة البدع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحيطة الإسلام، وانتقاص الباطل وإذلاله، ونصرة الحق واعزازه، وارشاد الضال ومعاونة الضعيف)^(٢).

(١) تحف العقول: ٢٣٩.

(٢) الصحيفة السجادية: ٢٦ الدعاء السادس.

خطاب المرحلة

(٦٧٤)

﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (طه: ٧٦)

مبدأ استراتيجي في الحياة^(١)

إنها ليست مجرد كلمات قالها السحرة في وجه فرعون الطاغية بل هو موقف لهم في قمة الشموخ والاباء والثبات وصلابة الإيمان غير مبالين بتهديداته المرعبة ﴿فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبِنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (طه: ٧١) ولا بوعوده المغرية التي مناهم بها إن هم انتصروا على موسى وأبطلوا حجته (ﷺ) ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الأعراف: ١١٣-١١٤)، ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِن لَّنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الشعراء: ٤١-٤٢)، فأجابوا وعده ووعيده بموقف ملؤه الإيمان ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ (طه: ٧٢)، وأن من المحال أن نقدّم طاعتك وعبوديتك على طاعة الله تعالى وعبوديته، فقد رسخت المعرفة في قلوبهم عندما رأوا عصا موسى (ﷺ) تتحول إلى ثعبان يلقف سحرهم ويبطل إفكهم

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (رحمته) على طلبة البحث الخارج بمناسبة ذكرى مولد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم ٢٠ جمادى الثاني / ١٤٤٣ هـ - الموافق

وخداهم الذي جعله فرعون وسيلة لتطويع الشعب واستعباده، فقالوا لفرعون بكل ثبات: لا يمكن ان نتخلى عن هذه الآيات الافاقية من خلال الحجج البينة القوية التي أقامها موسى (عليه السلام)، والأنفسية بانبلاج نور الفطرة الذي اضاء قلوبنا ونفوسنا وأوقده موسى (عليه السلام) بكلماته النورانية ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَلْكُم لَأ تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ (طه: ٦١)، وايقظنا من غفلتنا بهيبته وعزة الله التي بها أولياؤه يعتزون والتأييد الذي تعهد به الله تعالى لموسى وأخيه (عليهما السلام) ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: ٤٦)، فأى تأييد ونصرة أعظم من ان يكون خالق السموات والأرض القوي العزيز حاضراً معهما يسمع كل ما يقال لهما ويرى كل ما يجري عليهما؟ فما قيمة مخلوق بائس ضعيف كفرعون بإزاء هذا؟ مما جعل فرعون الطاغية وشياطينه يتنازلون عن جبروتهم ويقبلون تحدي موسى (عليه السلام) ﴿فَأَجْعَلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ (طه: ٥٨)، ويجمعون كل امكانياتهم لمواجهة ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ (طه: ٦٤)، وهو الذي وصف موسى (عليه السلام) في لقائه السابق ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف: ٥٢).

واستمر السحرة في خطابهم لفرعون بعد أن ذاقوا حلاوة الإيمان ولذة الانتصار على النفس والشيطان واتصلت أرواحهم بالملاء الأعلى فظهرت من أغلال الجبن والطمع والعبودية والذل وتزينت بالتوحيد وبمكارم الشجاعة والمعرفة والتضحية وحب الله تعالى، وحينئذ قالوا: فكيف تريد منا أن نترك كل ذلك ونستمر على طاعتك وعبادتك ومن أجل ماذا؟ متع زائفة زائلة.

وأقسموا على ذلك بالذي فطرهم ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ ويمكن أن تكون الواو عاطفة وليست للقسم، والعطف يمكن أن يكون على مدخول على فيصير المعنى (لن نؤترك على الذي فطرنا) وهو الله تعالى، أو يكون العطف على البيئات، أي بعد ان جاءتنا البيئات من موسى (عَلَيْهِ السَّلَام) مضافاً إلى نداء الفطرة الذي استيقظ فينا وهو يدعوننا إلى التوحيد والإيمان بالخالق القادر العظيم، ولعلمهم أرادوا بضمير الجمع في ﴿فَطَرَنَا﴾ ما يشمل فرعون نفسه بأنك أنت أيضاً لو رجعت إلى فطرتك لوجدتها تدعو بوضوح إلى التوحيد، وعليك الاستجابة لهذا النداء.

واستخفوا بتهديداته ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٥٠) .
ثم اطلقوا هذه الكلمة البليغة الحكيمة العميقة والحجة البالغة المملوءة بالمعرفة الشامخة ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ أي فاحكم بما شئت من وعيد وتهديد فان غاية جبروتك وطغيانك هي هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ثم تنتقل جميعاً إلى الله تبارك وتعالى وهو الذي يفصل بين الخصوم ويكافئ المحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على إساءته وهي حياة خالدة ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤) وستكتشف حينئذٍ يا فرعون بؤس الصفقة حيث ضيقت الآخرة الباقية من أجل لذة فانية ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨) وأردفوا كلمتهم بقولهم: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ٧٣) مما تدعوننا إليه من زخارف الدنيا التي كان فرعون قد أستعبدهم بها.

هذه هي الحقيقة التي تثبت قلوبهم في ذلك الموقف العصيب المنزل

حيث يقف فرعون بجبروته وقدراته الهائلة وجيوشه الضخمة وهو يزمجر ويلقي التهديدات ثأراً لكرامته الجريحة، وامام الحشد العظيم من الناس المغلوبين على أمرهم حيث سبق الحدث تحشيد اعلامي ضخم وجمعوا السحرة والناس من كل أنحاء البلاد، وحُدِّدَ للتحدي يوم اجتماع عام للناس وفي ساعة الذروة عند الضحى ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (طه: ٥٩).

وفي ذلك الموقف العصيب المهول يخرون لله تعالى ساجدين تلقائياً ﴿فَأَلْقَى﴾ وملاًهم الإيمان والتسليم للنداء الإلهي وأصبح هو الذي يحركهم وكأنه من دون إرادتهم ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه: ٧٠) وكانهم أرادوا بالسجود أن يظهرُوا انقيادهم التام لله تعالى وسط ذلك الجمع الهائل ويتوجهون إلى الله تعالى بكل خشوع ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه: ٧٣)، ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبِّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٥١)، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٦).

إن هذه الانعطافة الكبيرة في حال السحرة تشبه المعجزة بل هي معجزة حقاً، فكيف ارتقوا في لحظة من سحرة مشعوذين ماكرين يخدعون الناس عبيد لفرعون الطاغية ويتخذونه إلهاً ﴿فَأَلْقُوا جِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (الشعراء: ٤٤)، طمعاً في فتات موائده، إلى هذه القمة السامقة في الإيمان الراسخ المتجذر في قلوبهم بحيث يستقبلون بهدوء وسرور الحكم القاسي بالقتل والصلب والتقطيع ويتخلون عن الامتيازات

العظيمة التي وعدهم بها.

وهذه الحادثة العجيبة التي كرّر القرآن الكريم ذكرها في عدة مواضع تزرع أملاً واسعاً في قلوب طالبي الكمال والعاصين على حدٍ سواء بإمكان الارتقاء وتحصيل المقامات الرفيعة في لحظة، وعدم اليأس من فضل الله تبارك وتعالى، كما أرتقى الحر الرياحي في لحظة من انحطاط التبعية المهينة لابن زياد إلى الخلود في الشهادة مع الإمام الحسين (عليه السلام)^(١).

ونستلهم من هذه الآية الكريمة أيضاً مبدءاً أساسياً أو استراتيجياً كما يقال بأن نجعل كلمتهم النورانية هذه التي حكاها القرآن بنظمه البديع نبزاً في حياتنا لتثيت قلوبنا على الحق وتهذيب نفوسنا امام وسائل الاغراء والتهديد التي يتعرض له المؤمنون للتنازل عن مبادئهم وثوابتهم الدينية والأخلاقية، بأن غاية تأثير هذه الأمور في نفعها وضررها هي هذه الدنيا الفانية فالصبر عليها هين بتأييد الله تعالى، من وصية الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) لهشام بن الحكم (يا هشام اصبر على طاعة الله، واصبر عن معاصي الله، فإنما الدنيا ساعة)^(٢)، ومن كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) (الشجاعة صبر ساعة)^(٣)، وشجاعة الموقف قد تكون تجاه النفس الأمّارة بالسوء أو الشيطان أو سائر الأعداء من شياطين الانس والجن.

وهذا المبدء القرآني كان واضحاً في سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) تجاه حلال

(١) أنظر: الإرشاد - الشيخ المفيد: ٩٩/٢.

(٢) بحار الأنوار: ٣١١/٧٥.

(٣) ميزان الحكمة: الحديث ٩١٥٧.

الدنيا الزائد عن الحاجة فضلاً عن حرامها ونحو ذلك، روى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أخبرني حبيبي رسول الله (ﷺ) أن جبرئيل (عليه السلام) نزل إليه ومعه مفاتيح كنوز الأرض وقال: يا جبرئيل وما يكون بعد ذلك؟ قال: الموت، فقال: إذا لا حاجة لي في الدنيا، دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً، فالיום الذي أجوع فيه أتضرع الى ربي وأسأله، واليوم الذي أشبع فيه أشكر ربي وأحمده، فقال له جبرئيل: وفقت لكل خير يا محمد)^(١).

هذا الموقف منه (ﷺ) لمعرفته بحقارة الدنيا وهوانها وعدم استحقاتها للالتفات اليها مهما عظم المعروض منها ولو كان من حلال ولو كان من دون ان ينقص من قدره عند الله تعالى شيء.

وكذلك كان هذا المبدأ القرآني حاضراً في حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) وحفلت به كلماته (عليه السلام) فمن خطبة له (عليه السلام) قال بعد أن ذكر حادثة أخيه عقيل عندما طلب منه زيادة على عطاءه (وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ^(٢) طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ^(٣) فِي وَعَائِهَا وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتَهَا^(٤) كَأَنَّمَا عَجِنَتْ بِرَيْقِ حِيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا^(٥) فَقُلْتُ أَصِلَةٌ^(٦) أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَقَالَ لَا ذَا وَلَا

(١) بحار الانوار: ٤٢/٢٧٦.

(٢) قيل الطارق من يأتي ليلاً.

(٣) نوع من الحلواء.

(٤) أي أبغضتها.

(٥) الريق: اللعاب، والقيء: الرجيع.

(٦) الصلة: العطية كالرشوة.

ذَٰكَ وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ فَقُلْتُ هِبَّتِكَ^(١) أَلْهَبُولُ أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَيْتَنِي لِتُخْدَعَنِي أَمْخَيْطُ^(٢) أَنْتَ أُمُّ ذُو حِنَّةٍ^(٣) أَمْ تَهْجُرُ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا عَلَيَّ أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمَلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ وَإِنَّ ذُنْيَاكُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمٍ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا مَا لِعَلِّي وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَكَذَّةٍ لَا تَبْقَى نَعُودٌ بِاللَّهِ مِنْ سَبَاتِ الْعَقْلِ وَقُبْحِ الزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ^(٤).

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف يشير فيه إلى فذك وهي الأرض الزراعية الشاسعة التي وهبها رسول الله (ﷺ) إلى ابنته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بأمر الله تعالى ثم غضبها أصحاب السقيفة قال فيه: (بلى! كانت في أيدينا فذك من كل ما أظلمت السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بفذك وغير فذك، والنفس مظانها في غد جدت، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها)^(٥).

فليكن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ مبدأ ثابتاً واستراتيجياً في حياتنا عندما نتعرض لمغريات الدنيا أو تمارس علينا أنواع من الضغوط، فإن هذا المبدأ من القواعد الأساسية التي تستندون إليها في بناء مستقبلكم المعنوي وحياة الاستقامة التي يريد الله تبارك وتعالى.

(١) أي ثكلتك.

(٢) وهو المصروع وفاقد التوازن.

(٣) أي المجنون.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة/٢٢٤.

(٥) نهج البلاغة، باب المختار من كتبه (عليه السلام)، رقم: ٤٥.

ولنتأسَّ برسول الله (ﷺ) وليكن شعارنا (ثم ماذا؟ اليس هو الموت وفناء الدنيا وثوراتها) اذن لا قيمة لها، وكذا لتتخذ من قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما لعلي ولنعيم يفنى)، وقوله (عليه السلام): (وما أصنع بفدك وغير فدك)، بوصلة لحياتنا ومنظراً نرى من خلاله الدنيا ولا أقل من العمل بهذا الشعار عندما تعرض لنا معصية والعياذ بالله لان ننتيجتها النار.

فلا تغرّنا نحن الحوزة العلمية عناوين برّاقة أو ألقاب علمية أو مواقع مرموقة أو جاه وامتيازات فنخالف أوامر الله تعالى ونرتكب نواهيه في تنافس غير شريف، وهكذا كل إنسان في موقعه، فعندما تميل النفس الى شهوة ونزوة بغير ما أحلَّ الله تعالى كالذي يحصل في أروقة الجامعات او الدوائر الرسمية فليخاطب الشخص نفسه وليقل لها: ثم ماذا؟ وكيف ستكون النتيجة لو انساق وراء الشهوة والنزوة واذا دعاه غضبه أو أنانيته أو حسده أو حقه لظلم أحد فليكبح جماحه بسؤال ثم ماذا؟ واذا خدعه موقعه ومنصبه ووظيفته ليتمد يده على المال الحرام أو التجاوز على الحق العام أو الخاص فليتذكر ماذا بعد ذلك: انه الموت.

وبتعبير آخر: أنه عليك ان تحسب النتائج قبل الاقدام على الفعل، فان كانت العاقبة سيئة أو أن الحاصل لا يستحق تبعة هذا الفعل فلا تقدم عليه، لان النتيجة المؤلمة اذا حصلت فان الندامة والتأسف لا ينفعان في إزالتها فتذهب لذة الفعل وما كان يرجو منه وتبقى تبعته وشقاؤه والله المستعان ونسأله تعالى العفة والسداد والورع والاجتهاد في طاعته إنه نعم المولى ونعم النصير.

خطاب المرحلة

(٦٧٥)

منتدى شاعرات أهل البيت (عليه السلام)

الشهيدة بنت الهدى (رضوان الله تعالى عليها) نموذجاً

افتتح منتدى القلم الفاطمي لشاعرات أهل البيت (عليه السلام) أول فعالياته بعد تأسيسه قبيل الزيارة الفاطمية الأخيرة بمهرجان^(١) شعري بمناسبة ذكرى انتفاضة ١٧/ رجب / ١٣٩٩ هـ - الموافق ١٢/٦/١٩٧٩م التي فجرتها الشهيدة بنت الهدى (رضوان الله تعالى عليها) اثر اعتقال أخيها المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس) من قبل جلاوزة البعث فتوجهت العلوية الطاهرة إلى حرم جدّها أمير المؤمنين (عليه السلام) عند الصباح الباكر وشكت إليه ما لحق بها وبأخيها من ظلم واعتداء من دون مراعاة لمقامه السامي ثم استنهضت المؤمنين المتواجدين في الحرم الشريف للخروج بتظاهرات عارمة للتنديد بالجريمة والمطالبة بالإفراج عنه ولبت النداء اعداد كبيرة من الحوزة العلمية والمؤمنين الرساليين في النجف الاشرف وعدة مدن عراقية أخرى فاضطر النظام المقبور للإفراج عن المرجع الشهيد^(٢).

وقد تضمن برنامج المهرجان لقاء كلمتين للفاضلتين: د- شميم أحمد

(١) أقيم المهرجان يوم الجمعة ١٦/ رجب / ١٤٤٣ هـ - الموافق ٢٠٢٢/٢/١٨م، على قاعة حسينية الإمام الرضا (عليه السلام) التي شيدها المرجع الراحل السيد محمود الهاشمي الشاهرودي (قدس) أبرز تلامذة المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس) وقد ترينت القاعة بصورتيهما.

(٢) تجد تفاصيل الحادثة في موسوعة (محمد باقر الصدر: السيرة والمسيرة: ١٤٩/٤)

السعود والعلوية ابتسام الخطيب (أم محمد الموسوي) وهُنَّ ممن عاصرن تلك الأحداث وشاركن فيها فتحدثتا عن خواطر وذكريات مع الشهيدة بنت الهدى تفاعلت معها الحاضرات وتَفَجَّرت فيهن مشاعر الحزن والغضب من أفعال اللئام، ثم أَلقت مجموعة من الشاعرات قصائد بالمناسبة.

وحضر سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) إلى قاعة الاحتفال بعد الانتهاء من تلك المشاركات وأثنى على انطلاق هذا المنتدى من قبل الأخوات الفاضلات ليثبتن ان المرأة ليست فقط قادرة على إنجاب الأطفال بل ولادة المشاريع الحضارية الرائدة التي تحيي الأمة وتوقظها من غفلتها، وبَيَّن سماحة المرجع (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أهمية المشروع من عدة جهات:

١- أنه خطوة على طريق مأسسة العمل الديني وتحويل العمل الفردي الى جماعي منظم وهو ما كان يدعو إليه السيد الشهيد الصدر (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ضمن مشروع (المرجعية الصالحة)، فإنه أكثر عطاءً وأدوم وأحفظ للإنجازات حيث يبدأ اللاحق من حيث انتهى السابق، وليس بأن تندثر أعمال السابق بموته ويبدأ اللاحق التأسيس من جديد كما هي الطريقة التقليدية، ولكنه (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) لم يستطع إخراج مشروعه على أرض الواقع لقصر عمر مرجعيته ولقسوة النظام البعثي الجائر الذي يحارب كل تجمع وتنظيم ولو كان بسيطاً ويعتبره استهدافاً لوجوده، اما اليوم فالأبواب مفتوحة على مصراعيها والدعم المادي والمعنوي موجود بفضل الله تعالى، ويمكن التفكير بحرية بكل مشروع نافع وتجسيده على أرض الواقع بفضل الله تعالى.

٢- إن هدفه صالح وسامي وعظيم وهو إبراز معالم الإسلام المحمدي

الأصيل الذي تكفل أهل البيت (عليهم السلام) بيانه للأمة وضحوًا من أجله بأرواحهم وأعز ما يملكون، وتعريف الأمة بفضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومظلوميتهم وأحقيتهم في قيادة الأمة، وصلاح الغرض والقصد هو الذي يعطي للعمل قيمته، فالشهيد نال شرف المنزلة من هذه النية الصالحة وليس لذات القتل، فان القتلى كثيرون لكن الذين حظوا برضوان الله تعالى قليلون، فالإمام الحسين (عليه السلام) قُتِل وأعداؤه قُتِلوا أيضاً كابن زياد وعمر بن سعد وشمر وحرملة وإنما بلغ الإمام الحسين (عليه السلام) منزلته بسمو الهدف وسمو الذات والعمل، وهكذا السيدان الشهيدان الصدران (قدس الله سرهما) قُتِلا، وقُتِل قاتلهما صدام المقبور أيضاً وإنما افترقا بالهدف الذي سعيًا من أجله.

٣- اتخاذ الشعر وسيلة واداة لإيصال الرسالة السامية إلى الأمة، والشعر يؤثر في الجماهير ويحركها وإنما سمي الشعر شعراً لأنه ينطلق من الشعور الوجداني ويخاطب المشاعر وفيه معاني دقيقة كدقة الشعر، وقد التفتت الشهيدة بنت الهدى (رضوان الله تعالى عليها) إلى أهمية الشعر في مخاطبة وجدان الأمة وإيقاظ ضميرها فنظمت المقاطع التي تشدو بحب الله تعالى، والانتماء إلى الإسلام والافتخار بالهوية الإسلامية، وتعزيز الثقة بالأمة وقدراتها الهائلة على تحقيق النصر واستعادة كرامتها وعزتها وقيادة مشروع حضاري عالمي، وان غير الإسلام من مشاريع وايدولوجيات فقاعات وسراب زائل وكان شعرها خالياً من التكلف والمفردات الغريبة واضح المعاني ذا إيقاع مؤثر يتحول إلى أناشيد يشدو بها العاملون الرساليون، وهذا ما نحتاج إلى احيائه وإلفات نظر الأمة إليه وتعزيز الهوية الإسلامية والانتماء للمشروع الإلهي

العظيم بعد أن ذابت هذه الهوية في الانتماءات الفرعية للعشائر والمناطق والأحزاب والأشخاص والنوادي الرياضية وغيرها وتحول الانتماء الفرعي إلى تعصب وتقاطع مع الآخر وهو أخ له في الدين فلا يحركهم انتهاك حرمان الله تعالى والتجاوز على مقدساته لكنهم ينتفضون غيرة لحزبهم أو زعيمهم اذا تعرض لنقد، لذا ندعو الادباء من الرجال والنساء أن يساهموا في هذه الحركة ولا يبخلوا على الأمة بما تجود به قرائحهم.

ومن نظمها في ذلك:

غداً لنا لا لمبادي العدى	ولا لأفكارهم القاحلة
غداً لنا تزهري أفقه	أمجادنا وشمسهم زائلة
غداً لنا إذا تركنا الونى	ولم تعد أرواحنا خاملة
غداً لنا إذا عقدنا اللواء	لدينا في اللحظة الفاصلة
لا وهن، لا تشيت، لا فرقة	نصبح مثل الحلقة الكاملة
إذ ذاك لا نهرب كل الدنا	ولا نبالي نكبة نازلة
غداً لنا وما أحيلى غد	كل الأماني في غد ماثلة
إذ ينتشر دستور اسلامنا	تهدي الورى أفكاره الفاضلة ^(١)
وقالت (رفع الله مقامها):	
غداً لنا مهما ادعى ملحد	وار تجلت مبادئ وافده
غداً لنا إذا صمدنا ولم	نضعف أمام العصبة الجاحدة

(١) المجموعة القصصية الكاملة لبنت الهدى: ٥٤٢.

فالله قد واعدنا نصره
سترفع راية إسلامنا
وينتصر دستور قرآننا
ومن نظمها أيضاً:

إسلامنا أنت الحبيب
ولأجل دعوتك العزيزة
لم يعمل شيء فوق اسمك
وتطبق الدنيا مبادئك
وسينصر الرحمن جنود
وأظل باسمك دائماً

والحق لا يخلف من واعدته^(١)
نحو العلى خفاقة صاعدة
رغم أنوف الزمرة الحاقدة^(٢)
وكل صعب فيك سهل
علقم الأيام يحلوا
في الدنيا، فالحق يعلو
العزيزة وهي عدل
الحق ما ساروا وحلوا
أشدوا فلا ألهو وأسلوا^(٣)

ومضت بإصرار وعزم على هذا الطريق وهي تعلم أنها طريق ذات
الشوكة وتتطلب تضحيات غالية لكن الهدف وهو الله تعالى يستحق كل ذلك
فقال في قصيدة بعنوان (لن اثني):

قسماً وان ملئ الطريق
قسماً وان جهد الزمان
أو حاول الدهر الخؤون
وتفاعلت شتى الظروف

بما يعيق السير قدما
كي يثبط في عزمنا
بأن يريش إلي سهما
تكيل آلاماً وهما

(١) المجموعة القصصية الكاملة لبنت الهدى: ٥٤٦.

(٢) المجموعة القصصية الكاملة لبنت الهدى: ٥٤٨.

(٣) المجموعة القصصية الكاملة لبنت الهدى: ٤٤٤-٤٤٥.

فترا كمت سحب الهموم
لن اثني عمّا أروم
كلا، ولن أدع الجهاد
وقالت في ذلك:

أنا كنت اعلم إن درب
خال من الريحان ينشر
لكنني أقدمت أقفو السير
فلطالما كان المجاهد
ولطالما نصر الإله
فالحق يخلد في الوجود
سأظل أشدو باسم إسلامي

الحق بالأشواك حافل
عطره بين الجداول
في خطو الأوائل
مفرداً بين الجحافل
جنوده وهم القلائل
وكل ما يعدوه زائل
وأنكر كل باطل

٤- إن المشروع ينطلق من النساء، والمرأة حجر الأساس في عملية إصلاح الأمة إن صلحت وفسادها إن فسدت والعياذ بالله تعالى، ومن الشواهد على هذه الأهمية ان الله تبارك وتعالى ضرب مثلاً صالحاً وقدوة للمؤمنين جميعاً من الرجال والنساء امرأة فرعون ومريم ابنة عمران، كما ضرب مثلاً وقدوة سيئة للكافرين من النساء أيضاً، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ

وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرِّمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَذِكْرُ الْيَاقُوتِ الْكَافُرِ (التحرير: ٩-١٢).

وقد التفت الشياطين وارباب الفساد والانحراف إلى هذا الدور فجعلوا المرأة رأس الحربة في مشاريعهم الافسادية، وقطع النظام البعثي المقبور أشواطاً واسعة في هذا المجال ويتذكر الذين عاشوا تلك الفترة خصوصاً في سبعينات القرن الماضي أساليبه في ذلك ومحاربتة للحجاب والعفة والتضييق على المحجبات وتهديدهن خصوصاً في الجامعات والمدارس والمؤسسات الحكومية وأسس اتحاداً عاماً للنساء لإدارة هذه العملية.

فانبرت الشهيدة بنت الهدى لتوعية النساء بخطر هذه الهجمة الشرسة وتعريفهن بعزة الحجاب وكرامته ورد الشبهات التي كانت تقال عن الالتزام الديني بأنه تخلف ورجعية وتضييق للحريات وقهر وحرمان ونحو ذلك فكانت تؤكد ان الحجاب لا يتنافى مع طلب العلم ونيل المعالي بل يجعل حياة المرأة هادفة متزنة بعيدة عن العيبية واتباع الشهوات المدمرة للمجتمع، وقد نجحت (رضوان الله تعالى عليها) في صياغة أفكارها على شكل روايات هادفة كانت تلقى رواجاً وتقبلاً وتأثيراً وقد جُمِعت رواياتها وطُبعت في مجلد بعنوان (المجموعة القصصية الكاملة للشهيدة بنت الهدى)، ونستثمر هذه الفرصة لتوجيه الدعوة إلى تفعيل دور الرواية الهادفة الملتزمة وتوظيفها لتحقيق هذه الأهداف النبيلة وضم الطاقات المبدعة في هذا المجال في منتدى للرواية الإسلامية.

كما نظمت الشهيدة المقاطع الشعرية لترسيخ هذه المفاهيم ومن ذلك

قولها:

بيد العفاف أصون عز حجابي وبفكرة وقادة وقريحة
وبعصمتي أسمو على أترابي ما عاقني خجلي عن العليا ولا
نقادة قد كملت آدابي سدل الخمار بلمتي ونقابي^(١)

وقولها:

إلى المجد يا فتيات الهدى لنحيي ماثرنا الخالدات
ونمضي سوياً إلى غاية لأجل لقاءها تهون الحياة
ونكتب تأريخنا.. ناصعاً مُضيئاً بأعمالنا الباهرات
فإما مقام العلى نرتقيه وإما قبوراً تضم الرفاة
وقالت في شحذ همم النساء للعمل الإسلامي المبارك طاعة لله تعالى
ورسوله (ﷺ)

اختاه هيا للجهاد وللفدا وإلى نداء الحق في وقت النداء
هيا اجهري في صرخة جبارة أنا بنات محمد لن نقعدا
انا بنات رسالة قدسية حملت لنا عزاً تليداً أصيدا^(٢)

فسلام الله على الشهيد السعيد المرجع السيد محمد باقر الصدر وعلى
الشهيدة بنت الهدى وعلى جميع شهداء الإسلام ورفع الله تعالى مقامهم في
مقعد صدق عند مليك مقتدر.

(١) المجموعة القصصية الكاملة لبنت الهدى: ٥٣٨.

(٢) المجموعة القصصية الكاملة لبنت الهدى: ٥٥٣.

خطاب المرحلة

(٦٧٦)

بسمه تعالى

تأبين العالم والمفكر الإسلامي الكيني الشيخ عبد الله ناصر

نعزي العالم الإسلامي جميعاً وخصوص الدعوة المخلصين الذين يبلغون رسالات الله تبارك وتعالى بلا خوف أو طمع على نهج الأنبياء والأئمة العظام (عليهم السلام) برحيل العالم الواعي والمفكر والقائد والمربي الكيني المرحوم الشيخ عبد الله ناصر^(١).

قضى الفقيه الراحل عقوداً من الزمن في الدعوة الى الله تعالى والإسلام المحمدي الأصيل من خلال المحاضرات والندوات والمنشورات والمؤلفات الكثيرة، والحضور الفاعل في ساحات العمل الرسالي الواعي حتى أصبح رمزاً إسلامياً على مستوى دولي وبذل جهوداً جبارة فيما يتعلق بترجمة القرآن الكريم وتفسيره الى اللغة المحلية (السواحلية)، ولنشر الثقافة والوعي فقد أسس مكتبة عامة مجانية في (مومباسا).

لقد كان صادقاً مخلصاً في عمله متحرراً من قيود التعصب فهداه الله تبارك وتعالى الى ولاية أهل البيت (عليهم السلام) حيث أعلن تشييعه بعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران عام ١٩٧٩م.

(١) ولد عام ١٩٣٢م في كينيا وتلقى تعليمه وهو في الرابعة من عمره وتخرج معلماً من كلية تدريب المعلمين في زنجبار عام ١٩٥١م، عمل في التدريس والاعلام سنين طويلة، رحل الى جوار ربه ٢٠٢٢/١/١١م.

ولعله نال هذا التكريم الالهي ببركة موقفٍ مبدئي اتخذته حينما دعي لتسلم جائزة (أفضل داعية اسلامي) في العام ١٤٠٠ هجرية وكانت قيمتها كبيرة جداً^(١)، وقد اشترطت عليه الدولة الإسلامية المانحة ان يتحدث ضد الشيعة في خطبة الجمعة في المسجد الجامع في العاصمة (نايروبي) لكنه رفض الشرط وتحدث بالعكس مدافعاً عن الشيعة رغم علمه بأن ذلك سيحرمه من الجائزة الثمينة، لكن نظره كان الى ما عند الله تبارك وتعالى ورسوله الكريم (ﷺ) وأمير المؤمنين (عليه السلام) فكافئه الله تعالى ان هداه الى ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ورفع شأنه ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى: ١٧).

ألف كتباً عدة مثل: (الشيعة والصحابة)، (الشيعة والقرآن)، (الشيعة والتاريخ)، وترجم بعض التفاسير والكتب الفقهية، وكان له دور بارز في ترجمة خطابات قائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني (أعلى الله مقامه) الى الإنجليزية والسواحلية قبل انتصار الثورة عندما كان في باريس حيث كان حلقة الوصل بين السيد الإمام ورفيقه المترجم (حفظه الله تعالى وايداه).

لقد دافع عن قضايا أمته وسعى في تحرير وطنه من الاستعمار منذ عام ١٩٥٧م وكان عضواً في المجلس التشريعي في كينيا، وحضر المؤتمر الدستوري الكيني التاريخي الذي عقد في لندن عام ١٩٦٣م حتى نال بلده الاستقلال.

فأفاض الله تعالى عليه شآبيب رحمته وانزل عليه بركاته والحقه بأوليائه الطاهرين، وعوضنا برجال يقومون مقامه ويمثلون فراغه في قارة أفريقيا الطيبة

(١) تزيد على ١٢٥ الف دولار.

الحبيبة وفي كل أرجاء العالم، ففي الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الإسلام ثلثة لا يسدها شيء) (١) إلا عالم مثله.

ويحق لأهله وذويه ومحبيه ان يفخروا به، وان في تاريخه وأعماله المباركة خير عزاء وسلوة لهم ولنا جميعاً، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

محمد اليعقوبي - النجف الأشرف

٨/جمادى الثانية/١٤٤٣هـ

٢٠٢٢/١/١٢م

(١) اصول الكافي - الشيخ الكليني: ١/ كتاب فضل العلم / باب فقه العلماء / ح ٢.

خطاب المرحلة

(٦٧٧)

بسمه تعالى

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ (القصص: ٢٥)

العفة والحياء يرفعان قيمة المرأة^(١)

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٢٢-٢٥) يقع هذا المقطع ضمن مجموعة من الآيات تتحدث عن فصل من فصول حياة النبي موسى كليم الله (صلوات الله وسلامه عليه) عندما هرب من مصر خائفاً يترقب عندما أن علم بأن فرعون وزبانيته يبحثون عنه لقتله بعد أن ذاع خبر قتله للقبطي المعتدي على مظلوم من بني إسرائيل فتوجه إلى مدين التي تقع قرب رأس خليج العقبة فراراً من ظلم

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) لدى استقباله مجموعة الباحثات القرآنيات التابعة لمجمع المبلغات الرساليات في ختام المرحلة الثانية بإشراف سماحة السيد عبدالسلام زين العابدين يوم الجمعة ٢٢/شعبان/١٤٤٣هـ- الموافق ٢٥/٣/٢٠٢٢م.

فرعون لأنها كانت خارج سلطة الفراعنة.

وبعد مسيرة شاقة لعدة أيام بلا زاد ولا راحلة ولا دليل يرشده إلى الطريق مع الخوف والحذر من ملاحقة جنود فرعون الطاغية وصل (ﷺ) إلى مدين وجلس يستريح عند بئر ماء كان الناس يستخرجون منه لسقاية أغنامهم ولحملة إلى دورهم، ولفت انتباهه وجود امرأتين تنحّتا جانباً ويمنعان غنمهما من ورود الماء لكيلا يختلطا بالرجال الأجانب، فسألتهما عن سبب عدم تقدمهما لاستقاء الماء وقال: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ولم يُزد على ذلك في التكلم مع الأجنبية، والخطب يقال للأمر العظيم، وهذا يعني أنه استعظم في نفسه وهو الغيور الرحيم الحنون خروج المرأتين للسقي وعدم مساعدة الناس لهما خلافاً لما تقتضيه المبادئ الإنسانية من تكريم المرأة فقالتا: ان طريقتنا عدم مزاحمة الرجال على الماء فننتظر حتى ينتهوا من استخراج الماء وسقي أغنامهم، وعلّلتا خروجهما بأنه ليس لنا من يقوم بهذا العمل وأبونا^(١) شيخ كبير لا يستطيع السقي وليس خروجنا لعين الماء تنزهاً أو عبثاً أو لملئ أوقات الفراغ، ولو لم يكن أبوهما - وهو النبي شعيب (ﷺ) - شيخاً كبيراً لما استنكف عن الخروج للعمل ورعي الأغنام ككثير من الأنبياء غيره.

فأعجب موسى (ﷺ) بعفاف المرأتين وثارت غيرته عليهما وغضب من هؤلاء الناس اللذين لا يساعدون الضعيف ولا يراعون الحرمات، فتقدّم نحو البئر وقام وحده باستخراج الماء فسقى أغنام المرأتين وزودهما بالماء

(١) ورد في رواية صحيحة عن البنزطي عن الإمام الرضا (ﷺ) أنه شعيب النبي (الكافي: ١٤/٥ ح ١) وتأييده الأجواء الصالحة في الأسرة فلا وجه لتردد بعض المفسرين في ذلك.

وذهبتا، وآوى (ﷺ) إلى الظل ليستريح من حرارة الشمس مما يكشف أن هذه الرحلة الشاقة كانت في فصل حار، كما آوى إلى الظل المعنوي وهو فضل الله تعالى وكرمه، ولم ينتظر من المرأتين ولا من غيرهما جزاءً ولا شكورا وإنما كان يعمل لوجه الله تعالى، ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: ٢٤)، وأجمل طلبه إلى الخير مطلقاً ولم يذكر حاجته مفصلاً، هل هو الطعام ليسد^(١) رمقه؟ أم العمل ليضمن رزقاً من حلال وحياة كريمة؟ أم زوجة سالحة ليسعد معها؟ أم مزيد من القوة والقدرة على مساعدة الناس ونصرة المستضعفين؟ أم بسطة في العلم والحكمة؟ لأنه يعلم ان ما يختاره الله تعالى له خير مما يختاره هو لنفسه لأن ربّه أرحم به وألطف وأشفق عليه من نفسه.

وما أسرع ما استجاب الله تبارك وتعالى حيث عادت إحدى البنيتين بسرعة - بقرينة استعمال الفاء وليس ثم - تدعوه للقاء أبيهما الشيخ ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ (القصص: ٢٥).

مما يعطينا درساً في المسارعة الى مجازاة المعروف والإحسان وإن تبرع به صاحبه.

وتصف الآية بشكل رائع عفاف المرأة إذ تمشي على استحياء وذكر بصيغة نكرة ليشعر بأنه أشدّ من الاستحياء المعروف لدى النساء بحسب ما

(١) كما في (نهج البلاغة: ٥٧/٢ / رقم الخطبة: ١٦٠) عن أمير المؤمنين (ﷺ) قال (والله ما سأله الا خبزاً يأكلها لأنه كان يأكل بقلة الأرض).

تقتضيه طهارتها وعفتها وتجنبها لمحادثة الرجال الأجانب كما تجنبت مزاحمتهم على الماء من قبل لكنها بنفس الوقت مشية المرأة القوية الواثقة بنفسها غير المضطربة ولا المتدلججة التي تغري الطرف الآخر بضعفها، وأوصلت دعوة أبيها وليس دعوتها فالنساء لا توجه الدعوة للرجال ولا العكس، وعبرت عنها ببيان واضح مختصر ليس فيه فضول ولا خضوع وابتذال وتغنج، وشعر موسى بصدقها وحسن استجابة الله تعالى له وهو غريب جائع منهك لا حول ولا قوة، وكان في نفسه اعتراض وتحفظ^(١) - كما يقال - على قولها ﴿لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ لأنه من كرام الخلق الذي لا يريدون من فعلهم الخير والأعمال الصالحة جزاءً ولا شكوراً وإنما يتغنون رضوان الله تعالى، والآية تخبر عن نبلة وشهامته اذ تقول: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ (القصص: ٢٤)، أي لم ينتظر منهما أي جزاء، لكنه عرف أن الشيخ الكبير رجل صالح فعلاً أبي أن يمر هذا العمل بدون مكافأة جزاء وإن تطوع به صاحبه لتشجيع المجتمع على فعل الإحسان، واستطاعت البنت أن تعطي صورة عن إخلاق والدها ووجدت في ذلك مبرراً لدعوة موسى (عليه السلام) إلى دارهم.

ولأجل التمسك بهذا الشاب القوي الغيور العفيف والأسرة بحاجة إلى

(١) روى في (الدر المنثور: ١٢٥/٥) انه لما دخل موسى (عليه السلام) على شعيب وكان على العشاء فقال له: كل، قال موسى (عليه السلام): أعوذ بالله، قال: ولم ألتس جائعاً؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وأنا من أهل بيت لا نبتغي شيئاً من عمل الآخرة بملئ الأرض ذهباً! قال: لا والله ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى (عليه السلام) وأكل.

مثله للقيام بمسؤولياتها ولأنه لا يمكن أن يبقى ضيفاً إلى الأبد اقترحت البنت على أبيها أن يستأجره، معللة بحكمة استفادتها من أبيها الصالح ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦) وعرفت قوته من إخراجه دلو الماء الكبير - أو رفع الصخرة كما في بعض الروايات - لوحده بينما يجتمع عدد من الرجال لإخراجه^(١)، وعرفت أمانته من تقدمه في المشي على البنت حينما اخذته إلى والدها ولم يمشيها ولا جعلها تتقدم عليه خشية أن تظهر الريح معالم جسمها^(٢).

وهاتان الصفتان أهم عناصر الإدارة الناجحة، فالقوي هو المتمكن من عمله الضابط له المحيط بتفاصيله بمهنية وحرقة ويمتلك الخبرة الكافية فيه، والأمين هو المخلص الذي يكون همه رضا الله تعالى وخدمة الناس وحفظ المصالح العامة، فعلى المتصددين لإدارة أمور الناس أن يتصفوا بهاتين الصفتين، وعلى الأمة أن تتحقق من وجودهما في من ينتخبونه للسلطة والإدارة في جميع مواقعها.

فعرض الأب الشيخ الكبير على موسى (عليه السلام) أن يزوجه إحدى ابنتيه والظاهر أنها المتحدثة وفي هذا درس للآباء أن لا يترددوا في عرض التزويج على الشاب المؤمن المهذب الذي يُكرّم المرأة، وجعل مهر زوجها أن يقوم

(١) في (نور الثقلين: ١٢٠/٤) عن تفسير القمي رواية عن الامام الباقر (عليه السلام) وفيها أن الدلو يرفعه عشرة رجال.

(٢) في المجمع عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ان موسى (عليه السلام) قال للمرأة: امشي خلفي فأنا أكره أن تصيب الريح ثيابك فنصف لي جسدك) وروى في كتاب كمال الدين وتمام النعمة قريباً منه، وفي رواية أخرى عن الامام الرضا (عليه السلام) (بحار الأنوار: ٤٤/١٣).

بمسؤوليات الأسرة ثمان سنين، فإن أتمها عشرًا فهو تبرع منه، ووافق موسى (عليه السلام) وهكذا وجد موسى (عليه السلام) بركة حركته البسيطة حينما ساعد المرأتين بما يصلح شاهداً للمثل الشعبي (الحركة بركة)، وتحققت له مطالبه بتوكله المطلق على الله تعالى فهو من أول خروجه كان يقول: ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وببركة العفاف والأمانة والغيرة على حرمان الله تعالى ونصرة المستضعفين -ولو بعمل بسيط كسقي دلو ماء- حيث وجد الأمان والطمأنينة ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٢٥)، والرزق المضمون (ثماني حجج) أي سنوات، مما يعني ان الحج كان شعيرة عالمية معروفة يومئذٍ، والسعادة والزوجة الصالحة ﴿أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ (القصص: ٢٧)، بعد أن كان غريباً مطاردًا خائفًا جائعًا وحيداً.

ووجدت البنت بركة عفافها وحيائها وحكمتها السعادة وراحة البال وزوجاً صالحاً وراعياً أميناً لأسرتها حيث عاشت في ظل رسول كريم من أولي العزم.

وكان في هذا التدبير الإلهي لموسى (عليه السلام) برعاية الأغنام تدريباً لموسى (عليه السلام) على سياسة الناس ورعايتهم والحرص عليهم ومداراتهم كما حصل للأنبيا الآخرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وهنا لطيفة قرآنية ينبغي الالتفات إليها وهي تأثير الاتصاف بالخصال الكريمة في سمو مكانة الإنسان وعلو مقامه وارتفاع قيمته، فإن هذه البنت اكتسبت بالعفة والحياء قيمة كبرى بحيث يكون مهرها أن يخدم النبي العظيم موسى (عليه السلام) كلیم الله أسرتها ثمان سنوات وهو تشریف عظیم بلا شك،

وهكذا تزداد منزلة الإنسان عند الله تعالى وعند الناس بمقدار ما يتحلى به من الصفات الكريمة والسلوك الحسن، وقد لخص أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الحقيقة بقوله: (قيمة كل امرئ ما يحسنه)^(١).

وقد أوضحنا في قيس سابق^(٢) ان العفة لا تقتصر على السلوك تجاه الجنس الآخر بل تعم كل سلوك الإنسان كعفة اللسان واليد والرجل والعين والبطن بل والقلب أيضاً.

وهذه الحقيقة لم يلتفت إليها الأديب المشهور أبو العلاء المعري حين وجه إشكالاً إلى الشريعة المقدسة بقوله:

يد بخمس مئين عسجد وُدَيْتِ ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض مالنا إلا السكوت له ونستعيز بمولانا من النار

أي ان الشارع المقدس فرض دية اليد اذا قطعت بجناية هي خمسمائة دينار ذهبي يدفعها الجاني، فلماذا جعل الشارع المقدس حكم القطع عليها اذا ارتكبت سرقة لربع دينار من الذهب وهل هذا الا تناقض؟ وكان الجواب:

عز الأمانة أغلاها، وأرخصها ذل الخيانة، فأفهم حكمة الباري^(٣)

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨١.

(٢) انظر: من نور القرآن: ٢٥٧/٣ قيس رقم ١٠٨.

(٣) في هامش (بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ٩/١٠٤)، نُسب الجواب الى السيد المرتضى (قده) عن عدة مصادر، وكذلك في (القواعد والفوائد للشهيد الأول: ١/١٤٢). - وفي كتب أخرى (مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للخطيب الشربيني: ٤٦٥/٥) ان القاضي عبد الوهاب المالكي رد على المعري بأبيات وذكر فيها هذا البيت، ولعله للسيد المرتضى وأضيف سهواً إلى أبيات المالكي لأنها جميعاً بنفس الوزن والقافية.

وتصرح الأحاديث الشريفة بعظمة صفتي العفة والحياء وأثرهما في سعادة الإنسان وصلاحه ونجاحه في الدنيا والآخرة، وتقرن أحاديث أخرى بينهما كقول النبي (ﷺ): (إن الله يحب الحيي المتعفف)^(١)، وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (على قدر الحياء تكون العفة)، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (العفة رأس كل خير)، وعنه (عليه السلام) قال: (بالعفاف تزكو الأعمال)، وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج)، وقد تناولنا الموضوع مفصلاً في كلمات سابقة وجعلنا يوماً باسم العفاف في ذكرى ميلاد العقيلة زينب (عليها السلام)^(٢).

وورد في الحياء مثل ذلك كقول رسول الله (ﷺ): (الحياء لا يأتي إلا بخير)^(٣)، وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (الحياء مفتاح كل خير)، ويوصي الإمام الصادق (عليه السلام) شيعته بقوله: (عليكم بالحياء، والتنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلكم)، ويوصي الإمام الكاظم (عليه السلام) قائلاً: (استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم)، بل عليه أن يستحي من نفسه وإن كان بعيداً عن الناس، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أحسن الحياء استحياءك من نفسك)، فقد يكون الانسان في خلوة من الناس ولا يفعل القبيح لأنه يستحي من نفسه ويُنزهها عن مثله.

ولأهمية هاتين الخصلتين الكريمتين بالنسبة للنساء فقد أعطى الله تبارك

(١) تجد هذه الأحاديث وغيرها في ميزان الحكمة للريشهري: ٧٢/٦-٧٤.

(٢) من نور القرآن: ٢٦٣/٣.

(٣) تجد هذه الأحاديث وغيرها في ميزان الحكمة للريشهري: ٥٠٩/٢.

وتعالى للنساء تأييداً إضافياً بهما، قال رسول الله (ﷺ): (الحياء عشرة أجزاء، فتسعة في النساء وواحد في الرجال)، وفي دعاء الإمام الحجة (عليه السلام) في زمن الغيبة الذي أوله (اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعّد المعصية)، ثم خصّ فيه كل شريحة بوظيفتها الرئيسية في زمن الغيبة كالعلماء والأمراء والأغنياء والفقراء وبما يصلحها بلسان الطلب من الله تعالى ان يتفضل عليهم بتلك الخصال إلى أن قال (عليه السلام) (وعلى النساء بالحياء والعفة)^(١).

نسأل الله تعالى ان يُحسِّنَ خُلُقنا بمحاسن الأخلاق كما حسَّن خُلُقنا وجعلنا في أحسن تقويم أنه ولي النعم.

خطاب المرحلة

(٦٢٨)

بسمه تعالى

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ (المائدة: ٦٤)

المسلمون وحرب الجيل الخامس... العراق انموذجاً^(١)

الآية من سورة المائدة التي تتكفل بشكل رئيسي بتنظيم الأمة الإسلامية من الداخل ورسم علاقاتها مع الآخرين والتحذير من مكائد ودسائس اعدائهم. وهذا الجزء من الآية يبين أن أعداء الإسلام سوف لا يتوقفون عن إشعال نار الحروب ضد المسلمين، وسوف يستمرون بتأجيج نيران الحروب على المسلمين بكل اشكالها، وإمدادها بما عندهم من وقود مادي ومعنوي، للقضاء على هذا الدين العظيم الذي من الله تعالى علينا به كأعظم هبة للإنسانية لكن الله تعالى يخيب مساعيهم ويبطل مكرهم، روى العياشي في تفسيره عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله في تفسير الآية: (كلما أراد جبار من الجبابرة هلكة آل محمد (عليه السلام) قصمه الله تعالى)^(٢).

وشبّهت الحرب بالنار لأنها مثلها تلتهم وجودات الناس الجسدية والروحية بحسب نوع الحرب المستعرة.

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد العقوبي (دام ظله) في مجلس بحثه يوم الاثنين ٢٥/شعبان/١٤٤٣هـ- الموافق ٢٨/٣/٢٠٢٢م بمناسبة قرب حلول شهر رمضان المبارك.

(٢) تفسير العياشي: ٣٣/١.

ولعل تشبيه الحرب بالنار لأن بواعثها ودوافعها نيران في باطن الإنسان،
كنار الحقد والحسد والتعصب والطمع والشهوة.
أو لأن هذه الحروب ستتجلى في حقيقتها نيراناً تحرق موقديها
ومؤججها ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (البقرة: ٢٤).

وتشير بقية الآية إلى صفة أخرى راسخة في اعداء الاسلام وهي نشر
الفساد في الارض ولعلها هي سبب اشعالهم المستمر للحروب، قال تعالى:
﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤) والسعي
هو السير السريع، فهم يجتهدون في تدبير المكائد والخطط والفتن وهي كثيرة
ومتنوعة لإفساد أهل الأرض حتى يسيطروا على العالم، ولكن الله تعالى لا
يدعهم وشأنهم بل يخيب مساعيهم لأن الله تعالى لا يحب المفسدين لذا فانه
تعالى ينصر عباده العاملين لإحلال الصلاح بدل الفساد بشرط أن يباينوا عمل
المفسدين ولا يجاملونهم ولا يصانعونهم لأن المؤمن يحبُّ من أحبَّ الله
ويبغض من أبغض الله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤).

ويشير هذا التعليل الى إن حرب الإسلام مع اعدائه هي حرب الصلاح
على الفساد وليست حرباً عنصرية ولا قومية ولا طائفية ولا عرقية ولا لمصالح
سياسية أو اقتصادية.

وقد تكفل الله تعالى بأن يطفى نار حقدهم وعدوانهم وحروبهم كلما
أشعلوها ما دام المسلمون ملتزمين بما عاهدوا الله تعالى من التمسك بدينهم
وأقاموا الإسلام في حياتهم ورجعوا الى ربهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾
(الحج: ٣٨)، ﴿إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧)، ﴿لَنْ

يَضْرِبُكُمْ إِلَّا أَدَىٰ وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُؤْلُواكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١١١﴾ (آل عمران: ١١١).

وقد صدقت الآية في إخبارها فيما يتعلق بالحروب التي أشعلها مشركو قريش واليهود وقبائل العرب فقد أطفأها الله تعالى ونصر رسوله (ﷺ) وأعز جنده.

والاعداء يعلمون هذه الحقيقة لأنهم درسوا أوضاع المسلمين وسيرة قادتهم وعرفوا أن سر انتصارهم هو التمسك بدينهم والإخلاص لربهم، لذا فهم يعملون بكل ما أوتوا من إمكانيات ومنها تسخير عملائهم وادواتهم في بلاد المسلمين من اشخاص ومؤسسات وحكام لتميع العقيدة في قلوب المسلمين وتمزيق وحدتهم وإذكاء الصراعات والخلافات بينهم بإثارة التعصب للانتماءات المختلفة السياسية أو العشائرية أو القومية أو المناطقية أو الطائفية، وإشاعة الفساد والانحلال، لذلك فإنهم كلما تعرفوا على مزيد من الحق والقوة والحجة لدى المسلمين ازدادوا حقدًا وعداءً وظلمًا، قال تعالى في جزء سابق من الآية ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (المائدة: ٦٤)، لأنهم يعرفون أنه الحق وان سبب معاداتهم للمسلمين لأنهم على الحق.

إذن فتحقق وعد الله تعالى بإطفاء نيران حروبهم يتطلب ورعاً واجتهاداً، وتضحيةً وثباتاً، ووعياً وبصيرةً، لأن سنة الله تعالى جرت بدفع عدوان الناس على بعضهم وفسادهم في الأرض بمواقف شجاعة حازمة واعية من المؤمنين وليس بمعجزات الا في حالات استثنائية تتطلبها كجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ

الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿البقرة: ٢٥١﴾.

فمثلاً حرب التشكيك في العقائد وإلقاء الشبهات في الدين أو تشويه صورة قادة الإسلام أو التضليل ونشر الفساد والانحراف واجهها القرآن الكريم والمعصومون (عليهم السلام) بالحجج والبيانات الدامغة الكافية لإطفاء تلك النيران، ولكن على المسلمين ان يتسلحوا بالعلم والمعرفة والتفقه في الدين والتدبر في تلك الحجج والبيانات لينتصروا في تلك الحرب بنصر الله تعالى.

وإذا غاب هذا الشرط لا تتحقق هذه السنة الإلهية لذا نرى الأعداء يحققون نصراً هنا أو هناك في فترات محدودة من الزمن لكن النصر النهائي يكون للمؤمنين، فالإشكال على الآية الكريمة بأننا نراها خلاف الواقع ناشئ من النظرة الضيقة المحدودة في أفق الزمن، وعدم فهم أهدافهم الحقيقية في السيطرة على العالم والتحكم بأمور البشر لنقيس على أساسها النجاح والفشل فانهما يقاسان على أساس تحقق الغرض وعدمه.

ومن علائم فشلهم ان الإسلام يغزوهم في عقر دارهم بمواجهة ناعمة ويستغيث كبارؤهم من ضياع هويتهم وثقافتهم ويقولون متهمين ان أوروبا ستنضم إلى منظمة الدول الإسلامية عما قريب، وتقول احصائياتهم الأخيرة مطلع عام ٢٠٢٢م ان ثاني أكثر أسماء مواليد البريطانيين شيوعاً هو أسم (محمد).

ولعل جواباً آخر يتحصل من قول السيد الطباطبائي (قدس سره) ((والآية على ما يدل عليه السياق تسجّل عليهم خيبة المسعى في إيقاف النيران التي يوقدونها على دين الله سبحانه، وعلى المسلمين بما انهم مؤمنون بالله وآياته، واما

الحروب التي ربما أمكن أن يقودوا نارها لأمر الدين الحق بل السياسة أو تغلب جنسي أو ملي فهي خارج عن مساق الآية^(١).

ويشير الجزء السابق من الآية الى شكل من اشكال النصره الإلهية الموجبة لإطفاء نار حروبهم على المسلمين، بإلقاء الاختلاف بينهم قال تعالى ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: ٦٤)، وفي آية أخرى ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: ١٤)، وهذا الاختلاف والتنازع نتيجة طبيعية لتوجهاتهم المادية وأنانياتهم وعدم تورعهم عن ارتكاب أي وسيلة لتحقيق أهدافهم وحب الاستعلاء والسيطرة ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ (الحشر: ١٤).

إن كل هذه الألفاظ الإلهية تؤكد حقيقة ان المؤمنين هم بعين الله تعالى وانه تبارك وتعالى معهم ويدبر شؤونهم، وإن نسبت هذه التدابير غفلة أو جهلاً أو عناداً إلى الحظ أو الصدفة وغيرهما، وهذه الألفاظ الإلهية من الرعاية الخاصة غير تسيير الخلق بعنايته تعالى وسننه وقوانينه، قال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحل العقود ونقض الهمم)^(٢).

واغراض الحروب وأهدافها وإن كانت ثابتة تقريباً منذ القدم وهي التي ذكرناها الا أن أنماطها مختلفة من حيث خططها وميادينها والتقنيات والأدوات المستعملة فيها وآثارها وتداعياتها وهي متغيرة بحسب التغيرات في عالم البشر. وقد صنف المختصون في العلوم الحربية الحروب إلى عدة أجيال

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٣٦/٦.

(٢) نهج البلاغة: القسم الرابع، الحكمة: ٢٥٠.

تطورت اليها عبر التاريخ بلحاظ المتغيرات الآتية.

فالجيل الأول: هي الحروب القديمة بالسيف والرمح والسهم واستخدام الخيول والعربات والمعدات الحربية الأخرى وقد امتدت إلى العصور الوسطى. والجيل الثاني: هي حروب الأسلحة النارية والمدفعية.

ثم تلاهما الجيل الثالث والرابع: ويختلف معها من حيث الخطط والأدوات التي تعتمد إنهاك العدو واستنزاف قدراته المادية والمعنوية حتى ترغمه في النهاية على الانصياع لشروط المنتصر وتستخدم فيها الاتصالات والإعلام والحرب النفسية والطابور الخامس وحرب العصابات وإضعاف الثقة بالنفس وبالقيادة فلا يوجد للحرب ميدان واحد كما في الجيلين الأول والثاني. ويعيش العالم اليوم حرب الجيل الخامس، وقد ألفت كتب ونشرت مقالات في خصائص هذا الجيل من الحروب وآلياته وتأثيراته.

ويمكن أن نشير إلى عدد من واجهات هذه الحرب وأدواتها ليلتفت المسلمون إلى الأخطار التي تواجههم، وليعرفوا ان هذه الحالات والأوضاع المأساوية التي يمرون بها ليست ظواهر جزئية مشتتة حصلت قضاءً وقدرًا وإنما هي خطط في منظومة كاملة من إدارة الصراع يتحالف القائمون عليها من أجل تحقيق أهدافهم مع أنظمة رسمية أو كيانات غير رسمية كفصائل المتمردين والجماعات القومية أو الانفصالية أو القبلية ومؤسسات ووسائل إعلامية وعصابات خارجة عن القانون.

ومن أدوات هذه الحرب:

١- الغزو الثقافي والفكري لتغيير طرق تفكير الناس وطمس هويتهم وانقلاب

المفاهيم عندهم بحيث يرون مبادئهم ومعتقداتهم و اخلاقهم تخلفا ورجعية و كبتاً و تضيقاً للحريات الشخصية و نحو ذلك حتى تتحقق تبعيتهم لثقافة العدو و افكاره و نظرتة الى الحياة و يصبح العوبة تسيّرهما أيدي الاعداء و هو ما حذر الرسول الكريم (ﷺ) أمته منه بقوله: (كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكراً و المنكر معروفاً) ^(١).

٢- تمزيق وحدة المجتمع و نسيجه بإثارة التعصبات الطائفية و القومية و الجغرافية و العشائرية و السياسية و سائر الانتماءات الأخرى حتى على مستوى مباريات كرة القدم التي تؤجج صراعات مقيمة حتى تستنزف قدراته و تشغله بهذه الصراعات الهامشية و المناكفات التافهة عن العدو الحقيقي الذي يسعى للقضاء عليهم.

٣- تغذية الارهاب و الترويح له لخداع مزيد من الشباب الضائعين و دعم الجماعات الارهابية مادياً و معنوياً و تيسير وصول المخدوعين الى المناطق التي يحددونها للصراع و هي بلاد المسلمين خاصة و هم بذلك يحققون اهدافاً عديدة: إضعاف النظام السياسي في بلاد المسلمين لإجباره على الخضوع لإرادتهم و تنفيذ سياساتهم، و استنزاف قدرات المسلمين في هذه الصراعات، و خلق فتن و ازمات تمزقهم من خلال تبادل الاتهامات و تحشيد كل طرف ضد الآخر للدفاع عن هويته و وجوده، و تخليص بلادهم من وجود هؤلاء الارهابيين و التكفيريين و القاء شرهم على اخوانهم المسلمين.

(١) التهذيب - الشيخ الطوسي: ٦ / ١٧٧ / ح ٣٥٩.

٤- الحرب الاقتصادية من خلال المقاطعة وفرض الحصار الاقتصادي وخلق أزمات اقتصادية تزيد من نسبة الفقر ولا يجد الشعب ما يسدُّ رمقه واغراق الدولة بالديون فتضطر الحكومة الى إيقاف برامج التنمية والرفاهية والخدمات الأساسية فيؤدي ذلك إلى رهن القرار السياسي بإرادة المستكبرين وفرض سياسات تخدم مصالح الدول المتحكمة من خلال المؤسسات الدولية المالية المانحة للقروض بشروط والتحكم بالسوق من خلال الاحتكار أو اغرقه بالبضائع مما يؤدي إلى إيقاف عجلة العمل وتعطيل الإنتاج فيرهق ميزانية الدولة بالاستيراد وارتفاع معدل البطالة مما يسبب اختلالات اجتماعية كبيرة تكون سبباً للجرائم والسرقات.

وتدخل في هذا الصنف الحرب المالية أيضاً بتخفيض قيمة العملة الوطنية وإضعافها حتى تفقد قدرتها التنافسية مع العملات الأخرى وتزداد اسعار المواد الغذائية والاساسية فيعجز المواطن عن تلبية احتياجاته ويؤدي الى كساد السوق وتسريح العاملين وتفشي البطالة والفقر، وهذا ما حصل في العراق مع بداية عام ٢٠٢١م.

٥- حرب المياه التي هي شريان الحياة والتنمية والاستقلال، وشحة المياه تؤدي الى تهديد الأمن الغذائي وفقدان الاستقرار والحياة الكريمة ويؤدي الى انحسار الزراعة وازدياد البطالة والاستيراد من الخارج وما يترتب على ذلك من اخطار جمّة.

٦- الحرب البيولوجية باستخدام سلالات من الجراثيم والفيروسات لإحداث أمراض تهدد حياة البشر والحيوان والنبات وقد ابتلي العراقيون بهذه

الأسلحة خلال عدة حروب عانوا منها خلال العقود الأخيرة.

٧- حرب البيئة: حيث استخدم سلاح التغييرات البيئية لتهديد الأمن البيئي واستقرار المنظومة الزراعية والبيئية بإحداث بعض الظواهر الطبيعية المصطنعة مما يحدث التلوث والتصحر والاحتباس الحراري وأمثالها من التغييرات البيئية الخطيرة.

٨- حرب المخدرات بترويج تجارتها وتعاطيها لتخدير العقول وتدمير الأجساد بواسطة عصابات ومافيات وهي اخطر الحروب وتستهدف الشباب بدرجة أساسية لتلقي بهم في أودية الضياع والهلاك وتقويض بنية المجتمع من أساسها وتحولهم من طاقات منتجة ثمرة إلى مجرمين، وقد أستخدمت المجتمعات الإسلامية بهذا الداء الفتاك وانتشر في أوساطها ولازلنا نسمع يوماً بإلقاء القبض على عدد من تجار المخدرات بحيث يبلغ عددهم سنوياً بالألاف، فكم يا ترى عدد المتعاطين؟

٩- إقامة القواعد العسكرية بعنوان توفير الحماية من التهديدات الخارجية أو الإرهابية الا أنها سرعان ما تتحول إلى أداة لفرض الإرادة والتدخل في القرار السياسي والسيطرة على الثروات وتجنيد العملاء.

وبالنسبة للمعالجات ومواجهة هذا الجيل من الحروب فلا شك أنها تقع بشكل رئيسي على مسؤولية الحكومة فان واجبها حفظ أمن الدولة والمواطن بكل اشكاله الشخصي والبيئي والغذائي والاجتماعي والاقتصادي وغيرها، من خلال إقامة الحكم الرشيد الذي ينال ثقة الشعب ويجعله مدافعاً عن حكومته ومسارعاً إلى المشاركة في الانتخابات ليختار الثقة الصالحة القادرة على حسن

إدارة البلاد.

وهنا يبرز دور الحوزة العلمية والنخب المثقفة في توعية الشعب وتنبهه الى هذه المخاطر وكيفية مواجهتها وقد لمسنا الآثار المباركة لإطلاق حملة مكافحة المخدرات خلال شعبان الحالي وفي الزيارة الشعبانية ولا زالت مستمرة فعلينا تفعيل هذه المبادرات في جميع الاتجاهات ليتحقق وعد الله تعالى بإطفاء النيران التي يوقدها اعداؤهم، ولا شك ان شهر رمضان فرصة عظيمة للقيام بهذه المسؤولية بلطف الله تعالى وتأيده.

خطاب المرحلة

(٦٧٩)

الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في القرآن الكريم^(١)

توجد آيات كثيرة فسّرت بقضية الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وظهوره الميمون كقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة: ٣٣)، فإن هذا الوعد لم يتحقق إلى الآن ووعد الله صدق فلا بد أن يأتي اليوم الذي يتحقق فيه هيمنة الإسلام على جميع الأديان والملل الأخرى بظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه).
وكقوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥)، فإن هذه الوراثة لم تحصل إلى الآن فلا بد أن تتحقق في اليوم الموعود.
وكقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (القدر: ٤) والآية ظاهرة في تحقيق هذا النزول في كل ليلة قدر وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في زمان حضوره هو من تنزل عليه الملائكة والروح ثم من بعده على الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، فلا بد من استمرار وجودهم لأن الملائكة لا تنزل على غير المعصومين (عليهم السلام)، وقد حفظ وجودهم باستمرار حياة الامام المهدي (عجل الله فرجه).

(١) خاطرة تحدّث بها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظله) في مكتبته الشريف مع الضيوف الكرام بمناسبة زيارة النصف من شعبان ذكرى ولادة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) عام ١٤٤٣هـ- الموافق ٢٠٢٢/٣/١٨م.

خطاب المرحلة

(٦٨٠)

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾^(١)

(نوح: ١٠-١١)

قال الله تبارك وتعالى وهو يحكي الرسالة التي كان يؤديها النبي العظيم نوح (عليه السلام) إلى قومه ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح: ١٠-١٢).

تبين الآية الكريمة إحدى السنن الإلهية الجارية في البشر وهي الارتباط الوثيق والفاعل بين صلاح البشر وصلاح الأوضاع الكونية العامة المؤثرة في حياة الإنسان، أي أنهم كلما تابوا ورجعوا إلى ربهم وأقاموا الدين في حياتهم، واقلعوا عن ذنوبهم ومعاصيهم وأصلحوا نفوسهم وغيروا واقعهم الفاسد، فإن الله تبارك وتعالى يغدق عليهم بالخيرات وينعم عليهم بحياة طيبة هنيئة، ويزيل عنهم النكد والضيق والمنغصات، فالإيمان والعمل الصالح يجلبان للفرد والمجتمع الحياة الهنيئة والعيش الرغيد، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧)، وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦).

وأشار إلى هذه الحقيقة أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة الاستسقاء بقوله:

(١) خطبتنا صلاة عيد الفطر السعيد عام ١٤٤٣هـ - الموافق ٢٠٢٢/٥/٣م.

(وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَہُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةً الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَہُ - ثم قرأ الآية المباركة وقال (ﷺ) - فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ) (١).

ويعدهم الله تعالى ويتعهد لهم بالاستجابة اذا طلبوا المغفرة فإنه تعالى موصوف بالمغفرة ومن شأنه ذلك ﴿إِنَّهٗ كَانَ عَفَّارًا﴾ فان ﴿كَانَ﴾ هنا شأنية والمغفرة صفة ثابتة له، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (أكثروا من الاستغفار فان الله عزوجل لم يعلمكم الاستغفار الا وهو يريد ان يغفر لكم) (٢)، وتتسع مغفرته لكل الذنوب ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٥٣)، ولكن اذا طلبها العبد من ربه فقد ورد عن النبي (ﷺ) قوله: (إن الله تعالى يغفر للمذنبين الا من لا يريد أن يُغفر له! قالوا يا رسول الله من الذي يريد أن لا يُغفر له؟ قال: من لا يستغفر) (٣).

وتذكر هذه الآيات والتي سبقتها نماذج من هذه النعم التي يجلبها الاستغفار فمنها إطالة الأعمار وتأخير الآجال، حيث تقدم عليها قوله تعالى: ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (نوح: ٣-٤).

ثم ذكرت بعض النعم التي يفهمها المخاطبون وتناسب حياتهم كونهم أهل زراعة وأنعام فقال تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ويراد بالسما

(١) نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده: ٢/٢٩٠/ الخطبة ١٤١.

(٢) ميزان الحكمة: ٤٣١/٦، عن تنبيه الخواطر: ٥/١، الدر المنثور: ٨/ ٢٩٠ بسنده عن سلمان.

(٣) ميزان الحكمة: ٤٣١/٦، عن مستدرك الوسائل: ١٢/١٢٢/ح-١٣٦٨٥.

المطر^(١)، أو يراد بها السماء المعروفة وأنها لكثرة ما فيها من مطر كأنها تسقط عليها فيطلق الله تعالى ما فيها غزيراً يدرّ بمائه المبارك على الأرض والإنسان بما يحمل معه من خيرات، والدُّرور والدر: تتابع السيلان.

﴿وَيُمَدِّدْكُمْ﴾ أي يواصل إمدادكم بما يقويكم ويمكنكم من سدِّ احتياجاتكم الحياتية الهائلة، وأوضح مصاديق الإمداد: الأموال والبنون فان الثروة المالية والبشرية قوام إعمار الحياة بخلاف من يدعون إلى تحديد النسل وتقليل الإنجاب وهي دعوة تتفق مع مشروع الماسونية لإهلاك البشرية ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ وهي بساتين النخيل والأغاب التي تحتاج الى سقي ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ تجتمع فيها هذه المياه النازلة لتحمي الناس ومزروعاتهم وممتلكاتهم من الغرق، ولتنقل الماء الى الأراضي الأخرى التي لم يسقط عليها المطر ولتستصلح به الأراضي للزراعة التي هي قوام حياة البشر والحيوانات، ولتكون بيئة لحياة الحيوانات المفيدة للبشر كالأسماك، ولتكون وسطاً ناقلاً لأشخاصهم وبضائعهم فالنقل النهري والبحري يشكل عصب الحياة، وعلى الأنهار تقام المدن والحضارات وبها تعمّر الحياة، مضافاً الى كونها محلاً للنزهة والترفيه، وسبباً للحفاظ على التوازن البيئي وتلطيف الجو، وغيرها من الفوائد.

(١) روي في الموطأ والصحيحين عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ) صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل) وقال معاوية بن مالك بن جعفر: اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا.
أنظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور: ١٩٨/٢٩، موطأ مالك: ٢/٢٦٨ ح ٦٥٣،- صحيح البخاري: ٣٨٨/٢ رقم ٨٤٦- صحيح مسلم: ٨٣/١ رقم ٧١.

وقوله تعالى ﴿يَجْعَلُ﴾ لا يعني على نحو المعجزة بحيث تنزل عليهم جنات كاملة من السماء وإنما يهيء لهم أسباب النجاح وظروفه وعلى الإنسان استثمارها لتحقيق النتائج المطلوبة بإذن الله تعالى وفضله وكرمه.

وفي الآية إشارة إلى أنهم أصيبوا بقحط وجفاف وانقطاع الأرزاق وفقدان الولد بسبب طغيانهم وكفرهم وهو مروى في مجمع البيان^(١) فعلمهم النبي نوح (عليه السلام) طريق التخلص من تلك المحن والكوارث وإصلاح أوضاعهم المعيشية.

ولابد من الالتفات الى الآثار المعنوية لهذه النعم فانزال الماء كناية عن تطهير القلوب والنفوس من الادران والكدورات والأوهام الباطلة وإعمارها بالإيمان والعمل الصالح (تعطروا بالاستغفار لا تفضحكم روائح الذنوب)^(٢).

وقد تكرر بيان هذه السنة الإلهية في القرآن الكريم، وان تقوى الأفراد وإقامة النظام الاجتماعي العادل كفيلان بجلب الخير والسعادة للناس، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ٥٢)، وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (هود: ٢-٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ

(١) مجمع البيان: ٤٥٧/١٠، بحار الأنوار: ٢٧٨/٩٣ ح ٧.

(٢) البحار: ٢٧٨/٩٣ ح ٧.

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿الأعراف: ٩٦﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ (المائدة: ٦٦).

والأحاديث الشريفة الدالة على ذلك كثيرة، فقد روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً) ^(١)، وعنه (ﷺ) قال: (من كثرت همومه فعليه بالاستغفار) ^(٢)، وفي الخصال عن علي (عليه السلام) في حديث الأربعمئة (أكثروا الاستغفار تجلبوا الرزق) ^(٣).

وهذه السنة جارية في الاتجاه المقابل أيضاً، فإن الناس إذا ابتعدوا عن الله تبارك وتعالى واعرضوا عن العمل بشريعته فإن البلاء ينزل عليهم ويحرمون من الخيرات والحياة الكريمة، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠).

وروي في تطبيق الآية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (توقوا الذنوب، فما من بليّةٍ ولا نقص رزق الا بذنب، حتى الخدش والكبوة والمصيبة) ^(٤)،

(١) ميزان الحكمة: ٤٣٥/٦ عن الدعوات: ٢٩/٨٦

(٢) الكافي: ٩٣/٨ ح ٦٥.

(٣) الخصال - الشيخ الصدوق: ٦١٥/٢.

(٤) بحار الأنوار: ٣٥٠/٧٣ ح ٤٧.

وكشف الإمام الصادق (عليه السلام) عن حقيقة عجيبة يجب التوقف عندها ودراستها حيثما قال (عليه السلام): (من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال)^(١)، وقال الإمام الرضا (عليه السلام): (كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون)^(٢).

وقد شرحنا في خطاب سابق^(٣) وجهاً لذلك للرد على من يسخر من هذه الملازمة ويفسّر الأحداث تفسيراً مادياً وضرربنا مثلاً تخلف بعض الدول كالولايات المتحدة عن التوقيع على معاهدة كيوتو للمحافظة على البيئة وهو عصيان وتمرد على هذا القانون الإنساني وأدى ذلك الى حصول ظاهرة الاحتباس الحراري وارتفاع درجة الحرارة مما أدى إلى الحرائق الواسعة وتلوث البيئة والتصحر والفيضانات وغيرها من الكوارث المدمرة فهذا مثال لتقريب فكرة ان المعصية تنتج المصائب.

والآية الكريمة في الوقت الذي تثير فيه المحفزات لدى الناس للرجوع الى الله تعالى والالتزام بالمنهج الرباني فإنها ترد على عقيدة المشركين الذين يسلّمون بأن الله تعالى هو الخالق ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (لقمان: ٢٥)، الا أنهم يعتقدون أنّ تدبير الكون وتسيير أموره بيد الهة أخرى فإنه للخصب وآخر للانتصار في الحرب وآخر لتحصيل الولد

(١) ميزان الحكمة: ٤٣٥/٦، عن الدعوات: ٢٩/٨٦، مثلاً ينظر في جهاز الموبايل وهو يقود السيارة أو يخالف الإشارات المرورية فيرتكب حادثاً مفاجئاً بسبب هذا الخطأ، أو يلقي تهماً من غير دليل فتحصل فتنة واقتتال يزهق أرواح الناس وهكذا.

(٢) الكافي: ٢/٢٧٥/ح ٢٩.

(٣) خطاب المرحلة: ٣٩٤/١.

وآخر للصحة وهكذا فتقرّر الآية الكريمة ان مدبر الأمور كافة والمهيمن على الخلق أجمعين هو الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له فهو تبارك وتعالى الذي ينزل المطر من السماء ويجعل للناس جنات وأنهار أو ويمددهم بأموالٍ وبنين.

وينبغي إيضاح بعض التفاصيل المتعلقة بهذه الآية الكريمة من خلال نقاط:

١- ان الأنبياء حينما كانوا يؤدون رسالتهم في دعوة الناس الى الله تعالى وتطبيق شريعته، لم يكونوا يكتفون بوعد الناس بالجنة ان آمنوا والوعيد بالنار إن كفروا، أي انهم لم يقتصروا على الجزاء في الآخرة بل تعهدوا لهم بجلب المصالح الدنيوية أيضاً من رفع مستوى الرفاه الاقتصادي وتحسين الأمن والخدمات، لأن الناس بطبيعتهم يريدون أثراً ايجابياً ملموساً في العاجل ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (القيامة: ٢٠)، حتى يثبت الإيمان في قلوبهم ويثقوا بأن ما اختاروه من النظام هو الصحيح، وهذا المعنى يستفاد من قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٣-٤)، فمطالبتهم بالعبادة واتباع الدين بعد ان ضمن لهم أهم عنصريين لاستقرار حياة الإنسان الغذاء والأمن، وهذه النتائج العاجلة ساهمت في تثبيت قلوب كثير من المؤمنين بالإسلام وبالنبي (ﷺ) فهم لمسوا بركات الدين الجديد في حياتهم، حيث توحدوا وتآلفت قلوبهم بعد أن مزقتهم الحروب الدامية وأهلكتهم، وتكوّنت منهم أمة موحدة قوية، ووجدوا الرفاه الاقتصادي حينما بسطوا نفوذهم على تمام الجزيرة العربية وفتحوا بلاد الفرس والروم وأصبحوا

أسياد الدنيا وصارت لهم دولة مهابة.

فعلى العاملين الرساليين والساعين لإقناع الناس بمشروع الإسلام أن يعوا هذا الدرس فلا يكتفوا بالمواعظ والشعارات والادعاءات، وتأجيل الثواب والعقاب إلى يوم القيامة، بل عليهم أن يقدموا حلاً عملياً لمشاكل الناس ويقودوا مبادرات لتحسين أوضاعهم حتى يلمس الناس بركات المشروع الإسلامي وما يجلب لهم من مصالح خصوصاً إذا مكن الله تعالى لهم في الأرض وجعل لهم نفوذاً وسلطة، بل عليهم أن يسعوا لهذا التمكين حتى يستطيعوا أن يقدموا تلك الخدمات للناس فان هذا واجب على من يستطيع منهم ﴿وَمَا لَكُمْ لَأْتَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ (النساء: ٧٥)، ومقدمة الواجب واجبة كما قالوا، وهذا باب يفتح منه ألف باب يفهمها أهلها من النخب والكفاءات.

٢- ان الاستغفار له حقيقة تتضمنها كلماته وليس مجرد تحريك اللسان بها، وهذه الحقيقة عبارة عن برنامج متكامل من المواقف والأفعال، وقد شرح أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الحقيقة عندما سمع قائلاً بحضرته: (استغفر الله) فقال (عليه السلام): (تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ، أَتَدْرِي مَا الْإِسْتِغْفَارُ؟ الْإِسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ، وَهُوَ اسْمٌ وَقَعُ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ: أَوْلَاهَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى. وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَالثَّلَاثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبَعَةٌ، وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَعَتْهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا، وَالخَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُدْبِيهِ بِالْأَخْزَانِ، حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدُ بِالْعَظْمِ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، وَالسَّادِسُ: أَنْ تُدْبِقَ الْجِسْمَ أَلَمَ

الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ: (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ) (١).

لذلك روي ان علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَّمَ شَخْصاً الاستغفار لتوسعة الرزق ففعل ولم يحصل تغيير في حياته، فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (لعلك لا تُحَسِّنُ ان تستغفر، قال: علمني، قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): أخلص نيتك وأطع ربك) (٢).

٣- الاستغفار المقصود بالآية له معنى أسمى وأرقى وأوسع من المعنى الخاص للاستغفار الذي هو الندم على ذنب ارتكبه وطلب العفو والصفح عما صدر منه من الذنوب التي وقع فيها وصدرت منه فعلاً، لأنه هنا يعني مطلق العودة الى الله تعالى والإيمان به والالتزام بشريعته ولو بقريضة الآيات المشابهة المتقدمة عليها في نفس السورة التي صرحت بذلك ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴿ (نوح: ٣-٤)، فهي دعوة إلى سبب المغفرة بلسان طلبها وبيان لموجبها وحث عليه: وهو الإيمان وطاعة الله ورسوله (ﷺ) والعمل الصالح قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١)، فالآية الكريمة تدعو الى طلب العصمة والوقاية من الوقوع في الذنب أصلاً بالاشتغال بالطاعة وبالالتفات إلى الآثار السيئة للذنوب وعاقبتها القاسية، قال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (عجبت

(١) نهج البلاغة: ٩٧/٤.

(٢) ميزان الحكمة: ٤٣٥/٦، عن كنز العمال: ٣٩٦٦.

لأقوام يحتمون الطعام مخافة الأذى كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار^(١)، وبالالتفات أيضاً إلى الأثر المبارك لاجتناب الذنب ونشوة النصر على النفس والشيطان، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (من أعرض عن محرم أبدله الله به عبادة تسره)^(٢)، وعنه (ﷺ) قال: (غضوا أبصاركم ترون العجائب)^(٣)، وعنه (ﷺ) قال: (ما من مسلم ينظر امرأة أول نظرة ثم يغضوا بصره الا أحدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها في قلبه)^(٤)، وفي حديث آخر عن الامام الصادق (عليه السلام): (من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غمض بصره لم يرد إليه بصره حتى يزوجه الله من الحور العين)^(٥)، فالآية الكريمة تدعو الناس إلى طلب المعونة من الله تعالى على أن يسدّد العبد ويعينه على طاعته وتجنب معصيته، أي الاستغفار بالدفع لا بالرفع، روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قوله: (إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب؟ وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض)^(٦)، وفي الدعاء (اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية)^(٧)، وفي أدعية أيام شهر رمضان (اللهم قربني فيه إلى مرضاتك

(١) تحف العقول: ٢٠٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٢١/٧٧ ح/٢٠.

(٣) بحار الأنوار: ٤١/١٠٤ ح/٥٢.

(٤) ميزان الحكمة: ٤٦/٩، عن كنز العمال: ١٣٠٥٩.

(٥) ميزان الحكمة: ٤٦/٩، عن مكارم الأخلاق: ١٧٤٧ ح/٥٠٥/١.

(٦) بحار الأنوار: ٣٠١/٧٨ ح/١.

(٧) مفاتيح الجنان: ١٦٣.

وجنبي فيه من سخطك ونقمتك^(١)، وورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (اجتناب السيئات أولى من اكتساب الحسنات)^(٢)، ووجه الأولوية أن ارتكاب الذنب له أثر يبقى وإن غفر الذنب وسقطت عقوبته، فالمطلوب عدم الوقوع في الذنب أصلاً عن رسول الله (ﷺ) قال: (من قارف ذنباً فارقه عقل لا يرجع إليه أبداً)^(٣)، وإن كان المأمول من كرم الله تعالى أن يزيل كل الآثار بل يبدل السيئات الى حسنات ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدَلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان: ٧٠).

٤- قد يقال بأننا نرى أمماً فاسقة معرضة عن الله تعالى وهي تنعم بالفاهية والعيش الرغيد وهذا خلاف السنة المذكورة، وجوابه بوجه:
أ/ ربما كان نعيمهم هذا جزاءً لالتزامهم ببعض القيم الإنسانية التي يحبها الله تعالى كما ينقل عنهم - وهذه من ميراث الأنبياء والعلماء الصالحين الذين أسسوا - فما يتنعمون به ليس خارجاً عن هذه السنة الإلهية بل دليل عليها.
ب/ إنهم مرّوا بكوارث كثيرة كالحربين العالميتين اللتين أزهدتا أرواح حوالي مئة مليون من البشر والحروب الداخلية الطاحنة التي استمرت قروناً، وانتشار الأوبئة الفتاكة، فالنظر إلى نعيمهم الحالي فيه قصور واقتصار على حلقة يسيرة من زمن طويل.

ج/ ان في هذا استدراجاً لهم واغراءً ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ

(١) مفاتيح الجنان: ٢٩٨.

(٢) غرر الحكم: رقم ١٥٢٢.

(٣) ميزان الحكمة: ٣/٣٧٠، عن المحجة البيضاء: ١٦٠/٨.

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ (القلم: ٤٤)، لاستحقاق المزيد من العذاب ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ نُمْلِي لَهُمْ خَيْرًا لِنَفْسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

٥- وقد يصاغ الاشكال في الجانب الآخر فيقال بأننا نرى أشخاصاً مؤمنين ملتزمين بالشريعة قد ضيق عليهم في المعيشة وابتلوا بمصائب متنوعة، وجوابه: أن ظاهر الآية الكريمة أنها تقرّر هذه السنة بلحاظ مجموع الأفراد أي الأمم والمجتمعات وأنها كلما صلحت وتحلّت بالفرائض وأقامت نظاماً صالحاً عادلاً أغدقت عليها النعم لأنها ستكون نتيجة طبيعية لهذا الصلاح ولا يتحقق هذا النظام الا بتطبيق الشريعة الإلهية والواقع يشهد بذلك فالنتيجة حتمية.

لكن هذا لا يعني عدم جريانها في حق الأفراد أيضاً لكن على نحو الاقتضاء لا العلية كما في المصطلح أي أنها تقبل الاستثناء ويمكن أن تتخلف النتيجة، اذا وجد مانع فيه مصلحة للفرد نجهلها، ولولا هذا المانع لأوجب الاستغفار هذه النتيجة جزماً، اذ قد يكون الأصلح للبعد أن يمرّ بهذا الضيق لتكامله ورفعة درجاته أو لتحصيل شيء أفضل مما كان يطلبه فيضحى بالقليل من أجل الكثير كما في الآية الشريفة ﴿وَعَسَى أَنْ تَحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦)، وفي دعاء الافتتاح (ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور)^(١).

ومما يدلّ على جريانها للأفراد تعليم الأئمة (عليه السلام) مضمونها لمن طلب الولد أو السعة في الرزق، فقد روى الشيخ الصدوق في الفقيه عن الامام السجاد (عليه السلام) أنه قال لبعض أصحابه: (قل في طلب الولد: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي

فَرَدًّا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿الأنبياء: ٨٩﴾ واجعل لي من لدنك ولياً يرثني في حياتي ويستغفر لي بعد موتي واجعله لي خلقاً سوياً، ولا تجعل للشيطان فيه نصيباً، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك إنك أنت الغفور الرحيم "سبعين مرة"، فإنه من أكثر من هذا القول رزقه الله تعالى ما تمنى من مال وولد ومن خير الدنيا والآخرة، فإنه يقول: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(١).

وفي الكافي بسنده قال: (شكا الأبرش الكلبي إلى أبي جعفر (عليه السلام) انه لا يولد له فقال له: علمني شيئاً قال: استغفر الله في كل يوم أو في كل ليلة مائة مرة فإن الله يقول: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ إلى قوله: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِنَ﴾^(٢).

وفيه أيضاً بسنده عن سعيد بن يسار قال: (قلت لابي عبدالله (عليه السلام): لا يولد لي، فقال (عليه السلام): استغفر ربك في السحر مائة مرة، فان نسيت فاقضه)^(٣).

(١) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق: ٤٧٤/٣.

(٢) الكافي: ٨/٦، ح ٤، نور الثقلين: ٢٥٦/٥، ح ١٠، البرهان: ٤٠/١٠، ح ١.

(٣) الكافي: ٦/٩، ح ٦، البرهان: ٤٠/١٠، ح ٣.

خطاب المرحلة

(٦٨١)

لطيفة قرآنية: لا توقف في عمل المؤمن الرسالي^(١)

ولنأخذ مثلاً على ذلك من سيرة النبي نوح (عَلَيْهِ السَّلَام) فإنه استمر في دعوة قومه إلى الله تبارك وتعالى تسعمائة وخمسين عاماً ولم يتوقف أو يتوانى في عمله رغم عنادهم واستكبارهم عن قبول الحق جيلاً بعد جيل^(٢) حتى أنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿وَأَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (هود: ٣٦)، وقد دلت^(٣) الروايات على انه حينئذٍ دعا على قومه قائلاً: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: ٢٦-٢٧).

وبالمقابل فان الروايات^(٤) دلت على ان ما أصاب النبي يونس (عَلَيْهِ السَّلَام) الذي حكاه الله تعالى بقوله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧-٨٨)، انما

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبته بحضور وفد المدرسة القرآنية من بغداد وعدد من الزوار بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف يوم الثلاثاء ٢٧/ رجب / ١٤٤٣هـ - الموافق ٢٠٢٢/٣/١م، وذكرى استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام).

(٢) روى السيوطي في الدر المنثور: ٢٨٩/٩، (أنه كان يذهب الرجل بابنه الى نوح فيقول لابنه: احذر هذا لا يغرّك فإن أبي قد ذهب بي وأنا مثلك فحذّرني كما حذّرتك).

(٣) نقلها في نور الثقلين: ٧١١/٢، تفسير سورة هود، حديث ٦٤ عن روضة الكافي، حديث ٦٥ و٦٧ عن تفسير علي ابن إبراهيم، وحديث ٦٦ عن علل الشرائع.

(٤) عن نور الثقلين ٢٧١/٣ / حديث ١٣٦ عن عيون اخبار الرضا.

حصل لأنه لما أخبره الله تعالى انه سينزل العذاب على قومه هجرهم وترك المدينة ولم يستمر بدعوتهم إلى التوبة لعل العذاب يكشف عنهم ثم انهم تابوا وتوسلوا إلى الله وتعالى فرفع عنهم العذاب فلما رجع إلى قريته ووجدهم أحياء وأمورهم طبيعية ذهب عنهم مغاضباً خشية اتهامهم إياه بالكذب لأنه (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أخبرهم بنزول العذاب جزماً^(١).

ولعل من اسرار تشريع قراءة ﴿وَذَا النُّونِ﴾ في صلاة الغفيلة كل ليلة هو لإلفات نظرنا الى هذه الحقيقة وان علينا ان نستغفر من هذا الشعور بالإحباط واليأس والضجر والكسل ونعترف بخطئنا وظلمنا أنفسنا وحينئذ يأتي الله تعالى بالفرج والنجاة.

وقد تجسّد القلب الكبير وروح المشابرة والمصابرة والمجاهدة بأسمى صورة الى حد التضحية من اجل الارتقاء بالإنسان في أفق السعادة والكمال في النبي محمد وآله المعصومين الطاهرين (صلوات الله عليهم اجمعين).

فقد منّ الله تعالى على هذه الأمة بالنبي الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الذي كلّه رحمة للعالمين وكلّه رأفة بالأمة وحرص عليهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

وهكذا كان الائمة الطاهرون (صلوات الله عليهم اجمعين) من بعده (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لا يدخرون أي جهد او إمكانية ويضّحون بأنفسهم من اجل هداية الأمة وصلاحتها ونجاتها من شقاوة الدنيا والاخرة.

(١) أنظر: بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ١٤ / ٣٧٩ / باب: ٢٦ (قصص يونس وأبيه متى).

روى الشيخ الكليني بسنده عن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) قوله: (ان الله عز وجل غضب على الشيعة فخيرني نفسي او هم، فوقيتهم والله بنفسي)^(١). ولا يعني الحديث مثل ما تقوله النصارى من أن عيسى (عليه السلام) صُلب ليفتدي أمته من العذاب على الذنوب والمعاصي مما دفعهم الى ارتكاب الكبائر والموبقات باعتبار ان نجاتهم مضمونه وصكوك الغفران جاهزة، وهذا معنى باطل لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: ٣٨)، وغيرها من الآيات الكثيرة.

وانما يمكن فهم الحديث على أكثر من معنى، أحدها: أن كثيراً من الشيعة قد ضُغف ارتباطهم بالإمام، وقد انغمسوا في حب الدنيا واتباع الشهوات، وضعف ورعهم وتقواهم والتزامهم بأحكام الدين، فاستحقوا بذلك البلاء لكن الامام (عليه السلام) اختار ان يمضي في طريق الشهادة ولا يسأل الله تعالى الفرج وخروجه من السجن، ليحدث صدمة في ضمير أتباعه حتى يرجعوا الى ربهم فيندموا ويستغفروا ويشعروا بتقصيرهم ويحاسبوا أنفسهم فيثوبوا الى رشدهم وإيمانهم ويصحوا من غفلتهم وهذا أحد الأسباب التي دعت الإمام الحسين (عليه السلام) للخروج بحسب فهم السيد الشهيد الصدر الأول (قده) ودعته هو (قده) للعزم على الشهادة.

فكان على الأمة أن تستيقظ من نومها وتفرع الى قادتها وتطيعهم فيما يأمرونها به حتى تستفيد أكثر من الوجود المبارك للإمام (عليه السلام) نسأل الله تعالى ان ينبهنا من نومة الغافلين ويجعلنا من أهل البصيرة اليقظين بفضلته وكرمه.

(١) أصول الكافي: ٢٦٠/١، باب ان الائمة يعلمون متى يموتون، ح ٥.

خطاب المرحلة

(٦٨٢)

بسمه تعالى

تصرف مشين لبعض النساء عند وفاة قريب لهن

برزت مؤخراً حالة لم تصل إلى مستوى الظاهرة الاجتماعية لكنها على أي حال يجب التنبيه عليها ومنعها لئلا تتسع، وهي أنه عندما يموت شخص فإن جمعاً من النساء القريبات منه يجتمعن عند جنازته في المستشفى ويرفعن أصواتهن بالعويل والبكاء ويمزقن بعض ثيابهن لإظهار الجزع على المصاب ويطلقن كلمات للتعبير عن ألمهن لفقد عزيز عليهن، وكل ذلك يحدث أمام ذويهن من الرجال من دون أن يحركوا ساكناً أو يتدخلوا لمنعهن، وهذه التصرفات كلها من تسويلات الشيطان فإن غرضه إيقاع الناس في المعاصي حيث يخدع المرأة بأنها لا بد أن تقوم بهذه الأفعال وتبالغ فيها لتظهر فجيعتها وشدة مصابها لفقد عزيزها، وفي هذا الفعل عدة محرمات ترتكبها المرأة:

١- إظهار أجزاء مما يجب ستره من بدنها أمام الرجال الأجانب.

٢- الجزع في المصيبة وهو منهي عنه شرعاً ومحبط للثواب فإن المؤمنين الصادقين ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦)، أما الجازع فانه يحتمل نفسه أوزاراً فوق مصيبته، وعلينا أن نلتفت إلى حقيقة بينها الحديث الشريف عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (أما إنك إن تصبر تؤجر، وإلا تصبر عرض عليك قدر الله الذي قدر عليك وأنت مأزور)، فالمصائب والبلايا قدر الإنسان في هذه الدنيا فعليه أن يجعلها سبباً لنيل الأجر

والثواب والقرب من الله تعالى بالصبر والتسليم والاحتساب عند الله تعالى، ولا تكون سبباً لوقوعه في المعاصي فيضيف مصيبةً إلى مصيبته.

٣- التعدي على حقوق الآخرين فإن المستشفى ودائرة الطب العدلي ونحوها من المؤسسات الصحية هي للخدمة العامة فلا يجوز مخالفة أنظمتها وقوانينها ولا التشويش على العاملين، مما يعرقل عملهم في خدمة المواطنين.

فالمرجو من أخواتنا المؤمنات الصبر والاحتساب واتباع وصية الامام الحسين (عليه السلام) لأخته العقيلة زينب (عليها السلام) عند وداع النسوة يوم عاشوراء (يا أختاه إني أقسمتُ عليك، فأبري قَسَمِي لا تَشْقِي عَلَيَّ جِيأاً، ولا تَحْمَشِي عَلَيَّ وجهاً، ولا تَدْعِي عَلَيَّ بالويل والثُّبور إذا أنا هَلَكْتُ)^(١).

والمأمول من الرجال الغيارى عدم السماح للنسوة بالقيام بمثل هذه التصرفات.

وقانا الله تعالى وإياكم كل سوء وجنبنا معصيته.

محمد يعقوبي

٣/ شهر رمضان / ١٤٤٣هـ

٢٠٢٢/٤/٥م

(١) تاريخ الطبري: ٤٢٠/٥، الإرشاد - الشيخ المفيد: ٩٤/٢.

خطاب المرحلة

(٦٨٣)

حملة شاملة لمحو الأمية

تنتشر الأمية بشكلٍ مرعب في مجتمعنا بجميع الأعمار حتى بين طلبة المدارس، بحيث نُقل ان بعض الطلبة يصل الى السادس الابتدائي وهو لا يُحسِن كتابة أسمه بسبب ثقافات تدميرية تَنقِص من قيمة العلم والتعلم وتشيع عدم جدواه، وبسبب تردي النظام التعليمي بجميع عناصره، والضغوط السياسية والاجتماعية، وفقدان الشعور بالمسؤولية، مما يشكّل أنتكاسةً أخرى لهذا البلد العريق وخطراً ماحقاً لحاضره ومستقبله، وعودة، الى ما قبل عدة عقود.

لذا ندعو جميع الكوادر التعليمية والمبّلغين والمبّلغات والمتقنين الى استثمار العطلة الصيفية لفتح دورات لمحو الأمية على جميع المستويات، وان تجربة الدورات الصيفية التي يستفيد منها سنوياً آلاف الأطفال والفتية والفتيات في مختلف محافظات العراق تعتبر منطلقاً ناجحاً لتفعيل هذه الحركة، وقد وضعَ بعض المختصين - جزاهم الله خيرا - مناهج فاعلة في هذا المجال يمكن توفيرها.

ونوجّه مكاتب المرجعية ووكلاءها ومعتمديها الى دعم هذه الدورات مادياً ومعنوياً.

إن هذه الحركة المباركة تدخل السرور على قلب رسول الله (ﷺ) وصاحب العصر والزمان (ﷺ) وتكون سبباً لنيل رضا الله تبارك وتعالى، وهي صدقة جارية في ميزان أعمال كل من يساهم فيها بقولٍ او فعلٍ أو مال.

وتعيد الى الازهان صور الإسلام المشرقة حين جعل النبي (ص) فدية كل أسير من قريش في معركة بدر أن يعلم عشرة من المسلمين^(١) فأسس بذلك لمشروع واسع لتعليم القراءة والكتابة.

واستكمالاً لحسن العمل ينبغي تطعيم هذه الدورات بثقافة أخلاقية ودينية لبناء شخصية واعية لدى المشتركين ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥)

محمد يعقوبي

١٦/ذو القعدة الحرام/١٤٤٣هـ

٢٠٢٢/٦/١٦م

(١) مكاتيب الرسول - الأحمدي: ١٠٠/١، الصحيح من سيرة النبي (ص) السيد جعفر العاملي: ١٣٠/٥.

خطاب المرحلة

(٦٨٤)

المرجع اليعقوبي خلال استقباله السفير الياباني في العراق: الإسلام يدعو إلى الوسطية والاعتدال ومجبة كل الناس على اختلاف ديانتهم

استقبل^(١) سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) سعادة سفير اليابان في العراق بعد أن أدى مراسيم الزيارة لضريح أمير المؤمنين (عليه السلام).

وأثنى الضيف على الدور المهم والمؤثر للمرجعية الدينية في حركة المجتمع، والعمق الحضاري للعراق فهو مهد الحضارات وأصلها، كما تحدث عن مساعدات اليابان للعراق في تدريب الكوادر وتأهيلها حيث بلغ عدد من استفادوا من هذه البرامج التي نُظمت في العراق أو اليابان حوالي عشرة آلاف في شتى المجالات، كما ذكر مبالغ بمليارات الدولارات قدّمت للعراق كمنح وقروض لإنشاء مشاريع البنية التحتية والطاقة والخدمات.

ومن جانبه فقد أثنى سماحة المرجع على النهضة العلمية والتكنولوجية والاقتصادية لدولة اليابان حيث أصبحت في مقدمة الدول المتقدمة بعد أن نفضت عنها غبار الحروب، وشكر سماحته المساعدات التي أشير إليها وأكد على تأهيل الكوادر العراقية لإدارة حكم رشيد في البلاد يحسن إدارة الثروات العظيمة المتنوعة الموجودة في العراق ويوظفها في إعمار البلد وتوفير الحياة

(١) يوم الثلاثاء ١٥/شوال/١٤٤٣هـ- الموافق ١٧/٥/٢٠٢٢م.

الكريمة الطيبة للشعب وهو ما نفتقده مع الأسف، لأن فقدانه هو أصل مشاكلنا. ثم استأذن سعادة السفير في توجيه بعض الأسئلة تناولت عدة قضايا:

(منها) تصاعد القتال باسم الدين وظهور الجماعات المتطرفة كالقاعدة وداعش، فنفى سماحته أن تكون هذه الايديولوجيات مستمدة من الدين، لأنه يدعو الى الوسطية والاعتدال ومحبة كل الناس وإن اختلفوا معهم في الدين، وكان قادة الاسلام كرسول الله (ﷺ) وأمير المؤمنين (عليه السلام) على درجة عالية من العطف والأبوية مع جميع الناس وتعاملوا مع أعدائهم بالعفو والصفح ونسيان الماضي كما حصل مع العدو اللدود قريش عقب فتح مكة، أما أجدات التكفير والقتل والعنف فهي من صنع جهات سياسية دولية ومحلية لتحقيق أغراض معينة، وهؤلاء الارهابيون أدوات بأيديهم يحركونهم بالاتجاه الذي يريدون، ويساعد على نمو هذا الإرهاب أقماع الكثير من الشباب فساد الانظمة الحاكمة واستبدادها وعدم أصغائها لمطالب الشعب، فتحصل فجوة بين الحكومة والشعب وتزداد النقمة على المتسلطين مما يوفر بيئة لانتشار هذه الافكار المنحرفة.

(ومنها) عن الدور السياسي للحوزة العلمية، فأكد سماحة المرجع على امتناع علماء الدين بالتدخل في تفاصيل العمل السياسي والابتعاد عن أي موقع في السلطة لان وظيفتهم أسمى من ذلك، حيث يهتمون بهداية الناس وتكميلهم بفضائل الاخلاق وإرشادهم الى السلوك العفيف وتحقيق الاغراض النبيلة، ويجدون من واجبهم تقديم النصح والإرشاد للقادة السياسيين وحثهم على بذل الوسع في تحقيق العدالة الاجتماعية وحبّ الناس والاحسان اليهم،

ويرفضون بشدة وقوع الظلم على أي أحد والاستئثار بثروات الشعب وسوء التصرف فيها وحرمان الناس من حقوقهم التي اقرّها الله تعالى وحكماء البشر. وإن سبب تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية هو بسبب الاعراض عن تفعيل توجيهات المرجعية الدينية، لكننا لم نفقد الأمل بوجود جيل متحضر يقود الأمور بحكمة ويصلح الأوضاع بإذن الله تعالى.

خطاب المرحلة

(٦٨٥)

في ذكرى هدم قبور الأئمة المعصومين (عليهم السلام) في بقيع المدينة^(١)

زيارة قبور الأحبة والصالحين والعظماء الذين كان لهم أثر واضح في بناء الحضارة الإنسانية أمر فطري جرت عليه سيرة العقلاء من جميع الأمم، وقد أقرّ الشارع المقدّس هذا السلوك الإنساني وحث على زيارة قبور الأقرباء وعموم المؤمنين والصالحين لأن في ذلك براً بهم وإحياءً لذكورهم ووفاء لحقهم وإدخالاً للسرور عليهم حيث أفادت الأحاديث الشريفة أن الميت يأنس بزيارة الحي له، فعن محمد بن مسلم قال: (قلت لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام): نزور الموتى؟ فقال (عليه السلام): نعم، قلت: فيسمعون بنا إذا أتيناهم؟ قال (عليه السلام): إي والله ليعلمون بكم ويفرحون بكم ويستأنسون إليكم^(٢)).

وقد كان النبي (ﷺ) يزور موتى البقيع ويدعو لهم بالمغفرة، فعن صفوان الجمال قال: (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: كان رسول الله (ﷺ) يخرج في ملأ من الناس في أصحابه كل عشية خميس الى بقيع المدنيين فيقول: السلام عليكم يا أهل الديار ثلاثا رحمكم الله ثلاثا^(٣))، والمنقول أن

(١) كلمة تحدث بها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) في مجلس بحثه الفقهي

يوم ٨/شوال/١٤٤٣هـ - الموافق ٢٠٢٢/٥/١٠م.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٣٠٠/٩٩.

(٣) وسائل الشيعة: ٣/٢٢٤/باب ٥٥/٣.

السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أوصت أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما دنت منها الوفاة أن تعاهد قبري بالزيارة)، وورد عن أبي عبد الله، عن آبائه (عليهم السلام) قال: (إن فاطمة (عليها السلام) لما احتضرت أوصت علياً (عليه السلام) ومما قالت: وأنزلني قبري، وألحدني وسو التراب عليّ واجلس عند رأسي قبالة وجهي فأكثر من تلاوة القرآن والدعاء، فإنها ساعة يحتاج الميت فيها إلى انس الاحياء...) (١).

وأوردت الأحاديث الشريفة عمل عدة مستحبات عند الزيارة أبرزها تلاوة القرآن، كما ذكرت عدة آثار مباركة لهذه الزيارة ومنها تحصيل الأجر والثواب واستجابة الدعاء (٢).

ويتأكد استحباب زيارة مرقد أنبياء الله العظام والأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) وأوليائه الصالحين لما في ذلك من إظهار لعظمة منزلتهم وإبراز لمودتهم وإدامه لذكورهم واستلهم مواقفهم النبيلة وأخلاقهم الفاضلة وسيرتهم الحسنة، ولما فيه أيضاً من نصرة الدين وإعزاز المؤمنين لذا كانت زيارة مرقد النبي (ﷺ) وآله الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) من شعائر الله التي قال الله تعالى فيها: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)، وفيها استجابة لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣).

لذا اهتم المسلمون بوضع أبنية وقباب وشواخص على هذه البقاع الشريفة لتكون معلماً للقاصدين ومهوى لأفئدة المحبين، وقد انتشرت هذه

(١) بحار الانوار: ٢٧/٨٢، مستدرک الوسائل: ٢: ٣٣٩.

(٢) أنظر: وسائل الشيعة: ٣/٢٢٥/٥٦، باب ٥٦، استحباب التسليم على أهل القور والترحم عليهم.

المراقد في جميع بلاد المسلمين ولم يستنكر أحد من علمائهم ذلك فتحقق اجماعهم على حسن هذا العمل، وقد فسرت الأحاديث الشريفة قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (النور: ٣٦)، أنها (بيوت الأنبياء وبيت علي وفاطمة من أفضلها)^(١)، وهي جارية في مراقدهم المقدسة أيضا لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون. فتكريمهم وهم تحت الثرى كتكريمهم وهم أحياء مضافاً الى ما دلّ على أن حرمة المؤمن ميتاً كحرمة حياً والاعتداء عليه ميتاً كالعدوان عليه حياً^(٢).

لكن بعض الذين في قلوبهم مرض لم يكن يروق لهم حضور هذه الشعائر والمشاعر في قلوب الأمة لأنها تستنهض الهمم لمواجهة الباطل والانحراف وتستثير الوعي وتعيد للأمة عزتها وبصيرتها.

فعملوا على هدم تلك المراقد المشرفة ومحو آثارها سعياً منهم لطمس هذه المعالم للإسلام المحمدي الاصيل كما ينقل التاريخ عن فعل المتوكل العباسي بقبر الامام الحسين (عليه السلام)^(٣).

وفي مثل هذا اليوم الثامن من شوال عام ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م، أصدر قاضي قضاة الوهابيين في نجد والحجاز فتواه بهدم القبور الشاخصة في بقية المدينة وغيره فهدمت القباب السامية على مراقد الائمة الأربعة الأطهار (صلوات الله

(١) راجع مجموعة روايات في تفسير البرهان: ٥٥/٧، وما بعدها.

(٢) في حديث العلاء بن سبابة عن ابي عبد الله (عليه السلام) الى ان قال: (قال رسول الله ﷺ) حرمة المسلم

ميتاً كحرمة وهو حي سواء). وسائل الشيعة: ٣٢٩/٢٩ ح. ٦.

(٣) مقاتل الطالبين: ٢٠٣-٢٠٤.

عليهم اجمعين) فهاج العالم الإسلامي^(١)، وخرج في تظاهرات واحتجاجات حاشدة وأقاموا المحافل والمآتم حزناً واحتجاجاً، لأنه بلغهم أن الهدم سيطل مرقد النبي الاكرم (ﷺ) مما اضطر السلطات هناك إلى عدم التناول عليه.

وكان خطيب هذه المحافل في النجف الاشرف والمدن الأخرى جدي المرحوم الشيخ محمد علي اليعقوبي (رحمه الله) وألقى فيها مقطوعته الرقيقة التي انتشرت في الأوساط الدينية والأدبية خصوصاً البيت الأول الذي يردده الخطباء إلى الآن، قال فيها:

أثامنَ شوالٍ بعثت لنا الأسى	كأنك من شهر المحرم عاشرٌ
أطلت على الإسلام فيك ملمّةٌ	ودارت على الدين الحنيف دوائر
إذا مرّ يوماً بالمسامع ذكرها	تكاد له وجداً تُثشق المرائر
مصائبُ بكى البيت الحرامُ لوقعه	ومادت له أركانهُ والمشاعر
أيهنأ عيشٌ أم تطيب موارد	ويرتاح قلب ام تقرر نواظر
واجداث آل المصطفى وقبورهم	دوارس يال المسلمين دوائر
ألم تُرع فيهم للمهيمن حرمةٌ	ألم تحفظ القربى بهم والأواصر
شعائر قدسٍ حاول القوم محوها	أما عَظمت لله تلك الشعائر

٨- لقد نظم كثير من الشعراء هذه الجريمة منهم العلامة السيد صدر الدين الصدر (قدس سره)

لعمري إن فاجعة البقيع	يُشيبُ لهولها فؤاد الرضيع
وسوف تكون فاتحة الرزايا	إذا لم يُصحَ من هذا الهجوع
أما من مسلمٍ لله يرعى	حقوق نيّهِ الهادي الشفيع

تعفت فلم يُعرف ثراها ولم يُطق دنواً لقبر المصطفى الطهر زائر
وما كان فعل الأولين وما جنوا بأعظم مما قد جنته الأواخر
وهيهات أن يُنسى (البقيع) وما جنى به (القوم) حتى يحشر الخلق حاشراً^(١)

ثم وفق (رحمه الله تعالى) لأداء فريضة الحج عام ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م
ووقف في طريق عودته على قبور أئمة البقيع (عليهم السلام)، فعبّر عن آلامه وأحزانه
في مقطوعة شعرية أخرى موجودة في نفس المصدر قال في آخرها:

وهبْ منعوا كَفِّيَّ عن لمس تُربها فهل منعوا قلبي عن الحب والود؟^(٢)

نأمل أن تحلّ الذكرى المثوية لهذه الحادثة المفجعة في العام المقبل
وقد استجابت السلطات الحاكمة هناك لمطالب المسلمين في مشارق الأرض
ومغاربها بالإذن لهم لبناء هذه المراقد المشرفة خصوصاً وإن هذه السلطات قد
نأت بنفسها مؤخراً عن مذهب الوهابية وتبرأت من مخالقاتها لعقائد الإسلام
فعلينهم أن يحترموا مشاعر المسلمين وان خالفوهم في الرأي، وعلى المسلمين
تكثيف مطالباتهم وعرض قضيتهم على المحافل الدولية المختصة والله ولي
التوفيق.

(١) ديوان الذخائر: ٩٦.

(٢) ديوان الذخائر: ٩٧.

خطاب المرحلة

(٦٨٦)

المخترعون والكفاءات العلمية جزء مهم من الثروة الوطنية والرصيد الاستراتيجي

لبلد

استقبل^(١) سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) وفداً من الكفاءات وأساتذة الجامعات والذين نالوا شهادة عالمية بعدد كبير من براءات الاختراع وقدموا الكثير من الأبحاث العلمية، من مختلف محافظات بلدنا العزيز.

وقدم الضيوف الكرام إيجازاً عن أهم اختراعاتهم وابتكاراتهم وابحاثهم العلمية في مختلف الحقول (الطاقة، البناء، الزراعة والصناعة بشقيها المدني والعسكري).

وغيرها حيث حصل بعضهم على أكثر من براءة اختراع في مختلف المجالات.

وشكا أعضاء الوفد الضيف مما يعانونه من إهمال وإعراض من قبل الجهات الحكومية المعنية، الأمر الذي ولد احباطاً لدى الكثير من الكفاءات الوطنية فهاجر بعض منها وانزوى البعض الآخر حينما لم يجد من يعباً بجهوده وإنجازاته التي من شأنها أن تدعم اقتصاد البلد وتوفر له الكثير من الكُلف المالية.

(١) يوم الجمعة ١١/شوال/١٤٤٣هـ - الموافق ١٣/٥/٢٠٢٢م.

من جانبه أشاد سماحة المرجع (دام ظلّه) بالإنجازات العلمية وبارك الجهود البحثية التي يبدعها العقل العراقي في مختلف المجالات العلمية والفكرية وأعتبرها الجزء المهم من الثروة الوطنية والرصيد الاستراتيجي للبلد. وتأسّف سماحته (دام ظلّه) أن تُقَابِل هذه الإنجازات العلمية والأبحاث المبتكرة بالإهمال والتجاهل تارةً وبالالتفاف والمصادرة تارةً أخرى، ولما آل إليه المستوى العلمي لمؤسساتنا العلمية والبحثية بعد ان كانت لها الريادة والسبق والتميّز، وأنجبت عدداً لا يستهان به من القامات العلمية التي يُشهد لها بالفضل والإبداع .

وأرجع سماحته سبب ذلك الى الفساد السياسي والمالي في الحكومات المتعاقبة والمصالح الشخصية وسوء الإدارة، وعدم أهلية المتصدين لإدارة مؤسسات الدولة وغيرها من الأسباب التي كان لها الدور الأبرز في انحسار المستوى العلمي وتسبّب في هجرة النخب والكفاءات واهمال واقصاء من بقي منها.

ودعا سماحته (دام ظلّه) الجهات ذات العلاقة وخاصةً الحكومية منها الى الإسراع لرعاية هذه الطاقات واحتضانها وتكريمها، مقترحاً المبادرة الى خطوات عملية كخط شروع تنطلق منها وهي:

- ١- السعي لتأسيس مرجعية قانونية ترعى الكفاءات والمخترعين والباحثين لتضمن حقوقهم وتوفير لهم مناخاً ملائماً لتطوير قابلياتهم وتوسعة ابحاثهم.
- ٢- السعي لإستثمار هذه الاختراعات والإبتكارات والأبحاث العلمية وإيجاد منافذ للاستفادة منها (كلُّ بحسب مجاله والحقل الذي يلائمه).

٣-تسليط الضوء إعلامياً على هذه الإنجازات والتعريف بها لا يصلح صداها الى ضمائر المسؤولين لاستشارتها وتحريكها من خلال القنوات الإعلامية المختلفة ومواقع التواصل وإقامة المعارض المتنوعة، وغيرها من الفعاليات. هذا ويذكر ان قناة النعيم الفضائية أنتجت برنامج في شهر رمضان المبارك الماضي بعنوان (انا المبتكر) يعرّف من خلاله بالجهود العلمية لهذه النخبة من المخترعين والباحثين ويسلط الضوء على منجزاتهم العلمية.

روايات تنموية

(١)

أخلاق الإسلام خير داعية له^(١)

روى الشيخ الكليني (قده) بسنده عن الإمام الصادق عن آبائه (أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) صَاحِبَ رَجُلًا ذِمِّيًّا فَقَالَ لَهُ الذَّمِّيُّ أَيْنَ تُرِيدُ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أُرِيدُ الْكُوفَةَ، فَلَمَّا عَدَلَ الطَّرِيقَ بِالذَّمِّيِّ عَدَلَ مَعَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقَالَ لَهُ الذَّمِّيُّ: أَلَسْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ تُرِيدُ الْكُوفَةَ؟ فَقَالَ لَهُ: بَلَى، فَقَالَ لَهُ الذَّمِّيُّ: فَقَدْ تَرَكْتَ الطَّرِيقَ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ عَلِمْتُ، قَالَ: فَلِمَ عَدَلْتَ مَعِي وَقَدْ عَلِمْتَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): هَذَا مِنْ تَمَامِ حُسْنِ الصُّحْبَةِ أَنْ يُشَيِّعَ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ هُنَيْئَةً إِذَا فَارَقَهُ وَكَذَلِكَ أَمَرْنَا نَبِيَّنَا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ لَهُ الذَّمِّيُّ: هَكَذَا قَالَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ الذَّمِّيُّ: لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَبِعُهُ مَنْ تَبِعَهُ لِأَفْعَالِهِ الْكَرِيمَةِ فَأَنَا أُشْهِدُكَ أَنِّي عَلَى دِينِكَ، وَرَجَعَ الذَّمِّيُّ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَلَمَّا عَرَفَهُ أَسْلَمَ^(٢).

تتضمن الرواية عدة دروس:

١- انها تبين أحد حقوق الصحبة التي تحصل ولو بالمسايرة في جزء من الطريق فضلاً عما هو أطول من ذلك كالجوار أو المواظبة على الحضور في المساجد وصلاة الجماعة أو الاشتراك في مؤسسة نافعة أو السكن المشترك وغير ذلك، بأن يكرم صاحبه ويعتني به، وأوجبت في رواية أخرى تفقده

(١) كلمة مختصرة تحدث بها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من الزوار يوم الجمعة ٣/ذو القعدة/١٤٤٣هـ- الموافق ٢٢/٦/٢٠٢٢م.

(٢) الكافي: ٢/٦٧٠/ح ٥.

والسؤال عنه ما دام قد صحبه في الطريق.

٢- إنها تعكس صورة لحسن التعامل مع الناس ومداراتهم والإحسان إليهم وتكريمهم مهما كان انتماؤهم الديني أو العرقي أو الاجتماعي.

٣- إنها تحث على الاندماج في المجتمع وعدم الانعزال عنه لتتاح له فرصة واسعة للعمل المثمر المبارك والهداية إلى الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- التأثير الكبير للأخلاق الحسنة في جذب الناس إلى الدين ومنهج الحق، فهذا الرجل أسلم بعد أن أطلع على هذا الأدب الجميل من دون أن يعرف شيئاً عن دين الإسلام، وهكذا فقد كسب قادة الإسلام: النبي (ﷺ) وآله الطاهرون أمة كبيرة إلى الإسلام بأخلاقهم.

ومنه تعرف وجهاً لتركيذ الله تعالى في خطابه للنبي (ﷺ) على أخلاقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، لذا يجب على أبناء الإسلام الالتزام بالأخلاق الحسنة أينما كانوا حتى في دول غير المسلمين ليعكسوا هذه الصورة الطيبة عن الإسلام وأهله.

روايات تنموية

(٢)

من آداب التعامل مع الآخرين^(١)

روى الشيخ الكليني (رضوان الله تعالى عليه) بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (جاء رجل موسر إلى رسول الله (ﷺ) نقي الثوب فجلس إلى رسول الله (ﷺ) فجاء رجل معسر درن الثياب فجلس إلى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذه فقال له رسول الله (ﷺ): أخفت ان يمسك من فقره شيء؟ قال: لا، قال: فخفت ان يصيبه من غناك شيء، قال: لا، قال: فخفت ان توسخ ثيابك؟ قال: لا، قال: فما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله: إن لي قريباً يزين لي كل قبيح، ويقبح لي كل حسن، وقد جعلت له نصف مالي، فقال رسول الله (ﷺ) للمعسر: أتقبل؟ قال: لا، فقال له الرجل: ولم؟ قال: أخاف ان يدخلني ما دخلك^(٢).

أقول: نستفيد من الرواية عدّة دروس:

١- يجب على الإنسان ان يتواضع لغيره، ولا يتكبر على أحد ولا يستنكف من مجالسة الفقراء والطبقات الضعيفة في المجتمع، وان لا يغتر بما عنده من المظاهر الدنيوية الزائلة فيطغى لأنه أصبح من الأثرياء أو له موقع في السلطة

(١) موعظة مختصرة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) في مكتبته على حشد كبير من منطقتي المدائن والنهروان في بغداد زاروا سماحته يوم السبت ٢٥/ ذو القعدة /١٤٤٣هـ- الموافق ٢٥/٦/٢٠٢٢م.

(٢) الكافي: ٢/٢٦٢.

أو جاه اجتماعي ونحو ذلك قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ (العلق: ٦-٧)، فهذه ليست مقاييس صحيحة لكرامة الإنسان وعلو قيمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

٢- ان الشيطان يتربص بالإنسان فمتى وجد فيه ثغرة نفذ فيها أو وجده غافلاً عما يريد الله تعالى منه ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦)، فهذا الرجل الغني بمجرد ان التفت الى أنانيته واستكبر واستعلى بكثرة المال تمكن منه الشيطان وارداه لولا ان رسول الله (ﷺ) تداركه.

٣- ان الاعتراف بالخطأ فضيلة كما قيل فإذا اعترف بخطأه وندم على فعله فأن الله تعالى سيتكفل بمعالجة خطأه وإصلاح حاله والتجاوز عن خطيئته فلا يكابر الإنسان ويصرّ على خطأه ويحاول ايجاد المبررات لنفسه أمام الآخرين فان هذا السلوك سيجره إلى مزيد من الأخطاء ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ﴾ (البقرة: ٢٠٦).

٤- على الانسان ان يتمسك بدينه ومبادئه واخلاقه فلا يضحي بها مهما بذل له من ثمن نفيس بالحسابات الدنيوية، فهذا الرجل المعسر بذل له الغني نصف ماله وهو كثير الا انه أبى ان يأخذه خشية ان يصاب بالغرور والاستعلاء والأنانية.

خطاب المرحلة

(٦٨٧)

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (الروم: ٤١)

ارتباط فساد الحياة وصلاتها بأفعال الناس^(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

﴿ظَهَرَ﴾ بمعنى بان واتضح أو كثر وشاع - كما في المفردات^(٢) - بعد أن لم يكن موجوداً أو كان خفياً مستوراً غير بادٍ للعيان كالأشياء الموجودة في باطن الأرض ثم تخرج إلى ظهرها أي سطحها.

ويمكن أن يكون بمعنى تغلبَ وتسلطَ وتمكّن كما في قوله تعالى:

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وُلَا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ٨)، واشتق منه لفظ المظاهرة التي تعني المعاونة كقوله تعالى: ﴿وَوَظَّاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ (المتحنة: ٩).

﴿الْفَسَادُ﴾ خروج الشيء عن حدِّ الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً، ويضادُّه الصلاح، واستعملا كمعنيين متقابلين في القرآن الكريم، ويعبرُ الفساد عن حالة من الاختلال في نظام الشيء وتركيبه، والخروج عن خطِّ سيره نحو الهدف المقصود الموجب للسعادة والحياة الطيبة مما يسبب آثاراً

(١) الخطبة الأولى لصلاة العيد المبارك عام ١٤٤٣هـ - الموافق ٢٠٢٢/٧/١٠م.

(٢) المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني: ٥٤١.

سيئة ويحرم الناس من المنافع المتوقعة.

والاختلال قد يقع في النظام الكوني الخارجي كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ
اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (المؤمنون: ٧١)، كما يمكن
ان يقع في الأفعال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ
مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١١)، ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾
(الفجر: ١١-١٢).

﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ كناية عن شمول الفساد جميع انحاء الأرض كما
نقول ملأ الخافقين، أو انه مراد حقيقة بأن الفساد ملأ البر والبحر فعلاً على كلا
المستويين: الواقع الكوني وأفعال الإنسان، فمن الأول تلوث البيئة والاحتباس
الحراري والحرائق والاعصارات وانتشار الأوبئة الفتاكة والأمراض الخبيثة
والأزمات الاقتصادية والتصحر ونقص المياه والمجاعة والزلازل والفيضانات
وانبعاث الغازات التي تدمر طبقة الأوزون وغيرها، ومن الثاني أي فساد الأفعال:
الشرك والالحاد والقتل والزنا والسرقه والربا وشرب الخمر والخيانة والظلم
والعدوان والتعصب والحقد والبغضاء والقطيعة والحروب العبيثة واسلحة
الدمار الشامل وزواج المثليين وغيرها مما تشهد الأرض من فظائع وجرائم
كبرى.

وما يشهده البحر كالذي يحصل على شواطئها من فسق وفجور، وان
سفناً كانت ترسو على سواحل الخليج تحمل العاهرات والخمور ويقصدها
السكان المسلمون!! لممارسة الرذيلة، ومن فساد البحر ما يحصل في باطنها من
تفجيرات نووية وقتل للكائنات الحية فيها، واساطيل تجوب البحار مسلحة

بأحدث التكنولوجيا العسكرية لإرهاب الشعوب ومحاصرتها واخضاعها لسلطة المستكبرين، ومن أمثلة فساد البحر أنّ تمرّد الإنسان على قوانين حفظ البيئة قد سبّب قلة الأمطار وهو يضر حياة الكائنات الحية في البحار كما يضرها على اليابسة، روى القمي في تفسيره عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (حياة دواب البحر بالمطر فاذا كفّ المطر ظهر الفساد في البر والبحر وذلك إذا كثرت الذنوب والمعاصي)^(١). ونقل بعض الاعلام المعاصرين عمّن يقطنون ساحل البحر قولهم: (إن فائدة الغيث للبحر أكثر من فائدته للصحراء)^(٢).

ولابد أن نفهم من الفساد مساحاته المتعددة العقائدية والسياسية والاقتصادية والأمنية والأخلاقية والفكرية والاجتماعية.

وأعظم فساد هو انحراف العقيدة عن خط التوحيد إلى الشرك والكفر والإلحاد لأنه سبب كل انحراف وفساد ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣).

وقد طبّق الإمام الباقر (عليه السلام) الآية الكريمة في صحيحة محمد بن مسلم^(٣) على حادثة السقيفة حيث أقصي أمير المؤمنين (عليه السلام) من مقام خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وولاية أمر الأمة.

وقد ازدادت سرعة انحطاط الناس وتسافلهم في السنين الأخيرة بشكل لم يخطر على بال أحد، حتى سنوا القوانين لترويج المثلية والتحول الجنسي

(١) تفسير القمي: ١٦٠/٢.

(٢) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي: ١٨٠/١٠.

(٣) الكافي: ٥٨/٨، ح ١٩، تفسير القمي: ١٦٠/٢.

حتى للأطفال من دون اذن والديهم وحمايتهم باسم الحرية واظهورهم وكأنهم ضحايا للعنف، ويعاقب من ينتقدهم، ولا أدري لماذا الحرية مكفولة لمن يروج للفساد ولا تكفل لمن يعبر عن رأيه برفض الفساد؟! ويقول شخص مقيم في السويد بأنني لا أستطيع أن أمنع ولدي أو بنتي من مصادقة المثليين لأنه إذا نقل ذلك عني ببراءة الأطفال فان الأب سيسجن سنة إلى ست سنوات.

فهذا الجزء من الآية يخبر عن اتساع هذه الحالة من الفساد وانتشارها في عموم الكرة الأرضية براً وبحراً، وامتلاكها زمام الأمور حتى عاد المؤمنون قلة مستضعفين، ورجع الإسلام غريباً كما بدأ غريباً^(١) حتى عند المتسمين به، فلو أردت أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتدعو إلى تطبيق أحكام الشريعة فان فعلك يكون مستهجنًا، إلى أن يملأ الله تعالى الأرض قسطاً وعدلاً على يد المهدي (عجل الله فرجه) الموعود بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

والملفت ان القرآن الكريم استعمل نفس لفظ ﴿ظَهَرَ﴾ للتعبير عن حالة انتصار الإيمان وغلبته وهيمنته على جميع الأنظمة والايديولوجيات الأخرى قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة: ٣٣- الفتح: ٢٨- الصف: ٩).

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ ثم تُرجع الآية في هذا الجزء منها سبب وقوع هذا الفساد والاختلال إلى فعل الناس أنفسهم فهم الذين يجرون إلى أنفسهم هذه الكوارث بحماقتهم وجهلهم وغرورهم واتباعهم للشهوات

(١) مضمون حديث شريف عن أخبار آخر الزمان ورد فيه قال رسول الله (ﷺ): (الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء) إكمال الدين: ٣٠٨/١.

وانصياعهم لشياطين الجن والإنس، وليس سبب هذه الكوارث غضب الطبيعة ونحو ذلك مما يجري على ألسنتهم.

وإذا عُرف السبب فلا بد أن يتركز العلاج على إزالته ولا يكفي معالجة نتائجه وآثاره، كالطبيب الحاذق الذي لا يكتفي بعلاج مظاهر المرض كالصداع وعدم الشهية وإنما يجري الفحوصات والتحليلات لتشخيص المرض ومعالجته، لكن الغرب الأحمق الغارق في الشهوات لا يسير وفق منطق العقل، فقد ابتلوا مؤخراً بمرض خطير سمّوه جدري القردة واعترفوا بأن سببه زواج المثليين، وأن انتشاره الواسع هذه الأيام حصل بعد مهرجان موسع للمثليين أقيم في بريطانيا قبل شهرين تقريباً وحضره ثمانون ألفاً، وبدلاً من نبذ المثلية والاعتراف بخطورتها دعوا الناس إلى التلقيح ضد جدري القردة!!!

وهكذا يتسبب هؤلاء الحمقى في تعريض البشرية لكوارث غير مسبوقة لأنهم أحدثوا فساداً غير مسبوق، وهو معنى ورد في حديث عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون)^(١).

وهذا الجزء من الآية ينبّه إلى حقيقة مهمة وهي ان ما يتعرض له الانسان من بلاءات هو بسبب الانسان نفسه كفرد أو كجزء من المجتمع يصيبه ما يصيبهم، وهي حقيقة كررها القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٧٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿الشورى: ٣٠﴾، وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل: ١١٢)، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: ٥٣).

وأشارت إليها أحاديث كثيرة كقول النبي (ﷺ) (ما اختلج عرق ولا عثرت قدم إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله عنه أكثر)^(١)، وقول الإمام الصادق (ع)^(٢): (من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال)^(٣).

وفي ذلك تنبيه وتحذير ودعوة صادقة لترك المعاصي حتى يجنبوا أنفسهم الويلات، ولكي لا يقعوا في ما وقعت فيه الأمم السابقة، وقد أوضحت هذه الملازمة بين صلاح الإنسان وصلاح الكون حوله وفسادهما في كلمات عديدة^(٣).

وهذا يصحح فكرة سائدة لدى عامة الناس تنسب هذه البلاءات إلى الله تعالى فإذا وقع له حادث سير قال هذا ابتلاء من الله وإذا مرض بسبب عدم مراعاته الوصايا الصحية اعتبره ابتلاء من الله تعالى وهكذا وهي فكرة خطيرة لأنها تؤدي إلى الاعتراض على الله تبارك وتعالى أو سوء الظن به سبحانه أو الشك في وجوده أو النفور من الإيمان ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (الصفات):

(١) بحار الأنوار: ١٩٤/٨١ ح/٥٢.

(٢) الأمالي للطوسي: ٧٠١ ح/١٤٩٨، وأحاديث كثيرة غيرها في ميزان الحكمة: ٣٦٩-٣٩٠.

(٣) راجع ص ١٤٣، خطاب رقم: ٦٨٠، من هذا الكتاب، وخطاب المرحلة: ٣٩٤/١.

١٥٩)، ومن أهم ما يتذرع به الملحدون هو نسبة الشرور إلى الخالق، وقد تبين الآن أنها من فعل الإنسان مباشرة أو غير مباشرة، حيث تُسبب بعض الذنوب الضرر لكل الناس بل المخلوقات عموماً كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل: ٦١)، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال: ٢٥).

نعم إنما ينسب الفعل إلى قضاء الله في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة باعتبار أنه تبارك وتعالى وضع هذه القوانين الكونية المؤثرة في حياة الإنسان، لكنه تعالى وضعها لمصلحة العباد وهم الذين سيئون استخدامها، كقانون الجاذبية فإنه ضروري لاستقرار الحياة ولولاها لما أمكن وضع حجر على حجر ولا سارت قدم على الأرض كالذي تراه عند رواد الفضاء، ولكن الإنسان إذا رمى نفسه من شاهق وتهشمت عظامه ومات بفعل الجاذبية فإن الذنب ليس ذنب القانون وإنما سوء فعل الإنسان، فعلينا تجنب كل ما ينفر الناس عن الخالق العظيم ومنها هذا الاعتقاد بأن ما يصيب الإنسان من مصائب هو من فعل الله سبحانه وتعالى عما يصفون.

ويظهر من الآية الكريمة ان الناس ما داموا يمارسون المعاصي سراً ولا يجهرن بها فان البلاء يكون محدوداً وقد يقتصر عليهم، لكنهم اذا اظهروا الفساد وجاهروا بالمعصية فان البلاء سيكون عظيماً وعماماً، وهذا المعنى ورد في الروايات الشريفة ففي الحديث الشريف عن النبي (ﷺ) قال: (لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون - وهو وصف عام للجوائح والابوئة العامة مثل فايروس كورونا - والأوجاع التي لم تكن مضت

في أسلافهم الذين مضوا)^(١)، وعنه (ﷺ) قال: (إن المعصية إذا عمل بها العبد سرّاً لم تضرّ الا عاملها، وإذا عمل بها علانية ولم يغيّر عليه أضرّت بالعامّة)^(٢).

﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ هذا الظهور للفساد في البر والبحر لا يتدخل الله سبحانه لمنعه كلياً ولا يعطلّ السنن والقوانين الجارية في الكون، لأن الله تعالى جعل الإنسان حرّاً مختاراً لما يفعل حتى يتحمل مسؤولية أفعاله ويستحق على أساسها الثواب او العقاب، فيدعهم يذوقون بعض ما عملوا وليس كل الذي عملوا، لأن الدنيا ليست دار جزاء وإنما الجزاء في الآخرة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧-٨)، ولأن الله تعالى يعفو عن كثير كما في آية الشورى المتقدمة، ولولا هذا العفو وتسخير الملائكة لحماية البشر من شرورهم ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ١١)^(٣)، لكان سكان الأرض في كارثة حقيقية ولا نعدمت الحياة على الأرض من أفعال الحمقى الذين يقودون العالم وما يملكونه من أسلحة دمار شامل بحسب الإحصاءات المرعبة التي تنشرها المجالات والكتب المتخصصة.

وتكون الإذاعة لنفس عملهم عندما يظهر لهم بصورته الحقيقية السيئة حيث يتحول إلى ألم ما توهموه لذة، وإلى شرّ ما ظنّوه خيراً، أو ليذيقهم وبال العواقب الوخيمة لبعض أفعالهم ليس انتقاماً منهم، لأن

(١) ميزان الحكمة: ٩٧/٧، عن الترغيب والترهيب: ٥٦٨/٢ ح ٣.

(٢) بحار الأنوار: ١٠٠/٧٤ ح ١٥

(٣) أنظر: خطاب المرحلة: ١٧١/٩- وفي تفسير (من نور القرآن): ٨٥/١، لشرح هذه الفكرة من خلال

تفسير قوله تعالى ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾.

الله تعالى غني عن العالمين لا تضره معصية العباد ولا تزيده طاعتهم شيئاً، وهو سبحانه يحب عباده ويريد لهم الخير والرحمة ﴿كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِيهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ١٢)، وفي الحديث القدسي (الخلق عيالي فأحبهم إليّ ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم)^(١)، فهل رأيت ربّ عائلة عاقل يريد الشر بعائلته؟ وإنما يذيقهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، فالغرض من إذاقتهم بعض ما عملوا هو تربيتهم وإصلاحهم من خلال إلفات نظرهم وتبنيهم من غفلتهم التي لو استمروا عليها فانها تورثهم الحسرة والندامة، قال تعالى: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (السجدة: ٢١).
ونستنبط من الآية الكريمة عدّة مسؤوليات:

منها: أنّ على المؤمنين الدعوة إلى الله تبارك وتعالى توعية الناس جميعاً إلى أن ما يحلّ بهم من كوارث ونكبات وآلام وشورور هو نتيجة طبيعية لأفعالهم فاذا أرادوا التخلص منها فليصلحوا أنفسهم وليغيروا نظمهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المخالفة لسنن الله تعالى وقوانينه.

ومنها: أنّ على المؤمنين أيضاً أن يجهدوا أنفسهم في جلب السعادة والخير للناس وتحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير الحياة الكريمة لهم في أي موقع كانوا وبالطريقة التي يستطيعونها حتى يصدّق الناس بأن الالتزام بالدين يحقق لهم ذلك، روى في الكافي بسنده عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِي

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿الرُّوم: ١٩﴾، قوله (ﷺ): (ليس يحييها بالقطر
ولكن يبعث الله رجلاً فيحيون العدل فتحيى الأرض لإحياء العدل،
ولإقامة الحد لله أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً)^(١).

(١) الكافي: ١٧٤/٧ ح/٢.

خطاب المرحلة

(٦٨٨)

(حتى تسكنه أرضك طوعاً)

الفتح السلمي للعالم^(١)

تضمّن الدعاء المأثور للإمام المهدي الموعود (عجل الله فرجه) الذي أوله (اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه)^(٢) فقرة تستحق التأمل، وهو قوله (عليه السلام): (حتى تسكنه أرضك طوعاً)، أي تمكينه من فتح العالم واخضاعه لسلطة العدل الإلهي سلماً.

وهذا معنى ورد في الروايات الشريفة عن المعصومين (عليهم السلام) أيضاً كالذي أخرجه السيوطي في الحاوي عن نعيم بن حماد عن علي قال: (إذا بعث السفيناني الى المهدي جيشاً فخسف بهم البيداء... وتنقل اليه الخزائن، ويدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال)^(٣).

وأخرج بن طاووس في الملاحم والفتن عن نعيم بن حماد أيضاً، وأخرج النعماني في الغيبة بإسناده عن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه (عليه السلام) قال: (إذا قام القائم... قال: ويبعث جنداً إلى القسطنطينية. فإذا بلغوا الخليج كتبوا على أقدامهم شيئاً ومشوا على الماء. فإذا نظر إليهم الروم يمشون على الماء، قالوا:

(١) الخطبة الثانية لصلاة عيد الأضحى المبارك عام ١٤٤٣هـ- الموافق ٢٠٢٢/٧/١٠م.

(٢) مفاتيح الجنان: ٢٩٨.

(٣) ج ٢/ ص ١٤٦، نقلنا الحديث بواسطة موسوعة الامام المهدي (عجل الله فرجه) للسيد الشهيد الصدر الثاني

(قده): ٤١٢/٣.

هؤلاء أصحابه يمشون على الماء، فكيف هو؟ فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة، فيدخلونها، فيحكمون فيها ما يريدون^(١).

وهنا ينقدح سؤالاً لا يرقى إلى مستوى الاشكال أكيداً وحاصله: أننا نعلم من تاريخ الحركات الرسالية التي قادها الأنبياء والأوصياء (صلوات الله عليهم أجمعين) عبر التاريخ أنها تواجه حرباً شرسة من قبل المتجبرين وذوي الثروة والجاه والاتباع في المجتمع الذين يصفهم القرآن الكريم بالملأ خوفاً على مصالحهم وامتيازاتهم غير المشروعة، وتعرض تلك الحركات لحملات إبادة واستئصال تشنها السلطات الجائرة والقوى الدولية المستكبرة، ولا يستطيع القادة الرساليون تثبيت دعوتهم ونشرها الا بشقّ الأنفس وبلطف الله تعالى وتأيدته.

ولا شكّ ان القيام المهدي المبارك سيتعرض لمثل ذلك وأكثر، وتستعدّ قوى الاستكبار العالمي لوأد نهضته المباركة قبل ولادتها وهو ما نتوقعه من الشياطين الذي يريدون أن يملؤا الأرض ظلماً وجوراً وفساداً، وعدوهم الأول الإمام المهدي (عليه السلام) الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فكيف لا يحشدون كل قواهم لمواجهته.

وقد تناقلت وكالات الأنباء اعتراف الرئيس الأمريكي بايدن في خطاب القاه بمناسبة عيد الفطر الماضي بأن له مستشاراً (وهو بروفيسور في العلوم الإسلامية) خاصاً لدراسة كل ما يتعلق بالإمام المهدي (عليه السلام) وقيامه ودولته

(١) موسوعة الامام المهدي (عليه السلام) للسيد الشهيد الصدر الثاني (قده): ٤١٢/٣، عن الملاحم والفتن: ٥٣، والغيبة للنعماني: ١٧٢، ونقله المجلسي في بحار الأنوار: ١٩٤/١٣.

المباركة، ويجتمع به كل اربعاء على الغداء كما قال، وهو لم يقل هذا في خطاب عام امام وسائل الإعلام للتندر أو المجاملة وإنما لغرض لا يخفى. اذن كيف ينسجم هذا الواقع مع ما نطق به الدعاء وصرحت به الروايات الشريفة؟

ونذكر وجوهاً في الجواب:

١- إن فتح العالم سلماً يقع على طريق المعجزة، التدخل الإلهي المباشر كالذي حصل مع النبي (ﷺ) حين أنزل معه آلاف من الملائكة في بدر وأحد ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال: ١٢)، وقوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (الأحزاب: ٢٦)، وقوله تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ (الحشر: ٢)، وقوله تعالى في معركة الأحزاب ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الأحزاب: ٩)، وقوله تعالى: ﴿فِيَّةُ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ (آل عمران: ١٣)، فأنزال الملائكة والجنود وإلقاء الرعب وإرسال الريح وتشويش الرؤية كلها وسائل غيبية اعجازية لتحقيق النصر، وهكذا المهدي (عجل الله فرجه) فإنه ينتصر بمثلها، روى الشيخ الصدوق في إكمال الدين والطبرسي في أعلام الوري عن محمد بن مسلم الثقفى قال: (سمعتُ أبا جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) يقول:

القائم منا، منصور بالرب، مؤيد بالنصر^(١).

وقد ورد في الرواية الآتية ان أصحاب المهدي (عَلَيْهِ السَّلَام) يمشون على الماء فيذعن العدو ويستسلم. أو ما ورد في عقد الدرر عن علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلَام) في قصة المهدي وفتوحاته إلى ان قال: (ويقيم المهدي (عَلَيْهِ السَّلَام) بانطاكيه سنته تلك، ثم يسير ومن تبعه من المسلمين ولا يمرّون على حصن من بلد الروم الا قالوا عليه: لا إله الا الله فيتساقط حيطانه ويقتل مقاتلته)^(٢) الى آخر الحديث.

٢- ان هذا ليس بعيداً حتى بالطرق الطبيعية من دون الحاجة إلى المعجزة فقد حصل الفتح بنص القرآن الكريم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (الفتح: ١)، لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في الحديبية سلماً وأرغم قريش على إيقاف الحرب عشر سنوات والسماح للدعاة الى الإسلام ان يخرجوا الى بقاع الأرض والاذن لمن يشاء من قبائل العرب ان يتحالفوا مع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، كل ذلك حصل بعد سنة واحدة من حرب الأحزاب التي حشدت قريش فيها عشرة آلاف مقاتل وحاصروا المدينة للقضاء على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وفي العام التالي خرج (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) محرماً بالعمرة وساق معه الهدي في ما يقرب من ألفين من أصحابه ولم يشك أحد من العرب بأنه سائرٌ إلى حتفه وأنه قدّم نفسه الشريفة وأصحابه لقمة سائغة بين أنياب قريش لذلك خافوا من الالتحاق به

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٥٩/١، إعلام الوري: ٢٩١/٢.

(٢) موسوعة الامام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَام) للسيد الشهيد الصدر الثاني (عَلَيْهِ السَّلَام): ٤١٣/٣، عن الزام الناصب: ٢٢٤،

حتى أشرف على مكة وعرضت عليه الصلح بالفقرات التي ذكرناها وان يؤدي العمرة في السنة التالية^(١).

واما النماذج المعاصرة لانتصار الشعوب سلماً فعديدة وذكرونا جملة منها في بعض الخطابات السابقة، ومن مظاهر الفتح السلمي الناعم ما نجده من اختراق الإسلام أوروبا وأمريكا وتعاظم وجوده هناك بكل سلاسة ويسر، رغم شدة الإسلام فوبيا التي يصنعها الأعداء، وتقول احصائيات العام الماضي في بريطانيا أن ثاني أكثر اسم شيوعاً في المواليد الجدد هو (محمد) وقد أصبح الأول هذا العام، وصار كبارؤهم يتهمون رعباً بأن بعض دول أوروبا ستضم إلى منظمة المؤتمر الإسلامي بعد سنوات لأن الأغلبية ستكون مسلمة والفضل لله تعالى وحده على تحقق هذا الفتح.

٣- أن يتمكن المؤمنون من الوصول إلى مواقع النفوذ والسلطة والحكم في البلاد التي ينطلق منها الإمام (عليه السلام) لتأسيس دولته الكريمة وقلبها العراق، وهؤلاء يهيئون تسليم الحكم للإمام (عليه السلام) بكل طاعة وولاء، أما إذا كانت البلاد بأيدي المنافقين والكفار والمعادين فإن الإمام (عليه السلام) سيبدل كثيراً من الجهد والتضحيات لفتح هذه البلاد، وقد وردت روايات تسمي فيها بعض القيادات الصالحة التي تلتحق بالإمام (عليه السلام) مع قواتها سلماً وتسلم له القيادة في العراق في حين تحاربه جيوش من بعض الدول المجاورة وبعض المنافقين في هذه البلاد.

٤- إن البشرية ستكون قبل هذا الفتح العالمي السلمي مستعدة لاستقبال

(١) راجع الروايات التي تشرح الحادثة في تفسير البرهان: ٦١/٩.

المصلح الموعود بسبب الأزمات الخانقة التي تعجز عن حلها سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو بيئية أو صحية أو عسكرية وغيرها، وستتيقن الشعوب من فشل الأنظمة والايديولوجيات التي وضعها الناس، وسيشاهدون عياناً النموذج الفذ الذي يقيمه الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في عاصمته المباركة قبل انطلاقه لبط دولته المباركة، فيرون الرفاه الاقتصادي والاستقرار الأمني والحياة الاجتماعية السعيدة والرقي العلمي والمعرفي بحسب ما ورد في الروايات وتناولناه في خطاب سابق. فحينما تبلغهم دعوة الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لإقامة الحق والعدل وسعادة البشرية وإنصاف المظلومين والمحرومين واجتثاث أصول الفساد فسيتقادون إليه ويؤمنون به وسيعزز (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ذلك بالحجج والبراهين الدامغة من خلال ما يقوم به من حوارات ولقاءات وما يليقه من خطب وبيانات.

٥- ان اغلب بقاع العالم هي تحت سيطرة القوى التي تدعي الانتماء للسيد المسيح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وفق رؤاها الباطلة، وعند الظهور المبارك ينزل السيد المسيح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ويلتحق بالإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وسيثبت للمسيحيين أنه المسيح الحق الذي عرج به إلى السماء وليس المزعوم الذي توهموا صلبه ويأمرهم باتباع المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

لذا فإن السيد المسيح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يساهم بدور فاعل في إذعان الأمم المسيحية للإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سلماً، بحسب ما ورد في الروايات، ومنها ما رواه القمي في تفسيره عن شهر بن حوشب قال: (قال لي الحجاج: يا شهر آية في كتاب الله قد أعيتني فقلت: أيها الأمير آية آية هي؟ فقال: قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ

أهل الكتاب إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴿ (النساء: ١٥٩)، والله إني لأمر باليهودي والنصراني فنضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد، فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأولت، قال: كيف هو؟ قلت: إن عيسى (عليه السلام) ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا نصراني إلا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي (عليه السلام)، قال: ويحك أنى لك هذا ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال: جئت والله بها من عين صافية^(١).

تكاليفنا تجاه التمهيد لليوم الموعود

إن بعض هذه الوجوه التي عرضناها لشرح هذه الفقرة من الدعاء ذو بعدٍ عملي لذا فإنه يوجب تكليفاً بإزائه، والدعاء عند أهل البيت (عليهم السلام) ليس مجرد كلمات تتلى للثواب، أو للتنفيس عن أمانى حاملة لا سبيل إلى تحقيقها بل هي منظومة من العلوم والمعارف والقيم والآداب التي تهذب السلوك الإنساني، والتي صيغت بشكل دعاء، وعلينا أن نستنبط ما فيها من خطط وبرامج لتعرف على مسؤولياتنا تجاهها لنكون من الممهدين لليوم الموعود حقاً، ومنها هذا التعبير عن الفتح السلمي للعالم.

فالوجه الأول: فيه دعاء وطلب من الله تبارك وتعالى ان يذلل للإمام (عليه السلام) السماوات والأرض والبحار فتكون في أوضاع مناسبة لحركته المباركة، وان توظف لخدمته وتكون عوامل مساعدة لعمله المبارك، إن علينا

(١) تفسير القمي: ١٥٨/١، بحار الأنوار: ٣٤٩/١٤، مجمع البيان: ١٣٧/٢، وتجد مجموعة من روايات الفريقين عن هذه القضية في (المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ٦٥٩).

إدامة الدعاء للإمام (عليه السلام) بالتمكين والنصر وهو أقوى الأسباب، لأن كل الأحداث والوقائع الخارجية تعود في سلسلة عللها المباشرة وغير المباشرة إلى أسباب غيبية فلا بد من اللجوء إلى عالم الغيب لتحقيقها، وهذه حقيقة مهمة في فهم فلسفة الدعاء.

والوجه الثالث: يدعو شيعة الإمام (عليه السلام) التواقين لظهوره الميمون أن يزيدوا من خبرتهم في الإدارة والحكم وينظموا صفوفهم ويعبثوا طاقاتهم للوصول إلى هذه المواقع وبذل الوسع في النجاح في أداء مهامهم حتى يتمكنوا في الأرض وينجحوا ويقنعوا الناس بمشروع الإسلام وقدرته على توفير الرفاه والسعادة والحياة الكريمة ثم يسلّموا مقاليد الأمور إلى بقية الله الأعظم (عليه السلام).

والوجه الرابع: يقضي بأن لا يقصّر المؤمنون في عرض الإسلام النقي الأصيل كما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) وآله الطاهرين (عليهم السلام) على شعوب العالم، وأن يبينوا لهم محاسنه ويرغبوهم بالدخول فيه، ويشوقونهم إلى اليوم الذي تسود فيه مبادئ الإسلام - التي هي مبادئ الإنسانية - الأرض كلّها مستفيدين من وسائل الإعلام والاتصالات التي بلغت حداً عظيماً، ويشرحون لهم الحال المزرية التي أوصلتهم إليها أنظمتهم التي وضعها البشر بجهله وغروره من أمراض فتاكة كالآيدز ومن قلق ورعب ومستقبل مجهول وتفكك اجتماعي وضياع وأزمات اقتصادية وتلوث بيئية وغيرها من المشاكل المستعصية، ويظهرون عجز هذه الأنظمة مهما استكبرت وتفرغنت عن جلب السعادة للبشرية بل هي سبب شقائها وهلاكها، وقد لُقّن فايروس كورونا وهو

أضعف خلق الله تعالى بحيث لا يرى بالعين المجردة هذه القوى المستكبرة درساً بليغاً لو كان لهم عقل وأدخلهم حالة من الرعب والقلق وشل الحركة الاقتصادية وأوقف الحياة وبدلّ النظام الاجتماعي الذي كان سائداً. وهكذا تترجم الأدعية التي وضعها الأئمة المعصومون (عليهم السلام) لزمان الغيبة إلى برامج عمل نستشعر مسؤوليتنا عنها ليكون انتظارنا ايجابياً مثمراً مليئاً بالاستعداد للمراحل المقبلة حتى يوفينا الله تعالى أجور المنتظرين العاملين.

خطاب المرحلة

(٦٨٩)

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ﴾ (المعارج: ١)

في من رفض التسليم بحديث الغدير^(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ﴾ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿المعارج: ١-٣﴾.

﴿سَأَلَ﴾ بمعنى طلب واستدعى ﴿قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣)، أي لا أطلب، وقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ (الدخان: ٥٥)، كقولنا (سألته شيئاً) أي طلبته منه، وهو يأخذ مفعولين، وليس بمعنى استفهم واستفسر، لأن الثاني يتعدى بـ(عن)^(٢).

فيكون المعنى دعا داعٍ بعذاب على نفسه مستعجلاً إياه، وهذا الطلب

(١) كلمة القاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بمناسبة عيد الغدير / ١٤٤٣هـ - الموافق ٢٠٢٢/٧/١٨م.

(٢) ذكرت بعض التفاسير أن الباء هنا بمعنى (عن) كما في قوله تعالى: ﴿فَأَسْأَلُ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٩)، وذكروا قول علقمة شاهداً:

فإن تسألوني بالنساء فإنني خبير بادواء النساء طيب

فيكون السؤال بمعنى الاستفهام، ويمكن أن يفيد معنى الاستعجال كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ (الحج: ٤٧)، وقوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ (الشورى: ١٨)، ومن بلاغة القرآن تعديّة ﴿سَأَلَ﴾ بالباء ليصلح الفعل لمعنى الاستفهام والدعاء والاستعجال. (التحرير والتنوير: ١٤٤/٢٩).

منهم كان سخرية واستهزاءً وتكذيباً، ومحاولة لإظهار عجز رسول الله (ﷺ) عن تنفيذ ما يتوعدهم به مستغلين حلم الله تعالى وطول اناته في غضبه، وإعطائه أطول فرصة للمذنبين كي يتوبوا ويثوبوا إلى رشدهم رحمة بهم، وتعظيماً لمقام رسول الله (ﷺ) ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣).

وقد تكرر منهم هذا الاستدعاء للعذاب الإلهي كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (ص: ١٦)، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس: ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ (الحج: ٤٧)، وقوله تعالى: ﴿أَفِيعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (الشعراء: ٢٠٤)، وكانوا يوهمون أنفسهم وأتباعهم بأنهم على الحق وان ما نقله النبي (ﷺ) من وحي السماء هو باطل - والعياذ بالله - ويتباهلون على ذلك ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: ٣٢).

فتؤكد الآية الكريمة ان العذاب واقع صدقاً وحقاً كقوله تعالى في آية أخرى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ (الطور: ٧-٨) لكن دار الحساب والجزاء هي الآخرة.

كما يظهر من باقي الآيات الكريمة ان هذا العذاب مختص بالكافرين لا يدفعه عنهم دافع ولا ينفعهم شيء ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: ١٥٨)، أما المؤمنون فيمكن أن يدفع العذاب عنهم بتوبة أو شفاعاة أو عمل صالح يكفر به عن سيئاتهم ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا

كَبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴿ (النساء: ٣١)، وهذا العذاب يكون بأمر الله تبارك وتعالى.

﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ وهو موضع العروج أي الصعود مرتبة بعد مرتبة كما في المجمع، والمعارج جمع معرج، والظاهر انها معارج الملائكة، أي مقامات الملائكة التي يتوجهون منها الى قربه تعالى، وهي درجات متصاعدة يعرج اليها الملائكة عند رجوعهم إلى الله سبحانه على ما يفسره قوله بعد ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤)، فله سبحانه معارج الملكوت ومقاماتها المترتبة علواً وشرفاً بحسب قربهم من الله سبحانه وليست بمقامات وهمية واعتبارية^(١).

وقيل انها المقامات المعنوية التي يرتقي فيها السالكون للقرب من الله تعالى أعم من ان تكون للملائكة أو للمؤمنين، وتختار الآية الكريمة هذا الاسم من الأسماء الحسنى^(٢) للتعبير عن الاستعلاء والهيمنة والتسلط على هؤلاء الجهلة التافهين وللإشعار بكثرة مراتب القرب من رضاه وثوابه، فان المعارج من خصائص منازل العظماء، قال تعالى: ﴿لِيُثَبِّتَهُمْ سُقُفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (الزخرف: ٣٣)، ولكل درجة من درجات المعارج قوم عملوا لنوالها قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٧/٢٠.

(٢) روى في الدر المنثور (٢٧٨/٨) أن سعد بن أبي وقاص سمع رجلاً يقول: (لييك ذي المعارج فقال: إنه لذو المعارج، ولكننا كنا مع رسول الله ﷺ لا يقول ذلك) أقول: وينافيه ما ورد في استحباب التلبية عند الاحرام بالقول: (لييك ذا المعارج لبيك) (الكافي: ٢٣٥/٤)

دَرَجَاتٍ ﴿المجادلة: ١١﴾.

ويأمر الله تعالى نبيه بأن لا يستغزّه تحدّيههم واستكبارهم فيستعجل لهم العذاب ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأحقاف: ٣٥)، فان الله تعالى لا يعجل لظلم العباد، وهنا تقول الآيات التالية من السورة ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَرَأَاهُ قَرِيبًا﴾ (المعارج: ٥-٧)، فان المدة القصيرة الفانية التي يمهلهم الله تعالى فيها ليستدرجهم لا قيمة لها في عمر الزمن الطويل وفي مقابل الحياة الاخرة الباقية، ولا تستحق أن تكون ثمناً لمعصية الله تعالى وتحصيل عقابه الأكد، لكنهم لجهلهم وقصر نظرهم يرون يوم الانتقام بعيداً وكأنه لا يقع فيغترون ويتمادون في باطلهم، ولكنه سرعان ما يتحقق وعد الله الصادق، وفي هذا دعوة إلى عدم تضييع العمر القصير في توافه الأمور واستثماره في طاعة الله تعالى.

وقد دلّت الروايات الكثيرة من كتب الفريقين^(١) على ان السائل المقصود هو النعمان أو النضر بن الحارث الفهري حين رفض التسليم لأمر النبي (ﷺ) بمبايعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ولياً لأمر الأمة من بعده في واقعة الغدير المشهورة، فقد روى الطبرسي في مجمع البيان بسنده عن الحاكم الحسكاني - صاحب شواهد التنزيل - بسنده عن سفيان بن عيينه عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) قال: (لما نصب رسول الله (ﷺ) علياً (عليه السلام)

(١) نقل العلامة الأميني (رضوان الله تعالى عليه) في سفره القيم (موسوعة الغدير: ١/٢٣٩-٢٤٦) عن ثلاثين من علماء أهل السنة المشهورين نزول الآية في هذه الواقعة.

يوم غدير خم وقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه)، شاع ذلك في البلاد فقدم على النبي (ﷺ) النعمان بن الحارث الفهري. فقال: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت: (من كنت مولاه فعلي مولاه)، فهذا شيء منك أو أمر من عند الله؟ فقال: بلى والله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله. فولى النعمان بن الحارث وهو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فرماه الله بحجر على رأسه فقتله وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(١).

وروى الشيخ الكليني (قده) في الروضة بسنده عن أبي بصير قال: (بينما رسول الله (ﷺ) ذات يوم جالسا إذ أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له رسول الله (ﷺ): إن فيك شبيهاً من عيسى بن مريم، ولولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك قولاً لا تمر بملا من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة قال: فغضب الأعرابيان والمغيرة بن شعبة وعدة من قريش معهم، فقالوا: ما رضي أن يضرب لابن عمه مثلاً إلا عيسى ابن مريم فأنزل الله على نبيه (ﷺ) فقال: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مِثْلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يُصِدُّونَ * وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ -يعني من بني هاشم- مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ (الزخرف: ٥٧-٦٠)، قال: فغضب الحارث بن عمرو الفهري

(١) مجمع البيان: ٥٢٩/١٠، البرهان: ٣١/١٠ ح ١٠.

فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك إن بني هاشم يتوارثون هرقلاً بعد هرقل فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فأنزل الله عليه مقالة الحارث ونزلت هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الانفال: ٣٣)، ثم قال له: يا بن عمرو إما تبت وإما رحلت؟ فقال: يا محمد بل تجعل لسائر قريش شيئاً مما في يديك فقد ذهبت بنو هاشم بمكرمة العرب والعجم، فقال له النبي (ﷺ): ليس ذلك إلي ذلك إلى الله تبارك وتعالى، فقال: يا محمد قلبي ما يتابعني على التوبة ولكن ارحل عنك فدعا براحلته فركبها فلما صار بظهر المدينة أتته جندلة فرضخت هامته ثم أتى الوحي إلى النبي (ﷺ) فقال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ - بُولَايَةِ عَلِيٍّ - لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾، قال: قلت: جعلت فداك إنا لا نقرؤها هكذا، فقال: هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمد (ﷺ)، وهكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمة (عليها السلام)، فقال رسول الله (ﷺ)، لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتاه ما استفتح به قال الله عز وجل: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(١).

وأورد ابن تيمية في كتاب (منهاج السنة)^(٢) وغيره^(٣) اشكالا على هذه الروايات بأن سورة المعارج مكية وان واقعة الغدير حصلت في السنة العاشرة من الهجرة، فلا يصح ان تكون نازلة في هذه الواقعة.

(١) الكافي: ٥٧/٨ ح/١٨، البرهان: ١٠/٢٩ ح/٦.

(٢) منهاج السنة: ١٣/٤.

(٣) كالألوسي في روح المعاني: ٨٨/٢٩.

ويمكن جوابه بوجوه:

١- ان تقسيم السور إلى مكية ومدنية وترتيب السور بحسب تاريخ نزولها لم يرد الينا بطريق معتبر، وإنما هي في الغالب اجتهادات من العلماء فلا تكون حجة، وقد ثبت في بعض الموارد بمقتضى قرائن ترجح هذا أو ذاك كما لو عرف سبب نزولها وتاريخ الواقعة التي نزلت فيها.

٢- ولو قلنا بأن السورة مكية بشهادة السياق ونحوه، فإن كثيراً من السور المكية تضمنت آيات مدنية وهذا مثبت في بعض نسخ المصحف الشريف فلتكن الآيات منها.

٣- ما قيل من ان الآيتين من هذه السورة ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥)، مدنيتان^(١) ويراد منهما الزكاة المفروضة وقد وجبت في المدينة وهما جزء من مقطع لا يقبل التفكيك أوله ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (المعارج: ٢٢-٣٥)، ((ومدنية هذه الآيات الواقعة تحت الاستثناء استدعي ما استثنت منه وهو على الأقل ثلاث آيات، قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (المعارج: ١٩)، إلى قوله: ﴿مَنْوَعًا﴾ (المعارج: ٢١)، على ان قوله: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مَهْطَعِينَ﴾ (المعارج: ٣٦)، متفرع على ما قبله تفرعاً ظاهراً وهو وما بعده الى آخر السورة ذو سياق واحد فتكون هذه الآيات أيضاً مدنية.

ومن جهة أخرى: مضامين هذا الفصل من الآيات تناسب حال المنافقين الحافين حول النبي (صلى الله عليه وآله) عن اليمين وعن الشمال عزيزين، وهم الرادون الى

(١) نسبه في (مجمع البيان: ٦٥/١٠) إلى الحسن.

بعض ما أنزل الله من الحكم وخاصة قوله: ﴿أَيُّطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ (المعارج: ٣٨)، وقوله: ﴿عَلَىٰ أَنْ تُبَدَّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ (المعارج: ٤١)، الخ، وموطن ظهور هذا النفاق المدينة لا مكة، ولا ضير في التعبير عن هؤلاء بالذين كفروا فنظروا ذلك موجود في سورة التوبة وغيرها^(١).

أقول: هذا الوجه مبني على ما ذكره من إرادة الزكاة الواجبة، لكن توجد لدينا روايات عديدة تشير إلى أن هذا الحق المعلوم غير الزكاة المفروضة كما في موثقة سماعة عن ابي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: (ولكن الله تعالى فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ (المعارج: ٢٤)، فالحق المعلوم غير الزكاة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله)^(٢).

٤- المروي^(٣) ان السورة نزلت عند دعاء السائل ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: ٣٢)، فهو ناظر إلى ما جاء في سورة الأنفال التي هي مدنية فسورة المعارج مدنية متأخرة عن سورة الأنفال.

٥- ان بعض السور والآيات تنزل أكثر من مرة عندما يتكرر الموجب لها، فلعل قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ نزل أول مرة في مكة جواباً على ما ذكرته جملة من الآيات المتقدمة عن استعجال المشركين العذاب، فيكون موضوعها

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٦/٢٠.

(٢) الكافي: ٤٩٨/٣ ح/٨، البرهان: ٣٤/١٠.

(٣) أخرجه الآلوسي في (روح المعاني: ٨٨/٢٩) عن جملة من اعلام مفسري العامة.

عاماً، شاملاً لكل موقف استهزاء بالحق وتكذيب به، ثم نزلت نزولاً خاصاً من باب التطبيق في قضية الفهري، فما ذكرته الروايات من ان الآيات نزلت في هذه القضية يراد به النزول الخاص، كما في رواية^(١) أبي بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام).

وأفادت بعض الروايات أنها نزلت في أبي جهل يوم بدر، فقد روى القمي في تفسيره أنه (لما اصطف الخيلان يوم بدر رفع أبو جهل يده، فقال: اللهم اقطعنا للرحم وآتنا بما لا نعرفه فأجئه العذاب، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ﴾^(٢)).

وأورد ابن تيمية إشكالاً آخر بأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣)، فكيف نزل العذاب بهذا السائل؟

أقول: وهو إشكال واهٍ لأن المرفوع عن الأمة هو عذاب الاستئصال ونحوه واما العقوبات الفردية النازلة على الأشخاص عقوبة لتماديتهم في الظلم فأنها غير مشمولة بالآية وقد دعا النبي (ﷺ) على جماعة وأراه الله تعالى استجابة دعائه كقتل النضر بن الحارث يوم بدر، وهو ممن روي عنه أنه قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٣) (الأنفال: ٣٢)، ونحو ذلك وتوجد إشكالات أخرى لا تستحق الاطالة في

(١) الكافي: ١/٣٤٩/٤٧، البرهان: ١٠/٢٩/٥.

(٢) تفسير القمي: ٢/٣٨٥، نور الثقلين، ج ٥، تفسير سورة المعارج: ٨.

(٣) الدر المنثور: ٢٧٧/٨.

عرضها والاجابة عليها^(١).

جعلنا الله تعالى من المسلمین لأمره المطيعین لحججه والثابتین علی
الإسلام وولاية امیر المؤمنین (عَلَيْهِ السَّلَام) وأولاده المعصومین (سلام الله عليهم
اجمعين).

(١) أوردھا ملخصة في تفسير الأمثل (٤٢٦/١٤)، وأجاب بحقائق تاريخية ناصعة في الغدير: ٢٤٧/١ -

خطاب المرحلة

(٦٩٠)

إني أحامي أبدأً عن ديني^(١)

عاشوراء مدرسة حافلة بالمواقف النبيلة، بل كل موقف في ذلك اليوم مدرسة مليئة بالمواعظ والعبر، ولناخذ الدروس اليوم مما كان يرتجز به ابو الفضل العباس ابن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يقاتل الفسقة الظالمين وكان يقول:

إني أحامي أبدأً عن ديني وعن إمام صادق اليمين^(٢)
وهذا الشعار الذي أطلقه (عليه السلام) يتضمن عدة رسائل:

١- إنه أراد بهذا الموقف نصره الدين وحمائته، وهذه الحماية لها اشكال متعددة أحدها القتال اذا تطلب الامر، كالذي حصل يوم عاشوراء.
(ومنها) رد الشكوك والشبهات التي توجه إلى الدين وإنقاذ الناس منها
ومن وسائل الضلال والانحراف والفساد التي أصبحت متاحة لكل أحد بواسطة أجهزة التواصل.

(ومنها) نشر الدين واقناع الناس به وهداية الضالين والمنحرفين بالعودة إلى الله تبارك وتعالى فقد أمرنا بذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد العقبوي (دام ظله) مع حشد كبير من الشباب الذين أنهموا معايشة ايمانية في النجف الأشرف وآخرين وفدوا على سماحته بمناسبة قرب حلول شهر محرم الحرام يوم الخميس ٢٨/ ذو الحجة/ ١٤٤٣هـ- الموافق ٢٨/٧/٢٠٢٢م.

(٢) بحار الأنوار- العلامة المجلسي: ٤٥/٤٠.

فَحَدَّثَ ﴿الضحى: ١١﴾، ويراد بالنعمة الدين وولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) بدلالة عدة آيات كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

(ومنها) التفقه في الدين ونشر الحوزات العلمية في كل المجتمعات وإقامة الشعائر الدينية في اصقاع الأرض.

٢- انه قبل أن يتصدى لحماية الدين لابد أن يكون متمسكاً به حافظاً له في نفسه وإلا فان (فاقد الشيء لا يعطيه) ففي هذا الشعار دعوة إلى التمسك بالدين والثبات عليه مهما كانت المغريات أو الضغوط النفسية والاجتماعية فان كل تلك المعاناة بعين الله تبارك وتعالى وقد ورد عن رسول الله (ﷺ): (يأتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر)^(١).

٣- ولا بد أن نفهم من الدين معناه الواسع الشامل للعقائد والأحكام الشرعية والاخلاق والسلوك والمعاملات، فللدين رأي في كل تفاصيل الحياة لتنظيمها وجعلها هادفة مثمرة تصلح النفس والمجتمع وتسعدهما، فالصلاة والصوم والحج مظاهر دينية ولكنها ليست الدين كله فلا يكفي أن يكون صائماً مصلياً لكنه لا يلتزم بالشريعة في معاملاته أو في سلوكه وتعامله مع الآخرين ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

٤- ان نصرته (عليه السلام) للدين وحمايته له والدفاع عنه وظيفة ابدية دائمة، لأنه وهب نفسه لله تعالى وكرس حياته وكل وجوده له سبحانه ﴿قُلْ إِنْ صَلَّاتِي

وَتُسْكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا
أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٢-١٦٣﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)، وليس موقفه حالة وقتية نابعة من
الحماس والاندفاع أو التعصب للأهل والعشيرة أو جرياً مع السلوك
الجمعي، أو طلباً لمغرم ما أو استجابة لنزوة أو هواء وغير ذلك.

٥- ان الالتزام بالدين والتمسك به لا ينفك عن اتباع القيادة الحقه فلا يمكن أن
يدعي الإيمان بالرسالة ويخالف الرسول ويعصيه، فمن حماية الدين
ونصرته حماية القيادة الحقة ونصرتها والالتزام بتعاليمها، والقيادة متمثلة
بالمعصومين (عليه السلام) في زمن حضورهم وبنوابهم في زمن الغيبة وهم
مراجع الدين المخلصون العاملون الصادقون مع الناس.

فمن الأوهام والشبهات الباطلة الدعوة إلى ترك اتباع علماء الدين
وتقليدهم والأخذ عنهم فان ذلك يعني هجران الدين والابتعاد عنه إلى
الضلال، لأن الدين إنما يؤخذ منهم كما يرجع الناس في أي مجال إلى
المختصين فيه.

فهذا الشعار الذي رفعه أبو الفضل العباس (عليه السلام) يتضمن كل هذه
الالتزامات (التمسك بالدين والثبات عليه، حماية الدين ونصرته والدفاع عنه،
وان نفهم الدين بمعناه الواسع الشامل لكل شؤون الحياة، وان يكون هذا
الالتزام أبدياً دائماً وليس حالة عابرة، والالتزام بنصرة القيادة الدينية والدفاع
عنها).

والملفت أن الحسين (عليه السلام) حينما برز لقتال الأعداء كرّر في رجزه

نفس الشعار حينما كان يقول:

أنا الحسين بن علي آليت أن لا أثنى
أحمي عيالات أبي امضي على دين النبي^(١)
فرسالته (عليه السلام) المضي على الدين الذي أقامه رسول الله (صلى الله عليه وآله) والثبات
عليه وحمایته ونصرته، ولو قرأنا عاشوراء بعین البصيرة والوعي لاستفدنا منها ما
لا يحصى من الدروس بفضل الله تعالى وتأییده.

خطاب المرحلة

(٦٩١)

واقعة الغدير من أهم قضايا الإسلام وليست طائفية

أكد سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) أن الاحتفال بعيد الغدير وتعظيم شعائره والتذكير بواقعته ليس قضية طائفية ولا تستهدف أحداً مخالفاً لنا في المذهب أو الدين، وإنما هو بيان لقضية جوهرية من قضايا الإسلام المحمدي الأصيل، شرع النبي (ﷺ) في بيانها من أول أيام البعثة النبوية المباركة عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) فجمع بني هاشم، وعرض عليهم نصرته ومؤازرته والتضحية من أجله، وفي ذلك الاجتماع أعلن (ﷺ) أن علياً (عليه السلام) وزيره وخليفته، حتى تهكّم عمه أبو لهب من عمه أبي طالب وقال ساخراً إن ابن أخيك محمد يريد منك أن تكون تابعاً لولدك الصغير علي، وقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: ((قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع))^(١)، لكن أبا طالب كان راسخ الإيمان صلب الاعتقاد بأن ما يبلغه النبي (ﷺ) حق وصدق وهو وحي من عند الله تعالى.

وأضاف سماحته في حديث^(٢) مختصر أمام الحشود الكبيرة التي وفدت لتهنئته بعيد الغدير العظيم: أن البيانات توالى لتأكيد هذه القضية في وقائع

(١) أنظر: تفسير فوات الكوفي: ٣٠٢، - بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٢١٧/٣٨.

(٢) بمناسبة عيد الغدير لعام ١٤٤٣هـ - الموافق ١٨-٧-٢٠٢٢م.

متعددة حتى أصبح ذلك واضحاً لدى الصحابة، وعُرف عن جماعة من صادقي الإيمان منهم التشيع والولاء لعلي (عليه السلام) في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كسلمان وابي ذر والمقداد وعمار وذي الشهادتين وأبن التيهان وأبي أيوب الأنصاري وحذيفة بن اليمان وآخرين ممن ثبتوا على الحق ولم يزيغوا.

وجاء يوم الغدير وما قام به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمام ذلك الملاء الذي بلغ عشرات الالاف من تبليغ لرسالة الله تعالى، تتويجاً لتلك البيانات وإعلاناً واضحاً وصريحاً لما يريد (صلى الله عليه وآله وسلم) من أن علياً هو ولي أمر المسلمين جميعاً من بعده، وهو الذي يجب أن يكون امتداداً له (صلى الله عليه وآله وسلم) في إقامة الدين وحفظ كيان الأمة وهدايتها وصلاحتها^(١).

وبذلك أفضل مؤامرات الأعداء الداخلين وهم المنافقون والحاسدون وطلاب الدنيا والذين أشرب التعصب الجاهلي في قلوبهم، والخارجيين من الأمم الأخرى المتحالفة للقضاء على الإسلام الذين كانوا يتربصون برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يريدون موته لكي ينتهوا من أمر الإسلام، وعند ذلك نزل قوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ (المائدة: ٣).

فقضية الغدير أهم قضايا الإسلام، لأن الإسلام النقي الناصع حُفِظَ بها، وإن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ضمان لوحدة الأمة، وعدم ضياعها بالصراعات والخلافات، كما ورد في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) (وجعل إمامتنا نظاماً

(١) أنظر: بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ١٠٨/٣٧، - معاني الأخبار - الشيخ الصدوق: ٦٥، - موسوعة

للملة^(١)، وبإضاعة بيعة الغدير انفرط عقد الأمة ومزقتها الصراعات وأنتابتها الكوارث والويلات وحُرّف الدين، وقد جعل الله تبارك وتعالى أمر تبليغها معادلاً لتبليغ رسالة الإسلام كلها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧).

وهي قضية يشهد العقلاء بصحتها وضرورتها، إذ كيف يمكن لقائد حكيم مثل رسول الله (ﷺ) أن يترك الأمة سدى من بعده، دون أن يُعيّن له خليفة، وخالفه كل الذين جاءوا من بعده فعينوا الخليفة التالي، فأحياء قضية الغدير فيه تأكيد على الطاف المرسل تعالى وحكمة الرسول (ﷺ) وخلود الرسالة رحمة بالعباد الى قيام الساعة.

إن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) أعظم النعم بعد نعمة الإسلام، وبها اكتمل هذا الدين وتمت النعمة، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

وقد أمرنا بتعريف هذه النعمة الى جميع الناس ودعوتهم للفوز بها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١).

وقد فسرت النعمة في آيات كثيرة بدين الإسلام وولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)^(٢)، كقوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣) وقوله:

(١) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي: ١٣٤/١.

(٢) أنظر: بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٣٥ / ٤٢٥، - تفسير كنز الدقائق - الميرزا محمد المشهدي:

١٨٧/٢، - تفسير القمي: ١٦٦/٢، - تفسير العياشي: ٢٢٩/٢ ح ٢٤.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠)، وإن ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (إبراهيم: ٢٨)، هم الذين خالفوا رسول الله (ﷺ) ولم يلتزموا بهذا العهد والميثاق.

فتعظيم شعائر يوم الغدير هو تذكير بهذه النعمة العظيمة وتجديد الالتزام بهذا الميثاق الغليظ مع الله تبارك وتعالى ومع رسوله الكريم (ﷺ).

خطاب المرحلة

(٦٩٢)

بسمه تعالى

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ (النساء: ١٤٨)

مسؤولية الاعلام والنشر^(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٨)، وتبين الآية أدباً من آداب الإسلام في عدم جواز إظهار عيوب الناس ومثالبهم حسداً أو تشفياً أو فضولاً أو مجاملة ونحو ذلك، لما فيه من مفسد كثيرة سنشير إليها ان شاء الله تعالى، وهذا الأدب فيه تأسُّ بصفة من صفات الله الحسنى وهو ستار العيوب.

﴿لَا يُحِبُّ﴾ تعبير آخر عن المبغوضية، فما لا يحبه الله يعني أنه مكروه عنده سبحانه ولا يريده، لعدم وجود منطقة رمادية تحتمل الأمرين كما عندنا نحن البشر، لأنها نابعة من الجهل أو الضعف أو المداهنة ونحو ذلك من الأسباب التي يتنزّه الله سبحانه عنها، ومحبة الله تعالى ثوابه وحسن جزائه، وبغض الله تعالى عقابه وعدم استحقاق رحمته، لتنزهه تعالى عن الحب والبغض الموجود في المخلوقات الا انه تعبير كنائي عن الإرادة وعدم الإرادة باعتبار ان الحب والبغض هما باعثنان لهما.

(١) كلمة سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظله) مع حشد من الناشطين على مواقع التواصل الاجتماعي في مجال التبليغ الإسلامي، يوم الجمعة ٢٧/ محرم/ ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٦/٨/٢٠٢٢م.

﴿الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾ إعلانه وإظهاره وإذاعته ونشره وإطلاع الناس عليه، وبالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ كل كلام سيئ في نفسه أو يسوء الآخر، وهو هنا مطلق يشمل كل قبيح على مستوى الفرد أو المجتمع، فمن الجهر بالسوء على صعيد الأفراد إيذاء الآخرين بكلمات جارحة، أو الافتراء عليهم واتهامهم بأمور هم بريئون منها، أو نقل أخبار عن أشخاص وترويجها لمجرد أنه رآها في بعض مواقع التواصل الاجتماعي والقنوات الإعلامية من دون تثبت وتحقيق، ومنه أيضاً النشر العلني لكلام قاله شخص في مجلس خاص ولا يرضى بنشره، أو فضح شخص فعل سيئة سراً أو مجلس خاص فسربها أحدهم ونشرها، روى في تفسير العياشي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (الجهر بالسوء من القول أن يذكر^(١) الرجل بما فيه)^(٢).

أقول: أما ذكره بما ليس فيه فهذا بهتان عظيم.

ومن الجهر بالسوء التنازب والتعيير بالألقاب والأنساب والانتماءات كالقومية أو اللون أو العشيرة أو المدينة أو المهنة أو الشريحة الاجتماعية التي تؤذي صاحبها، روى الشيخ الكليني بسنده عن عمرو بن نعمان الجعفي قال: (كان لأبي عبد الله (عليه السلام) صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكاناً، فبينما هو يمشي معه في الحدائين ومعه غلام له سِنْدِيّ يمشي خلفهما إذا التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرات فلم يره فلما نظر في الرابعة قال: يا ابن الفاعلة أين كنت؟ قال: فرجع أبو عبد الله (عليه السلام) يده فصلك بها جبهة نفسه، ثم قال: سبحان

(١) إذا قرئ (يذكر) فهذا تعريف الغيبة، وبالتشديد (يذكر) فهو من التعيير والتحقير، وكلاهما من السوء.

(٢) تفسير العياشي: ٢٨٣/١.

الله تقذف أمه! قد كنتُ أرى أن لك ورعاً فإذا ليس لك ورع، فقال: جُعِلت فداك، إنَّ أمه سنديّة مشرّكة، فقال: أما علمت أن لكل أمة نكاحاً، تنحّ عني، قال: فما رأيتَه يمشي معه حتى فرّق الموت بينهما. وفي رواية أخرى: إن لكل أمة نكاحاً تحتجزون به من الزنا^(١).

أقول: عاقبه الإمام (عليه السلام) بهذه المقاطعة القاسية لأنه قال كلمة مسيئة تؤذي الآخر، وهو يظنّ أنها كلمة حق باعتبار أن أم العبد كانت مشرّكة فلم تتزوج بنكاح الإسلام فتكون زانية.

ومن الجهر بالسوء على صعيد المجتمع نشر الضلالات والشبهات والعقائد المنحرفة، والتشكيك في العقائد الحقّة، وترويع الأخبار المكذوبة، وكل ما يدعو إلى الفسق والفجور والانحراف، أو ما يثير الفتن ويمزّق المجتمع، أو الدعوة إلى أشخاص غير صالحين وتحبيبتهم إلى الناس.

ومن الجهر بالسوء إسباغ الصفات المقدّسة والألقاب العظيمة لمن لا يستحقها، والمدح والثناء بأعمال لم يقيم بها، فعلى الممدوح أن يرفضها ويستنكرها، فقد روى القمّي في تفسيره عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (إن جاءك رجل وقال فيك ما ليس فيك من الخير والثناء والعمل الصالح فلا تقبله منه وكذّبه، فقد ظلمك)^(٢).

وإنما حرّم الجهر بالسوء لأنه سبب نشر العداوة والبغضاء والحقد في أوساط المؤمنين مما يؤدي إلى تنازعهم وتفرّقهم وتمزّق وحدة المؤمنين،

(١) الكافي: ٢/٣٢٤/٥ ح.

(٢) تفسير القمي: ١٤٥.

ولأن الجهر بالسوء يشجع ضعاف النفوس على إشاعة الفحش والكلام البذيء ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور: ١٩).

فلا بد أن يلتفت من لا يتورع عن نشر القول السيئ إلى أنه يمكن أن يوصل المجتمع إلى هذه النتائج.

ومن المؤسف ان نجد أكثر الأخبار رواجاً لدى المتابعين هي أخبار الفضائح والتسقيط (ونشر الغسيل) كما يعبرون فتحولت هذه الوسائل من التواصل الاجتماعي إلى التقاطع الاجتماعي بسوء تصرف الناس وظلمهم لأنفسهم.

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَدْنَىٰ لَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى الظَّالِمِ وَكَفَلَ لَهُ حَقُّ التَّظَلُّمِ، وَإِنَّ مَنْ دَفَعَ عَنِ نَفْسِهِ، وَنَفَىٰ افْتِرَاءَاتٍ نَسَبَتْ إِلَيْهِ وَفَضَحَ مَكَائِدَ ظَالِمٍ لَهُ، وَذَكَرَ مَظْلُومِيَّتَهُ عِنْدَ مَنْ يَرْجُوهُ لِرَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهُ لَا يَكُونُ فِعْلُهُ مَبْغُوضاً وَهُوَ مُسْتَثْنَىٰ مِنْ حَرَمَةِ نَشْرِ فَضَائِحِ النَّاسِ وَإِذَاعَةِ مَا أَسْرَوْهُ مِنْ ظُلْمٍ وَسُوءٍ وَلَا حَرَمَةِ لِمِثْلِ هَذَا الظَّالِمِ، وَإِنْ فِي التَّشْهِيرِ بِهِ إِذْلَالٌ لَهُ وَاسْقَاطٌ لِمَعْنَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّفَ مَنْ يَفْكَرُ بِالظُّلْمِ عَنْ فِعْلِهِ ﴿وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿(الشورى: ٤١-٤٢)، بل قد يكون المبعوض عدم دفاع المظلوم عن نفسه واستكانته وخنوعه للظلم والبغي؛ لذا مدح الله قوماً بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (الشورى: ٣٩).

روى في مجمع البيان عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: (فلا بأس للمظلوم

أن ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين^(١)، أي من دون أن يتجاوز حدود الحق، فلا يجوز اغتياب الظالم الا للمظلوم وفي خصوص مورد الظلم، ولذا انتهت الآية بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٨) فلا يغيب عنه ظلم الظالم ولا تجاوز المظلوم حقه.

وعلى هذا فإنه يمكن أن يفهم قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ على عدة

وجوه:

١- من وقع عليه الظلم فله أن يجهر بالسوء لدفع الظلم عنه وهو الأقرب لأنه المعنى الظاهر ولا يحتاج إلى تقدير وهو المروي كقوله (عليه السلام) في تفسير علي بن إبراهيم: (أي لا يحب أن يجهر الرجل بالظلم والسوء ويظلم الا من ظلم فقد أطلق له أن يعارضه بالظلم)^(٢).

٢- الا لمن ﴿ظلم﴾: فيجب الدفاع عن كل مظلوم لا يستطيع رد الظلم وأخذ حقه.

٣- على من ﴿ظلم﴾: وهو المظلوم الخانع المستسلم الذي لا ينتصر لنفسه. واتضح مما تقدم ان ﴿مَنْ ظَلِمَ﴾ لا تختص بمن وقع عليه ظلم شخصي في نفسه أو ماله أو سمعته، وإنما تشمل الظلم النوعي، فالإلحاد ظلم لي أنا الموحد لله تعالى، والإساءة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو التحريف في الدين ظلم لي أنا المسلم، وتسخيف قضية المهدي (عجل الله فرجه) أو الشعائر الحسينية ظلم لي أنا الموالي لأهل البيت (عليهم السلام)، ونشر المثلية وتحوّل الجنس ظلم لي أنا الإنسان

(١) مجمع البيان، للشيخ الطبرسي: ٢٢٥/٣.

(٢) تفسير نور الثقلين: ٣٥٥/١ ح/٦٤٥.

ذو الفطرة السليمة، فعلياً أن أنتصر وأدفع الظلم إذا وقع أي شيء من هذا، روي عن الإمام الباقر (عليه السلام): (ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب هوى مبتدع، والإمام الجائر، والفاسق المعلن الفسق)^(١)، وروي الشيخ الكليني بسنده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم، والقول فيهم والوقعة، وباهتوهم كيلاً يطمعوا في الفساد في الإسلام، ويحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة)^(٢).

وقد استثنت الروايات أيضاً من حرمة قول السوء عدة موارد منها: لدفع الضرر عن المغتاب^(٣) ولنصح المستشير، والنهي عن المنكر وإبطال شهادة الفاسق.

وقد شرع هذا الاستثناء ليردع المجاهرين بالسوء، ويمنع اتكالهم على حرمة الغيبة فيفعلون ما يشاؤون ظلماً وعدواناً، وليكفل للمظلوم حقه في الدفاع عن نفسه، ولا تكون حرمة الغيبة سبباً لحرمانه من هذا الحق.

ولكي لا يحصل تنافي بين هذا الحكم وما ورد من استحباب العفو والصفح لا بد أن نعرف لكل منهما مورده بحسب الأولوية، فقد يكون العفو والصفح والستر على فاعل السوء أولى في ندمه وتوبته، أو يكون في الجهر بالسوء على الظالم تشجيع له على التمادي في ظلمه لسقوط جلباب الحياء

(١) قرب الإسناد: ١٧٦/٦٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ٢٠٢/٧٤.

(٣) كالرواية الصحيحة التي وردت عن الإمام الصادق (عليه السلام) في ذم زرارة وهو من خيرة أصحابه ثم فسرها الإمام (عليه السلام) بحمايته من السلطة الجائرة كخرق العبد الصالح لسفينة المساكين لدفع غضب الظالم لها. أنظر: وسائل الشيعة (ط. الإسلامية): ٢٠/١٩٦/ح ٤٨٩.

ونحو ذلك فلا يصح الجهر بالسوء، وقد يكون في الردّ عليه وفضحه علاج له لردعه وكفّه عن الظلم وفعل السوء وحينئذٍ يكون الجهر بالسوء راجحاً ولا يحمد العفو والسكوت.

بل قد يكون من المستثنى من ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ﴾ هو توبيخ وزجر المظلوم الذي لا يفعل ما يستطيع لدفع الظلم فإنه ليس من الجهر بالسوء توبيخ هذا المظلوم المتخاذل، لأن هذا الزجر والتوبيخ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما أقوى عون وناصر لدين الله تعالى وأوليائه العظام.

وجملة ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ﴾ لها مفهوم حاصله: أن الله تعالى يحب الجهر بالخير والمعروف والطيب من القول، وقد أشارت إليه الآية التالية: ﴿إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (النساء: ١٤٩)، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤).

أرجو أن يكون يوم المنبر في الأول من صفر القادم فرصة لانطلاقة جديدة وقفزة في مشروع الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وأوليائه العظام، فالمصطلح يسميكم منصّة ونحن نسميكم منبراً للإسلام وللحق ولما فيه خير الإنسانية وصلاحها، ولا بد من تكريس المنابر الإعلامية لهذه الأغراض النبيلة. فائدة: الآية مما يستدل به على ان الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد في

متعلقاتها، وانه عند التزاحم يقدم الأهم على المهم.

ويستدل بها على الرخصة في استعمال التقية، فإن من ظلم وهُدّد وقهر، له ان يجهر بالسيء من القول المخالف لعقيدته لكي يدفع عن نفسه الضرر.

خطاب المرحلة

(٦٩٣)

الثبات على الحق في زمان الفتنة^(١)

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله تعالى عليه) في إكمال الدين بسنده عن عبد الله بن سنان قال: (قال أبو عبد الله (عليه السلام): ستصيكم شبهة فتبقون بلا علم يرى ولا إمام هدى، لا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق، قلت: وكيف دعاء الغريق؟ قال: تقول: يا الله يا رحمان يا رحيم، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك، فقال: إن الله عز وجل مقلب القلوب والأبصار ولكن قل كما أقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)^(٢).

يرسل الإمام الصادق (عليه السلام) إلى شيعته في زمان الغيبة الكبرى هذه الرسالة ليعدّهم ويدلّهم على طريق النجاة من الفتنة التي ستعصف بهم، ولا يوجد بينهم إمام معصوم يرجعون إليه، وان وجدت علومهم (عليه السلام) عبر الروايات التي نقلها أصحابهم البررة إلا أنها اختلطت بالمكذوبة والمدسوسة والمحرّفة، واختلفت فيها الأنظار والاجتهادات والتأويلات، فأصبح تمييز الحق فيها ومعرفته صعباً، لا يهتدي إليه إلا من بلغ أسنى المراتب العلمية، وحباه الله

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من أساتذة وطلبة السادس الثانوي في دورات التقوية التي يقيمها مركز المُدرّس في كربلاء المقدسة يوم الاثنين ٢٣/ محرم الحرام ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٢/٨/٢٠٢٢م.

(٢) بحار الأنوار: ١٤٩/٥٢ ح ٧٣.

تعالى بنور البصيرة والفتنة، وجعل له فرقاناً يفرز الحق من الباطل والشبهات والضلالات.

وتفيد الرواية وغيرها ان الشبهات والفتن واقعة حتماً، وتزداد تعقيداً وصعوبةً كلما تقدم الزمان، واستحدثت وسائل شيطانية لم تكن معروفة من قبل حتى بلغت ذروتها في زماننا الحاضر وهي تنذر بالمزيد من التسافل والانحطاط، فهذا واقع مفروض وإنما الكلام في الخطوة التالية وهي كيفية مواجهة تلك الفتن والخروج منها بسلام.

وقد علمنا الإمام (عليه السلام) من خلال الدعاء هذه الكيفية، اذ الدعاء في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ليس مجرد كلمات يحرك الإنسان بها لسانه، وإن كان في ذلك ثواب لمن قرأها، وإنما يمثل مدرسة تنهل منها الإنسانية العقائد الحقة والعلوم والمعارف النافعة والأخلاق الفاضلة، حيث كان الدعاء وسيلتهم لتزويد الأمة بها بعد أن ضيق الطغاة عليهم الخناق.

والدعاء ليس مجرد طلب من الله تعالى بدون عمل، فمن طلب الرزق وجلس في بيته يلعب ويعبث يعدُّ ساخراً من نفسه، والمفروض أن يسعى ويتعرض للرزق، وكما قيل: خطوة من الرب وخطوة من العبد، فالإمام (عليه السلام) لما يعلم هذا الدعاء يريد معه عملاً، ولما تقول في الدعاء (ثبت قلبي) لا بد ان تسعى انت لتحصيل أسباب الثبات وموجباته.

فدعاء الغريق يبين أن النجاة من الفتن والشبهات تتحقق في الثبات على المبادئ الدينية التي تؤخذ من العين الصافية، وعدم الانجرار وراء الشعارات والادعاءات، فانها تُرفع للوصول إلى المآرب الدنيوية، فإذا حصل أصحابها

على ما يبتغون داسوا تلك الشعارات بأقدامهم، لذا ورد في رواية أخرى وكأنها تشرح هذه حين سأله الراوي (فكيف نضع جُعِلتَ فداك حينئذٍ؟ قال (ﷺ): إذا كان ذلك فتمسكوا بما في أيديكم حتى يصح لكم الأمر^(١)، أي لا تخوضوا مع الخائضين ولا تندفعوا تحت ضغط السلوك الجمعي ولا تتحركوا وفق الالهواء والامزجة والتعصبات، وانما عليكم التثبّت من أي أمر.

وذلك بالتمسك بسفن النجاة التي تخلّصكم من أمواج الفتن العاتية وبدونها، فأنكم تغرقون في تلك الأمواج وتخسرون الدنيا والآخرة، قال أمير المؤمنين (ﷺ): (أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة)^(٢).

وسفن النجاة التي تمسكون بها، والعين الصافية التي تأخذون منها موافقكم إزاء مختلف القضايا، هم المعصومون (ﷺ) في زمان الحضور، ونوابهم بالحق في زمان الغيبة، وهم مراجع الدين العاملون المخلصون العارفون بحقائق الأمور ولوابس الزمان، فاثبتوا على ما يرشدوكم إليه، ولا تزيغوا عنه طرف أنملة فإنه يؤدي إلى الهلاك، وأضرب لكم مثلاً مما يفعله بعض المغامرين حيث يربطون حبلاً بين قمتي جبلين أو بين برجين شاهقين من ناطحات السحاب ويعبرون عليه مشياً، فلا بد أن يحافظوا على اتزانهم بأقصى دقة، لأن أي ميلان يعني وقوعهم في وادٍ سحيق وتحطمهم، ولتحقيق ذلك يستعينون بعصا طويلة يمسكونها من وسطها يحفظون بها توازنهم، ونحن بحاجة إلى دقة أكبر من هذه للثبات على الحق، لأن الصراط المستقيم الذي

(١) بحار الأنوار: ١٣٣/٥٢ ح/٣٧.

(٢) الغيبة - النعماني: ١/١٥٩ ح/٤.

يعبر على وادي جهنم للوصول إلى الجنة وصفته الأحاديث بأنه (أدق من الشعرة وأحد من السيف)^(١) فمن لا يحفظ استقامته عليه يسقط في جهنم والعياذ بالله تعالى.

فيا أيها الأحبة: لا تخذعكم الشعارات الرنانة والمصطلحات الخادعة، ولا يدفعكم الحماس والتهريج والسلوك الجمعي إلى فعل لم تتبين لكم الحجة الشرعية، كما قال الإمام (عليه السلام) في الحديث السابق (حتى يصح لكم الأمر) فإن الله تعالى قال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ (يونس: ٣٢).

وفي الرواية فائدة أخرى غير ما ذكرنا وهي النهي عن إضافة شيء إلى الدين سواء على مستوى الدعاء أو الزيارة أو الشعائر، فإن الراوي أضاف كلمة (الأبصار) وهي حق لأن الله تعالى مقلب القلوب والأبصار كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمًا تَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور: ٣٧) إلا ان الإمام (عليه السلام) نهاه عن إضافتها حيث لم يقلها (عليه السلام) في الدعاء، وإذا كانت مثل هذه الإضافة منهيًا عنها وهي في نفسها حق، فكيف بمن يصطنع قصصاً وروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) ومصائبهم لأجل تعظيم مناقب أهل البيت (عليهم السلام) بزعمهم أو ابكاء الناس أو يتدع طقوساً ويسميها شعائر، أو يصوغ زيارة من عنده أو يشيد قبوراً لم تثبت نسبتها إلى أصحابها بحجة شرعية وهكذا، فلنحذر من هذه الأفعال المنهي عنها.

خطاب المرحلة

(٦٩٤)

النخب الجامعية وقيادة حركة النهضة والإصلاح

إلتقى^(١) سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بجمع من أساتذة عدة جامعات عراقية بمكتبه في النجف الاشرف، واستمع الى تقييم الوضع في الجامعات علمياً وأخلاقياً وثقافياً واجتماعياً، وتضمن التقييم شعوراً بالتشاؤم والإحباط من تردّي الوضع، فالمستوى العلمي ضحل في كثير من مفاصلها، ومخرجاتها غير قادرة على النهوض بالدولة، أي ان الغرض المرجو من الدراسة الجامعية لا يتحقق، وزادت الحالة سوءاً بانتشار الجامعات الأهلية التي هي في أغلبها مشاريع تجارية لجلب الأموال على حساب المستوى العلمي الرصين.

أما الانحراف الأخلاقي والفكري والعقائدي، فقد أصبح علنياً ومتعارفاً ولا يجد من ينكره ويحاسب عليه، حتى أصبح الحرم الجامعي مرتعاً لتجارة المخدرات، وتبادل أفلام الفسق والفجور، والعلاقات غير المشروعة، كما لم يعد للجامعي تلك المنزلة التي كان يتمتع بها في أوساط المجتمع، وفقد تأثيره على الناس.

وإعتبر سماحته هذا التردي نتيجة طبيعية للفوضى التي تعم الدولة بسبب ضعف الحكومات وتسلط الأحزاب على مقدرات الدولة، وهي لا همّ

(١) يوم الخميس ١٩/محرم/١٤٤٤هـ - الموافق ١٨/٨/٢٠٢٢م.

لها إلا جني المكاسب الشخصية والفئوية وتعبئة الشعب لخدمة مصالحهم ولو أدى ذلك إلى خراب البلد وجوع الشعب، فأصبحت بلاد المسلمين طاردة للكفاءات والشباب الذين هم أهم ثروة في البلاد، وتتلقفهم دول الغرب لتعيد الحيوية لبلدانها التي بلغت الشيخوخة، فما تعانيه الجامعات هو مظهر مما يعانيه المجتمع في سائر جوانب الحياة.

لكنَّ سماحتَهُ بدأ متفائلاً حين عبَّر عن أمله بانبثاق ثلَّة طيبة مخلصه شجاعة فاعلة من وسط هذا الركام القاتم لتقود عملية إصلاح شاملة تلبيةً لقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وسوف تحظى بتأييد الله تعالى ونصره، ومباركة المرجعية الرشيدة، ودعم الجماهير بكل شرائحها.

والأساتذة الجامعيون والمتخصصون هم نخبة هذه الثلَّة انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣)، فهم الذين ينبغي الرجوع إليهم في مجالات تخصصهم المتنوعة، وهم الأجدر بتحمل هذه المسؤولية والانطلاق بها، وإن كانت المسيرة طويلة ومليئة بالأشواك، وهو طريق ذات الشوكة بحسب المصطلح القرآني.

وأن ولادة الأمم والحضارات - كأمة الإسلام التي أسسها النبي (ﷺ) على أنقاض جاهلية تعيسة وقادت الحضارة الإنسانية عدة قرون - لا تكون إلا بعد مخاضٍ عسيرٍ وتضحياتٍ جسيمة، فكم تتطلب ولادة إنسان واحد من العناء الطويل، ابتداءً من الحمل إلى الوضع إلى التربية الممتدة سنين؟ فكيف بولادة أمة متحضرة عزيزة كريمة؟

وقد عبّر سماحة المرجع (دام ظلّه) عن أمله بأن تكون عملية النهوض والإصلاح في العراق أسرع بكثير مما عليه الأمم الأخرى، لتجذّر خصال الخير والطيبة والشهامة والشجاعة والتضحية وغيرها من الخصال الكريمة في نفوس أهله، وإن غطى عليها غبار الكيانات السياسية الفاشلة، مستشهداً بالمثال الذي ذكره سابقاً^(١) وهو التنظيم الرائع للزيارة الاربعينية بعد أسبوعين من تغيير عام ٢٠٠٣م، حتى ان الزيارة المليونية لم تشهد حادثاً مرورياً رغم عدم وجود دولة ولا جيش ولا شرطة، مؤكداً على أهمية إستشارة هذه المكامن الطيبة وتفجير الطاقات، وتجميع شتاتها وتنظيمها بلطف الله تعالى ورعاية الإمام صاحب العصر والزمان (عليه السلام) ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧).

كما أشار سماحته الى أهمية أن تبدأ النخب الصالحة الغيورة من الجامعيين عملهم فوراً ومن دون تأخير، لأن الجميع يُدركون خطورة الوضع الحالي واستمراره في الانحدار نحو الهاوية، خصوصاً جيل الشباب والأطفال الذين نشأوا على تفاهات وانحرافات جملة من مواقع التواصل الاجتماعي بلا ضوابط، وعلى هؤلاء النخب أن يجتمعوا ويتدارسوا أوضاعهم إنطلاقاً من قول الإمام الصادق (عليه السلام): (أتجلسون وتحدثون؟ إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيأ أمرنا)^(٢)، وأن يبدأوا بتشخيص وتصنيف المشاكل والمعوقات والتحديات، ثم تكليف كل مجموعة بحسب استعدادها لمسؤولية

(١) أنظر: خطاب المرحلة: ٣٩/٣.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤ / ٢٨٢ / ح ١٤.

أحد هذه الملفات، وقد سهّلت وسائل التواصل الاجتماعي عملية إيصال المعلومات والأفكار إلى أوسع قاعدة وبلا حدود.

ودعا سماحته الأساتذة الأفاضل الى تضمين دروسهم العلمية توجيهات أخلاقية وارشادات إجتماعية للطلبة، وتسجيلها بمقاطع مرئية لبضع دقائق ويثونها، فأنها ستؤثر في نفوس وعقول كثيرين، مضافاً إلى الطلبة الحاضرين في قاعة الدرس.

كما يمكن القيام بأنشطة وفعاليات جامعية - كالتي تقوم بها مؤسسة ملتقى العلم والدين - والتي تعزز الأخلاق الفاضلة، والفكر السليم، والهوية الأصيلة، وبث الروح الوطنية، والاعتزاز بالانتماء إلى هذه الأرض الطيبة، والبلد العريق.

هذا ويُذكر إن سماحة المرجع (دام ظله) كان قد أطلق مبادرةً للتنبيه من خطر المخدرات وسرعة فتكها بالمجتمع مستثمراً أجواء الزيارة الشعبانية الفاتنة والتي شهدت فعاليات متنوعة، بأن يكون شعار الملايين (المخدرات إرهاب خفي)^(١)، وشاركت فيها المؤسسات الدينية والرسمية والاجتماعية، وخلقت وعياً عاماً لمكافحة هذه الآفة المهلكة، وقد كُلت بالنجاح بلطف الله تبارك وتعالى وتسديده.

(١) راجع خطاب رقم: ٦٧٨، ص ١٣٢، بعنوان: (المسلمون وحرب الجيل الخامس... العراق انموذجاً).

خطاب المرحلة

(٦٩٥)

اغتنام العمر في العمل المثمر... التعليم نموذجاً^(١)

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله تعالى عليه) في كتابه الخصال عن جابر بن عبد الله قال: (قال رسول الله ﷺ): قالت أم سليمان بن داود (عليه السلام) لسليمان: إياك وكثرة النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيراً يوم القيامة^(٢).

يظهر من الرواية أن أم النبي سليمان (عليه السلام) كانت عارفة فاضلة مرئية وهي توصي ولدها بأن الليل وان جعل بحسب الخلقة (سباتاً) للراحة واستعادة النشاط، الا ان قضاءه كله في النوم يعني الحرمان من فرص عظيمة للطاعة، وتضييع لجزء ثمين من العمر الذي هو أنفس جوهرة وأغلاها، لأنه به تكتسب جنان عرضها السماوات والأرض يخلد فيها الإنسان بلا منغصات، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر، فمن أضع الليل كله بالنوم وفد على الله تعالى فقيراً له سجل قليل الحسنات.

وإذا كان هذا التضييع مؤلماً في الليل الذي جعل للراحة والسبات فكيف بالنهار الذي جعل أصلاً للنشاط والعمل.

يحكى ان رجلاً فقيراً عثر على جوهرة نفيسة في بطن سمكة تالفة لم

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظله) مع أساتذة فروع معاهد فتية أمير المؤمنين (عليه السلام) في النجف وبغداد يوم الجمعة ١٣/محرم/١٤٤٤هـ- الموافق ٢٠٢٢/٨/١٢م.

(٢) الخصال: للصدوق: ٢٨، نور الثقلين: ٤/ تفسير سورة الروم/ح ٣٨.

يستطع تدبير غيرها قوتاً لعياله، ولما عرضها للبيع لم يتمكن أكبر التجار من شرائها لغلائها وبالنهاية عرضت على الملك الذي لم يجد ثمناً لها الا ان يسلم الفقير ثلاثة مفاتيح واعطاه مهلة ثلاث ساعات ليحمل فيها ما يشاء من الأموال والجواهر، فلما فتح الفقير الغرفة الأولى وجد فيها ما لذ وطاب من أنواع الأطعمة والأشربة التي لم يحلم بها، ووجد في الثانية فراشاً وفيراً ووجد في الثالثة أموالاً وجواهر، فقرّر أن يقضي الساعة الأولى في تناول الأطعمة اللذيذة ثم ينام في الثانية ثم يحمل ما يستطيع من الأموال في الساعة الثالثة، وهكذا فعل لكنه غطّ في نوم عميق بعد أن ملأ بطنه من الطعام والشراب حتى أيقظه الحراس وأبلغوه بانتهاء المهلة المقررة، ولم يستطيع أخذ شيء من الأموال والمجوهرات فتوسّل إليهم بأمهاله ولو دقائق ليحصل على شيء ولكنهم رفضوا فخرج يعضُّ على اصبع الندامة.

قد نضحك من سداجة هذا الرجل ونصفه بالجنون لأنه أضاع مثل هذه الفرصة الثمينة، لكننا لا نلتفت إلى أن أكثرنا أسوء حالاً منه، لأنّ هذا الفقير أضاع دنيا مهما تكن ثمينة فإنها زائلة وسيتركها ويرحل في يوم ما ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠) ولكن لننظر إلى حال الإنسان فإنه يضيع أثمن جوهرة حباه الله تعالى بها وهو عمره الذي يستطيع أن يجعل ثمنه جنان النعيم إن استثمره بشكل صحيح، لكنه يصرّفه في النوم والعبث والفراغ ويضيع وقته في الأمور التي لا تنفعه في دنياه ولا آخرته، وسيصاب بالصدمة حينما ينكشف عنه غطاء الغفلة بالموت ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢) وحينئذٍ لا ينفعه الندم والتأسف.

وأسوء حالاً من هذا من أوقع نفسه في المعاصي فإنه سيخسر حتى القليل من الطاعات التي اكتسبها، روي أن النبي (ﷺ) قال لأصحابه يوماً: (أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال (ﷺ): إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فان فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار)^(١).

فعلينا أيها الأحبة أن نستيقظ من غفلتنا وملتفت إلى الجوهرة الثمينة التي منحنا الله تعالى إياها وهي أعمارنا، ونغتنمها في كل ما ينفعنا في آخرتنا وبقربنا من رضوان الله تعالى.

وأنتم - معاشر المدرسين والمعلمين من الرجال والنساء - أتحت لكم فرصة عظيمة للطاعة من خلال موقعكم الشريف هذا الذي يمكنكم من تربية أجيال من الصبية والفتيان تربية صالحة فيكونون صدقة جارية لكم في المجتمع، فمهنتمكم تربوية قبل أن تكون تعليمية ويسمؤنكم (تربويين)، والوزارة التي ترعى شؤونكم هي وزارة التربية ثم التعليم، وان تأثيركم في نفوس الطلبة وعقولهم أكثر من والديهم وأي شخص قريب لهم.

وتذكروا الحديث الشريف عن النبي (ﷺ) وهو يوصي أمير المؤمنين (عليه السلام) لما بعثه إلى اليمن: (يا علي! وأيم الله لأن يهدي الله على يدك رجلاً

(١) تاريخ بغداد: ٤/٢٤٢، كنز العمال: ٤/٢٣٦/ح١٠٣٢٧.

خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت) (١).

وهذه الفرصة متاحة لجميع الأساتذة وليست مختصة بمدرّس التربية الدينية، ولعل تأثر الطلبة بصدور هذه المواعظ والارشادات من مدرّسي المواد العلمية كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء أكثر من غيرهم وأشد رسوخاً في قلوبهم وعقولهم، فان مدرّسي المواد العلمية يستطيعون تضمين دروسهم المواعظ والنصائح والتوجيهات الأخلاقية وتقوية عقائد الطلبة وتصحيح سلوكياتهم وتعريفهم بسيرة أهل البيت (عليه السلام) والقضايا التاريخية المهمة كمواقف صدر الإسلام وواقعة الغدير أو القضية الفاطمية أو الحسينية، فإنها هي التي حفظت الإسلام حياً في قلوب الناس، وإنها تلهم المواقف الصحيحة وتثبت العقائد الحققة وتعرّفهم بالقادة الحقيقيين والرموز الصالحة التي يجب أن يتأسوا بهم.

خصوصاً ونحن نعاني من بقاء بعض المناهج الدراسية كما هي عليه إبّان الأنظمة الجائرة السابقة التي شوّعت عقول الطلبة وأفكارهم وعقائدهم وهي تحتاج بالتأكيد إلى تصحيح.

فابذلوا وسعكم في هذا المجال ولا تقصروا، لتفدوا على الله تعالى وصحائفكم غنية بالأعمال الصالحة وليست فقيرة، وصحّحوا نياتكم بإخلاص الأعمال لله تعالى، وإنّكم بإعدادكم رجالاً صالحين واكفاء لبناء دولة متحضّرة تمهدون لدولة العدل الإلهي على يد الإمام المهدي الموعود (عليه السلام)، فما أعظم عملكم وأغناه بالأجر والذكر الجميل.

خطاب المرحلة

(٦٩٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾

(البقرة: ١٧٩)

سبب عداة الكفار للمسلمين^(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩).

الود: الميل إلى الشيء ومحبه وتمني وقوعه والحصول عليه، فالتمني يتضمن معنى الود، لأن التمني هو تشهي حصول ما تودّه - قاله الراغب^(٢) - وقيل في الفرق بين الحب والود أن الأول أشدّ وأصدق من الثاني، فالآية الكريمة تخبر المؤمنين بحقيقة لا يمكنهم التعرف عليها الا بإخبار الله سبحانه، لأنها مرتبطة بمكونات الضمير وما انعقد عليه القلب، وهي أن الأعداء يتمنون ويرغبون بشكل أكيد أن تتخلّوا عن إسلامكم وتعودوا إلى جاهليّتكم بما تتضمن من كفر وشرك وفسق وفجور وانحراف وظلم وجور وانحطاط وتجرد

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظله) على طلبة البحث الخارج

بمناسبة افتتاح العام الدراسي الجديد يوم السبت ٤/ ربيع الأول/ ١٤٤٤هـ - الموافق ١٠/١/٢٠٢٢م.

(٢) مفردات غريب القرآن: ٥١٦.

عن الفطرة والمبادئ الإنسانية.

وقد أكدت آيات أخر هذه الحقيقة لأهمية الالتفات إليها والحذر منها قال تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (آل عمران: ٦٩)، وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفِرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء: ٨٩)، وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم: ٩)، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).

كما حذرت الآيات الكريمة من الانخداع بالعناوين البراقة التي يغلفون بها مشروعهم هذا كالمدينة والانفتاح والتحرر والتقدم والتحضّر ونحو ذلك، وليس لهم هدف الا إبعادكم عن هذا الدين العظيم ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْتُنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة: ٤٩)، ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف: ٢٧)، وهكذا يفعل شياطين الإنس فأنهم يسعون لإخراج الناس من جنة الإيمان وينزعون عنهم لباس الورع والتقوى والعفاف والفضيلة ويظهروا عورات الفسق والفجور والرذيلة والانحطاط والفساد حتى وصل بهم الحال إلى سن قوانين للشذوذ الجنسي وزواج المثليين وتغير الجنس وقتل الأجنة.

ورغبتهم هذه ليست الا تمنياً بعيد المنال عبّر عنه بـ ﴿لَوْ﴾ فهو وهم باطل يتخيلونه، فإن الله تعالى قد تكفل بحفظ هذا الدين وجماعة المؤمنين، وليس

هذا التمني ناشئاً من جهلهم بالحق الذي أنتم عليه ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤)، ولا عن تصديق واعتقاد بحقانية ما هم عليه بل هم يعرفون أن الحق معكم ويتمنون أن يكونوا من أهله ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (الحجر: ٢)، ولو كانوا مؤمنين وأهل كتاب حقاً لما ودّوا رجوعكم إلى الجاهلية والشرك والكفر ولكانوا قريبين منكم لأنكم من أهل التوحيد، ولكنهم يفعلون ذلك حسداً من عند أنفسهم، وخوفاً على دنياهم التي حصلوا عليها ظلماً قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء: ٥٤)، روي في أسباب النزول: (أن حبي بن أخطب وأخاه أبا ياسر دخلا على النبي (ﷺ) حين قدم المدينة، فلما خرجا قيل لحبي: أهو نبي؟ فقال: هو هو، فقيل: ما له عندك، قال: العداوة والبغضاء إلى الموت، وهو الذي نقض العهد وأثار الحرب يوم الأحزاب)^(١).

والحاسد يعرف قيمة النعمة التي عند المحسود ولذلك فإنه يحسده ويتمنى أن تكون هذه النعمة له، قال تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (الحجر: ٢)، ولكنه لضعف ارادته وانصياعه لشهوته يعجز عن نيل تلك النعمة فيتمنى حرمان المحسود منها، قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة: ١٠٥).

فسبب عدائهم لكم وسعيهم لتجريدكم من الإسلام لأنهم يعرفون الحق الذي أنتم عليه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ ويعلمون أي جوهرة ثمينة

بأيديكم فيريدون سلبها منكم ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٥٤)، روي في الحديث الشريف عن النبي (ﷺ) أنه قال: (إن لنعم الله أعداء، قيل: وما أولئك؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)^(١)، وأعظم هذه النعم هي الإسلام وولاية أهل البيت (عليه السلام).

وهم بذلك يتبعون إبليس الذي حسد آدم (عيسى)، لثباته على طاعة ربه بينما طرد هو منها فلذلك أقسم على إغواء بنيه وإضلالهم ليتساووا معه في اللعن والطرده.

وهذا يفسر لنا المساعي المحمومة التي يقوم بها شياطين الإنس من الفسقة والمنحرفين والملحدين وعبدة الشهوات للتأثير على الناس وإبعادهم عن الحق تحت مسميات عديدة، والا لو كانوا مجرد أنهم يتبنون عقيدة أو أيديولوجية ما فليعتقدوا ما يشاؤون ويتركوا الناس تعمل بقناعاتها، لكن حسدهم للحق وأهله لا يدعهم حتى يرجعوا الناس إلى الكفر.

وإنصافاً من القرآن الكريم فإنه لم يعمم إلى الجميع وإنما قال: ﴿كثيرٌ من أهل الكتاب﴾، وفي الآية الأخرى ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ (آل عمران: ٦٩)، لأن من هؤلاء من لا يسعى إلى التأثير على غيره، وربما يكون مسالماً للمؤمنين ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ (المائدة: ٨٢).

ثم تذكر الآية العلاج المرحلي لهذه الحالة ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾

(١) تفسير الفرقان: ١٥٠/٢، عن تفسير الفخر الرازي: ٢٣٧/٣.

باحوائهم واستيعابهم، والتعرف على ما عندهم من شبهات وما يفكرون به، واعطائهم الفرصة الكافية ليثوبوا إلى رشدهم ويذعنوا للحق، فربما يكون هذا العفو والصفح وحسن الخلق في التعامل معهم سبباً لهداية بعضهم وهذا انتصار كبير.

لكن هذا العلاج مؤقت ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ﴾ وقد أمر الله تعالى بمدافعتهم ﴿وَكُلُّوا دَفْعَ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١)، ومواجهتهم بمثل أساليبهم فتفند حججهم، وتُدحض شبهاتهم وضلالاتهم، وتكشف معائبهم وتفضح سرائرهم، وتبين خطيئتهم، وتُحذّر الأمة من مكائدهم، وتسدّ الثغرات التي يحدثونها في المجتمع المسلم، وتضامن عناصر القوة في الأمة وهي الإسلام وولاية أهل البيت (عليه السلام)، والقضية المهدوية والمرجعية النابتة عن الإمام (عليه السلام)، ووحدة الأمة وعزتها وهويتها، والشعائر الدينية، والأسرة الصالحة، والعفاف وسائر الأخلاق الاجتماعية الفاضلة، والثروة البشرية خصوصاً الشباب وغير ذلك، فلا بد من عدم السماح بإضعاف هذه القوى أو تشويهها أو حرمان الناس منها وغير ذلك.

فالأعداء إذن لا يتوقفون عن الكيد لكم حتى يخضعوكم لسلطتهم ويذوّبوا هويتكم وثقافتكم وفق رؤيتهم مما يُعرف بالعولمة، ويستعبدوكم بعد تجريدكم عن أسلحتكم المادية والمعنوية التي ذكرنا بعضها آنفاً ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ (النساء: ١٠٢)، فهذه الآية معنى واسع يجب الالتفات إليه إذ عنوان الأسلحة

شامل لكل العناوين التي ذكرناها وغيرها.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ حقيقة كبرى يجب على المؤمنين أن يدعنوا لها ويسلموا بها ويستحضروها، ليثبتوا إيمانهم ويعززوا قدراتهم، ويحيوا آمالهم بالنصر والتمكين بإذن الله تعالى، وليعلموا ان الله تعالى قادر على أن ينصر المؤمنين وأن يبيد أعدائهم بأقرب من لمح البصر ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، ولكن ارادته سبحانه شاءت أن تسير الأمور بأسبابها الطبيعية وبحسب استحقاقات الناس.

ورد في تفسير العسكري للآية ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ بما يوردونه عليكم من الشبهة ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ لكم بأن أكرمكم بمحمد وعلي وآلهما الطيبين ﴿مَنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ المعجزات الدالات على صدق محمد (ﷺ) وفضل علي (عليه السلام) وآلهما ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ عن جهلهم وقابلوهم بحجج الله وادفعوا بها باطلهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾ فيهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولقدرته على الأشياء قدر ما هو أصلح لكم في تعبده إياكم من مداراتهم ومقابلتهم بالجدال بالتي هي أحسن^(١).

والخلاصة أن الآية الكريمة تدعوا إلى الانتباه والحذر من الخطط الشيطانية للأعداء التي تستهدف إبعادكم عن الدين وان تسلحوا بما يثبت هذا الدين في قلوبكم وبما يمكنكم من مواجهة هذه الخطط ويحبطها بحول الله تعالى وقوته.

(١) البرهان: ٢٣٨/١، عن تفسير العسكري: ٥١٥/ح ٣١٥.

خطاب المرحلة

(٦٩٧)

التبليغ رسالة الأنبياء (ﷺ) التي ورثتها الحوزة العلمية

أكد المرجع الديني سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) على ضرورة النظر بعين الاهتمام والمسؤولية للجنتيين المتلازمين اللتين دعت إليهما آية (النفر) الشريفة ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢)، وعدم التفكيك بينهما بحالٍ من الأحوال، وهما طلب العلم والدعوة إلى الله وتبليغ أحكامه.

وتأسف سماحته (دام ظلّه) - خلال كلمة ألقاها^(١) بمكتبه في النجف الأشرف، على جمع من الفضلاء وطلبة العلم، قبل شروعهم بمهمة التبليغ الديني، خلال أيام الزيارة الأربعينية المباركة - على الثقافة السائدة في أوساط الحوزة العلمية وبين الكثير من طلبة العلم حيث يُقصرُون إهتمامهم على المسؤولية الأولى التي دعت إليها الآية الكريمة، وهي طلب العلم والتحصيل والاشتغال بالدروس فقط، دون النظر إلى المسؤولية الأخرى، وهي الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ أحكام الدين والعقائد الحقة، وتوعية الناس وتبصرتهم. وأعتبر سماحته (دام ظلّه) أن هذا النمط من التفكير يكشف عن قصورٍ في فهم هذه الآية الكريمة وخللٍ في تطبيق مصاديقها على أرض الواقع،

(١) يوم الأربعاء ٣/صفر المظفر/١٤٤٤هـ - الموافق ٢٢/٨/٣١م.

كإبتعاد عن ما أراده الشارع المقدس عبر الموروث الروائي عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، إذ ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) (إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيأ أمرنا)^(١).

وروى الهروي في عيون أخبار الرضا (عليه السلام) قال: (سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يقول: رحم الله عبد أحيأ أمرنا فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لا تبعونا)^(٢).

فترى الملازمة بين الوظيفتين واضحة في بيان الإمام الرضا (عليه السلام)، وهذا من أوضح مصاديق تنمة الآية الكريمة ﴿وَلْيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، لافتاً الى عدم كفاية الانكفاء على الدروس والتحصيل (لأن ذلك يمثل نصف الطريق، ولا تتحقق به الغاية أبداً) مالم يقترن بالفهم الصحيح لمسؤولياتنا كطلبة علم، فلنتزم بها ونتحرك باتجاهها، على أوسع نطاق وبكل الوسائل المتاحة (الممكنة).

وأوضح سماحته إن التبليغ هو رسالة الأنبياء (عليهم السلام) ووظيفتهم ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: ٣٩)، وفي ضوء ذلك ينبغي لطلبة العلم أن يقتدوا بهم (عليهم السلام) وأن يتحلوا بالشجاعة وأن يخرجوا من ربة القيود التي فرضتها التقاليد الموضوعية وأصبحت متعارفة الآن، ولا أساس شرعياً لها، بل هي خلاف سيرة المعصومين

(١) بحار الأنوار: ٢٨٢/٤٤ ح/١٤.

(٢) بحار الأنوار: ٣٠/٢، عن معاني الأخبار، عيون أخبار الرضا (عليه السلام).

(عليه السلام) وما جرى عليه الكثير من العلماء العاملين الذين قالوا كلمتهم وأخلصوا لله تبارك وتعالى ولم يضعوا نصب أعينهم الا الله عز وجل فَخُلِدَ ذِكْرَهُمْ فِي سَجَلِ الْخَالِدِينَ، وما قيل أو يقال في تشييط عزائم الحوزة العلمية، وتبرير قعودهم عن أداء رسالة التبليغ، وهم من تسويلات الشيطان ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥).

وأبدى سماحته (دام ظله) أسفه لهذا الحال ولشيوع هذه (الثقافة) التي يعمل (البعض) على تكريسها فيجري عليها السواد الأكبر من طلبة العلم بطريقة السلوك الجمعي من دون تفكير أو تأمل.

وتساءل سماحته مستغرباً!! ألم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خطيباً؟ ألم يكن أمير المؤمنين (عليه السلام) خطيباً؟ ألم يكن الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) خطيبين؟! إذن فلماذا يعتبر حديث العلماء المباشر مع الأمة نقصاً أو مثلبة؟! ولماذا لا تسمع الامة مباشرةً من قادتها وتأخذ الكلام من عين صافية، وبين أيدينا الكثير من تراث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان من جملة توصياته لقثم بن العباس عامله على مكة (ولا يكن لك الى الناس سفيراً الا لسانك ولا حاجباً الا وجهك)^(١)، اي لتسمع الناس منكم مباشرة من دون واسطة تتحدث نيابة عنكم ونحو ذلك، وهذه هي سياسة أمير المؤمنين (عليه السلام) وهذا هو أدب المعصومين (عليهم السلام) الذي ينبغي السير على هداه والأخذ به.

وكرر سماحته (دام ظله) دعوتة لاغتنام أجواء الزيارة الاربعينية

(١) نهج البلاغة: ١٢٧/٣.

المباركة في الدعوة الى الله تبارك وتعالى، وتوعيه الناس وإرشادهم ونبذ كل عوامل التفرقة والتقاطع، فقد أخذت الناس ترتقب هذه الزيارة من عام إلى عام وهي فرصة كبيرة للملايين لأن يلتقوا بطلبة الحوزة العلمية ويسمعون منهم مباشرةً ويشاهدون مواكب الوعي والإرشاد ويعيشون أجواء روحية سامية يفيضها الله تعالى كرامة لأبي الأحرار (عليه السلام) لأنهم منقطعون طول السنة عن مراكز الاشعاع الديني ومنشغلون بهموم الحياة.

كما أن هذه الزيارة المباركة أصبحت بفضل الله وبمرور الزمن ملتقىً عالمياً كبيراً تجتمع فيه مختلف الجنسيات والقوميات، وهي سوق رائجة للدعوة إلى الله وبث الوعي والمعرفة، مستشهداً بالحديث الشريف الذي روته السيدة الزهراء (عليها السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قالت سمعت أبي (عليه السلام) يقول: (إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور، ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد والناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم)^(١).

وأشار سماحته الى الأمرين المهمين الواردين في الحديث وهما شرط الفوز بخلع الكرامات، وأولها (كثرة علومهم) وهذا وحده لا يكفي لتحقيق المطلوب، بل يعود بالنفع على نفس الطالب بأن يصبح (علامة) مثلاً، أو يُلقى الدروس العالية ك(الكفاية والمكاسب) ويجتمع حوله عدد من الطلبة، كل هذا وحده لا يكفي، ما لم يتحقق الشرط الثاني وهو (جدّهم في إرشاد عباد الله)

(١) بحار الأنوار: ٧/٢٢٤/١٤٣.

وهذا هو الهدف الأهم والغاية من ذلك، ففي تنمة الحديث الشريف (أيها الكافلون لأيتام آل محمد، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم)، فهؤلاء الناس أيتام انقطعوا عن آبائهم الحقيقيين (يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة)^(١)، وحرّموا من بركاتهم.

ثم وجه سماحته خطاباً الى هذا التجمع من الفضلاء والى جميع أساتذة وفضلاء الحوزة العلمية الشريفة: وأنتم أيها العلماء ورثة الانبياء كما جاء في الحديث الشريف (العلماء ورثة الأنبياء)^(٢)، وأنتم أيضاً بمثابة الآباء لهذه الأمة وهؤلاء (أيتامكم) ويقعون تحت مسؤولياتكم، فبادروا ولا تدخروا وسعاً في هدايتهم ورعايتهم، فمن يدري لعل بعض هؤلاء (الأيتام) يستوقفنا يوم الحساب ويأخذ بتلابيبنا، ويقول أنا جارك أو أنا البقال الذي كنت تشتري منه أو: أنا سائق التاكسي الذي كنت تستأجره أو أنا زميلك في العمل أو رفيقك في سفرة الحج، وقضينا أياماً معاً ولم تعلمني هذه المسألة ولم تصحح لي الموضوع والصلاة ولم ترشدني الى هذا الخير، ولم تحذرني من ذلك السوء، ولم تذكرني بهذه الموعظة، ونحو ذلك... وعلى ذلك يمكنكم أن تقيسوا غيرها، فكم من شخص سيوقفنا يوم القيامة وسنسال عنه، وعن حقه؟

وفي ختام كلمته دعا سماحته (دام ظله) المبلغين لأن تكون لهم نظرة ميدانية فاحصة بحيث يعرفون ما ينبغي التحدث به مع الزوار بمختلف أجناسهم وجنسياتهم وأعمارهم وانتماءاتهم، وبما يقتضيه الوضع الراهن والمناسبة

(١) بحار الأنوار: ١١/٣٦/ح١٢.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ١/٣٤١.

والتحديات المعاصرة والمسائل والمشاكل المستحدثة فكرياً وعقائدياً واجتماعياً وأخلاقياً، وعلى رأس هذه الأمور حثّ الناس على إقامة صلاة الجماعة في كل أوقات الصلاة، وشرح الأحكام الشرعية الأساسية كالوضوء والصلاة ووجوب الرجوع إلى المرجع الديني الجامع للشرائط في سائر الأمور، مضافاً إلى كلمات الموعظة والإرشاد والتوجيه بما ينفعهم في ظل الفتن المتتالية على العالم الإسلامي، حتى لا يكونوا فريسة للمطامع والشبهات والمزلق.

وأن يقرأوا حركة الإمام الحسين (عليه السلام) بوعي وبصيرة ونحن نصفه (عليه السلام) في الزيارة الأربعينية بأنه (بَدَلَ مُهْجَتَهُ فَيْكَ لَيْسَتْ نَقْدَ عِبَادِكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَخَيْرَةَ الضَّلَالَةِ)^(١) فلا يصح أن تعود الملايين من زيارته (عليه السلام) وهي خالية من الزاد الروحي.

كما أوصى سماحته (دام ظله) بالتذكير بالإمام المهدي (عليه السلام) والتعريف بقضيته المقدسة وسبل إحيائها، والتمهيد لها بالشكل الصحيح وتفنيد الادعاءات التي تنسب له بشكل أو بآخر.

(١) مفاتيح الجنان - الزيارة الاربعينية: ٥٤٣.

لابد من ملئ جميع الساحات بالدعوة إلى الله تبارك وتعالى إقليم كردستان نموذجاً

أكد سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) على أن أساس الدعوة إلى التمسك بولاية أهل البيت (عليهم السلام) إنما هي دعوة للتمسك بالدين الإسلامي العظيم، الذي أرسل به نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله) وأخذه من عينه الصافية ومن مصدره الصحيح وليس فيها طائفية ولا تعصب ولا تفرقة جاء ذلك في كلمة ألقاها^(١) سماحته في جمع من أهلنا في إقليم كردستان وفدوا بمناسبة الزيارة الأربعينية بمكتبه في النجف الاشرف.

وأشار سماحته إلى أن نعمة ولاية أهل البيت (عليهم السلام) من أجل وأعظم النعم، وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١)، هي نعمة الولاية لأهل البيت (عليهم السلام) التي أمرنا الله بالتحدث بها ونشرها^(٢)، ويتم هذا المعنى آية إكمال الدين وإتمام النعمة آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾ (المائدة: ٣).

ولفت سماحته إلى البعد الغيبي والتدبير الإلهي في خلود الدين الإسلامي، وحفظه من الانحراف والتشويه بخط أهل البيت (عليهم السلام) وجعل الله تعالى (اثني عشر) إماماً الواحد بعد الآخر عرفوا بأفضليتهم وأعلميتهم وسموهم على أهل زمانهم، وهذه الحقيقة يعرفها حتى خصومهم من سلاطين الجور والطغاة وغيرهم، وإن أنكروها في العلن، وتراهم يلجؤون اليهم في الأزمات

(١) يوم الأحد ١٤/صفر الخير/١٤٤٤هـ - الموافق ٢٠٢٢/٩/١١م.

(٢) أنظر: بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٤٢٥/٣٥، تفسير القمي: ٤٢٧/٢.

ليتفقهوا في علومهم ويأخذوا منهم الحلول للخروج من المآزق التي واجهتهم. مؤكداً على أن من مظاهر خلود الدين بأجلى صورته هو وجود الزيارة الأربعينية التي ساهمت في التعريف بالتعاليم السماوية والمبادئ النورانية للدين الاسلامي من خلال المنهج والمسار الذي انتهجه الأئمة المعصومون (عليهم السلام) وشاء الله تعالى أن يكون الإمام الحسين (عليه السلام) أوسع الطرق وأوضحها وأقربها الى الوجدان الانساني، وقد بدأ العالم يتساءل عن هذه الظاهرة العجيبة والمشاهد النبيلة التي تعجز عن وصفها الألسن وتحير العقول، ما هذه العلاقة العجيبة؟ وما هذه المودّة الرائعة؟ ما الذي صنعه الإمام الحسين (عليه السلام) بنفوس هذه الملايين ووحدهم وهم من مختلف القوميات والجنسيات والثقافات؟ كما ان ضيافة العراقيين وكرمهم وجودهم بكل ما عندهم حيث تراهم يتسابقون على ضيافة الزوّار وخدمتهم. ثم توديعهم بالحفاوة والتكريم ودموع الحزن على فراقهم، مما أذهل العقول.

واعتبر سماحته ان هذه المواقف الفريدة باب من أبواب اللطف الإلهي مما ادى الى انتشار هذه المسيرة المهيبة بفضل الله تعالى في مختلف دول العالم ويصل طول بعضها عدة كيلو مترات سيراً على الأقدام. ولا شك انه مصداق بين وواضح لقول العقيلة زينب (عليها السلام): (فوالله لن تمحو ذكرنا)^(١)، أي لن تمحو دين الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله).

وفي ذات السياق كرر سماحته دعوته الى السعي الجاد والمخلص في نشر الاسلام المحمدي النقي من طرق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في كل اصقاع

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ١٣٥/٤٥.

الارض بالحكمة والموعظة الحسنة، والتعريف به وتحبيب الناس إليه.
 كما دعا سماحته الى إزالة الحواجز ورفع التقصير الحاصل تجاه مدن
 إقليم كردستان والمناطق القريبة منها، من جهة قلة المبلغين وطلبة العلم فيها.
 وأرجع سماحته سبب ذلك الى سياسات النظام البائد، الذي قمع
 الحريات وسعى الى تقويض ركائز العمل الإسلامي، ومحو الهوية الدينية في
 وطننا العزيز.

ولمعالجة هذا النقص لابد من التحاق عدد كبير من الشباب الواعي
 المتدين بالحوزات العلمية الدينية استجابة لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ
 مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ
 يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢)، ورجح سماحته الاستفادة من فرصة الدراسة
 الالكترونية، حيث يستطيع المؤمنون الذين يتم انتخابهم من قبل الفضلاء في
 تلك المنطقه، تلقي الدروس وهم في دورهم - وفقاً للمستوى الثقافي
 والعلمي - اذا لم يتيسر لهم المجيء الى النجف الاشرف، لغرض التحصيل
 العلمي في الحوزة الشريفة، حينها (وبعد بضعة اعوام) يمكن إيجاد قاعدة
 مناسبة من طلبة العلوم الدينية، تستطيع القيام بمسؤولياتها وأخذ دورها في
 توعية الناس وارشادهم وتعليمهم احكام دينهم - بفضل الله وتسديده
 ورعايته - ليشملهم دعاء الإمام (عليه السلام) بالرحمة وفق ما ورد في الحديث
 الشريف عن الإمام الرضا (عليه السلام) (أحيوا أمرنا رحم الله من أحيانا أمرنا - فسئل
 (عليه السلام) كيف نحيا أمركم؟ - قال: تتعلمون أحاديثنا وتعلمونها الناس، فإنهم لو
 علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)^(١).

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) الشيخ الصدوق: ٢/٢٧٥/ح ٦٩.

خطاب المرحلة

(٦٩٨)

الزيارة الأربعينية ممارسة تعبوية لنصرة الامام المهدي (عجل الله فرجه)

أعتبر سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظلّه) الزيارة الأربعينية بمثابة تمرين تعبوي يبيّن بوضوح إستعداد الشيعة والموالين للحضور والإجتماع على هذه الأرض الطاهرة لتلبية دعوة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) حينما يأذن الله تعالى بالظهور والفرج، فإن الروايات تشير إلى أن الشيعة والموالين سيحضرون من كل أنحاء العالم ويجتمعون على هذه الأرض المباركة لنصرته سيحضرون من كل أنحاء العالم ويجتمعون على هذه الأرض المباركة لنصرته (عجل الله فرجه)، وقد تساءل بعضهم كيف يحصل ذلك، وقد أصبح السفر بين الدول خاضعاً لقوانين وموانع وصعوبات، لكن إجتماع الملايين في الزيارة الأربعينية من ثمانين دولة تقريباً خير مثال لتقريب هذه الفكرة.

جاء ذلك خلال استقباله^(١) لعدة وفود وشخصيات من مختلف الجنسيات، ممّن تشرفوا بزيارة العتبات الطاهرة للأئمة المعصومين (عليهم السلام) خلال أيام الزيارة الأربعينية المباركة بمكتبه في النجف الأشرف.

وأشار سماحته (دام ظلّه) إلى التطور والازدهار الذي شهدته الزيارة الأربعينية لهذا العام من جهة الكم، حيث تزايدت أعداد الزوار بشكل ملفت، ومن جهة الكيف، حيث كانت الشعائر والفعاليات الواعية التي أقيمت متميزة ومتنوعة بفضل الله تعالى.

(١) يوم الاثنين ٢٢/صفر/١٤٤٤هـ- الموافق ٢٢/٩/٢٠٢٢م.

وقال سماحتُهُ (دام ظلّه): بالرغم من التعب والمعاناة والصعوبات التي تخللت أيام الزيارة، إلا أن الزوار كانوا مأنوسين بذلك، ويغمرهم الفرح والسرور، لأن هذه الأيام مفعمة بالأجواء المعنوية، فكانت حالة مثالية وروحية متميزة عاشها الزوار الكرام، تختلف عن كل أيام السنة، لم نجد لها مثيلاً الا فيما يحلم به الفلاسفة في المدينة الفاضلة او المثالية، ونسأل الله تعالى التوفيق لأداء حق هذه النعمة وشكرها والثبات والاستمرار عليها.

كما أشاد سماحتُهُ (دام ظلّه) بكرم الضيافة والخدمات والتسهيلات التي قدمها العراقيون... وبالجهد المتميزة التي تنافسوا وتسابقوا في تقديمها لضيوفهم الكرام، ومن هذه الخدمات ما لا يخطر بالبال وذكر مثلاً عليه ذلك الرجل الشهيم الذي لم يكن يملك ما يقدمه لضيافة الزوار، فوقف قرب الزوار وجعل جسمه ظللاً لهم عن حرارة الشمس، وقد بكى جمع من الحاضرين لهذه العواطف الجياشة.

ورجا سماحتُهُ (دام ظلّه) العذر من الزوار الوافدين من جميع أنحاء العالم، أن حصل تقصيرٌ أو خلل في تقديم الضيافة والخدمة، فالعراقيون قدموا كل ما باستطاعتهم وبذلوا كل في ما بوسعهم لأجل تكريم ضيوفهم وخدمتهم وبحسب الامكانيات الذاتية المتاحة، ويعتبرون ذلك واجباً عليهم أداء لحق شكر نعمة جوار أمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) والأئمة الطاهرين من ذريته صلوات الله عليهم أجمعين.

خطاب المرحلة

(٦٩٩)

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾^(١) (النبأ: ٩)

كثيرة هي نعم الله تبارك وتعالى على العباد جلّت عن العد والإحصاء ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤- النحل: ١٨)، وإن كثيراً منها مغفول عنها، يتنعم بها الناس من دون التفات إليها، للجهل بها أو لاعتيادها، وقد يعرفونها ويدركون مقدار تنعمهم بها لكنهم يجحدون المنعم والمسبب الحقيقي ويتشبثون بالأسباب المادية الظاهرة، ومنها نعمة النوم^(٢) ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٤٧)، حيث تتعطل الكثير من الحواس والأعضاء عن وظائفها ويدخل الإنسان في حالة سبات، أي حالة انقطاع عن العمل وتعطيل الحركة من أجل الراحة

(١) قيس من نور القرآن ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظله) على طلبية البحث الخارج يوم الأربعاء ٢٩/ربيع الأول/ ١٤٤٤هـ- الموافق ٢٦/١٠/٢٠٢٢م، حيث التزم سماحته بتخصيص درس الأربعاء للتفسير.

(٢) ونذكر هنا باختصار من فوائد النوم بحسب ما ورد في عدة مصادر علمية متخصصة فقالوا: إن الحصول على القدر الكافي من النوم له أهمية في المحافظة على قوة الجهاز المناعي، إذ وجدت الدراسات أن قلة النوم تجعل الإنسان أكثر عرضة للإصابة بالأمراض المختلفة كالانفلونزا. وأنه يقلل خطر الإصابة بأمراض السكر والقلب والضغط والسمنة. وأنه يحسّن من إنتاجية الشخص وتركيزه في عمله. ويحافظ على كفاءة التواصل بين الخلايا العصبية ويترد السموم المتراكمة في الدماغ خلال اليوم. ويقلل من التوتر العصبي ويقوّي الذاكرة ومراكز صنع القرار ويحسن المزاج ويحافظ على التوازن العاطفي تجاه الحوادث.

والاستجمام، وهي وظيفة ضرورية لا يستطيع الإنسان الاستمرار في الحياة بدونها وقد أفادت بعض المصادر الطبية بأنه ((يعتبر النوم مهماً جداً للكائن الحي، ولولا النوم لما استطاع الكائن الحي أن يتابع مسيرة الحياة، ولا يستطيع الرجل العادي أن يبقى بدون نوم أكثر من أيام قليلة، وعندما جُربت بعض التجارب على الجنود لترك النوم كان ضبط الأمر في منتهى الصعوبة))^(١).

ويحصل بسبب النوم أيضاً تجديد النشاط والحيوية استعداداً لبدء يوم فاعل جديد بإذن الله تعالى، روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله: (إن النوم سلطان الدماغ، وهو قوام الجسد وقوته)^(٢) مما يعني أن حركة ما تحصل خلال النوم، وإن النوم من وسائل العلاج الناجعة حتى أن المريض يجد تحسناً في حالته.

والآية الكريمة تقع ضمن سلسلة من الآيات تبدأ بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النبا: ٦-٩)، إلى آخر الآيات، فالسؤال ليس فقط لمجرد إلفات النظر إلى هذه النعم حتى يؤدي الإنسان حق شكرها، وإنما للاستدلال بهذه الآيات الكونية والأنفسية ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣)، على عظمة الله وسعة رحمته وحكمته ووقوع الإنسان في قبضة الخالق العظيم إذ لا يملك لنفسه إلا أن يستسلم للنوم، وفيها دلالة أيضاً على قدرته تبارك وتعالى على

(١) الطب محراب الإيمان: ١/ ١٤٦.

(٢) بحار الأنوار: ٣١٦/٦٢.

البعث والنشور وأخذ المثل لتصوير الإمكان من هذا الخلق في الحياة الدنيا ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الإسراء: ٥١)، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤)، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلِ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٨-٧٩).

ولازالت تفاصيل كثيرة عن ظاهرة النوم المعجزة، وكيفية تعطل بعض وظائف البدن، والعوامل التي ينتقل اليها الإنسان خلال النوم، والرؤى التي تحصل له خصوصاً الرؤى التنبؤية التي تتحقق على أرض الواقع مجهولة للمتخصصين وقدمت نظريات عديدة لكنها فشلت^(١)، فدعي الإنسان العاقل إلى التدبر في هذه الظواهر ليتوصل إلى حقائق لا يدركها إلا من خلال هذا التأمل والتدبر في آيات الله تعالى.

فآلية الكريمة تستنطق الفطرة وتستثير الضمير بهذه التساؤلات ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ..﴾ وتُشهد العقل ليكون الإيمان بالله تعالى راسخاً، لأنه عن وعي ومعرفة وتأمل، فإن هذه الآيات كافية للوصول إلى العقائد الحقة، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (الروم: ٢٣)، فكما أن الحركة والنشاط والسعي في الأرض من آيات الله تعالى، فإن السبات آية أخرى.

ومما أنعم الله تعالى به على عباده المؤمنين في النوم انتقالهم إلى عوالم معنوية لا يستطيعون التعرف عليها خلال اليقظة وفاعلية الحواس كالذي ورد

(١) الطب محراب الإيمان: ١٤٦/١.

في الحديث الشريف عن رسول الله (ﷺ) أنه قال لعلي (عليه السلام): (يا علي إن أرواح شيعتك لتصعد إلى السماء في رقادهم ووفاتهم، فتنظر الملائكة إليها كما ينظر الناس إلى الهلال شوقاً إليهم ولما يرون من منزلتهم عند الله عزوجل)^(١)، وعللت الأحاديث الشريفة استحباب النوم على طهور بهذا الارتقاء الروحي.

وإن في النوم والاستيقاظ بعده مثلاً يقرب حالة الموت والبعث بعده، لأن النوم موت مصغر ففي الحديث النبوي الشريف (النوم أخو الموت، ولا يموت أهل الجنة)^(٢)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (النوم راحة من ألم، وملائمة الموت)^(٣)، أي مشابهة الموت، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيم_Sِكِّ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢)، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٦٠).

لذلك يذكّرنا أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذه النعمة وهو يدعو في كل صباح: (يا من أرقدني في مهاد أمنه وأمانه، وأيقظني إلى ما منحني به من مننه وإحسانه، وكفّ أكفّ السوء عني بيده وسلطانه)^(٤).

(١) أمال الصدوق: ٦٥٧/ح ٨٩١

(٢) كنز العمال: ح ٣٩٣٢١.

(٣) غرر الحكم: رقم ١٤٦١.

(٤) مفاتيح الجنان: ١٢٦، دعاء الصباح. بحار الأنوار: ٨٤/٣٣٩، عن كتاب الاختيار.

ويدرك قيمة هذه النعمة المحتاج إليها أكثر من غيره كالأرق فانه ينتظر النوم بشوق، قال الإمام الهادي (عليه السلام): (السهر ألد للنمام)^(١)، والنوم يعطي اطمئناناً وسكينةً وهدوء كالذي حصل في معركة أُحُد للمسلمين المهزومين المثقلين بالقتل والجراح وتأنيب الضمير ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٤)، وكذا قبيل معركة بدر حينما أربعهم جيش المشركين بتفوقه في العدة والعدد قال تعالى: ﴿إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ (الأنفال: ١١).

وقد لا يعرف الإنسان قيمة هذه النعمة حتى مع تذكيره بها، لاعتياده عليها فلا يرى في النوم شيئاً مثيراً، لكنه يعرفها إذا تصوّر أضرارها، فكم مريض قضى ليلته أرقاً وهو يتقلب على فراشه من الألم، وكم من مسجون طال ليله وهو يعاني قسوة التعذيب بأيدي الجلادين، وكم من مهجر أو مسافر زاده الليل اضطراباً وهو في وحشة الطريق ومفارقة الأهل والأوطان، وكم من خائف فاقدٍ للأمن والاستقرار يُرعبه الليل الثقيل حتى ظن أنه لا ينقضي، وكم من جندي يقاتل الأعداء لا يستطيع أن يطبق جفونه خوفاً من مباغته العدو، وكم من شخص قضى ليلته هذه في قبره وحيداً فريداً تخلّى عنه الأهل والأحباب وبقي مرتهنأً بعمله، وأنت معافى من ذلك كله تتمتع بنومة هادئة هنيئة، وتستيقظ معافى.

هذه الحالة التي يصفها دعاء الجوشن الصغير المروي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) وفيه قوله: (إلهي، وَاكْمِ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ خَائِفاً مَرْعُوباً

(١) ميزان الحكمة: ٢٠٣/٩، عن أعلام الدين: ٣١١.

مُشْفِقًا وَجِلًّا هَارِبًا طَرِيدًا مُنْجَرًّا فِي مَضِيقٍ وَمَخْبَأَةٍ مِنَ الْمَخَابِي قَدْ ضَاقتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِرُحْبِهَا، لَا يَجِدُ حِيلَةً وَلَا مَنْجَى، وَلَا مَأْوَى، وَأَنَا فِي أَمْنٍ وَطَمَئِينَةٍ وَعَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أُنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْ لِي لِنِعْمَتِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لِأَنَّكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ^(١)، وفي هذا الدعاء فقرات كثيرة تنتهي كلها بهذه الصلوات والشكر.

ويرتبط النوم بالليل ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النمل: ٨٦)، وقد توصل العلم الحديث إلى حقيقة أن النوم في الليل هو الذي يحقق الغرض التام من النوم للأعصاب وسائر الأعضاء الأخرى كتعزيز الجهاز المناعي وتنظيم السكر وزيادة التركيز والحيوية والمحافظة على الوزن.

لذلك فإن الذين يسهرون في الليل وينامون في النهار لا يحصلون على نفس النتائج، اما الذين يقضون الليل عابثين بالألعاب الإلكترونية وغيرها فإنهم يتعرضون لأضرار جسيمة^(٢)، وهذا لا يشمل أهل المقام المحمود الذين ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (الذاريات: ١٧)، ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ

(١) مفاتيح الجنان: ٢٠٢، دعاء الجوشن الصغير. بحار الأنوار: ٩١ / ٣٢٢-٣٢٣.

(٢) ذكرت المصادر العلمية أن من أضرار السهر:

تعب العقل فلا يعمل بكفاءة، وتصيح الأخطاء في الأداء والدراسة والعمل أكثر شيوعاً. والشعور بالنعاس طوال النهار وفقدان النشاط والحيوية، العصبية والانفعال والعدوانية في التصرفات. والصداع المؤلم والمزعج. ونسيان المعلومات، حيث يعمل النوم على حفظ المعلومات التي يتلقاها الإنسان خلال يومه. والتأثير على عمل ونشاط القلب، فيؤدي السهر المتكرر إلى تقليل نشاطه.

سُجِّدًا وَقِيَامًا ﴿الفرقان: ٦٤﴾ فإن لهم عالمهم الخاص.

لذا يذكرنا الله بنعمة الليل لتحصيل السكن والراحة: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (القصص: ٧٢).

فهل يحتاج المشككون في الخالق العظيم إلى أزيد من هذا؟ لكنهم مع الأسف كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (النحل: ٧٢).

ويحسنُ الإشارة إلى ان المشرع الحكيم لما تكفل بتنظيم كل شؤون الفرد والمجتمع فإنه تعرض للنوم وذكر له أحكاماً وسُنناً وآداباً منها:

١- يستحب النوم على ظهور فعن رسول الله (ﷺ) قال: (من نام على الوضوء إن أدركه الموت في ليله فهو عند الله شهيداً)^(١)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من تطهر ثم أوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده، فإن ذكر أنه على غير وضوء فليتيّم من دثاره كائناً ما كان، فإن فعل ذلك لم يزل في الصلاة وذكر الله عزوجل)^(٢).

٢- يستحب ان يذكر الله تعالى قبل النوم بالأذكار الخاصة في هذا المورد، ومنها قراءة سورة التكاثر فعن النبي (ﷺ) قال: (من قرأ ﴿أَلْهَافُكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ عند منامه وقِيَ فتنة القبر)^(٣)، وآية الكرسي وسورة التوحيد ثلاثاً ليكون كمن ختم القرآن^(٤)، وعن النبي (ﷺ): (من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

(١) ميزان الحكمة: ٢٠٦/٩، عن الدعوات: ٢١٤/ح٥٧٧.

(٢) بحار الأنوار: ٧٦/١٨٢/ح٦.

(٣) بحار الأنوار: ٧٦/١٩٦/ح١٢.

(٤) ميزان الحكمة: ٢٠٦/٩.

حين يأخذ مضجعه، غفر الله عز وجل له ذنوب خمسين سنة^(١)، وتسبيح الزهراء (عليها السلام) وآخر آيتين من سورة البقرة من قوله تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ والآيتين (٢٦-٢٧) من سورة آل عمران ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ وآخر آية الكهف.

٣- محاسبة النفس قبل النوم واستذكار ما عمل خلال يومه، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (إذا أويت إلى فراشك فانظر ما سلكت في بطنك وكسبت في يومك، واذكر أنك ميت وان لك معاداً)^(٢)، فان وجد عملاً صالحاً استزاد الله تعالى منه وطلب منه القبول، وان وجد عملاً سيئاً طلب من الله تعالى المغفرة والعفو.

٤- اذا استيقظ دعا بالمأثور^(٣)، وروي ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان اذا استيقظ خلال النوم كان يرمق السماء بطرفه ويتأمل فيها ويتلو الآيات العشرة الأخيرة من سورة آل عمران من الآية (١٩٠) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ﴾.

٥- يكره اكثر النوم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إياكم وكثرة النوم، فإن كثرة النوم يدع صاحبه فقيراً يوم القيامة)^(٤)، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لبس الغريم النوم، يفني قصير العمر، ويفوت كثير الأجر)^(٥)، وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: (إن الله جل وعز يبغض العبد النّوام الفارغ)^(٦)، وقد قدرت حاجة الإنسان طيباً من النوم (٦-٨) ساعات^(٧) وهي تختلف بحسب عمر الإنسان

(١) أمالي الصدوق: ٦٤/ح-٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ١٩٠/٧٦/ح-٢١.

(٣) راجع بعض هذه الأدعية في ميزان الحكمة: ٢٠٨/٩.

(٤) ميزان الحكمة: ٢٠٤/٩، عن الاختصاص: ٢١٨.

(٥) غرر الحكم: رقم ٤٤١٦.

(٦) الكافي: ١٨٤/٥/ح-٢.

(٧) الطب محراب الإيمان: ١٤٨/١.

ووضعه البدني والنفسي.

٦- يستحب عرض نفسه على الخلاء قبل النوم فمن وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام) في أربع خصال تغني عن الطب (وإذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء)^(١).

٧- الاتعاظ بالموت فإنه موت مصغر وقد تقبض روحه في نومه فلا يفيق.

٨- ليعرف الإنسان قيمة نفسه وضألة عمله فإذا كان يقضي ثلث عمره في النوم فما أقل عمله.

٩- يكره قضاء الليل كله بالنوم فلا بد من تخصيص وقت لصلاة الليل وقراءة القرآن ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩).

١٠- النوم ناقض للوضوء فلو نام عليه أن يجدد الوضوء لكل عمل مشروط بالطهارة كالصلاة الواجبة.

١١- يكره النوم على البطن لأنها نومة الشياطين بحسب المروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (لا ينام الرجل على وجهه، ومن رأيتموه نائماً على وجهه فأنبهوه ولا تدعوه)^(٢).

١٢- يكره النوم في موارد كاستيعاب ما بين الطلوعين وورد النهي عن المبيت وحده وانه يخشى عليه من الجنون^(٣).

(١) البحار: ١٨١/٧٦ باب ٣٣٩.

(٢) سفينة البحار: ٣٧١/٨.

(٣) سفينة البحار: ٣٧١/٨.

خطاب المرحلة

(٧٠٠)

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾^(١) (التوبة: ١٢٨)

ذكرت الآية (١٢٨) من سورة التوبة عدة أوصاف وملكات للنبي (ﷺ)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، وهي صفات يجب ان يتحلى بها كل أولياء الأمور ابتداءً من رب الأسرة إلى رئيس الدولة تأسياً بالنبي (ﷺ) بحسب ما حثت عليه الآية الكريمة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (الأحزاب: ٢١).

ومحل الكلام وصفه (ﷺ) بأنه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ ويُعرف الحرص لغةً بأنه أعلى درجات الرغبة المفرطة الشديدة مقرونة بالعمل من أجل جلب نفع أو دفع ضرر.

وهو بذاته لا يوصف بمدح أو ذم الا بحسب متعلقه، فقد يكون مذموماً كالحرص على الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (البقرة: ٩٦)، وروى الشيخ الكليني (قَدَسَ سَلْتُهُ) في الكافي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (من علامات الشقاء جمود العين وقسوة القلب وشدة الحرص في طلب

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبة بحثه الشريف يوم الأربعاء ١٥/ربيع الأول/١٤٤٤هـ- الموافق ١٢/١٠/٢٠٢٢م، بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف.

الدنيا، والإصرار على الذنب^(١)، وقد يكون محموداً، وصفة كمال كما في الآية محل البحث، فتعريف الراغب في المفردات بأنه (فرط الشره وفرط الإرادة)^(٢) إن أراد به المذموم خاصة كما يظهر منه فهو قاصر، لأن حكمه يتبع متعلقه مدحاً وذماً.

وقد يطلق الحرص في الأحاديث الشريفة الدائمة له بلا ذكر المتعلق ويراد به ما كان متعلقه مذموماً، لأنه الغالب في الناس كقول رسول الله (ﷺ): (الحريص محروم، وهو مع حرمانه مذموم في أي شيء كان، وكيف لا يكون محروماً وقد فرّ من وثاق الله)^(٣)، وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (الحرص ذميم المغيبة)^(٤)، وقوله (عليه السلام): (الحرص ذل وعناء)، وقوله (عليه السلام): (الحرص عبد المطامع).

وقد أخبر الله تبارك وتعالى عن رسوخ هذه الصفة السيئة لدى الإنسان الا من عصمه الله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج: ١٩-٢١)، وقال تعالى: ﴿وَأَخْضَرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ (النساء: ١٢٨).

وبالرجوع إلى الآية الكريمة، فإن من صفات النبي (ﷺ) أنه حريص عليكم جميعاً أيها الناس ولا تختص بالمؤمنين برسالته أكثر من حرص الأم

(١) الكافي: ٢/٢٩٠.

(٢) مفردات غريب القرآن: ١١٣.

(٣) بحار الأنوار: ٧٣/١٦٥/ح٢٦.

(٤) وما بعده تجده في غرر الحكم: رقم ٤٣٠، ٦٩١، ٦٢٥.

على أولادها، ولم يذكر المتعلق للدلالة على العموم، فهو يجتهد في هدايتكم وإصلاحكم وسعادتكم، ويتفانى في جلب نفع الدنيا والآخرة لكم ودفع الضرر عنكم، وكل ما يصدر منه (ﷺ) يؤدي إلى هذا الغرض وإن لم يستطيعوا فهمه أحياناً.

ولعل الغرض من وجود الآية في سورة التوبة التي تتحدث عن غزوة تبوك^(١) وما رافقها من عناء ومشقة وجهد وبلاء هو لتثبيت إيمانهم بالقيادة النبوية المباركة، وإن كل ما يأمر النبي (ﷺ) به وينهى عنه إنما هو نابع من هذه الصفات المباركة، فلا يتوهموا أن تكليفهم بالأفعال الشاقة كالجهاد وإنفاق المال يعبر عن عدم اهتمام واكتراث بهم.

ولم يدخر (ﷺ) جهداً في ذلك إلى درجة أنه (ﷺ) أشرف على الهلاك من شدة الجهد النفسي والبدني والتأسف لعدم استطاعته هداية كل الناس وهي لعمري أعلى درجات الحرص عليهم، فأشفق الله تبارك وتعالى عليه وخاطبه بقوله عز من قائل: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: ٦)، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٣)، والبخع قتل النفس غمماً، فحسب الله تبارك وتعالى على أن لا يهلك نفسه حزناً وأسفاً وليدعهم وما يختارون ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢).

روى البخاري بسنده عن أنس قال: (أَنَّ غَلامًا يَهُودِيًّا كان يَخْدُمُ النَّبِيَّ

(١) أنظر: تاريخ الطبري: ٣٧٣/٢.

(ﷺ) فمرض فأتاه النبيُّ (ﷺ) يعُوذُه فقال له النبيُّ (ﷺ): (أَسْلِمَ) فنظر إلى أبيه وهو جالسٌ عند رأسه فقال له أطمعُ أبا القاسمِ قال: فأسلم، قال: فخرج النبيُّ (ﷺ) من عنده وهو يقول: الحمدُ لله الَّذي أنقذه مِنَ النَّارِ^(١)، وبقدر هذا الشكر الصادر من أعماق قلبه الشريف، كان الأسف لو أفلتت منه نفس إلى النار.

ورغم كل هذا الجهد كانت النتيجة كما ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: ١٠٣)، فالتقصير ليس من جهة النبي (ﷺ) لأنه عمل بأعلى درجات الحرص، إلا أنهم لم يكونوا موفقين في خياراتهم بسبب اتباعهم الشهوات والاهواء، وطاعتهم للشياطين الذين يخدعونهم بأمور زائفة زائلة، وينسونهم الحياة الآخرة الباقية، فيكلهم الله تبارك وتعالى إلى ما اختاروا ﴿إِنْ تَحَرَّصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (النحل: ٣٧)، فالحرص على هدايتهم لا يكفي ما لم يقترن بإرادة حقيقية منهم للتغيير نحو الأحسن.

إن الحرص على الناس صفة عظيمة تستحق التركيز عليها وبيانها وتعبئة الأمة للاتصاف بها، وكلما ازدادت دائرة الحريصين على مصالح الأمة ونفع العباد وهدايتهم إلى ما يصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة فإن المجتمع يكون بخير، كما أن فقدان هذه الصفة هو الذي يفسر الأحوال السيئة التي تعيشها الأمة مع وفرة الإمكانيات المادية والبشرية التي من الله تعالى بها عليها، وذلك

(١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز/ باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي

لأنها ابتليت بتسلط شرذمة متجردة من هذه الصفة النبوية المباركة.
 إن خير من يجسد هذه الصفة اليوم هو إمامنا المهدي الموعود (عجل الله فرجه)
 فانه أولى الناس باتباع جده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا ما يزيد الموالين اطمئناناً
 وسكينةً بأنهم في رعاية أحرص الناس عليهم، ولو لم تكن في انتظاره (عجل الله فرجه)
 وترقب ظهوره الا هذه الفائدة لكفى، وقد عبّر عن ذلك في رسالته إلى الشيخ
 المفيد (رحمه الله تعالى) بقوله: (أنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين
 لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء فاتقوا الله جل
 جلاله وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حم
 أجله ويحمى عنها من أدرك أمله)^(١).

فعلينا أن نربّي أنفسنا على هذه الصفة الحميدة، وأخص بالذكر الحوزة
 العلمية والمؤمنين الرساليين فهم أولى الناس بالتأسي برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله
 الكرام، روى أحد السادة الفضلاء أنه اعتاد أن يروي لأسرته بعض قصص
 الذين تشرفوا بلقاء الإمام المهدي (عجل الله فرجه) والمعجزات التي جرت على يديه
 الشريفتين من التي ذكرها الميرزا النوري (رضوان الله تعالى عليه) في كتابه
 (النجم الثاقب) وغيره، وكان يلمس تأثيرها الروحي على المتلقين، فانقذت
 في ذهنه فكرة أن يدوّن مجموعة منها في كراس وجعل له عنوان (رسالة
 شفاء) ويوزعه على المرضى المصابين بأمراض مستعصية عجز الأطباء عن
 معالجتها، وقام بهذه الجولات، وكانت المفاجأة: ان مئات من هؤلاء شفوا
 ببركة تعلّقهم بإمامهم الحريص عليهم، وما بعثه فيهم من الأمل والاطمئنان

والسمو الروحي عند اطلاعهم على هذه الرسالة، وكانوا ينهمكون بقراءتها ساعات يذهلون فيها عن أنفسهم وعمّا حولهم، بحيث كان الأطباء يتعجبون من حصول هذا التغيّر غير الطبيعي في حالتهم.

فما الذي دفع هذا السيد الفاضل إلى القيام بهذا العمل المضني والمكلف غير هذه الخصلة الكريمة التي تعلّمها من القرآن الكريم وسيرة النبي العظيم (ﷺ) ولا تجدها عند غير من تربى في هذه المدرسة الشريفة.

إنّ الناس حينما يجدون هذه الصفة في الواعظ والمبليغ والمربي والمعلم والمسؤول فإنهم ينقادون اليه ويأخذون منه، لأنهم يجدونه صادقاً في جلب الخير لهم وتحقيق مصالحهم وهدايتهم إلى سعادة الدنيا والآخرة لوجه الله من دون ان ينتظر منهم ﴿جَزَاءً وَكَأ شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٩).

لذا فإن لهذه الصفة أهميتها في نجاح الدعوة إلى الله تبارك وتعالى لرسوخ قناعة الناس بحاملها، وأما فقدانها فإنه يكون منقراً من صاحبها، وإذا كان ذا عنوان ديني فالنفور يكون من الدين نفسه.

خطاب المرحلة

(٧٠١)

حرمة إخافة الآخرين ولونظرة^(١)

روي انه كان عند الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) زين العابدين قوم أضياف فاستعجل خادماً له بشواء كان في التنور فأقبل به الخادم مسرعاً فسقط السفود^(٢) منه على رأس بني لعلي بن الحسين (عليهما السلام) تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله، فقال علي للغلام وقد تحير الغلام واضطرب: (أنت حر فإنك لم تعتمد، وأخذ في جهاز ابنه ودفنه)^(٣).

وروي إنه دخل سفيان الثوري على الصادق (عليهما السلام) فرآه متغير اللون فسأله عن ذلك فقال: (كنت نهيت أن يصعدوا فوق البيت، فدخلت فإذا جارية من جواري ممن تربى بعض ولدي قد صعدت في سلم والصبي معها، فلما بصرت بي ارتعدت وتحيرت وسقط الصبي إلى الأرض فمات، فما تغير لوني لموت الصبي وإنما تغير لوني لما أدخلت عليها من الرعب، وكان (عليهما السلام) قال لها: أنت حرة لوجه الله لا بأس عليك مرتين)^(٤).

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على حشد من الزوار بمناسبة ذكرى ميلاد النبي محمد (ﷺ) يوم الجمعة ١٧/ ربيع الأول/ ١٤٤٤هـ - الموافق ١٤/١٠/٢٠٢٢م، وبين الحاضرين جمع من طلبة السادس العلمي الذين سيلتحقون بالجامعات الذين نُظمت لهم دورة تأهيلية في العقائد والفقه والأخلاق.

(٢) السفود، كمنور: حديدة يشوى عليها اللحم جمع سففيد. أنظر: مختار الصحاح: ١٦١.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٩٩/٤٦، كشف الغمة: ٢٧٣/٢.

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٢٤/٤٧.

تصوّر الحادثتان جانباً من آداب المعاشرة مع الآخرين التي غرسها الإسلام في نفوس أتباعه وهي حرمة إخافة الآخرين وإدخال الرعب عليهم، حيث لا يكثرث الإمام (عليه السلام) بموت ولده بقدر اهتمامه بمعالجة حالة الخوف التي حصلت عند الآخر نتيجة تقصيره أو سوء تصرفه أو أي نحو آخر.

وقد أكد الأئمة المعصومون (عليهم السلام) في أحاديث عديدة على حرمة إدخال الخوف والرعب على الآخر بأيّة طريقة ولو بنظرة مخيفة فضلاً عما هو أشد منها من أساليب التهديد والوعيد، وحذروا من عاقبة هذا الفعل، فقد روى الشيخ الكليني (رحمته الله) في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله عز وجل يوم لا ظلّ الا ظله)^(١)، وروى أيضاً في حديث آخر عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من روع مؤمناً بسُلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصب فهو في النار، ومن روع مؤمناً بسُلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار).

ورواه الشيخ الصدوق (رضوان الله تعالى عليه) في عقاب الأعمال كما روى في عيون الأخبار بسنده عن فاطمة بنت الرضا (عليها السلام) عن أبيها عن آبائه عن علي (عليه السلام) قال: (لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً).

فكان المعصومون (عليهم السلام) حريصين على أن لا يتسببوا في إخافة أحد أو إدخال الأذى عليه ولو من دون قصد ويربّوا أتباعهم على هذا الأدب، لأن كل فعل يصدر من الإنسان مسجّل في ﴿هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا

(١) تجد هذه المجموعة من الروايات في وسائل الشيعة: ٣٠٣/١٢، أبواب أحكام العشرة، باب ١٦٢،

أَحْصَاهَا ﴿الكهف: ٤٩﴾، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

روي عن ابن عباس، قال: لما مرض رسول الله (ﷺ) وعنده أصحابه قال: (يا بلال، هلم علي بالناس، فاجتمع الناس فخرج رسول الله (ﷺ) متعصباً بعمامته، متوكئاً على قوسه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: معاشر أصحابي، أي نبي كنت لكم! ألم أجاهد بين أظهركم، ألم تكسر رباعيتي، ألم يعفر جيني، ألم تسل الدماء على حر وجهي حتى لثقت لحيتي، ألم أكابد الشدة والجهد مع جهال قومي، ألم أربط حجر المجاعة على بطني؟ قالوا: بلى يا رسول الله، لقد كنت لله صابراً، وعن منكر بلاء الله ناهياً، فجزاك الله عنا أفضل الجزاء. قال: وأنتم فجزاكم الله. ثم قال: إن ربي عزوجل حكم وأقسم أن لا يجوز ظلم ظالم، فناشدتكم بالله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه، فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء. فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له سواده بن قيس، فقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضاء وبيدك القضيب المشوق، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فلا أدري عمداً أو خطأً. فقال معاذ الله أن أكون تعمدت. ثم قال: يا بلال، قم إلى منزل فاطمة فأتني بالقضيب المشوق. فخرج بلال وهو ينادي في سكك المدينة: معاشر الناس، من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة؟ فهذا محمد

(ﷺ) يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة! وطرق بلال الباب على فاطمة (ع) وهو يقول: يا فاطمة، قومي فوالدك يريد القضيب المشوق. فأقبلت فاطمة (ع) وهي تقول: يا بلال، وما يصنع والدي بالقضيب، وليس هذا يوم القضيب؟ فقال بلال: يا فاطمة، أما علمت أن والدك قد صعد المنبر وهو يودع أهل الدين والدنيا! فصاحت فاطمة (ع) وهي تقول: واغماه لغمك يا أبتاه، من للفقراء والمساكين وابن السبيل يا حبيب الله وحبيب القلوب؟ ثم ناولت بلالاً القضيب، فخرج حتى ناوله رسول الله (ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ): أين الشيخ؟ فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول الله، بأبي أنت وأمي؟ فقال: تعال فاقتص مني حتى ترضى. فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف (ﷺ) عن بطنه، فقال الشيخ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم النار. فقال رسول الله (ﷺ): يا سودة بن قيس، أتغفو أم تقتص؟ فقال: بل أعفو يا رسول الله. فقال (ﷺ): اللهم اعف عن سودة بن قيس كما عفا عن نبيك محمد^(١).

ولذا كان الأئمة (عليهم السلام) يلهجون بالدعاء ويطلبون من الله تعالى المغفرة وارضاء من وقع عليهم شيء من ذلك سهواً، ومن ذلك قول الإمام السجاد (عليه السلام) في دعاء يوم الإثنين: (وَأَسْأَلُكَ فِي مَظَالِمِ عِبَادِكَ عِنْدِي، فَأَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِكَ، أَوْ أَمَةٍ مِنْ إِمَائِكَ، كَانَتْ لَهُ قَبْلِي مَظْلَمَةٌ ظَلَمْتُهَا إِيَّاهُ فِي نَفْسِهِ، أَوْ فِي عَرْضِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، أَوْ غَيْبَةً اغْتَبَتْهُ بِهَا، أَوْ تَحَامُلٌ عَلَيْهِ بِمِثْلِ

(١) أمالي الصدوق: ٥٠٥.

أَوْ هَوَى، أَوْ أَنْفَةً، أَوْ حَمِيَّةً، أَوْ رِيَاءً، أَوْ عَصَبِيَّةً غَائِبًا كَانَ أَوْ شَاهِدًا، وَحَيًّا كَانَ أَوْ مَيِّتًا، فَقَصَّرَتْ يَدِي، وَضَاقَ وَسْطِي عَنْ رَدِّهَا إِلَيْهِ، وَالتَّحَلُّلُ مِنْهُ. فَأَسْأَلُكَ يَا مَنْ يَمْلِكُ الْحَاجَاتِ، وَهِيَ مُسْتَجِيبَةٌ لِمَشِيئَتِهِ وَمُسْرَعَةٌ إِلَى إِرَادَتِهِ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُرْضِيَهُ عَنِّي بِمَا شِئْتَ، وَتَهَبَ لِي مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً^(١).

اذن ليعلم كم هو بعيد عن آداب الإسلام وتعاليم أهل البيت (عليهم السلام) من يخاف الناس شره، لأن عنده سلطة أو موقعاً حكومياً أو زعامة عشائرية، أو ان عنده جماعة مسلحة أو غير مسلحة، وهكذا تتكرر الأمثلة على مستوى مدير الدائرة الذي يهدد موظفيه، أو المعلم الذي يخيف طلبته ويرعبهم بأساليب متعددة، والأب الذي يخيف ابناءه والزوج مع زوجته، وربما الزوجة مع زوجها، فلنعيد النظر في سلوكنا ولنقتبس من نور الإسلام مباديء الرحمة والنُّبُل والشهامة والفتوة.

خطاب المرحلة

(٧٠٢)

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٦)

فضل الصلاة على النبي وآله وأثارها المباركة^(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦).

أطلق لفظ النبي ولم يذكر اسمه بينما ذكرت أسماء الأنبياء الآخرين؛ تعظيماً لشأنه (ﷺ) ولتفردده بسمو المنزلة حيث لا يشاركه ولا يدانيه ملكٌ مقربٌ ولا نبي مرسل.

ومعنى الصلاة عليه من الله تعالى حسن الثناء عليه في الملائكة الأعلى والأدنى وزيادة نوره وبركته ورفع درجاته حتى يبعثه المقام المحمود الذي وعده، والصلاة من الملائكة طلب إنجاز ذلك له، ومن المؤمنين الدعاء من الله تعالى له بذلك، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (صلوات الله عليه تزكية له وثناء عليه، وصلاة الملائكة مدحهم له، وصلاة الناس دعاؤهم له والتصديق والإقرار بفضله)^(٢).

وبذلك يلتحم الكون في حركة ودوية تلهج بعظمة هذا الوجود

(١) قيس قرآني ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) على طلبه البحث الخارج يوم الأربعاء ٢١/ربيع الثاني/١٤٤٤هـ- الموافق ١٦/١١/٢٠٢٢م.

(٢) نور الثقلين: ٤/٣٠٠/ح ٢١٢.

المبارك والنعمة العظيمة والرحمة المهداة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
(الأنبياء: ١٠٧)، أما من يسيئون إليه (ﷺ) وينتقصون منه ويشوهون صورته
ويفترون عليه فهم محرومون من الحضور في هذا العالم الجميل الطيب السعيد
ولا يظلمون إلا أنفسهم.

فالآية الكريمة تبين أن رسول الإسلام محمداً (ﷺ) أعظم المخلوقين
منزلةً وأرفعهم مقاماً في الملائكة الأعلی وفي الملائكة الأدنى، وهذه الصلوات
مستمرة دائمة ﴿يُصَلُّونَ﴾ وليست مختصة بحياته الشريفة، ومع تكرار هذه
الصلوات واستمرارها يزداد النبي (ﷺ) رفعةً وعلواً.

ولم يُذكر متعلق هذه الصلاة من الله تعالى ومن الملائكة على النبي
(ﷺ) فهي مطلقة ومفتوحة على كل ما يُوجب المقام المحمود عند الله
تعالى، أما صلاة الله تبارك وتعالى وملائكته على الناس فقد ذكر متعلقها وهي
الهداية من الظلمات إلى النور ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٣)، فهذه ليست
كتلك والفرق بينهما واضح، فإن النبي (ﷺ) كله نور ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥)، ويزداد نوراً بهذه الصلوات.

وفي الآية أمرٌ من الله تبارك وتعالى بالتسليم على النبي (ﷺ) وأيضاً
التسليم له تسليماً مطلقاً، إذ لم يذكر متعلق التسليم فيحتمل فيه المعنيان، روى
الشيخ الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (وأما
قوله عز وجل ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فإنه يعني التسليم له فيما ورد عنه)^(١)، وعلى

(١) وسائل الشيعة: ١٩٦/٧، عن معاني الأخبار: ٣٧٦.

رأسها الولاية، امتثالاً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

والقدر المتيقن من الوجوب في تشهد الصلاة وفي خطبة الجمعة والأذان، روي عن عائشة قالت: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تُقبل صلاة إلا بظهور وبالصلاة علي^(١))، ونظم الشافعي ذلك شعراً فقال:

يا آل بيت رسول الله حِكْمُ فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ
كفاكمُ من عظيم القدر أنكمُ مَنْ لا يصلي عليكم لا صلاة له^(٢)
ولتأكيد هذا الأمر والحث عليه فقد بدأ الله تعالى نسبة القيام بالفعل إليه سبحانه تعظيماً لشأن النبي ﷺ، ثم ثنى بالملائكة امتثالاً لأمره، ثم دعا المؤمنين إليها تحبباً للنبي ﷺ، وأن توفيقهم للصلاة من الآثار المباركة لصلاة الله تعالى وملائكته وأن الله تعالى هو أصل هذا الفعل ومبعثه، مضافاً إلى ما فيه من الترغيب والتشجيع للمؤمنين حين يشعرون بأنهم وهم يصلون على النبي ﷺ تقترن صلاتهم بصلاته سبحانه، ويقفون في صف الملائكة ممثلين لإرادة الله تبارك وتعالى، وكفى ذلك تشريفاً لهم، روى في الدر المنثور بسنده عن أنس قال: (قال رسول الله ﷺ: إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم عليّ في دار الدنيا صلاةً، أنه قد كان في الله

(١) بحار الأنوار: ٢٧٨ / ٨٢ (باب التشهد وأحكامه).

(٢) قال في تفسير (الأمثل: ١٠ / ٤٧٥): ذكر العلامة الأميني في كتابه النفيس (الغدير) نسبة هذه الأشعار إلى الشافعي عن شرح المواهب للزرقاني: ٧ / ٧ وجماعة آخرين.

وملائكته كفاية ولكن خصَّ المؤمنين بذلك ليشبههم عليه^(١).
وتوجيه الخطاب لهم بعنوان ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يكشف عن أنَّ من
علامات صدق إيمانهم هذه الصلوات على النبي (ﷺ) والتسليم له، والاعتقاد
بأنه (ﷺ) يسمع هذه الصلوات بعد موته ويشكرها من أصحابها، روى البيهقي
في شعب الإيمان وغيره بإسنادهم عن أبي هريرة قال: (من صَلَّى عليَّ عند
قبري سمعته ومن صَلَّى عليَّ نائياً كفي أمر دنياه وآخرته وكنت له شهيداً
وشفيعاً يوم القيامة)^(٢).

ولا تخلو هذه البداية من درس بأن من يدعو إلى الخير لا بد أن يبدأ
بنفسه وبمن يرتبط به أولاً فيفعله، ليكون صادقاً في دعوته ويطابق قوله فعله.
كما أن فيها ضبطاً لعقيدة المسلم بأن لا يغلو في نبيه فيعتقد فيه الربوبية
والألوهية فهو في صلاته عليه يتوجّه إلى الله تعالى بأن يصلي على نبيه ويرفع
درجته وبذلك ينصهر في التوحيد الخالص ويذوب في محبة نبيه الأكرم
(ﷺ).

لا تتم حقيقة الصلاة على النبي الا بضم آله اليه

وقد روى الفريقان بما لا يحصى كثرة أنَّ حقيقة الصلاة على النبي
(ﷺ) إنما تتم بضم آله إليه، ونقل ما رواه البخاري في تفسير هذه الآية عن
كعب بن عجرة عنه (قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف
الصلاة عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت

(١) الدر المنثور: ٦ / ٦٥٣.

(٢) الدر المنثور: ٦ / ٦٥٤.

على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد^(١)، والغريب أن علماء العامة يروون عشرات الروايات في هذا المعنى ولكنهم لا يذكرون الآل في الصلوات.

ووصف النبي (ﷺ) الصلاة عليه بدون الآل بالبراء ونهى عنها فقد روى ابن حجر في صواعقه أن النبي (ﷺ) قال: (لا تصلّوا عليّ الصلاة البراءة، فقالوا: وما الصلاة البراءة؟ قال: تقولون: اللهم صلّ على محمد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صلّ على محمد وآل محمد)^(٢)، ولم تفرّق الصلوات بين النبي وآله بـ(على) لتدل على أن الصلاة عليهما واحدة.

وفي أمالي الصدوق أن رسول الله (ﷺ) قال: (من صلى عليّ ولم يصلّ عليّ لم يجد ريح الجنة، وإنّ ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام)^(٣)، وروى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (سمع أبي رجلاً متعلقاً بالبيت وهو يقول: اللهم صلّ على محمد، فقال له أبي (عليه السلام): لا تبرها، لا تظلمنا حقنا، قل: اللهم صلّ على محمد وأهل بيته)^(٤)، وروى السيد المرتضى عن تفسير النعماني بسنده عن علي (عليه السلام) عن رسول الله (ﷺ) قال: (لا تصلّوا عليّ صلاة مبتورة، بل صلّوا إليّ أهل بيتي، ولا

(١) صحيح البخاري: باب قوله إن الله وملائكته يصلون على النبي ... ، ص ١٨٠٢/ح ٤٥١٩، وأخرج في الدر المنثور: ٦/٦٤٦-٦٥٦ عشرات الأحاديث من طرق عديدة في هذا المعنى.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٤٤.

(٣) سفينة البحار: ١٧١/٥ عن أمالي الصدوق: ١٦٧، ح ٩، وسائل الشيعة: ٢٠٣/٧ ط. أهل البيت (عليه السلام).

(٤) وسائل الشيعة: ٢٠٢/٧، عن الكافي: ٣٥٩/٢ ح ٢١.

تقطعوهم^(١)، وروى الشيخ الصدوق في ثواب الأعمال بسنده عن عمار بن موسى قال: (كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقال رجل: اللهم صلِّ على محمد وأهل بيت محمد، فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): يا هذا لقد ضيقت علينا، أما علمت أن أهل البيت خمسة أصحاب الكساء: فقال الرجل كيف أقول؟ قال: قل اللهم صلِّ على محمد وآل محمد فسكون نحن وشيعتنا قد دخلنا فيه)^(٢).

وقد وردت أحاديث متواترة من طرق الفريقين في الحث على الصلاة على النبي وآله والإكثار منها في كل زمان ومكان، لما فيها من بركات في الدنيا والآخرة، روى في كنز العمال عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (حيثما كنتم فصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني)^(٣)، وقال (عليه السلام): (الصلاة عليَّ نور على الصراط)^(٤)، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (بالشهادتين تدخلون الجنة وبالصلاة تنالون الرحمة فأكثرُوا من الصلاة على نبيكم وآله)^(٥).

وروى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن عبد السلام بن نعيم قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إني دخلت البيت ولم يحضرني شيء من الدعاء إلا الصلاة على محمد وآله، فقال (عليه السلام): أما أنه لم يخرج أحدًا بأفضل مما خرجت به)^(٦).

(١) وسائل الشيعة: ٢٠٧/٧ ح/١٧.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٠٥/٧، عن ثواب الأعمال ١٨٩ ح/٢.

(٣) كنز العمال: ٢١٤٧.

(٤) كنز العمال: ٢١٤٩.

(٥) نور الثقلين: ٣٠٢/٤ ح/٢٢٤.

(٦) وسائل الشيعة: ١٩٣/٧، عن الكافي: ٣٥٧/٢ ح/٦.

روى الشيخ الكليني بسند صحيح عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر أو الصادق (عليهما السلام) قال: (ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد وإن الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به فيخرجُ (صلى الله عليه وآله وسلم) الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فترجح) (١)، وروى في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من صلى عليَّ صلى الله عليه وملائكته، فمن شاء فليقلِّ ومن شاء فليكثر) (٢).

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان بسنده عن أنس بن مالك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم عليَّ صلاة في الدنيا، من صلى عليَّ يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة، سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا، ثم يُوكَلُ الله بذلك ملكاً يدخله في قبري كما يدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صلى عليَّ باسمه ونسبه إلى عشرة فأثبته عندي في صفحة بيضاء) (٣).

وروى الشيخ الصدوق في العيون عن الرضا (عليه السلام) قوله: (من لم يقدر على ما يكفّر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدماً) (٤).

وبالمقابل فقد ذمّت الأحاديث الشريفة من تكاسل عن هذا الفعل

(١) وسائل الشيعة: ١٩٢/٧ عن الكافي: ٣٥٨/٢ ح ١٥.

(٢) وسائل الشيعة: ١٩٤/٧، عن الكافي: ٣٥٨/٢ ح ١٣-٨.

(٣) الدر المنثور: ٦٥٤/٦.

(٤) سفينة البحار: ١٧٠/٥، عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢٦٥/٢.

الكريم، روي عن النبي (ﷺ) قوله: (إن أبخل الناس من ذُكرت عنده ولم يصلِّ عليّ)^(١)، ويُخشى على تاركها أن يكون منافقاً، فقد روى الكليني بسند صحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (ﷺ): الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تُذهبُ النفاق)^(٢).

وروى في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (ﷺ) قوله: (من ذُكرت عنده فَنسي أن يصلي عليّ أخطى الله به طريق الجنة)^(٣)، أي جعله يتخطاه أي يتعداه، وروى الشيخ الكليني بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (ما اجتمع في مجلس قوم لم يذكروا الله ولم يذكرونا إلا كان ذلك المجلس حسرةً عليهم يوم القيامة، قال أبو جعفر (عليه السلام): إن ذكرنا من ذكر الله وذكر عدوتنا من ذكر الشيطان)^(٤).

وروى أيضاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا ذُكر النبي (ﷺ) فأكثرُوا الصلاة عليه فإنه من صلى على النبي (ﷺ) صلاة واحدة صلى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة ولم يبق شيء مما خلقه الله إلا صلى على العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برئ الله منه ورسوله وأهل بيته)^(٥).

ويستحب إعلان الصلاة والإجهار بها لتثبيت الانتماء والهوية والصدع

(١) كنز العمال: ٢١٤٤.

(٢) وسائل الشيعة: ١٩٣/٧، عن الكافي ٣٥٨/٢ ح ١٣-٨.

(٣) بحار الأنوار: ٣١/١٧.

(٤) وسائل الشيعة: ١٩٨/٧، عن الكافي: ٣٦٠/٢ ح ٢.

(٥) سفينة البحار: ١٧٣/٥، عن الكافي: ٤٩٢/٢ ح ٦.

بها والتزام الطاعة والتسليم للقائد الديني، روي عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) بنفس السند قوله: (قال رسول الله ﷺ): ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنها تُذهب النفاق^(١)، وكان الطغاة والحكام المنحرفون يعرفون هذا المعنى ويقلقون منها، وحكم على كثير من المؤمنين بالسجن بضع سنوات في عهد النظام البائد لأنهم رفعوا أصواتهم بالصلوات، عندما أعلن عبدالله بن الزبير دولته في مكة ذكرت الأخبار ((تحامل عبد الله بن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد في خطبته، فقيل له: لم تركت الصلاة على النبي؟ فقال: إن له أهل سوء يشربون لذكراه، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به))^(٢).

إن صلاتنا لا قيمة لها في جنب صلاة الله تعالى، لكن بفضلها وكرمه أراد تشریفنا وتكریمنا بذلك، وأن ينشئ هذه العلاقة الوثيقة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها بين المعصومين الهداة (صلوات الله عليهم أجمعين) وبين أتباعهم وأن تكون هذه العلاقة متبادلة ومستمرة ﴿يُصَلُّونَ﴾ فهم يصلون على نبيهم ويسلمون له وعليه، وفي ذلك اعتراف بفضل الله ﷺ على الناس جميعاً وإظهار لعظمتها وسمو منزلته، وردُّ على من يسيئون إليه وينتقصون منه، وهو (عَلَيْهِ السَّلَام) كذلك يصلي ويسلم عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ (الأنعام: ٥٤)، وقال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ (التوبة: ١٠٣).

(١) وسائل الشيعة: ١٩٣/٧، عن الكافي ٣٥٨/٢ ح ١٣-٨

(٢) تاريخ يعقوبي: ٢٦١/٢

والصلاة على النبي (ﷺ) وآله تستنزل كل خير وتدفع كل شر، قال النبي (ﷺ): (صلاتكم عليّ إجابة لدعائكم وزكاة لأعمالكم)^(١) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (كل دعاء محجوب حتى يُصلّى على النبي (ﷺ))^(٢) فيها نبدأ وبها نختم لأنها دعاء حتمي القبول ولا يردُّ، وحاشا لكرم الله تعالى أن يقبل الطرفين ويردّ ما بينهما، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من كانت له إلى الله حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآله ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد فإن الله عز وجل أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذا كانت الصلاة على محمد وآل محمد لا تحجب عنه)^(٣).

أعمالنا بين القبول وردّها إلا الصلاة على النبي محمد

(١) وسائل الشيعة: ٩٦/٧.

(٢) كنز العمال: ٢١٥٣.

(٣) بحار الأنوار: ٣١٦/٩٠.

خطاب المرحلة

(٧٠٣)

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦)

الصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) تدعو إلى إقامة دين الله تعالى وإتباع الأمناء

عليه^(١)

سنة من سنن الله تعالى في خلقه تكشف عنها الآية الكريمة، وهي أن
الناس^(٢) إذا آمنوا بالله تعالى وبما أنزل على رسوله (ﷺ) وتمسكوا بتعاليم
الدين وثبتوا عليه، فإن الله تعالى سيفتح لهم بركات مادية ومعنوية من السماء
والأرض كانت مغلقة عليهم، والتعبير بالجمع للإشارة إلى تنوع البركات
وتعددتها، هذا الفتح الذي قال عنه الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ
رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ (فاطر: ٢).

وهذه البركات خاصة غير النعم العامة التي يفيضها الله تعالى على جميع
خلقه سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين، وبها يعيشون حياتهم ويتمتعون بها،

(١) الخطاب الفاطمي السنوي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في
ساحة ثورة العشرين على الالاف من المعزين قبل انطلاق التشيع الرمزي للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء
(عليها السلام) في ذكرى استشهادها يوم الثلاثاء ٣/ ٢/ ١٤٤٤هـ- الموافق ٢٧/ ١٢/ ٢٠٢٢م.

(٢) وهم أهل القرى الذين ارسل لهم الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) المشار إليهم في قوله تعالى
قبل آيتين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ (الأعراف: ٩٤)، والقرية الموضع الذي يجتمع فيه الناس.

وهي أيضاً غير النعم الذي يغدق الله تعالى بها على العاصين استدراجاً لهم ولقطع أعدارهم، فتكون وبالاً عليهم لأنها تكون سبباً في تماديهم وزيادة آثامهم، قال تعالى في الآية السابقة ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأعراف: ٩٥).

وقد وصفت الآية الكريمة هذه النعم المفتوحة بالبركات وهي الخيرات الخالصة الطيبة التي تكون سبباً لحياة أفضل للناس مع ما فيها من الاستمرارية والنماء، وليست هي كالحسنة التي ذكرتها الآية السابقة فإن الحسنة ما يوافق طبع الإنسان وليس بالضرورة أن تكون خيراً له بل قد تكون وبالاً عليه كما في الاستدراج.

ومثاله اليوم الأمم الغربية فإنهم بعد أن خاضوا حربين عالميتين أهلكت عشرات الملايين منهم ودمرت مدنهم، نشأ جيل في عافية ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ ورغدٍ من العيش وانهمرت عليه النعم، فأصبح همّه الانغماس في الشهوات والملذات بلا حدود حتى أصبح يشرعن الشذوذ الجنسي ويبيح قتل أجنة الحوامل، ويستحل إبادة الشعوب المستضعفة لاستعبادهم، ويظهرون عراة أمام الملاء، ويعبثون بما أنعم الله تعالى عليهم من الثمرات، وهم يظنون أنهم قد عَفَوْا^(١) مما ابتلي به آبائهم.

وحينئذٍ بدأت تظهر عليهم النتائج السيئة لأعمالهم القبيحة من انهيار أخلاقي، وتفكك اجتماعي، وانقراض النسل، وأمراض فتاكة وجفاف،

(١) وهو معنى آخر لقوله تعالى: ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾.

وأزمات في الاقتصاد والغذاء والطاقة، وخوف وقلق من المستقبل المجهول المحفوف بالمخاطر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٨)، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرَّحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (الأنعام: ٤٤)، وهذا سيكون حتماً مصير الدول المستكبرة الظالمة.

وقد بدأت الآية بـ﴿وَلَوْ﴾ لحث وترغيب الأجيال الحاضرة والمستقبلية على الإيمان والتقوى، وأخذ العبرة من الأمم السابقة التي كانت عاقبتها قاسية، لأن أغلب الناس لا يتعظون، ولا يعون هذه الحقيقة فيهلكون أنفسهم ومجتمعهم، واقرنت ﴿لَفَتَحْنَا﴾ باللام لتأكيد النتيجة، فالآية الكريمة لا تتحدث عن حالة الأمم السابقة وعاقبة تكذيبهم فقط، وإنما ترشد لسنة إلهية جرت فيهم وتجري في أمثالهم فتبشّر المؤمنين وتحذّر العصاة والكافرين، لأن الكون بكل أجزائه يسير في حركة منتظمة بحسب ما أراد الله تعالى، فمن انسجم معها من البشر تنعم بها، ومن خالفها شقي بها، مثلاً من أراد أن يخالف قانون الجاذبية ويرمي نفسه من شاهق فإن الأرض ستجذبه وتتهشم عظامه.

ولأهمية التعرف على هذه السنة الإلهية فقد ورد التأكيد عليها في غير هذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٦٥-٦٦).

إذن إقامة الدين في حياة الناس وتمسكهم بالإيمان والعمل الصالح سبب أكيد للسعادة ورفاهية العيش في الدنيا، ونيل رضوان الله تعالى والنعيم في الآخرة، فالدين ليس أفعالاً عبادية يؤديها الإنسان بينه وبين الله تعالى بمغزل عن الواقع بل إنه قانون لتنظيم حياة الإنسان مع الكون كله.

أيها الموالمون المجتمعون لنصرة الزهراء (عليها السلام):

لقد احتجّت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) على أصحاب أبيها بهذه الآية الكريمة رحمةً بهم وشفقة عليهم، لأنها تعلم بأن ما يحصل في ذلك اليوم إيجاباً أو سلباً سيزلزل الأرض جميعاً ويرسم خارطة مستقبل البشرية جمعاء إلى قيام الساعة، فطالبتهم بالوفاء ببيعتهم لأمر المؤمنين (عليهم السلام) التي أخذها رسول الله (ﷺ) منهم يوم غدیر خم، وأنهم إن التزموا بها فتح الله تعالى عليهم بركات من السماء والأرض، وحذرتهم من مغبة النكول والنكوص على الأعقاب، ومما قالت (عليها السلام) في حثهم على الوفاء ببيعة أمير المؤمنين (عليهم السلام): (وتالله، ولأوردتهم منهلاً نيراً صافياً رويّاً فضفاضاً، تطفح ضفتاه - لغزارته-، ولا يترقق جانباه - فإنه نقي حتى في جوانبه خلافاً لأنهار الدنيا-، ولأصدرهم بطاناً - أي شبعي-، ونصح لهم سراً وإعلاناً، ولم يكن يتحلى من الغنى بطائل، ولا يحظى من الدنيا بنائل غير ريّ الناهل، وشعبة الكافل - فكافل العيال يؤثرهم على نفسه-، ولبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب)^(١) ثم تلت الآية الكريمة ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١٣٩/١.

وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ (الأعراف: ٩٦).

وهي (عليها السلام) لم تدعهم إلى علي (عليه السلام) الشخص فقط وإنما دعتهم إلى التمسك بعلي (عليه السلام) المشروع الذي أسسه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو الإسلام النقي كما أنزل من الله تبارك وتعالى، وتعاقب على تمثيله أبنائه المعصومون البررة (عليهم السلام)، ومن بعدهم مراجع الدين العظام.

فعلينا أن نستجيب لدعوة السيدة الزهراء (عليها السلام) ونعمل على إقامة دين الله وهداية الناس إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة وإصلاح أحوالهم، وأن نبدأ من داخل أسرنا أولاً وننتقل إلى المجتمع، وأن نستثمر كل الوسائل المتاحة خصوصاً ما كانت منها واسعة الانتشار وبالغة التأثير ولا تعيقها حدود الجغرافيا، وحينئذٍ ستحظى الأسرة والمجتمع بانفتاح هذه البركات التي لم تذكرها الآية لكنها تُعرف من الآيات الأخرى والروايات الشريفة، كحالة الاطمئنان والسكينة وزوال الخوف والقلق الذي ينكّد حياة البشر اليوم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: ٦٢)، وينعمون بحياة هنيئة سعيدة ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

ولا بد أنه سيأتي اليوم الذي تسعد فيه البشرية بإقامة دين الله تعالى وهيمنته على كافة الأنظمة والأيدولوجيات البشرية، وحينئذٍ تفتح البركات على نحو غير متصور مما أسهبت الروايات في ذكرها، ووصف الحياة الطيبة

والرغيدة والمرفهة التي يعيشها الناس في ظل الدولة المباركة بقيادة الإمام
المهدي الموعود (صلوات الله وسلامه عليه).
اسأل الله تعالى أن يتقبلَ منا ومنكم هذه النصرة، ويجعلها بلسماً لجروح
فاطمة الزهراء (عليها السلام) العميقة، والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين.

خطاب المرحلة

(٧٠٤)

دور المرجعية الدينية في ترسيخ الهوية الوطنية

استقبل^(١) سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) في مكتبه في النجف الأشرف الباحث الياباني (اتسومو او كادا) الذي ترجم عدة كتب عن طبيعة المجتمع العراقي وثقافته إلى اللغة اليابانية، وكان الغرض من اللقاء الاستماع إلى رأي المرجعية الدينية في قضيتين:

١- المواطنة وهل ينافي ذلك الانتماء الديني باعتباره عابراً للحدود

الجغرافية؟

٢- الانتماء العشائري وعلاقته بالدولة والقوانين.

وأجاب سماحته عن السؤال الأول بأن الشريعة الإسلامية تقرّ غريزة حب الوطن حتى ورد في بعض الأحاديث الشريفة أن (حب الوطن من الإيمان)^(٢)، وتذكر الروايات ان النبي (ﷺ) كان لشدة تعلقه في وطنه ومسقط رأسه مكة عزّ عليه مغادرتها لدى هجرته إلى المدينة، وكان متألماً لفراقها ويتلفت إلى ورائه ليمتّع ناظره برؤيتها وكان (ﷺ) وهو على ناقته واقفاً بالحزورة يقول لمكة: (والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أخرجت منك ما خرجت)^(٣) فنزل عليه قوله تعالى مطمئناً له بالعودة إليها ﴿إِنَّ الَّذِي

(١) تاريخ اللقاء ٢٥/جمادى الأولى/١٤٤٤هـ- المصادف ٢٠/١٢/٢٠٢٢م.

(٢) سفينة البحار: ٥٢٥/٨.

(٣) الدر المنثور: ٣٠٠/١.

فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴿٨٥﴾ (القصص: ٨٥).

كما أن الشريعة المقدسة باعتبارها دستوراً أو مجموعة من القوانين التي تنظم حياة المجتمع المتحضّر لا يكتمل تطبيقها الا في وطن يحتضن هذه الشريعة، لذا فإن الإسلام في أول البعثة النبوية لما لم يجد له وطناً في مكة كان المسلمون مشتتين مستضعفين مقهورين، لكنه لما أصبح للشريعة وطن في المدينة استقر الإسلام ومارس دوره الحضاري وأسس أمة قادت شعوب العالم نحو الرقي والازدهار.

وانطلاقاً من هذه الرؤية فلقد كان للمرجعية الدينية في النجف الأشرف الدور القيادي في تأسيس الدولة العراقية الحديثة بعد الانتهاء من الحرب العالمية الأولى، واقنعوا شركائهم في الوطن من السنة والأكراد في صياغة الهوية الوطنية، بل تنازلوا عن حق الأكثرية في رئاسة الحكم في العراق لإخوانهم السنة، بعد ان ارغموا الاحتلال البريطاني في ثورة عام (١٩٢٠م) على الرضوخ، لمطالبهم في الاستقلال والسيادة ووحدة الشعب والأرض وتشكيل حكومة وطنية، وعلى أثرها برزت للوجود مؤسسات الدولة العراقية الحديثة. وقد كان مراجع الدين واتباعهم يحملون من الولاء والحب للوطن، والتضحية من أجل عزة أهله وكرامتهم ما لا يضاهيه أحد وقد ضمّخوه بدمائهم، وبقوا ثابتين على هذا المنهج، وكان آخر شاهد على ذلك نهضتهم المباركة لدفع عدوان الإرهابيين من داعش والقاعدة وأمثالهم، وتحرير المناطق التي كان يسكنها غير الشيعة من السنة والأكراد والمسيحيين والايديدين وغيرهم.

فالانتماء لدين الإسلام ولمدرسة أهل البيت (عليه السلام) لا يلغى حب الوطن بل يعززه ولا يرضى بالتفريط في ذرة من حقوقه، ولا يتصور صدور أمر من مراجع الدين بما ينافي ذلك، بل على العكس فإنهم يراعون دائماً المصالح الوطنية العليا ويضحون من أجلها، وقد كانوا دائماً يؤكدون في توجيهاتهم لاتباعهم أن يلتزموا بالقوانين السائدة في بلدانهم، وأن يرجعوا إلى علمائهم وحكمائهم لتشخيص المصلحة في اتخاذ مواقفهم الوطنية، ولا تأمرهم المرجعية الدينية بشيء على خلاف ذلك.

كما لم يكن هذا الانتماء للوطن يمنعهم في يومٍ ما من التفاعل مع قضايا إخوانهم المسلمين في شتى بقاع العالم، بل مع قضايا الإنسانية جميعاً، لأن الدين الذي يؤمنون به يحثهم على احترام كل الناس ومحبتهم باعتبارهم نظرائهم في الإنسانية، ويدافعون عن نيل حقوقهم المشروعة.

وأجاب سماحته عن السؤال الثاني بأن الشريعة المقدسة اهتمت بالانتماء للعشيرة وحثت على صلة الأرحام، واعتبرت هذا الانتماء قوة للفرد، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): (وأكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول)^(١)، وقسم جيشه في معركة صفين على أساس عشائري لأنه أدعى لحماسهم وغيرتهم.

لكن الشريعة الإسلامية هذبت هذا الانتماء ومنعت من آثاره السلبية كالتعصب الجاهلي، والصراعات من أجل النفوذ والهيمنة، والتفاخر والمباهاة وإبراز القوة، وتشريع القوانين الظالمة المخالفة للشريعة، واضطهاد الضعفاء،

(١) نهج البلاغة: ٥٦/٢.

وتضييع حقوق المرأة وامتهان كرامتها، والتجاوز على حقوق الآخرين وغير ذلك، حتى أن الشريعة المقدسة صححت معنى انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ففي الحديث الشريف عن النبي (ﷺ): (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قال: أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال: تحجزه عن ظلمه فذلك نصره)^(١).

ان الهويات الفرعية كالانتساب إلى العشيرة أو القومية أو المنطقة الجغرافية أو الشريحة الاجتماعية أو المهنية وغيرها، ليست بديلة عن الهوية الأصلية المتمثلة بالانتماء الديني والوطني ولا تعارضها، بل أنها تنظيم لتجمعاته الصغيرة ضمن التجمع الكبير، كما أن تقسيم الجيش إلى ألوية وأفواج وسرايا لا ينافي انضمامها إلى الوحدات الأكبر كالفرق والفيالق، بل ينظم أفرادها.

وفي الختام تشكر الضيف من سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على إتاحة هذه الفرصة لإزالة بعض الغموض عن هذه القضايا المتداخلة.

(١) صحيح البخاري: ٩٨/٣، نهج الفصاحة: ١١١/ح ٥٦١.

خطاب المرحلة

(٧٠٥)

المرجعية الدينية وتأثيراتها الفكرية والاجتماعية^(١)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

س١: ما هو المبرر لتقليد الفقهاء واتباع اجتهاداتهم الفقهية، مع انها قد لا تصيب الحكم الشرعي الواقعي؟

ج١: الرجوع إلى أهل الفن والاختصاص في كل مجال سيرة عقلائية، فمن مرض يذهب إلى الطبيب، ومن يريد بناء دار فإنه يذهب إلى المهندس، ومن اكتفى بمراجعة كتاب في الطب والهندسة وعمل بهما وهو ليس من أهل الاختصاص فإنه يلام، وهذه ضرورة اقتضتها طبيعة الإنسان العاجز عن الإلمام بكل العلوم والفنون، وحاجته إلى أن يكون جزءاً من مجتمع إنساني فلا بد من تنوع اختصاصات ومهن الناس حتى يسدّ بعضهم حاجة بعض.

والتقليد في الأحكام الشرعية مظهر من مظاهر هذه السيرة فإن الناس لم يخلقوا في هذه الدنيا عبثاً، وإنما هم مكلفون بأحكام شرعية جعلت لتنظيم حياتهم وإصلاح أمورهم وسيرهم نحو الكمال المنشود لا بد من الخروج من عهدتها، ولما كان من المتعذر وصول الناس جميعاً إلى الأحكام الشرعية

(١) حوار في جلستين أجراه الدكتور عبد الوهاب الفراتي أستاذ الفكر الإسلامي في الجامعات الإيرانية وباحث في شؤون المرجعية مع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) يوم الثلاثاء ١٨/١/١٤٤٤هـ- الموافق ١٣/١٢/٢٠٢٢م.

الموجودة في الأدلة التفصيلية لما فيه من المشقة ولما يتطلبه من الصبر والمجاهدة والفتنة والتأمل والتفرغ مدة طويلة لذا لم ينل هذه الملكة الشريفة المعبر عنها بالاجتهاد الا قلة ممن آتاهم الله تعالى من فضله، وطريق الاحتياط في كل المسائل فيه عسر وحرَج، ولا يعرف عامة الناس مقتضى الاحتياط في جميع الموارد، بل قد يستحيل كما لو دار الأمر بين الوجوب والحرمة، لذا لا بد لعامة الناس من الرجوع إلى هؤلاء المجتهدين لأخذ معالم دينهم، فالدليل على جواز التقليد بل وجوبه هي هذه السيرة الممضاة من قبل الشارع المقدس بعد ضمّ المقدمات التي ذكرناها.

وقد امضى القرآن الكريم هذه السيرة وأمر بها قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣)، وقال تعالى: ﴿فَلَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

وقد أمر الأئمة (عليهم السلام) شيعتهم بالرجوع إلى الفقهاء العارفين بأحكامهم بأحاديث كثيرة ترشد إلى هذه السيرة وتلزم بها، كقول الإمام الصادق (عليه السلام): (انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرماننا وعرف أحكامنا فارضوا به حكما فإني قد جعلته عليكم حاكما فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما بحكم الله قد استخف وعلينا رد والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله)^(١).

وما ورد في التوقيع الشريف عن الإمام المهدي (عليه السلام): (وأما الحوادث

الواقعة فارجعوا فيها إلى رواية حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله^(١).
وحذروا شيعتهم من عدم الأخذ من مثل هؤلاء الفقهاء كقول الإمام
المهدي (عليه السلام): (فإنه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا
ثقاتنا، قد عرفوا بأننا نفاوضهم سرنا، ونحملهم إياه إليهم)^(٢).
وهذه الروايات إرشادية لتلك السيرة وليست مولوية تأسيسية فلا تضرها
بعض المناقشات في السند أو الدلالة.

أما الواقع والوصول إلى الأحكام الواقعية فإنه لا يعلمه الا من أطلعه الله
تعالى على الغيب، وما يجب على المجتهدين هو سلوك الطرق المعتمدة
للوصول إلى الأحكام الواقعية، وعلينا العمل بما تؤدي إليه هذه الطرق من
أحكام، وهي حجة علينا بمعنى انها تحصل العذر للمكلف اذا عمل بها وإن لم
توصله إلى الحكم الواقعي.

وقد أثبتت هذه الطرق المعتمدة قدرتها على تحقق الغرض منها وهو
حفظ أحكام الشريعة وتمكين المكلفين من امتثالها، ومهما اختلف المجتهدون
فأنك تستطيع التعرف على صورة ثابتة ومعروفة للدين بفضل الله تعالى
والمسلمون مشتركون فيها، وإنما الاختلاف في الجزئيات الفرعية، ومن حاول
الابتداع في الدين والالتيان بما يشوه هذه الصورة الثابتة، كما لو أسقط فرضاً
من الصلوات اليومية، أو أحلَّ شرب الخمر أو زواج المثليين فإنه يكون شاذاً
منبوذاً.

(١) وسائل الشريعة: ٢٧/١٤٠/ح ٩.

(٢) وسائل الشريعة: ٢٧/١٤٩/ع ٤٠.

س ٢: هل كان التقليد والرجوع إلى العلماء موجوداً لدى الشيعة في عصر حضور الأئمة (عليهم السلام)؟ أو أنه بدأ في عصر الغيبة الصغرى أو الكبرى؟

ج ٢: كان التقليد بمعنى رجوع عامة الناس إلى الفقيه العارف بأحكام أهل البيت (عليهم السلام) موجوداً في زمان الأئمة (عليهم السلام) لأن الناس لم يكن يتيسر لهم اللقاء المباشر بالأئمة (عليهم السلام) لأكثر من سبب كحصار السلطة الظالمة، وبعد المسافة، أو لتعويد الناس على الرجوع إلى الفقهاء وتدريبهم على حالة عدم تيسر الأخذ المباشر من الإمام، وقد يكون لا هذا ولا ذاك ولكن الأئمة (عليهم السلام) يريدون بيان منزلة أصحابهم، كأبان بن تغلب حين يقول الإمام الباقر (عليه السلام) له: (أجلس في مسجد المدينة وأفت الناس فإني أحب أن يرى في شعيتي مثلك)^(١)، أو لأجل عدم حرمان عامة المسلمين من غير الشيعة من الاستفادة من علوم أهل البيت (عليهم السلام)، وكان الاعلام المعادي قد ضلّهم وأبعدهم عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فنصب الأئمة (عليهم السلام) جملة من تلامذتهم لهم مقبولة عند العامة لا يصلح هذه الرحمة إليهم، كعبد الله بن عباس وسعيد بن جبير، وذكرت كتب الرجال عند السنة عدداً كبيراً من أصحاب الأئمة (عليهم السلام) في أسانيد رواياتهم^(٢).

وقد لا يكفي الأئمة (عليهم السلام) بيان الشروط العامة للفقهاء الذي يرجع إليه أتباعهم وإنما يحدّدون أسماء من يرجعون إليهم، كالذي ورد عن الإمام الرضا

(١) معجم رجال الحديث: ١٣٤/١، عن رجال الشيخ الطوسي رقم ٦١، ورجال الكشي رقم ١٥٦.

(٢) أنظر: رجال الشيعة في أسانيد السنة - الشيخ الطوسي.

(عَلَيْهِ السَّلَامُ) في يونس عبد الرحمن فقد سأله عبدالعزيز بن المهدي وكان وكيله وخاصة فقال: (إني لا أقدر على لقاءك في كل وقت، فعَمَّنْ أخذ معالم ديني؟ فقال: خذ عن يونس بن عبد الرحمن)^(١)، وما ورد عنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في زكريا بن آدم فقد سأله علي بن المسيّب قال: (شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت فعَمَّنْ أخذ معالم ديني؟ فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا)^(٢).

وهؤلاء الفقهاء ليسوا مجرد أهل رواية ونقل للحديث، بل كانوا أهل دراية بعلوم أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ومعارفهم وأحكامهم، ويميّزون بين الحديث الصحيح والسقيم، ويعرفون أن هذا الحديث قاله الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لبيان الحكم الواقعي أو غير ذلك لمصلحة ما كالتقية فيأخذون بالأول دون الثاني، كقولهم للراوي الذي نقل لهم عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حكم ميراث البنت المنفردة بأن لها النصف فقط (أعطاك من جراب^(٣) النورة فرجعت إليه، فقلت: إن أصحابنا قالوا لي: أعطاك من جراب النورة، قال: فقال: ما أعطيتك من جراب النورة، علم بها أحد؟ قلت: لا، قال: فأعطِ البنت الباقي)^(٤).

وكان الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) يحثون مثل هؤلاء الفقهاء على استنباط الأحكام الفرعية من القواعد الرئيسية التي يلقيها الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، لأن المسائل الابتلائية

(١) معجم رجال الحديث: ٢٠٩/٢١، عن رجال النجاشي.

(٢) معجم رجال الحديث: ٢٨٣/٨، عن الكشي رقم ٤٨٧.

(٣) مَثَل يضرب لمن اعطى شيئاً من غير الموضع المطلوب ويراد بها هنا من أفتى جزافاً من دون مستند صحيح.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٦/٢٣٨ ح ١٦.

متكثرة ومتجددة فيقولون لهم: (علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع)^(١)، ويعلمونهم كيفية الترجيح بين الدليلين المتعارضين، أو حكومة العناوين الثانوية كالتقية ونفي الحرج على الأحكام الأوليّة، وهذا كله بلا شك يمثل مستوى من الاجتهاد في ذلك الزمان المبكر.

نعم كان ذلك له يُمارس على نحو الوكالة والإذن لوجود الإمام المعصوم (عليه السلام) وليس على نحو المرجعية المستقلة كما في زمن الغيبة، وهو فرق يقتضيه اختلاف المرحلتين من حضور القائد المعصوم (عليه السلام) وغيبته.

وكان أصحاب الأئمة (عليهم السلام) يعملون بما لديهم من الروايات ولا يجدون حاجة للرجوع إلى الإمام المعصوم (عليه السلام) في كل مسألة ما دام جوابها موجوداً في ما بين أيديهم من الروايات، فتجد أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) ومن بعده من الأئمة (عليهم السلام) ينقلون بواسطة أو أكثر عن الإمام الصادق (عليه السلام) ولا يذهبون إلى الإمام المعصوم (عليه السلام) ليسألوه، وهذه قضية مهمة ينبغي الالتفات إليها.

س ٣: ما هي الشروط الأساسية في مرجع التقليد؟ وهل تعتقدون بوجود شروط أخرى غير التي وردت في الرسائل العملية للفقهاء (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين).

ج ٣: ذكرت في الرسالة العملية (سبل السلام) شروط المرجع الذي يصح تقليده، منها ما اتفق الفقهاء عليها، وأولها الاجتهاد بمعنى القدرة على استنباط

الأحكام الشرعية من مصادرها وهما الكتاب والسنة بالطرق المعتمدة، وثانيها العدالة وهي ملكة نفسية تضبط تفكير وحركة الإنسان على وفق ما يرضي الله سبحانه، لنضمن ان ما أفتى به المجتهد أراد به تحري الوصول إلى الحكم الواقعي الذي يريده الله تبارك وتعالى وأداء مسؤوليته الشرعية في ابراء ذمة المكلف، وليس طاعةً لهوى أو مجاملة لأحد أو تزلفاً لسلطان أو تحت ضغط نفسي أو اجتماعي، وثالثها الأعلمية بالتفصيل الذي ذكرته في بيان خاص وفي الرسالة العملية^(١).

وهناك شروط مُختلف فيها كالذكورة والحياة.

س ٤: يعني يمكن أن تكون المرأة مرجعاً للتقليد؟

ج ٤: اذا تحقق في المرأة شرطا الاجتهاد والعدالة جاز الرجوع إليها في المسائل الشرعية، لكننا اقتصرنا بالجواز على النساء فقط، لأن العمل المرجعي يتطلب حضوراً وسط الناس ومشاركة في الأحداث وهو ما ينافي حرص الإسلام على عفة المرأة، فالمانع عملي وليس نظرياً حيث لا يوجد دليل تام يمنع المرأة من التصدي للمرجعية.

س ٥: هل توجد رؤية خاصة للعدالة؟

ج ٥: العدالة شرط في عدة موارد كالشهود وإمام الجماعة والقاضي ومرجع التقليد، والعدالة لها مراتب، وأفرادها متفاوتة فهي (كلي مشكك) بحسب المصطلح، كوصف الأبيض مثلاً الذي تتفاوت أفراده في البياض شدة وضعفاً، واعتقد أن ملكة العدالة المشتركة تزداد قوة كلما ازدادت المسؤولية

(١) ما المراد من الأعلمية؟: خطاب المرحلة: ٥٦٨/٣. سبل السلام: ٢٢/مسألة: ٣.

المشترطة فيها، لأن ضغوط النوازع النفسية تزداد فتحتاج إلى كايح أقوى لضبطها وضمان ثباتها على جادة الشريعة، فقد نكتفي في الشهود وإمام الجماعة بدرجة من العدالة لا نكتفي بها في القاضي الذي يحكم في النفوس والأعراض والأموال، ونقبل في القاضي ما لا نكتفي به في مرجع التقليد الذي يمثل نيابة المعصوم (عليه السلام) والأمين على دين الناس وديناهم، وقد اطاعه المقلدون في أنفسهم وأموالهم وسائر شؤونهم، فلا بد أن يكون على درجة عالية من الحكمة والتقوى والإخلاص والاتزان والانصاف والشعور بالمسؤولية.

وهذا تعلمناه من المعصومين (عليهم السلام) فقد تركوا حلال الدنيا زهداً فيها ومواساة لضعفة الناس وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يربي أهل بيته المطهرين على ذلك لأنهم الأسوة الحسنة، وقرَّبَت في بعض كلماتي^(١) ان وجوب صلاة الليل ليس مختصاً بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنما يشمل كلَّ قائد يحمل رسالة الإسلام، لأن الخطاب توجه بهذا العنوان فيشمل نوابهم بالحق.

س٦: وهل تشترطون الحياة في المرجع؟

ج٦: أرى أن الحياة شرط في مرجع التقليد، لأن وظائف المرجعية لا تنحصر بالفتاوى حتى يمكن أن يقال بجواز الرجوع إلى الرسالة العملية للميت، وإنما هي قيادة للأمة ولا يمكن أن تكون إلا لفيقه يعايش هموم الأمة وتطلعاتها، ويمتلك فطنة ليحلل بدقة الأحداث الجارية ويتخذ المواقف الحكيمة المسددة من قبل الله تعالى فلا يجوز تقليد الميت حقيقة أو حكماً

(١) أنظر: خطاب المرحلة: ١١/٢٦١، خطاب رقم: ٥٨٢، - تفسير من نور القرآن: ٣/٥٥٠ قيس رقم: ٨٦

وهو فاقد لأهلية المرجعية.

نعم أجزنا لمن قلّد مجتهداً جامعاً للشرائط ويشار إليه بأنه من دائرة محتملي الألفية أن يبقى على تقليده في خصوص المسائل التي تعلمها في حياته، فالتقليد فعلاً الى الحي وهو الذي أجازة بذلك، واشترطنا في جواز البقاء الرجوع إلى الألفم الحي في المسائل المستحدثة والخلافية.

أما المسائل المستحدثة فالمشهور أن المراد منها القضايا التي استجدت وليس للمرجع الميت رأي فيها، وأنا أعرفها بالمسائل التي لم يعرفها المكلف في حياة المرجع الميت والتفت إليها بعد وفاته، حتى لو كانت موجودة في رسالته العملية، فحدثها بلحاظ المكلف حيث لم يكن يعرفها من قبل لا بلحاظ موضوعاتها.

ووجه هذه الشرط أن المسائل التي تعلمها المكلف من مرجعه حال حياته يخرج فيها من عنوان الجاهل إلى العالم بها فلا يكون مشمولاً بوجوب الرجوع الى المجتهد.

وأما المسائل الخلافية وهي التي يختلف فيها المرجع الحي مع الميت فيجب الرجوع فيها إلى الحي لأنه المرجع الذي يجب تقليده، وهو يرى ما توصل إليه بالدليل هو الحجة أمام الله تعالى، وأن ما أفتى به الميت ليس بحجة فكيف يجيز للمكلف ترك الحجة والعمل باللاحجة؟ ولا يجب على المكلف الفحص عن المسائل الخلافية، لكن لو علم بمسألة انها خلافية وجب الرجوع فيها الى الحي.

مضافاً إلى أن الحي يمتلك فرصة لتطوير قابليته أو الاستفادة من

الخبرات المتراكمة في مجال الاستنباط أما الميت فانه قد توقف علمه، وربما لو كان حياً لغير بعض فتاواه كما كان يفعل خلال سني حياته، وقد ذكرت تفصيلاً أكثر في استفتاء مستقل^(١).

س ٧: هل ترون التعدد في مراجع الدين حالة طبيعية، وما هي ارشاداتكم لمقلديكم في هذا الخصوص؟

ج ٧: نعم التعدد في مراجع التقليد حالة طبيعية، وهي حالة إيجابية من أكثر من جهة:

أ - فيها إثراء للحراك العلمي وتنوع للمدارس الفكرية حيث أن لكل مجتهد منهجه وطريقته في التفكير ومبانيه التي أصلها.

ب - فيها سعة على المكلف، لأن المرجع قد يتردد في بعض الأحكام لعدم وضوح الدليل لديه او لتعارض الأدلة في المسألة أو لأن الوقت لم يسعفه لإكمال التحقيق فيها فيلزم المكلف بالاحتياط وقد يكون الاحتياط شاقاً على المكلف، فيجيز المرجع له الرجوع إلى مجتهد آخر من محتملي الأعلمية ويتخلص المكلف من الاحتياط وهذا أحد معاني الحديث الشريف (اختلاف أمتي رحمة)^(٢) على تقدير صحة صدوره.

(١) أنظر: ص ٥٣١، استفتاء بعنوان: جواز تقليد الميت.

(٢) ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) لما سأله عبدالمؤمن الأنصاري: (أن قوماً رووا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إن اختلاف أمتي رحمة: صدقوا، قلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب؟ قال: ليس حيث ذهبت وذهبوا، إنما أراد قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢) فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويختلفوا إليه فيتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم، إنما أراد اختلافهم

ونصيحتي لجميع المؤمنين أن ينظروا إلى الحالة بهذه الرؤية الحضارية ولا يجعلوا منها سبباً للتعصب والانحياز ومعاداة الآخر فإنه من صنع المتزلفين والجهلة والمنتفعين الذين لا ورع لهم.

س ٨: بعض المقلدين يعمل في بعض المسائل بغير فتوى مرجع

تقليده لسهولة الفتوى ونحو ذلك، فهل هذا جائز بنظركم؟

ج ٨: التقليد مسؤولية شرعية ولا يتعامل معها بالأهواء والأمزجة، ومن عمل في كل مورد بالفتوى التي تناسب هواه فإنه ستنج لديه منظومة مشوهة لا تمت إلى الدين بصلة، فإذا اعتقد المكلف أن المجتهد الفلاني جامع للشرائط وجب تقليده والعمل بفتاواه، ولا يعمل بفتوى غيره الا في الحدود التي يأذن بها كما في موارد الاحتياط الوجوبي التي أشرنا إليها في الجواب السابق.

نعم توجد هنا فكرة لم يتعرض لها الأعلام (قدس الله أرواحهم) لكنها صحيحة على مبانيهم حاصلها: ان وجوب تقليد الأعلام إنحلالي بمعنى أنه في كل مسألة يجب الرجوع إلى الأعلام فيها، وليس من الضروري أن يكون الأعلام هو الأعلام في كل المسائل فإذا شهد أهل الخبرة بأن (س) من مراجع الدين هو الأعلام في هذه المسألة و(ص) هو الأعلام في تلك المسألة و(ع) هو الأعلام في الثالثة وجب تقليد الأول في الأولى، والثاني في الثانية، والثالث في

من البلدان، لا اختلافاً في دين الله، إنما الدين واحد) معاني الأخبار - الشيخ الصدوق: ١٥٧/ح ١. وروي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) معنى آخر بقوله: (اختلاف أصحابي لكم رحمة، وقال: إذا كان ذلك جمعتمكم على أمر واحد. وسئل عن اختلاف أصحابنا فقال (عليه السلام): أنا فعلت ذلك بكم، لو اجتمعتم على أمر واحد لأخذ برفق بكم) (بحار الأنوار: ٢/٢٣٦/ح ٢٣)

الثالثة وهكذا، وهذا ليس من التبعض في التقليد الذي يؤدي إلى المخالفة القطعية وإنما يراد بالتبعض المحرم من عمل بفتوى مجتهد في مسألة ما ثم عمل بفتوى مخالفة لها من مرجع آخر في نفس المسألة فيكون قد خالف الواقع قطعاً لأن الحكم الواقعي واحد.

وعلى أي حال فهذه الفكرة غير عملية ولا يوجد في عرف الحوزة العلمية مثل هذا المنهج لأنهم يرون أن المرجع الأعلّم يكون هو الأعلّم في جميع المسائل.

س ٩: هل يوجد دليل شرعي خاص يلزم بالرجوع إلى مرجع التقليد في مسألة الخمس والتصرف بالحقوق الشرعية أم لكل مكلف الحق في التصرف بها كلها أو في خصوص النصف المسمى بحق السادة؟

ج ٩: بحثت هذه المسألة في موسوعة (فقه الخلاف)^(١) وكانت نتيجة البحث ان قبض الحقوق الشرعية من الوظائف الاجتماعية المنوطة بالفقيه المتصدي لأمر المجتمع وتنظيم شؤون الحوزة العلمية ليصرفها في المصالح العامة، وليس التنصيف ضرورياً فيها، نعم عليه أن يرعى شؤون السادة زادهم الله شرفاً مثل مساعدة المحتاجين وتزويج المتعفين، وكلما كان تصدي الفقيه أوسع في إقامة الدين ولمّ شمل المؤمنين وعزتهم كان الدفع إليه أولى من غيره، لأنه المكلف بالواجبات الاجتماعية كإقامة صلاة الجمعة ونصب القضاة

(١) أنظر: موسوعة فقه الخلاف: ٧/٦، ط، الثانية.

واتخاذ القرارات المصيرية في حياة الأمة.

س ١٠: هل يقتصر عمل المرجعية على إصدار الفتاوى والأحكام
الفقهية والقضاء بين الناس أو يشمل حفظ بيضة الإسلام وشؤون
المسلمين العامة المختلفة؟

ج ١٠: لعل من مميزات رسالتي العملية (سبل السلام) أنني ذكرت فيها
وظائف المرجعية وواجباتها ومسئولياتها خلافاً للرسائل الأخرى^(١) التي تكتفي
بذكر تكاليف المقلدين، وأردت بهذه الخطوة أن تأخذ الأمة دورها في
الشهادة على مرجعيتها بأنها قائمة بوظيفتها في حدود الإمكانيات المتوفرة أم لا.
وبما ان المرجعية امتداد لقيادة المعصوم (عليه السلام) ونيابة عنه في أداء
مسئولياته بما يناسب حالها، فلا بد أن ننظر إلى المهام التي كان يمارسها الإمام
المعصوم (عليه السلام) في حياة الأمة، وقد ابتدأت حياتي الفكرية وأنا في
العشرينيات من عمري بتسجيل هذه المهام واستقرائها من القرآن الكريم
والسنة الشريفة ثم تصنيفها وتجميعها في محاور طبعتها في كتاب (دور الأئمة
(عليهم السلام) في الحياة الإسلامية)، ثم الحقته بكتاب (الأسوة الحسنة للقيادة
والمصلحين) الخاص برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعتبر ان هذين الكتابين يفتحان آفاقاً
واسعة في فهم الدور الاجتماعي لقيادة المعصوم (عليه السلام) غير تبليغ الأحكام
الشرعية، ويمثل محاولة أولية مبكرة تحتاج إلى مزيد من الدراسة والنظر
والاستقصاء، وأول هذه المسؤوليات إقامة الدين في حياة الناس جميعاً، وهو

(١) أنظر: سبل السلام: ٢٥.

الغرض الأسمى الذي يشترك فيه جميع الأنبياء وحملة الرسالات السماوية بحسب قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣).

فعلى المرجعية أن تؤدي هذه الوظائف بكل حرص^(١) ورحمة وشفقة وحكمة ونحوها مما وصف الله تعالى بها القائد العظيم (ﷺ) ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

وشبّهت في بعض كلماتي المرجعية الحريصة بالأم التي تقوم بألف طريقة وطريقة لإقناع طفلها بتناول الطعام أو الدواء لحاجته إليه، وليست الأم التي تضع الطعام أمام طفلها وتذهب وهو بالخيار إن شاء تناوله أو لا، لأن الطفل لا يعرف مصلحة نفسه وقد لا يختار القرار الصحيح.

س ١١: إذا كان عمل المرجعية واسعاً فهل ترون أهمية إضافة شروط أخرى يجب توفرها في المرجع وعدم الاقتصار على الشروط المذكورة في الرسالة العملية كالأعلمية في الفقه والأصول؟

ج ١١: هذا صحيح وأشارت إليه في مواضع من كلماتي، فيحتاج المرجع إلى خبرة في أحوال الناس ومصالحهم وما يواجههم من تحديات متنوعة

(١) راجع ص ٢٦٠، خطاب رقم ٧٠٠، قيس ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾

والظروف المحيطة به، وقراءة دقيقة للأحداث، وهذا الشرط مستفاد من قول الإمام (عليه السلام) (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس)^(١)، ومفهومه أن من يتصدى لأُمور الأمة وهو غير حاذق وخير بشؤونها فسوف تلتبس عليه الأمور ولا تكون قراراته حكيمة، وقد يحمل الأمة خسائر فادحة، لذا وسَّعت مفهوم الأعلمية المشترطة في مرجع التقليد بحسب ما تقدم في جواب سابق.

كما يشترط في المرجع الذي يتصدى للأُمور العامة أن يتصف بحسن الإدارة وكفاءة القيادة وشجاعة اتخاذ القرار ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم: ١٢)، وغير ذلك مما يتطلبه هذا الموقع الشريف، حيث يوجد حوالي (٢٠٠) مليون شيعي في العالم ترنو أنظارهم إلى ما يصدر من المرجعية الدينية.

س١٢: هل هذه الشروط قريبة من شروط ولاية الفقيه أو نفسها؟

ج١٢: هي شروط يجب توفرها في من يتصدى للأُمور العامة للأمة ولا يقتصر عمله على أداء الوظائف التقليدية التي ذكرناها سابقاً، وهذا التصدي قد يكون بعنوان ولاية الفقيه أو المرجعية العامة ونحو ذلك، ونظرنا إلى نوع المسؤولية وليس العنوان.

س١٣: بعض مراجع الدين لا يقبل بفكرة المرجعية المؤسساتية

ويرجِّح المرجعية الفردية، ما هو رأيكم بهذه الفكرة وما هو الدليل؟

ج١٣: أعتقد أن بعض الخلاف مرجعه إلى عدم وضوح الفكرة، فالمعترض يفهم من المرجعية المؤسساتية أن قمة الهرم في كيان المرجعية

تكون مؤسسة على شكل مجلس أو لجنة من المجتهدين تصدر عنهم الفتاوى والقرارات العامة ويديرون سائر شؤون المرجعية بالإجماع أو الأغلبية ونحو ذلك، وهذا خلاف كون الإفتاء مسؤولية شخصية يتحملها كل مجتهد بما يراه حجة بينه وبين الله تعالى ولا يكون اجتهاد شخص حجة على آخر اذا لم يكن مقتنعاً بأدلته ومقدماته.

وهذه الفكرة من المرجعية المؤسساتية ليست مقصودة، وإنما يراد بها أن تدار أمور المرجعية من خلال مؤسسة تحدّد المرجعية مسؤولياتها ومساحات عملها، وتوزع الأعمال على أعضائها، ولا تنحصر إدارة الأمور بشخص المرجع الذي يبقى على قمة هرم المسؤولية وإليه يرجع القول الفصل، ويكون له مجلس استشاري من كبار العلماء ذوي التجربة.

واعتقد أنها بهذا المعنى مقبولة بل يحتملها اتساع عمل المرجعية وتنوع فعاليتها، إذ إنها لم تعد مقتصرة على الوظائف الموروثة مثل قبض الحقوق الشرعية وإصدار الرسالة العملية والقاء الدروس ونحو ذلك مما يؤديه المرجع بنفسه، بل أصبحت المرجعية مسؤولة عن إقامة الدين ورعاية شؤون المؤمنين في أرجاء العالم، ولها مكاتب وممثلات ووكلاء معتمدون في عشرات الدول حيث يتواجد أتباع أهل البيت (عليه السلام)، كما أنها تشرف على مساجد ومؤسسات ومراكز دينية وحوزات علمية، وجمعيات خيرية ودور نشر وتحقيق ودراسات، ومجمعات متنوعة منتشرة في دول عديدة، وهو يقتضي وجود فريق كبير يساعد المرجع في إدارتها بنجاح، واختيار الأكفاء الموثوقين لمساعدتهم في ذلك كله.

والشاهد على ما قلته من منشأ الخلاف ان أشدّ المراجع رفضاً للمرجعية المؤسساتية يعمل وفق الرؤيا التي ذكرناها آنفاً فهو يؤمن بها عملياً وإن رفضها نظرياً، والسبب ما ذكرناه.

س ١٤: توجد تعابير مثل المرجعية التقليدية أو الرسالية أو الرشيدة وغير ذلك فكيف نقسّم المراجع في عصر الغيبة؟

ج ١٤: هذا ليس تقسيماً وإنما هو توصيف لطريقة العمل وأداء المسؤوليات فهو ناظر إلى واقع ما يجري، وقد اتضح من الأجوبة السابقة أن المراد بالمرجعية التقليدية التي تقتصر على الوظائف الموروثة، والمرجعية الحركية أو الرسالية التي تتحرك بمشروع الإسلام لتقنع جميع الناس به حتى يقيموه في حياتهم وترفع مستوى وعيهم وتوقظهم من غفلتهم وهو ما نعمل عليه تأسيساً بقيادة الإسلام العظام (صلوات الله عليهم أجمعين).

س ١٥: ما هو واجب المرجع حينما يعلم بخطأ وقع فيه المرجع الآخر؟

ج ١٥: اذا كان المقصود الخطأ العلمي كأن يعتقد إن هذه الفتوى للمرجع الآخر غير صحيحة، لأن دليلها غير تام أو ان مبناها في الأصول غير صحيح وهكذا، فيستطيع محاورته علمياً وإثبات ذلك الخطأ خلال لقاء مباشر في مجلس أو زيارة خاصة، حيث تتوفر بيئة علمية مشجعة على هذه الحوارات التي يسودها التأمل والانصاف.

وقد يقوم طلبة المرجعين بهذا الدور كما حصل لتلامذة النائيني والاصفهانى والعراقي (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) قبل مئة عام، حيث

كانوا يأخذون الإشكال من الأول وي طرحونه على الثاني، وينقلون إجابة الثاني إلى الأول وهكذا إلى أن تتغير قناعة أحدهما أو يرصن دليله ويسد الثغرات. أما اتخاذ القرارات والمواقف في الأمور العامة وقضايا الأمة فلا بد من مناقشة مستفيضة تجري بين الاعلام المتصدين لتقليب وجوه النظر فيها، والوصول إلى موقف موحد يلتف الناس عليه، وفي الحديث الشريف عن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) (من استشار لم يعدم عند الصواب مادحاً وعند الخطأ عاذراً)^(١). لأن الاستشارة تفتح خيارات جديدة لم يكن يعرفها أو تلفت نظره إلى سلبيات كان غافلاً عنها.

خطاب المرحلة

(٧٠٦)

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)

الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام): يرضى الله لرضاها^(١)

مظهر من مظاهر قدرة الله تبارك وتعالى، وتمام سلطنته على كل مخلوقاته تكشف عنه الآية الكريمة، من خلال بيان حقيقة شأنه تبارك وتعالى في خلق الأشياء، بأنه إذا تعلق مشيئة الله تعالى بإيجاد شيء وأراد إحداثه فإنه يحصل مباشرة بمجرد إرادته بدون فاصلة؛ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، ولا يحتاج إلى مزيد من تعلق إرادته عز وجل بالشيء حتى يتحقق، فلا يوجد أي تأمل أو تروي أو دراسة لديه سبحانه، ولا يوجد ما يمنعه كما لا يمتنع شيء عن التحقق والحصول إذا أَرَادَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وإن جميع الموجودات مطيعة له وممثلة لإرادته ﴿فَيَكُونُ﴾، ولا يحتاج إلى شريك يساعده ولا إلى وقت لإيجاده كما يحصل للمخلوقين إذا أرادوا شيئاً، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَّمَحٍ بِالْبَصْرِ﴾ (القمر: ٥٠).

هذا بناءً على تفسير الأمر هنا بمعنى الشأن، ولا مانع من تفسيره بالطلب مقابل النهي، فإن طلبه سبحانه عين إرادته، فإذا أراد شيئاً فقد طلبه، وسيتحقق

(١) محاضرة القاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (رحمته الله) على طلبة البحث الخارج في الدرس الأسبوعي المخصص للتفسير في يوم الأربعاء ١٨/٢/١٤٤٤هـ- الموافق ٢٠٢٣/١/١١م، بمناسبة ذكرى مولد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

بمجرد تعلق الإرادة به، لعدم وجود ما يمنع أو يؤخر ذلك، ولا يحتاج حتى إلى قوله كلمة ﴿كُنْ﴾، لأن إنشاء أي لفظ يحتاج في وجوده إلى لفظ ﴿كُنْ﴾ آخر ليوحد، وهذا تسلسل باطل، مضافاً إلى أن إنشاء خطاب يعني وجود المخاطب وهذا خلاف الفرض بأنه يراد إيجاده.

فالقول هنا إذن ليس التعبير اللفظي لأن الله سبحانه منزّه عن مجانسة مخلوقاته، وإنما المراد فحواه ومضمونه بتوجه الأمر والطلب نحو الشيء وتعلق الإرادة به ليقع ويحصل، قال الإمام السجاد (عليه السلام) في دعائه: (ومضت على إرادتك الأشياء، فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة، وإرادتك دون نهيك منزجرة)^(١)، أي ان الأشياء تمضي على وفق إرادة الله تعالى حتى من دون الحاجة الى امر ونهي لتحريكها نحو الفعل وعدمه.

وهكذا تفهم سائر الآيات الكريمة التي ظاهرها القول اللفظي حيث ورد التعبير عن هذه الحقيقة بصيغ مختلفة في آيات متعددة كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة: ١١٧)، وقوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٤٧)، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَہُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (مريم: ٣٥)، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (غافر: ٦٨)، فإن قضاء الله تعالى لأمرٍ وحكمه به يعني تعلق إرادته سبحانه بإيجاده، ومن تطبيقاته ما ورد في خلق آدم (صلوات الله عليه) أبي البشر في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ

(١) الصحيفة السجادية: ٤٥، الدعاء السابع الذي اوله (يا مَنْ تُحَلُّ به عَقْدُ المَكَارِهِ).

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ (آل عمران: ٥٩).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (يقول لمن أراد كونه ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ لا بصوت يُقرع ولا نداء يُسمع وإنما كلامه سبحانه فعل منه وإنشاء ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً^(١)، وعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل وأما من الله سبحانه وتعالى فإرادته إحدائه لا غير ذلك لأنه لا يروي ولا يهيم ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق، فإرادة الله، الفعل، لا غير ذلك يقول له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك، كما أنه لا كيف له^(٢).
والشيء هنا مطلق فيشمل كينونة كل الموجودات، ولا يستثنى فرد من أفرادها أو حالة من حالاتها، فكلها تتحقق بمجرد تعلق الإرادة ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ بلا فاصل، ولا يحتاج الى زمان، إلا إذا شاء الله تعالى غير ذلك كما في خلق السماوات والأرض ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (ق: ٣٨).

أو أن طبيعة الأسباب تقتضيه فيكون الفاصل الزمني بلحاظ المخلوق كرزق المال والولد الذي يحتاج في نفسه الى مدة ليتحقق، وإلا فهو بلحاظ الخالق قد تمّ ونجز.

وهذه الحقيقة التي تضمّنتها الآية تهيمن على الموجودات كافة، روى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (لما صعد موسى (عليه السلام)

(١) نهج البلاغة: ٣٥٠/١، الخطبة ١٨٦.

(٢) أصول الكافي: ١١٠/١.

إلى الطور فناجى ربّه عز وجل، قال: ربّ أرني خزائنك، فقال: يا موسى، إنما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

وجاءت الآية في سياق الرد على من أنكر المعاد واستغرب بعث الموتى بعد أن تبلى أجسادهم وقال باستحالته، وهي شبهة قديمة حديثة تمسّ أصلاً من أصول الدين، فلا بد من إجابتها بوضوح لإزالة أي شك ودفع أي إشكال، مثل قولهم الذي حكته الآيات السابقة على الآية محل البحث ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس: ٧٨)، وهو وهم ناشئ من ملاحظة قدرة المخلوق العاجز القاصر، فتجيبه الآية بسهولة ذلك على الخالق العظيم، وأنّ وجود الأشياء لا يحتاج إلى مزيد من تعلق إرادته تعالى بذلك، فهو ذو القدرة المطلقة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (فاطر: ٤٤)، لذا جاءت الآية التالية لتنزيهه من كل عجز وقصور وضعف ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٣).

إن الله تعالى يهب هذه الكرامة لبعض عباده بدرجات متفاوتة بحسب صدقهم في عبوديتهم لله تعالى وإخلاصهم في طاعته، كما ورد في وصف أهل الجنة ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ (يس: ٥٧)، أي أنهم بمجرد تعلق إرادتهم بشيء واشتغالهم له يجدونه حاضراً عندهم. وقال تعالى في وصي النبي سليمان (عليه السلام) ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ (النمل: ٤٠)، فإنه بمجرد إرادته حضور عرش بلقيس وجده حاضراً عنده.

(١) التوحيد، للشيخ الصدوق: ١٣٣/ح ١٧، تفسير البرهان: ٨ / ١٢٠/ح ١١.

وورد في الحديث القدسي قول الله عز وجل: (ما تقرب إليَّ عبدٌ بشيء أحبُّ إليَّ مما افترضت عليه، وإنه ليقرب إليَّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته..)^(١).

وكان رسول الله (ﷺ) أجدر الخلق بأن يتحلى بهذه المنحة الإلهية لأنه (ﷺ) كان يسارع إلى فعل كل ما يريده الله تبارك وتعالى وإن لم يصدر به أمر وجوبي أو استحبابي، ويجتنب كل ما يكرهه الله تعالى وإن لم يرد فيه نهى على نحو التحريم أو الكراهة.

ونذكر أمثلة مما جرت إرادة الله تعالى به على وفق ما يريده رسول الله (ﷺ) ويرضاه:-

منها: التوجه بالصلاة إلى الكعبة، بعد أن كان المسلمون يصلون إلى بيت المقدس فنزل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: ١٤٤).

ومنها: أنه (ﷺ) كان يرجو أن يكون للمسلمين يومٌ يعظّمونه كما أن لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فأعطاه الله تعالى يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها بركة.

ومنها: ما روي أن امرأة من الأنصار وهبت نفسها للنبي (ﷺ) بلا مهر، فاغتاضت اثنتان من أزواجه وأهانتا المرأة، فزجرهما رسول الله (ﷺ) وشكر

(١) الكافي: ٢/٣٥٢، ح ٧، من باب (من آذى المسلمين واحقرهم).

المرأة وأثنى على نصرته قومها الأنصار، وأجلّ قراره حتى يأتيه أمر الله تعالى، فنزل قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُمِينَةً إِنَّ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأحزاب: ٥٠)، (فقال عائشة: ما أرى الله إلا يسارع في هোক؟ - أي أنه تعالى يجري الأمور على وفق إرادتك ف يريد ما تريد - فقال رسول الله ﷺ) وإنك إن أطعت الله يسارع في هোক^(١)، فبين النبي ﷺ السر في الوصول إلى هذا المقام المحمود بأنها لو كانت مخصصة في طاعة الله تعالى لأعطاها الله ما تريد^(٢).

وأعطيت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هذه الكرامة الإلهية حينما قال فيها أبوها رسول الله ﷺ بحسب ما رواه الفريقان: (إن الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها)^(٣)، لا مجاملة ولا محاباة لقربها من أبيها رسول

(١) مجمع البيان: ٩٣/٨، والملفت ان السيوطي رواها في الدر المنثور في عدة مواضع (٦٢٩/٦، ٦٣٤) من عدة مصادر كالبخاري واحمد ومسلم وابن جرير والحاكم وابن سعد وغيرهم ولم يذكر ذيل الحديث. (٢) روى ابن حجر العسقلاني الشافعي المتوفي سنة (٨٥٢ هـ) ما هذا نصه: (بسنده عن أنس قال مرض أبو طالب فعاده النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال يا ابن أخي، أدع ربك الذي بعثك يعافيني فقال (صلى الله عليه وآله): اللهم اشف عمي: فقام أبو طالب كأنما نشط من عقال، فقال يا بن أخي إن ربك ليطيعك. قال: وأنت يا عماء لئن أطعت الله ليطيعنك). الإصابة: ١١٣/٧، والخصائص، لجلال الدين السيوطي الشافعي: ١/١٢٤، باب (دعائه صلى الله عليه وآله وسلم لأبي طالب بالشفاء).

أقول: لو صحّت الرواية فإنها منسجمة مع التقية التي كان يعمل بها مؤمن قرين وشيها أبو طالب، وهي تتضمن إشارة إلى إيمان أبي طالب بأن الرب بعث محمداً ﷺ وأنه له شفاعته عنده.

(٣) الأمالي للصدوق: ٤٦٨/١، بحار الأنوار: ١٩/٤٣، وهو مجمع عليه عند الشيعة، ورواه جمع كبير من علماء العامة كما في مستدرک الصحيحين للحاكم النيسابوري: ٣/١٥٣-١٥٤، مجمع الزوائد للهيثمى: ٢٠٣/٩، رواه الطبراني وإسناده حسن، ميزان الاعتدال للذهبي: ٧٢/٢، ابن الأثير أيضاً فى أسد الغابة:

الله (ﷺ)، وإنما عن استحقاق وجدارة وفق ما ذكره النبي (ﷺ) في الرواية الآنفه فهي المطهرة المعصومة الصديقة المخلصة، وقد عرفنا الآن وجه قول أبيها فيها لأنها كانت تسارع إلى فعل ما يريد الله تعالى ورسوله قبل أمره وتجنب ما يسخط الله قبل نهيه، وجعلت رضاها رهن رضاه تبارك وتعالى، وغضبها رهن غضبه عز وجلّ، فأجرى الله تعالى الأمور على وفق إرادتها.

وأذكر لكم مثلاً على مسارعة الصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) لرضا الله تعالى ورضا رسوله (ﷺ)، فقد روي في الكافي وأمالي الصدوق ومكارم الأخلاق عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر سلّم على مَنْ أراد التسليم عليه من أهله ثم يكون آخر من يسلم عليه فاطمة (عليها السلام) فيكون وجهه إلى سفره من بيتها، وإذا رجع بدأ بها. فسافر مرة وقد أصاب علي (عليه السلام) شيئاً من الغنيمة فدفعه إلى فاطمة (عليها السلام) فخرج فأخذت سوارين من فضة وعلقت على بابها سترًا، فلما قدم رسول الله (ﷺ) دخل المسجد فتوجّه نحو بيت فاطمة (عليها السلام) كما كان يصنع، فقامت فرحةً إلى أبيها صباية وشوقاً إليه، فنظر فإذا في يدها سواران من فضة وإذا على بابها ستر، فقعد رسول الله (ﷺ) حيث ينظر إليها، فبكت فاطمة (عليها السلام) وحزنت وقالت: ما صنع هذا بي قبلها، فدعت ابنيها فنزعت الستر من بابها وخلعت السوارين من يديها، ثم دفعت السوارين إلى أحدهما والستر إلى الآخر ثم قالت لهما: انطلقا إلى أبي فأقرئاه السلام، وقولا له: تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول: اجعل هذا في سبيل

الله، فلما أتاه قال: فعلت فداها أبوها ثلاث مرات ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى فيها كافراً شربة ماء ثم قام فدخل عليها^(١).

وحينما نزل قوله تعالى في أزواج النبي (ﷺ) ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، سبق النبي (ﷺ) إلى تسمية فاطمة بأنها (أم أبيها) لقطع الطريق أمام من تشمخ بأنفها من أزواج النبي وتفتخر عليها^(٢)، وأين الأول الذي هو مجرد كناية عن حرمة زواج المؤمنين منهن من هذا الوسام الشريف الذي قلده النبي (ﷺ) ابنته.

هذه هي فاطمة (سلام الله عليها)، وكيف لا تكون كذلك وهي من أهل البيت (عليهم السلام) الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣)، لأنهم ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣)، من الميثاق حين قال لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ (الأعراف: ١٧٢)، فاستخلصهم الله تبارك وتعالى لنفسه وطهرهم من كل منافٍ لصدق العبودية ومحض الإخلاص، وأجرى إرادته على طبق إرادتهم، قال الإمام الحسين (عليه السلام) في خطبته في مكة لما عزم على الخروج إلى العراق (رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور

(١) بحار الأنوار: ٤٣/٨٣-٨٤، وأمالى الصدوق: ١/٣٠٥، وفي البحار أنه عن الكافي والمكارم.

وفي بعضها (ثم قال رسول الله ﷺ): رحم الله فاطمة ليكسونها الله بهذا الستر من كسوة الجنة، وليحليها بهذين السوارين من حلية الجنة).

(٢) هذا واحد من عدة وجوه شرحنا فيها معنى كون فاطمة (عليها السلام) (أم أبيها)، راجعها في موسوعة خطاب المرحلة: ٥٦/٧.

الصابرين) (١).

فهم (عليه السلام) ممن وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٧)، فهم (صلوات الله عليهم) إن أرادوا شيئاً فإنه يتحقق بأمر الله تعالى الذي شرحته الآية الكريمة بأنه ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، فلأن إرادتهم تبع لإرادة الله تعالى كانت إرادة الله مستجيبة لإرادتهم، ومما ورد من السلام على أهل بيت النبوة في الزيارة الجامعة الكبيرة (وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.. وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأئِمَّةَ الرَّاشِدُونَ.. الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ، الْقَوَامُونَ بِأَمْرِهِ، الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ) (٢).

ولو أرادت السيدة الزهراء (عليها السلام) أن يهلك الله ظالميها لأعطاها الله تعالى ما تريد لكنها صبرت رحمة بالأمة وشفقة عليها وحرصاً على دوام نداء (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).

وكان خصوم فاطمة (عليها السلام) يعلمون جيداً أنها إن لم ترض عنهم فإنهم في أسوأ عاقبة، لذلك حرص الأول والثاني على استرضائها، وطلبوا الإذن بزيارتها فلم تأذن لهما فاستشفعا بأمير المؤمنين (عليه السلام) لتحصيل الإذن فعرض الإمام (عليه السلام) عليها ذلك فتركت القرار له (عليه السلام) قالت المصادر: (ودخلا وقرأها السلام فلم تُجب، وتقدّما فقعدا أمامها، فولّت وجهها عنهما إلى الحائط؛ قالت تخاطبه وهي تشرك عمر بن الخطاب: أرأيتكما إن حدثتكما عن رسول الله (ﷺ) حديثاً تعرفانه وتعملان به؟ أجابها وصاحبه: نعم. قالت:

(١) بحار الأنوار: ٣٦٧/٤٤، عن كتاب الملهوف: ٥٣/٥٢.

(٢) مفاتيح الجنان: ٦٢٠.

نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله (ﷺ) يقول: «رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أَرْضَى فاطمة فقد أَرْضَانِي ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني»؟ قالوا: قد سمعناه من رسول الله. فرفعت وجهها وكفّتها إلى السماء وقالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أَرْضَيْتَمَانِي، ولئن لقيت رسول الله (ﷺ) لأشكونكما إليه^(١).

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢٠/١، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء (ﷺ): ١٤/ ٢١٢.

خطاب المرحلة

(٧٠٧)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ

اللَّهِ﴾^(١) (الجمعة: ٩)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة: ٩).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب مؤكّد بـ(يا) و(أي) و(ها) موجّه للمؤمنين عموماً، وإنما خصّهم بالخطاب اهتماماً بشأنهم وإظهاراً لقربهم من الله تعالى، ولأنهم من يتوقع منهم الاستجابة، وإلا فالوجوب شامل لجميع الناس حتى الكفار، غاية الأمر: أن عليهم تصحيح عقيدتهم وأن يؤمنوا بالإسلام أولاً ثم يمثلوا الأحكام الشرعية لتصحّ منهم.

﴿إِذَا نُودِيَ﴾ المراد بالنداء للصلاة الأذان لها ويشهد لهذا أنهم أطبقوا على تفسير النداء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة: ٥٨)، بالأذان فإن أعداء الإسلام في زمن نزول الآية وفي كل زمان يسخرون من أذان المسلمين وصلاتهم ويستهزئون بها.

(١) محاضرتان القيتا على طلبة البحث الخارج في درس الأربعاء المخصص لتفسير القرآن، كانت الأولى يوم ١٩/جمادي الأولى/٢٠٢٢/١٢/١٤م، والثانية يوم ١١/جمادي ثاني/١٤٤٤هـ- الموافق ٢٣/١/٢٠٢٣م.

وفي التعبير بالنداء لصلاة الجمعة كناية عن دخول وقتها وإن لم يُرفع الأذان خارجاً، ولعله لهذا جيء بالفعل ﴿نُودِيَ﴾ مبنياً للمجهول فإنه يكفي في تحقق النداء دخول وقت الأذان وما فيه من حث ودعوة للمبادرة إلى الصلاة والفلاح وخير العمل من دون مدخلة لرافعه خارجاً.

وعلى هذا فإن ﴿إِذَا﴾ هنا ليست شرطية توجب المفهوم للجمله بحسب المصطلح بحيث ينتفي الجزء وهو وجوب السعي إلى الجمعة إذا انتفى الشرط وهو وقوع الأذان خارجاً، وإنما هي ظرفية سيقت لبيان تحقق الموضوع وإنه إذا حلّ الوقت وجبت إقامة الصلاة، لوضوح أن بعض المقدمات كالسعي إلى محل إقامتها وإنهاء الشواغل عنها كالمتجر ومحل العمل مما يجب قبل الأذان.

ويمكن أن تكون ﴿إِذَا﴾ شرطية بناءً على معنى آخر للنداء بأن يراد به أمر الفقيه الجامع للشرائط المتصدي للأمر العامة وإدارة شؤون الأمة بإقامتها، وسيأتي بيان مبررات هذا المعنى إن شاء الله تعالى، وكلا المعنيين صحيحان فالأول ظرف إقامتها، والثاني شرط وجوب إقامتها.

﴿لِلصَّلَاةِ﴾ أي صلاة الجمعة فقد ثبت بالإجماع أن الصلاة المنادى إليها هي الجمعة وليس الظهر، لأن النداء إلى الظهر لا يختص بيوم الجمعة، ولا يوجد احتمال ثالث غيرهما فاللام عهدية.

ولأن ظرفية دخول الوقت لتحقق الوجوب لا يختص بصلاة الجمعة وإنما هو عام لكل الصلوات اليومية المفروضة فقد أتى بلفظ الصلاة مطلقاً وليس مقيداً بالإضافة إلى الجمعة.

وفي ضوء هذا كله: لا يصحّ ما قيل^(١) إن المراد بالنداء لها إقامتها بشروطها فإذا أقيمت وجب السعي إليها، لأنه يستلزم اتحاد النداء والمنادى له، فتكون إقامة صلاة الجمعة نداءً لإقامتها، وهو تحصيل حاصل لا مسوّغ له، مضافاً إلى مخالفته للواقع عند نزول الآية إذ لم تكن إقامتها سبباً لوجوب إقامتها بل حلول وقتها والأذان لها، وقد كانت الجمعة مقامة قبل نزول السورة بسنوات^(٢)، وإنما نزلت لتوبيخ تاركيها في حادثة معينة يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى. فهذا التفسير غير صحيح، وما ترتب عليه من عدم وجوب الحضور فيها إلا إذا أقيمت مثله، والشاهد على عدم صحته ما ذكرناه من عدم إضافة الصلاة إلى الجمعة مما يعني أن هذا النداء ليس أمراً مغايراً للنداء إلى الصلوات المفروضة الأخرى، وهو الأذان عند دخول الوقت.

فإذا حل وقت صلاة الجمعة وجب على المؤمنين السعي لإقامتها كلّ بحسبه، فالإمام يسعى لإمامتها، وبقية المؤمنين لحضورها، أما الأذان الفعلي فليس أزيد من كونه إعلماً بدخول الوقت، واجتماع العدد ليس شرطاً للوجوب حتى يسقط إذا لم يجتمعوا بل هو شرط للواجب إذ على المؤمنين أن يجتمعوا لتوفير العدد المطلوب إلا ذوي الأعذار.

ولأهمية هذا النداء فقد مهّدت له الآيات السابقة من سورة الجمعة،

(١) راجع ما قاله السيد الخوئي (قدس سره) في ذلك ومناقشتنا له في فقه الخلاف: ٢/ ٢٤١، ط، الثانية.
 (٢) روى الطبرسي في (مجمع البيان: ٧/١٠) أن النبي (ﷺ) أقام الجمعة في اليوم الخامس من وصوله قبا قبل دخوله المدينة، والسورة نزلت بعد الهجرة بسنوات لقرائن ذكرناها في فقه الخلاف، وأورد في مجمع البيان بعض خطبة النبي (ﷺ) في أول صلاة الجمعة.

حيث بدأت بالإخبار عن أن كل ما في الوجود يسبح لله تبارك وتعالى فلا بد أن يكون الإنسان جزءاً من هذه الحركة لأنه خليفة الله في أرضه، ثم بيان سمو غرض الرسالة المحمدية وهو التزكية والتعليم فضلاً من الله تعالى ورحمة، ثم توبيخ وتحقير من حُمّلوا رسالة الله تعالى ولكنهم لم يلتزموا بها مع أنهم يدعون أنهم الأئمة عليها والقائمون بها، فيختبر صدقهم بتمني الموت ولكنهم لا يفعلون لأنهم كاذبون غارقون في حب الدنيا، وفي هذه الأجواء المهيئة عقلياً وقلبياً ونفسياً يأتي النداء للحث على السعي والاجتماع لإقامة صلاة الجمعة وابعثها الأمر بترك البيع وسائر الشواغل، حتى لا يجد المتلقي سبباً للتقاعس وعدم الامتثال لما فيها من النهي عن كل ما يشغل عن الحضور فيها والخطاب في الآية عام فيشمل المؤمنين في كل مكان وزمان إلى قيام يوم الساعة، وهو مطلق لا يقيد إلا بدليل، وقد ورد في خطبة لرسول الله (ﷺ) (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه بالجمعة: يوم الجمعة)^(١)، كما روى الفريقان أن النبي (ﷺ) خطب في أول جمعة أقامها في المدينة فقال: (إن الله تعالى افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في مشهدي هذا، في عامي هذا، إلى يوم القيامة، فمن تركها استخفافاً بها أو جحوداً لها فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له في أمره، ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حج له، ألا ولا صيام له، ألا ولا برّ له، ولا بركة له حتى يتوب، فمن تاب تاب الله عليه)^(٢)،

(١) بحار الأنوار: ٢١١/٨٩، نقلاً عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

(٢) وسائل الشيعة: ٧/٣٠٢ أبواب صلاة الجمعة وآدابها/باب ١/ح ٢٨، ط. مؤسسة أهل البيت (ع)، ورواه الشهيد الثاني في رسالة الجمعة، الدر المنثور: ٣١٨/٦، سنن ابن ماجه ٤٣٣/١ باب فرض الجمعة.

وفي صحيحة منصور بن حازم عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (والجمعة واجبة على كل أحد)^(١).

﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ تعزيز للوجوب باستعمال صيغة الأمر بالسعي الذي هو السير الحثيث مع العناية والاهتمام، وذكر الله أعم من أن يكون الصلاة والخطبتان، روى جابر بن يزيد عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (قلت له: قول الله عز وجل: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال: قال: اعملوا وعجلوا فإنه يوم مضيق على المسلمين فيه، وثواب أعمال المسلمين فيه على قدر ما ضيق عليهم، والحسنة والسيئة تضاعف فيه. قال: وقال أبو جعفر (عليه السلام): والله لقد بلغني أن أصحاب النبي (ﷺ) كانوا يتجهزون للجمعة يوم الخميس لأنه يوم مضيق على المسلمين)^(٢).

﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ تأكيد آخر على أهمية إقامة الفريضة بعد الأمر بالسعي إليها من خلال النهي عن ممارسة أي فعل يعيق أداء هذه الفريضة العظيمة، وإنما خصّ البيع بالذكر لأنه الحالة الخارجية الواقعة التي أوجبت نزول الآية حيث قيل إن قافلة تجارية وردت من الشام فلما أشرفت على المدينة ضربوا بالدفوف لإعلام أهلها بوصولهم فهرع إليها أصحاب رسول الله (ﷺ) وتركوه قائماً يخطب ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً، وروي أقل من ذلك^(٣) وان النبي (ﷺ) قال: (لقد نظر الله إلى مسجدي يوم الجمعة، فلولا هؤلاء

(١) وسائل الشيعة: ٣٠٥/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها/ باب ٢/ح ٧.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٥٣/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها/ باب ٣١/ح ١.

(٣) مجمع البيان: ٨/١٠، الدر الممتون: ١٦٥/٨.

الثمانية الذين جلسوا في مسجدي لأُضربت المدينة على أهلها ناراً، وحصبوا بالحجارة كقوم لوط^(١) والمورد لا يخصّص الوارد.

أو لأنه أهم ما يشغل الإنسان من أمور الدنيا ويعطل أدائه للفريضة فمن باب أولى دخول غيره في النهي قال في مجمع البيان: (وفي هذه الآية دلالة على وجوب الجمعة، وفي تحريم جميع التصرفات عند سماع اذان الجمعة، لان البيع إنما خصّ بالنهي عنه لكونه من أهم التصرفات في أسباب المعاش)^(٢)، بل أن النهي يشمل حتى الشواغل الأخروية كالصلوات المستحبة إذ (لا قربة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض)^(٣)، نعم إذا حصل شاغل أهم في نظر الشارع المقدس كحفظ النفس من الهلاك أو العرض من الشين سقط الوجوب.

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فإن في صلاة الجمعة مصالح دنيوية وأخروية عظيمة سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى، فالخير كله في هذا السعي ولا خير في ما سواه، وليس التعبير هنا على نحو صيغة التفضيل أي أن في الآخر خيراً لكن هذا أفضل منه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢١)، وقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣).

إن هذا الخطاب القرآني الذي يوجب على المؤمنين إقامة صلاة

(١) البرهان: ٣٠٠/٩ ح ١٥-١٠.

(٢) مجمع البيان: ٩/١٠.

(٣) نهج البلاغة: ٣٧/٤.

الجمعة والسعي إليها عام لا يختص بجماعة دون جماعة، ومطلق لا يختص بزمان دون زمان ولا بحال كحضور المعصوم (عليه السلام) دون حال كغيبته (عليه السلام)، وهو ما أكدته الروايات الشريفة المتواترة^(١)، منها صحيحة زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (إنما فرض الله عز وجل على الناس من الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة، منها صلاة واحدة فرضها الله عز وجل في جماعة وهي الجمعة، ووضعها عن تسعة: عن الصغير، والكبير، والمجنون، والمسافر، والعبد، والمرأة، والمريض، والأعمى، ومن كان على رأس فرسخين)^(٢).

أقول: الرواية صريحة في الوجوب التعيني لصلاة الجمعة عند زوال يوم الجمعة في جميع الأزمنة وأن الفرض في هذا الوقت هي صلاة الجمعة لا الظهر، وقد ذكرت الرواية بمعونة غيرها شرط إقامتها وهو وجود إمام يخطب لأنها لا تعقد إلا جماعة وبخطبتين، ومراعاة شرط المسافة، وذكرت عناوين المعذورين، فالقول بالوجوب التخييري غير ظاهر ودليله غير تام، بل غير متصور وأن فريضة عظيمة مثل صلاة الجمعة بالغ القرآن الكريم والروايات

(١) حكى المحقق صاحب الحقائق (قدس سره) عن الشيخ محمد تقي المجلسي والد صاحب البحار (قدس الله روحيهما) قوله في رسالة الجمعة (فصار مجموع الأخبار الدالة على الوجوب من حديث، والذي يدل على الوجوب بصريحه من الصحاح والحسان والموثقات وغيرهما، أربعون حديثاً، والذي يدل بظاهره على الوجوب خمسون حديثاً، والذي يدل على المشروعية في الجملة تسعون حديثاً، والذي يدل بعمومه على وجوب الجمعة وفضلها عشرون حديثاً، والذي يدل بصريحه على وجوب الجمعة إلى يوم القيامة حديثان، والذي يدل بظاهره على عدم اشتراط الإذن ستة عشر حديثاً). وضعف صاحب الجواهر (قد) دلالة هذه الاحاديث على الوجوب العيني (جواهر الكلام: ١١/١٧٤).

(٢) وسائل الشيعة: ٢٩٥/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها/ باب ١/ ح ١.

الشريفة في التأكيد على إقامتها والحضور فيها، وذمّ من تخلف عنها لا يعقل أن يكون أمرها بيد المكلفين إن شأؤوا أقاموها وإن شأؤوا تركوها.

أما الإمام المذكور في بعض الروايات فهو إمام الجمعة وخطيبها، كما في صحيحة زرارة قال: (قلت لأبي جعفر (عليه السلام): علي من تجب الجمعة؟ قال: تجب علي سبعة نفر من المسلمين، ولا جمعة لأقل من خمسة من المسلمين، أحدهم الإمام، فإذا اجتمع سبعة ولم يخافوا أمّهم بعضهم وخطبهم)^(١)، وصحيحته الأخرى عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (صلاة الجمعة فريضة، والاجتماع إليها مع الإمام فريضة)^(٢)، وموثقة سماعة قال: (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الصلاة يوم الجمعة؟ فقال: أما مع الإمام فركعتان، وأما من يصلي وحده فهي أربع ركعات بمنزلة الظهر، يعني إذا كان إمام يخطب، فإن لم يكن إمام يخطب فهي أربع ركعات وإن صلّوا جماعة)^(٣).

وقد تواترت الروايات في فضل صلاة الجمعة وثواب من يشارك فيها، كالذي ورد في حديث المعراج أن النبي (صلى الله عليه وآله) رأى ملائكة يدعون: (اللهم اغفر للذين يحضرون صلاة الجمعة، اللهم اغفر للذين يغتسلون يوم الجمعة)^(٤)، وورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ من لا يشغله عن الجمعة حر شديد، ولا برد شديد، ولا ردغ)^(٥)، وفي صحيحة محمد

(١) وسائل الشيعة: ٣٠٤/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها/ باب ٢/ ح ٤.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٩٩/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها/ باب ١/ ح ٨-١٢.

(٣) وسائل الشيعة: ٣١٠/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها/ باب ٦/ ح ٨.

(٤) مستدرک الوسائل: ٩١/٦.

(٥) كنز العمال: الحديث ٢١٠٨٥. والردغ: الماء والطين والوحل الشديد.

بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (إذا كان يوم الجمعة نزل الملائكة المقربون معهم قراطيس من فضة، وأقلام من ذهب، فيجلسون على أبواب المسجد، على كراسي من نور، فيكتبون الناس على منازلهم الأول والثاني حتى يخرج الإمام، فإذا خرج طَوا صحفهم، ولا يهبطون في شيء من الأيام إلا يوم الجمعة)^(١)، وقورنت صلاة الجمعة بالحج فقد جاء إعرابي يشكو إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عدم الاستطاعة إلى الحج فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) له: (عليك بالجمعة فإنها حج المساكين)^(٢).

وهي من مظانّ إجابة الدعاء، فقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: (أول وقت الجمعة ساعة تزول الشمس إلى أن تمضي ساعة فحافظ عليها فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا يسأل الله عبداً فيها خيراً إلا أعطاه)^(٣)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (ما من قدم سعت إلى الجمعة إلا حرم الله جسدها على النار)^(٤)، وروى الشيخ الصدوق (تدقيقاً) في الأمالي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (أما يوم الجمعة فيوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين، فما من مؤمن مشى فيه إلى الجمعة إلا خفف الله عليه أهوال يوم القيامة، ثم يأمر به إلى الجنة)^(٥).

ويستحب السفر إلى محلّ إقامتها للحضور فيها، في موثقة سماعة عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه (عليه السلام)، أنه قال: (أيما مسافر صلى الجمعة

(١) وسائل الشيعة: ٣٤٧/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها/باب ٢٧/ح ١.

(٢) التهذيب: ٢٣٧/٣، وسائل الشيعة: ٣٠٠/٧، نفس الأبواب/باب ٢/ح ٧.

(٣) وسائل الشيعة: ٣٢٠/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها/باب ٨/ح ١٣-١٩.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٩٧/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها/باب ١/ح ٧.

(٥) وسائل الشيعة: ٢٩٨/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها/باب ١/ح ٩.

رغبة فيها وحباً لها أعطاه الله عزّ وجلّ أجر مائة جمعة للمقيم^(١).

وتصل أهمية الحضور إلى درجة وجوب إطلاق سراح المسجونين في الديون من أجل حضورها، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن على الإمام أن يخرج المحبس في الدين يوم الجمعة إلى الجمعة ويوم العيد إلى العيد، ويرسل معهم، فإذا قضاوا الصلاة والعيد ردهم إلى السجن)^(٢).

وورد في ذم التقاعس عن الحضور صحيحة زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (فإن ترك رجل من غير علة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض، ولا يدع ثلاث فرائض من غير علة إلا منافق)^(٣).

مضافاً إلى ذلك فقد عبّرت الأحاديث الشريفة عن هذا الاهتمام، بصيغ متعددة كالنهي عن السفر يومها، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (من سافر من دار إقامته يوم الجمعة دعت عليه الملائكة، لا يُصحب في سفره ولا يعان على حاجته)^(٤)، ومن كتاب لأمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الحارث الهمداني (لا تسافر يوم الجمعة حتى تشهد الصلاة، إلا ناصلاً - أي خارجاً - في سبيل الله أو في أمر تعذر به)^(٥)، وروي عنه (عليه السلام) أنه قال: (لا يشرب أحدكم الدواء يوم الخميس، فقيل: يا أمير المؤمنين ولم ذاك؟ قال: لئلا يضعف عن إتيان

(١) وسائل الشيعة: ٣٣٩/٧ أبواب صلاة الجمعة وآدابها/ باب ١٩/ ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٤٠/٧ أبواب صلاة الجمعة وآدابها/ باب ٢١/ ح ١.

(٣) وسائل الشيعة: ٢٩٧/٧ أبواب صلاة الجمعة وآدابها/ باب ١/ ح ٨.

(٤) كنز العمال: ٧١٥/٦ ح ١٧٥٤٠.

(٥) نهج البلاغة: ١٤٣/٣، وسائل الشيعة: ٤٠٧/٧/ باب ٥٢/ ح ٦، وفيه عن الصحاح: نَصَل الحافر: خرج عن موضعه.

الجمعة^(١)، وروى عن النبي (ﷺ) قوله: (من استأجر أجيراً فلا يحبسه عن الجمعة فيأثم، وإن لم يحبسه اشتركا في الأجر)^(٢).
ويظهر من الفقهاء (قدس الله أرواحهم) اعترافهم بدلالة الكتاب والسنة على الوجوب التعيني ولكنهم برروا القول بالتخيير بوجود الإجماعات المنقولة على حرمتها زمن الغيبة، والجمع بينهما يقضي بالتخيير بينها وبين الظهر.

أقول: هذه الإجماعات لا يعتدُّ بها لأنها مخالفةٌ لحكم قطعي ثابت في الكتاب والسنة، وهي باعترافهم منقولة ليست حجة، ولو تمت فإنه إجماع مدركي منشأه بعض الروايات التي يمكن توجيهها، أو عدم إقامة الأئمة (عليهم السلام) لها وهو إشكال سيأتي جوابه بإذن الله تعالى، وقد فصلنا الكلام في البحث الفقهي الاستدلالي عن وجوب صلاة الجمعة تعييناً^(٣).

وقال صاحب الحقائق (تتبع): (فالمستفاد من الآية المذكورة الأمر بالسعي إلى صلاة الجمعة لكل واحد من المؤمنين متى تحقق الأذان لها أو دخول وقته وحيث أن الأصل عدم التقييد بشرط يلزم عموم الوجوب بالنسبة إلى زمان الغيبة والحضور)^(٤).

نعم قد يقال: إن صلاة الجمعة إذا كانت واجبة تعييناً فلماذا لم يقمها

(١) وسائل الشريعة: ٣٥٣/٧ أبواب صلاة الجمعة وآدابها/ باب ٣١/ح ٢.

(٢) مستدرک الوسائل: ٧/٦.

(٣) فقه الخلاف: ٢٣٣/٢ - ٣٢٦، ط، الثانية.

(٤) الحقائق الناضرة: ٣٩٩/٩.

الأئمة المعصومون (عليهم السلام)؟ فإذاً هي إما واجبة على نحو التخيير بينها وبين صلاة الظهر أو إن إقامتها مشروطة بوجود سلطة شرعية مبسوطة اليد، وهي لم تكن متحققة للأئمة المعصومين (عليهم السلام) بعد الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام).

وجوابه واضح مما تقدم في صحيحة زرارة بأن وجوب إقامتها مشروط بعدم الخوف، وقد كان الأئمة (عليهم السلام) يعيشون في ظل حصار قاسٍ وملاحقة شرسة من الطواغيت الذين يعتبرون أنفسهم سلطة شرعية وإن إقامة الجمعة من وظائفهم، ومن نازعهم فيها فهو بنظرهم خارجي يستحق القتل، وقد انتهت حياتهم (عليهم السلام) فعلاً بالشهادة، أما غيرهم ممن لا يخافون الضرر فتجب عليهم، ففي صحيحة زرارة قال: (حسنا أبو عبد الله (عليه السلام) على صلاة الجمعة حتى ظننت أنه يريد أن نأتيه، فقلت: نغدو عليك؟ فقال: لا، إنما عنيت عندكم)^(١)، فعدم إقامتها لا لقصور مقتضي دليل الوجوب التعيني كما فهم المشهور وإنما لوجود المانع، وقد صحح الإمام بنفسه هذا الوهم لدى بعض أصحابه وحثهم على إقامتها في الأمصار التي لا تعاني من رقابة السلطة، ففي موثقة عبد الملك قال: (قال أبو جعفر (عليه السلام): مثلك يهلك ولم يصل فريضة فرضها الله، قلت: كيف أصنع؟ قال: صلوا جماعة يعني صلاة الجمعة)^(٢).

ولذا لم يقيمها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مكة قبل الهجرة لأنه كان في حال الاستضعاف والخوف، لكن المسلمين من أهل يثرب الذين بايعوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في العقبة أقاموها والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يهاجر إلى المدينة بعد إمامة أسعد بن

(١) وسائل الشيعة: ٣٠٩/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها/ باب ٥/ ح ١.

(٢) وسائل الشيعة: ٣١٠/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها/ باب ٥/ ح ٢.

زرارة وصلّى بهم يومئذ ركعتين وذكّرهم^(١).

ورؤي^(٢) عن ابن عباس وابي مسعود الانصاري: أنه أذن للنبي (صلى الله عليه وآله) بصلاة الجمعة في مكة قبل أن يهاجر ولم يستطع أن يجمع بمكة، فكتب الى مصعب بن عمير - الذي بعثه النبي (صلى الله عليه وآله) الى المدينة قبله للتبليغ والدعوة- أن يقيمها في المدينة فكان أول من أقام الجمعة بالمدينة قبل أن يقدمها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولأهمية حفظ المؤمنين من الضرر فقد لوحظ هذا الشرط حتى في صلاة الجماعة يوم الجمعة خشية أن ينقل خبر عنهم إلى الظلمة بأن لهم جمعة غير جمعة السلطة، ففي موثقة ابن بكير (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قوم في قرية ليس لهم من يجمع بهم الصلاة أ يصلّون الظهر يوم الجمعة في جماعة؟ قال: نعم إذا لم يخافوا)^(٣).

أما تعليق الوجوب التعيني على حضور الإمام المعصوم (عليه السلام) وعدمه في الغيبة فمما لم يتم عليه دليل كما فصلنا في البحث الفقهي، وهو لا يناسب الاهتمام العظيم للشارع المقدس بإقامة صلاة الجمعة والعقوبة الشديدة لتاركها من غير عذر، والمصالح الدنيوية والأخروية المترتبة عليها، فهي رمز وحدة المسلمين وتآلفهم وقوتهم وعزّتهم ومنعتهم، وباجتماعهم للجمعة تتوثق الأواصر بينهم وتكون باباً لمشاريع الخير والتعاون بينهم، لذا لم تشرع في

(١) الدر المنثور: ١٥٩/٨، مجمع البيان: ٧/١٠.

(٢) الدر المنثور: ١٥٩/٨، مجمع البيان: ٧/١٠.

(٣) وسائل الشيعة: ٣١٠/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها/ باب ١٢/ ح ١.

المدينة الواحدة إلا صلاة جمعة واحدة، وفي خطبتها زاد فكري ومعنوي يحصلون عليه أسبوعياً، ويتعرفون من خلالها على حل مشاكلهم والمواقف المطلوبة إزاء مختلف القضايا والتحديات التي تواجههم، حيث جعل الأئمة (عليهم السلام) من حق المسلمين على إمام الجمعة (أن يعلمهم من أمره ونهيه ما فيه الصلاح والفساد)^(١)، وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله: (إنما جعلت الخطبة يوم الجمعة لأن الجمعة مشهد عام فأراد أن يكون للأمر سبب إلى موعظتهم وترغيبهم في الطاعة وترهيبهم من المعصية، وتوقيفهم على ما أراد من مصلحة دينهم ودنياهم، ويخبرهم بما ورد عليهم من الآفاق من الأحوال التي لهم فيها المضرة والمنفعة، ولا يكون الصابر في الصلاة منفصلاً وليس بفاعل غيره ممن يؤم الناس في غير يوم الجمعة، وإنما جعلت خطبتين ليكون واحدة للثناء على الله والتمجيد والتقديس لله عز وجل، والأخرى للحوائح والأعذار والإنذار والدعاء، ولما يريد أن يعلمهم من أمره ونهيه ما فيه الصلاح والفساد)^(٢).

ولا يمكن تصور أن وجوبها مقتصر على عدة سنوات من حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلافة أمير المؤمنين والحسن (صلوات الله عليهما)، ولا يوجد ما يصلح لتقييد إطلاق صحيحة زرارة المتقدمة التي حدّدت المعذورين، وما استدلل به من الروايات على هذا الشرط غير تام وغاية ما يفهم منه أن إقامة صلاة الجمعة من الواجبات الاجتماعية - بحسب مصطلحنا - التي يكون أمرها بيد الإمام المعصوم (عليه السلام) عند حضوره ونائبه الخاص أو العام - أي

(١) علل الشرائع - الشيخ الصدوق: ٢٦٥/١.

(٢) وسائل الشيعة: ٧ / ٣٤٤ / أبواب صلاة الجمعة وآدابها / باب ٢٥ / ح ٦.

الفقيه الجامع للشرائط-، وعليه تحمل كلمات فقهائنا (رضوان الله تعالى عليهم اجمعين) قال المحقق الحلي (تذت): (السلطان العادل أو نائبه شرط وجوب الجمعة وهو قول علمائنا)^(١)، وقال المحقق الكركي (تذت): (يشترط لوجوب الجمعة السلطان العادل وهو الإمام أو نائبه عموماً أو في الجمعة بإجماعنا)^(٢)، فلا يجوز لأحد غير الفقيه المتصدي للأمر العامة بعنوان المرجعية العامة أو ولي الأمر ونحوهما إقامتها إلا بإذنه، شأنها في ذلك شأن إقامة الحدود والقضاء بين الناس والجهاد، وقد دلت على هذا عدة روايات كقوله في دعائم الإسلام روينا عن علي (عليه السلام) أنه قال: (لا يصلح الحكم ولا الحدود ولا الجمعة إلا للإمام أو من يقيمه الإمام)^(٣) والمروي عن كتاب الأشعيات (إن الجمعة والحكومة لإمام المسلمين)^(٤)، وكذا روي عنهم (عليهم السلام): (لنا الخمس ولنا الأنفال ولنا الجمعة ولنا صفو المال)^(٥)، والنبوي المشهور (أربع إلى الولاية الفئ والحدود والصدقات والجمعة)^(٦)، وفي رسالة الفاضل ابن عصفور روى مرسلًا عنهم (عليهم السلام) (ان الجمعة لنا والجماعة لشيعتنا)^(٧).

وفي الصحيفة السجادية المعلوم أنها من السجاد (عليهم السلام) في دعاء يوم

(١) المعتبر في شرح المختصر: ٢٧٩/٢، جواهر الكلام: ١٥٣/١١.

(٢) جامع المقاصد: ٣٧١/٢، جواهر الكلام: ١٥٤/١١.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٤١٣/١.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ٤١٣/١.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٩/ ص ٥٣٢.

(٦) منتهى المطلب (ط.ق): ٣١٧/١.

(٧) من لا يحضره الفقيه: ٤١٣/١، جواهر الكلام: ١٥٨/١١.

الجمعة وثاني العيدين (اللهم إن هذا المقام مقام لخلفائك وأصفيائك ومواضع أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها وأنت المقدر لذلك - إلى أن قال - حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين يرون حكمك مبدلاً - إلى أن قال - اللهم العن أعداءهم من الأولين والآخرين ومن رضي لفعالهم وأشياعهم لعناً وبيلاً)^(١).

ولذا ورد في خبر عبد الله بن ذبيان^(٢) عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (يا عبد الله ما من يوم عيد للمسلمين أضحى ولا فطر إلا وهو يجدد الله لآل محمد (عليه السلام) فيه حزناً، قال: قلت: ولم؟ قال: إنهم يرون حقهم في أيدي غيرهم)^(٣).

(١) الصحيفة السجادية (ابطحي): ٣٥١.

(٢) بحسب التهذيب، وفي الكافي (دينار)، وفي الفقيه (سنان).

(٣) وسائل الشيعة: ٤٧٥/٧ / كتاب الصلاة / أبواب صلاة العيد / باب ٣١ / ح ١.

خطاب المرحلة

(٧٠٨)

خلال استقباله لوفدٍ من مجلس شورى علماء أفغانستان

المرجع اليعقوبي يشدد على ضرورة دعم مجلس شورى العلماء في أفغانستان لتحقيق أهدافه النبيلة.. ويدعو الشعب الافغاني إلى الالتفاف حول العلماء والأخذ بتوجيهاتهم

استقبل^(١) سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) وفداً من علماء أفغانستان ضم العلامة المجاهد الشيخ أكبري نائب رئيس مجلس شورى العلماء وعدداً من مسؤولي المكاتب في المجلس، واستمع الى تقريرٍ عن الأوضاع العامة في أفغانستان ووضع شيعة أهل البيت (عليهم السلام) هناك.

وعبر سماحته (دام ظله) في بداية اللقاء عن حبه للشعب الافغاني الشقيق وتعاطفه مع مظلوميته ومعاناته الممتدة منذ أيام جهاده ضد الاحتلال السوفيتي عام (١٩٧٩م)، وتطلع سماحته الى غدٍ أفضل يتحقق على أيدي العلماء والنخب والكفاءات الأفغانية سواءً الموجودين في داخل البلاد وخارجه.

وشدد سماحته على ضرورة تقوية مجلس شورى العلماء وتمكينه من تحقيق أهدافه النبيلة التي أسس من أجلها والمحافظة على الإنجازات التي حققها على مستوى المناهج الدراسية، وقانون الأحوال الشخصية، والتمثيل السياسي، وحثهم على التفاني في خدمة أيتام آل محمد (صلى الله عليه وآله) بحسب تسمية

(١) يوم السبت ١٤ جمادى الثاني / ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٠٢٣/٧/١م.

الأئمة المعصومين (سلام الله عليهم اجمعين)، فإن رعايتهم والاهتمام بأمورهم من أعظم القربات الى الله تبارك وتعالى^(١)، وإن الابتلاءات العظيمة التي يمر بها الشعب الافغاني بالرغم من شدة المها فانها تمثل فرصاً من الطاعة ونبيل الثواب بقدر إحساننا والتعاطي معها بنبل وشهامة ونكران للذات.

وأوصى الشعب الافغاني المسلم بالالتفات حول العلماء والاهتداء بتوجيهاتهم الحكيمة للحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية وتركيبتهم الاجتماعية، وصدّ الهجمات الفكرية، وردّ الشبهات العقائدية، فإن الناس تكون بخير كلما كانت قريبة من العلماء ومصغية لهم.

ورأى سماحته أن من واجب المرجعيات الدينية أينما وجدت دعم الحوزات العلمية المنتشرة في المدن والقرى الأفغانية مادياً ومعنوياً لتمكينها من اداء دورها الرسالي.

واعتبر سماحته أن من أوليات العمل مدّ جسور الأخوة والتواصل مع سائر الطوائف والاعراق الأفغانية، ليكونوا يداً واحدة تبني بلداً مزدهراً وينفض عنه ركام الحروب، فيكفيه ما نزع من دماء وقدم تضحيات خلال العقود الأخيرة، وأن يتجنبوا استفزاز الآخرين واعطاهم المبرر لمعاداتهم والإضرار بهم.

كما حمّل سماحته المسؤولين الأفغان الذين غادروا البلاد مسؤولية المساهمة في تنشيط القطاع الخاص من خلال استثمار أموالهم في مشاريع صناعية، وزراعية، وتجارية، لتشغيل العاطلين عن العمل وتوفير فرص الحياة

(١) أنظر: الاحتجاج - الشيخ الطبرسي: ٩/١، تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ٣٤٤.

الكريمة لكثير من العوائل المحرومة المتعففة، وإن توفير بيئة آمنة وفرص استثمار ناجحة، سيدفع غير الأفغان الى استثمار أموالهم داخل البلاد.
وفي ختام اللقاء عبّر الوفد عن شكره للرعاية التي يقدمها سماحة المرجع (دام ظلّه) ووقوفه مع الشعب الافغاني في محنته وظروفه الحالكة.

خطاب المرحلة

(٧٠٩)

﴿يُجْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾

(الحشر: ٤)

أسباب انهيار الحضارات والدول^(١)

سورة الحشر جليلة القدر ووردت بعض الروايات في فضلها والثواب العظيم في تلاوتها، كالمروي عن رسول الله (ﷺ): (من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا الحجب والسموات السبع ولا الأرضون السبع والهواء والريح والطير والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة إلا صلوا عليه واستغفروا له، وإن مات في يومه أو في ليلته مات شهيداً)^(٢)، وقوله (ﷺ): (مَنْ قرأ هذه السورة كان من حزب الله المفلحين، ولم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي.. الحديث)^(٣).

وهي تحكي تفاصيل غزوة بني النضير وهم إحدى قبائل اليهود الثلاث الذين سكنوا حول المدينة ترقباً للنبي الموعود الذي تكون دولته في أرض

(١) محاضرة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبه البحث الخارج ضمن سلسلة محاضراته في تفسير (من نور القرآن) يوم الأربعاء ٢٣/رجب/١٤٤٤هـ - الموافق ٢٠٢٣/٢/١٥م.

(٢) وسائل الشيعة: ٦/٢٥٧/٢٥٧، أبواب قراءة القرآن ولو في غير الصلاة/ باب ٥١/ح ٣١، ثواب الأعمال: ١١٨.

(٣) البرهان في تفسير القرآن، للسيد هاشم البحراني: ٣٣١/٥، تفسير سورة الحشر.

يثرّب فأرادوها لهم. وقد وقعت في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة أي بعد معركة أحد بستة أشهر، وكان النبي (ﷺ) قد عقد معاهدة سلام وحسن جوار مع اليهود عند نزوله المدينة، وكفل لهم حقوقهم لكن بني النضير نقضوا العهد وتحالف وفد منهم برئاسة زعيمهم كعب بن الأشرف مع قريش لمناصرتهم عند هجومهم على المدينة، فأخبر الله تعالى نبيه بهذا الحلف، ثم إنهم تآمروا على قتل النبي (ﷺ) حين قصدهم مع جمع من أصحابه طالباً المساعدة في دفع دية قتيلين من بني عامر وهم حلفاء بني النضير كان أحد المسلمين قد قتلها اشتباهاً، فصعد أحدهم إلى سطح دار كان النبي (ﷺ) يستند إلى جدارها ومعه حجر كبير ليقتل به رسول الله (ﷺ)، فأعلمه الله تعالى بعزم القوم فعاد النبي (ﷺ) إلى المدينة فوراً وأرسل وفداً إليهم يأمرهم بالجلء عن المدينة فلم يكثرثوا وأجابوه بالتحدي والحرب، فأمر أصحابه بالاستعداد لتأديب بني النضير الذين ظنوا أن لا أحد يقدر على غلبتهم وإخراجهم من أرضهم لقوتهم المادية والعديدية فاغتروا بها وغفلوا عن قدرة الله تعالى على فعل ما يريد سبحانه بجنود لا يرونهم وهذا هو تفكير القوى المادية وهو قائم إلى اليوم، فتحصنوا بقلاعهم ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ (الحشر: ٢)، فلم يتوقع أحد منهم ولا من المسلمين هزيمتهم بهذه السهولة، لكن الله تعالى شاء ذلك وفعل وأجرى إرادته بأيديهم جلّت قدرته، وأغراهم انهزام المسلمين في معركة أحد فظنوا أنهم قادرون على المواجهة، وخذعهم منافقو المدينة بأننا سننصركم ونقاتل معكم إن حاربتكم النبي (ﷺ) لكنهم

خذلوهم ولم يفوا لهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ (الحشر: ١١-١٢)، وقاموا بعدة محاولات لإحداث خرق في جيش المسلمين لكنهم لم يفلحوا وأفضل أمير المؤمنين (عليه السلام) وعشرة من الأصحاب هذه المحاولات البائسة وقتل (عليه السلام) رأس الجماعة المهاجمة^(١)، وأستمر الحصار حتى دخلهم اليأس مضافاً إلى وهنهم بقتل رئيسهم كعب بن الأشرف^(٢) قبل ذلك حيث اغتاله أحد المسلمين بأمر رسول الله (ﷺ) لأنه كان يحرض قريشاً على الثأر لقتلى بدر ويتعرض للنساء المسلمات ويتغزل بهن ويؤذيهن، وقد تملكهم الرعب فوافقوا على ما عرضه رسول الله (ﷺ) عليهم من الجلاء عن أرضهم وديارهم وممتلكاتهم وتركها للمسلمين مقابل سلامتهم ولهم ما حملت الإبل عدا السلاح (فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(٣) بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به)^(٤).

أقول: وهذا ما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ لأخذ ما يمكن حمله ولتشكل الأنقاض عائقاً أمام تقدم المسلمين كما تفعل الجيوش

(١) راجع السيرة الحلبية: ٥٦٢/٢.

(٢) راجع تفاصيل الحادثة في سيرة ابن هشام: ١٠٩/٣.

(٣) النجاف: عتبة الباب العليا.

(٤) سيرة ابن هشام: ١٠٩/٣.

المنسحبة عادةً، ولكي لا تقع صالحةً سليمةً بأيدي المسلمين فيستفيدوا منها، ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فكان المسلمون - من الخارج - يهدمون ما يعيق حركتهم من الحصون وهم يخربونها من الداخل.

فذهب بعضهم إلى خيبر وآخرون إلى الشام وقيل إلى الحيرة^(١) أيضاً. وهو الجلاء والحشر الذي ذكرته السورة وسميت به ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ (الحشر: ٢).

ولأن النخيل كانت تشكل مانعاً طبيعياً يمنع تقدم المسلمين والاشتباك المباشر مع العدو ويعطي أملاً للعدو بالأمن والسلامة مما يطيل أمد الحرب، فقد أمر النبي (ﷺ) بقطع بعض النخيل التي لا يقتاتون منها وحرقتها، وأستغل اليهود هذا الفعل لإثارة الشبهة والشك في فعل النبي (ﷺ) وقيادته المباركة، فنزهه الله تعالى عن سوء الفعل، وقال سبحانه مشيراً إلى هذه الحركة العسكرية بقوله سبحانه: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الحشر: ٥)، فهذا الفعل بأمر الله تعالى ولم يكن فساداً في الأرض ولا انتقاماً ولا عبثاً.

ثم أمرت الآية الكريمة بأخذ العبرة والموعظة من هذه الحوادث ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ حتى لا يكرروا الخطأ، لكن بني النضير لم يعتبروا بالقبيلة اليهودية التي سبقتهم إلى التمرد ونقض العهد، وهم بنو قينقاع قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الحشر: ١٥)، حيث غزاهم النبي (ﷺ) بعد معركة بدر وأوقع بهم.

إن عنوان البيت في الآية الكريمة يمكن توسعته إلى المأوى المعنوي والاعتباري الذي يلجأ إليه الأفراد ويجمعون فيه ويستمدون منه هويتهم، ويجدون فيه ما يحتاجون من أسباب الأمن والاستقرار والرفاه والسعادة، كالدولة والأمة والحضارة، وحينئذ يكون معنى تخريبهم لبيوتهم هو عدم المحافظة على أوضاعهم الاقتصادية القوية واستقرارهم الأمني ونفوذهم الاجتماعي بتوجههم إلى الغدر ونقض العهد مع رسول الله (ﷺ) والتأمر على قتله.

وبناءً على هذا التوسع في المعنى نستطيع القول: إن هذا الجزء من الآية الكريمة يؤسس نظرية اجتماعية سياسية في فهم سرّ انهيار الحضارات والدول والمجتمعات بأنها ترجع إلى عاملين:

١- خارجي: وهم الأعداء المتربصون الذين ينتظرون الفرصة المؤاتية للانقضاض عليهم وإحكام السيطرة عليهم.

٢- داخلي: لفقدانهم الروح المعنوية وتعويلهم على القوى المادية من سلاح ومال وكثرة عددية، وهي وحدها لا تصنع النصر.

وهذا العامل الداخلي هو الأقوى في التأثير، وقد لا يحتاج العدو الخارجي إلى أكثر من إحداث هذه الهزيمة الداخلية. وهذا ما حصل لبني النضير فقد هُزموا من داخلهم من دون قتال وسلّموا أراضيهم وأموالهم وممتلكاتهم مقابل النجاة بأنفسهم وهي نتيجة طبيعية لمن لا يمتلك مبادئ سامية يقاتل من أجلها.

وهذه النظرية جديرةٌ بالتأمل والاعتبار كما أمرت به الآية الكريمة،

والاستفادة منها في صراع الحضارات، وقد ذكرت السورة جملة من هذه العوامل الداخلية التي تنخر كيان الأمة وتمزقها وتضعفها وهدرت منها وعلى رأسها:

١- فقدان التقوى والوازع الديني ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر: ١٨-١٩).

٢- عدم طاعة القيادة الحقبة ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر: ٧).

٣- الاستئثار بالمال والتمايز الطبقي وغياب العدالة الاجتماعية ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر: ٧).

٤- الخلافات الداخلية بسبب التعصب والعنصرية والتحزب مما يؤدي الى صراعات تمزق الأمة لذا شدّد على التماسك الاجتماعي ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩).

ومن أمثلة التاريخية التي توضح هذه النظرية: هزيمة المسلمين في الأندلس بعد أن حكموها أكثر من ثمانمائة عام ولم تقدر الأمم الأوروبية على هزيمتهم، لكن ملوكهم لما انهمكوا في ملذاتهم ولهوهم وشهواتهم ولم يقيموا العدالة الاجتماعية وبددوا ثروات البلاد، وصمّوا اذانهم عن سماع

الحق، وغفلوا عن أمور الشعب والدولة وأصبحت أمورها تدار من قبل الخدم والجواري وبعضهن من الجاسوسات الأوربيات وانشغل الأمراء بصراعاتهم الداخلية التي مزقتهم إلى دويلات وإمارات واستعان بعضهم بالممالك الأوربية على إخوانهم المسلمين، وبفقدانهم لكل القيم المعنوية ومقومات الصمود تمكنت جيوش الأعداء من هزيمتهم فاستسلموا وسلموا البلاد لهم ولحقهم خزي الدنيا وعذاب الآخرة بتضييعهم هذا الجزء المهم من بلاد المسلمين.

ومن التطبيقات المعاصرة لهذه النظرية الإتحاد السوفيتي الذي كان يمتلك قدرات هائلة مكنته من الوقوف مقابل حلف شمال الأطلسي طيلة عقود الحرب الباردة، لكن عوامل الضعف نخرت كيانه من الداخل خصوصاً بعد احتلاله أفغانستان عام (١٩٧٩م) ودخوله في حرب مفتوحة مع الشعب الأفغاني المسلم، فانهار من الداخل بدون قتال وانحل الإتحاد عام (١٩٩١م) وتشظى إلى دول عديدة تشهد بعضها صراعات فيما بينها.

والحضارة الغربية سائرة اليوم بهذا الاتجاه خصوصاً بعد اتخاذ أكثر حكوماتهم قراراً بإباحة زواج المثليين وتغيير الجنس وهو عامل تخريب قوي لمقومات الأمة وهي الأسرة، كما أن التخلي عن المبادئ الإنسانية السامية والتجرد من المعنويات ومن الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والخواء الفكري والأيدولوجي الذي يعيشونه، وإشاعة ثقافة اللهو والمجون والعبث واللهات وراء الشهوات وهوس التفاهات يسلب منهم القدرة على استمرار الحضارة، ويجعلهم مجتمعات كسولة مخدرة غير منتجة، لذا تجدهم يستعينون بالمهاجرين من البلاد الأخرى لتسيير حياتهم، وهذه كلها أمور تنسف أساس

الحضارة، وسيأتي اليوم الذي يزيح هؤلاء المهاجرون سكان تلك البلاد ويحلّون محلّهم ﴿وَأَوْزَتْكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطُّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢٧).

فعلينا أن نستيقظ ونحذّر من تسرّب هذه العناصر المدمّرة إلى مجتمعاتنا الإسلامية، بل علينا أن ننقل إليهم ما عندنا من منهج ربّاني يصلح البشرية ويسعدها لننقذهم مما هم فيه من الضياع.

خطاب المرحلة

(٧١٠)

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

(النحل: ٩٧)

الإسلام يحقق الرفاه في الدنيا والسعادة في الآخرة^(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).
وعد من الله تعالى و﴿إِنَّ اللَّهَ لَأَيُّخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ٩) على
نحو قانون عام ثابت تنشرح له النفس ويطمئن به القلب وتنشط به الجوارح
خصوصاً للنساء اللواتي صودرت حقوقهن وأهينت كرامتهن وأنقصت
درجاتهن.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ أي عمل صالح، سواء كان العمل صغيراً أو كبيراً،
ظاهراً أو خفياً، واحداً أو متعدداً فإنه مشمول بالآية الكريمة، وهذا يدعونا إلى
عدم التقاعس عن القيام بأي عمل مادام صالحاً ولا نقلل من شأن شيء منه،
لأننا لا نعرف قيمة العمل ولا نعلم أثره، فقد أخفى الله تعالى رضاه في طاعته،
حتى يكون ذلك حافزاً للقيام بكل عمل صالح.

﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ﴾ بيان للتأكيد على عدم الفرق بين الذكر والأنثى في

(١) قيس قرآني القاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبية البحث ضمن

دروسه التفسيرية كل اربعاء يوم ٢٢/شعبان/١٤٤٤هـ - الموافق ٢٠٢٣/٣/١٥م.

العمل وفي الجزاء، ولا في الواجبات والاستحقاقات، فالخطاب لهما واحد على حد سواء، ولكل منهما القابلية على نيل الكمالات، وقد كانت ﴿مَنْ﴾ في بداية الآية كافية للدلالة بإطلاقها على شمولها للذكر والأنثى على السواء، لكن جيء بهذا التفصيل لتأكيد هذه الحقيقة، حيث سجّلت سورة النحل قبل ذلك عقيدة الجاهلية في الأنثى وضيق نفوسهم بها، وسطّرت جملة من صور احتقار المرأة كاستيلاء من يُبشّر بولادتها وتواريه عن الناس قال تعالى في نفس سورة النحل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ إِلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل: ٥٨-٥٩).

فتساوي الآية الكريمة بين الذكر والأنثى في العمل الصالح والجزاء الحسن بشرط أن يحسنوا مقدمات الحصول على الحياة الطيبة، ومنها مراعاة الاحكام الخاصة لكل منهما مضافاً الى الاحكام المشتركة بينهما ولا يجوز للمرأة تجاوزها باسم المساواة ونحو ذلك ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢٩) وقد تتورط المرأة باسم العرفان والسلوك الى الله تعالى وتغريها بعض الكلمات المعسولة من قطاع الطرق وشياطين الإنس فتقع فريسة لهم بسذاجتها وجهلها وكان عليها أن تعلم من أول الطريق أن (العفة رأس كل خير)^(١) كما ورد عن الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وهي قد أضاعت العفة عندما ارتبطت بهؤلاء الماكرين على (الخاص) وتبادلوا الكلمات العاطفية فالحذر الحذر.

وفي الآية تطمين للمرأة بان حقها ثابت، وكرامتها محفوظة، وأن الامتihan والانتقاص الموجودين في القوانين الأرضية والدينية المُحرّفة لا يمتّان إلى الدين الإلهي بصلة، وهذا غاية ما يُقال في المساواة بين الرجل والمرأة، ودعك من عقائد الجاهلية وأحاديث المتشدين بظلم المرأة والحيث عليها والمطالبة بحقوقها، فهذا هراء يُعرف القصد منه، ولن تجد الكرامة والعدالة والمساواة إلا في ظل الإسلام، وإنما يريدون بدعواتهم هذه إفساد المجتمع، وإخراج المرأة من عفافها وحيائها لتتحول إلى سلعة تحقق المتعة لهم، ثم يرمونها على قارعة الطريق.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الواو حالية: فكون العمل صالحاً ظاهراً لا يكفي في الحصول على الدرجات الرفيعة، ما لم يقترن بالإيمان، وما لم يصدر بنية خالصة لله تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٥)، فكم من عمل يبدو صالحاً في نفسه إلا أنه غير مقبول، ولا يترتب عليه الجزاء الطيب لأنه لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى، كمن ينفق ماله رياءً أو يقاتل عصبية أو لغنيمة يطلبها، فإن حظه يكون تحقق الغاية التي أرادها، روي عن النبي (ﷺ) قوله: (إنما الأعمال بالنيات، إنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)^(١).

فلا بد أن يكون المؤمن دقيقاً من هذه الناحية ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ

(١) بحار الانوار: ٢١٣/٦٧، عن غوالي اللثالي.

بَصِيرَةً ﴿القيامة: ١٤﴾ وربما يظهر من بعض الروايات أن هذه النية تخفى حتى على الملك الرقيب على الإنسان، روى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فإذا صعد بحسناته يقول الله عز وجل: اجعلوها في سجين، إنه ليس إياي أُرَاد بها^(١).

ولعل تقديم العمل على الإيمان في الآية لإلفات النظر إلى أن العمل يعكس حقيقة الإيمان، ويكشف عن صدقه ولا ينفع إيمان إلا مع عمل، كما لا ينفع العلم إلا بالعمل به.

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ﴾ أي من يعمل صالحاً وهو مؤمن يفيض الله تعالى عليه حياة أخرى ارقى من الحياة الاعتيادية التي يشترك فيها مع جميع الناس، ولعلها المقصودة بالمرتبة الثالثة أو الرابعة من مراتب النفس الإنسانية بحسب تقسيم أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَام)^(٢)، وهي الحياة الإنسانية الحقيقية أما غير المؤمن فليس كذلك لأن حياته جسدية حيوانية لا تزيد عن فعاليات الحيوان فهو مثله يأكل ويشرب ويتحرك وينام وينكح، وقد يزيد على الحيوان بوجود عقل نظري يتقن به بعض العلوم لكنه يفتقد الحياة المعنوية التي يتميز بها الإنسان، واستحق بها أن يكون خليفة الله في أرضه؛ لذا ضرب القرآن الكريم مثلاً لحياة غير

(١) الكافي: ٢/٢٢٣/ح ٧.

(٢) روي عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَام) قوله لكميل بن زياد النخعي: (يا كميل، وأي الأنفس تريد أن أعرفك؟ قلت: يا مولاي هل هي إلا نفس واحدة؟ قال: يا كميل إنما هي أربعة: النامية النباتية، والحسية الحيوانية، والناطقة القدسية، والكلية الإلهية) (بحار الأنوار: ٨٥/٥٨).

المؤمنين بالأرض الهامدة والميتة فاذا انزل الله تعالى عليها برحمته ماء الايمان والمعرفة بالله فإنها تنتعش وتزدهر قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: ٥).

((الجملة بلفظها دالة على أن الله سبحانه يكرم المؤمن الذي يعمل صالحاً بحياة جديدة غير ما يشاركه سائر الناس من الحياة العامة، وليس المراد به تغيير صفة الحياة فيه وتبديل الخبيثة من الطيبة مع بقاء أصل الحياة على ما كانت عليه، ولو كان كذلك لقليل: لنطيين حياته فالآية نظير قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ (الأنعام: ١٢٢))^(١).

((وليست هذه الحياة الجديدة المختصة بمنفصلة عن الحياة القديمة المشتركة، وإن كانت غيرها فإنما الاختلاف بالمراتب لا بالعدد فلا يتعدد بها الإنسان كما أن الروح القدسية التي يذكرها الله سبحانه للأنبياء لا توجب لهم إلا ارتفاع الدرجة دون تعدد الشخصية))^(٢).

﴿حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ صفة للحياة التي يختص بها المؤمنون بلطف الله تعالى وتأييده ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢) ويتنعمون بها، وهذا الوعد مطلق فهو لا يختص بحياة الآخرة وإنما يكون ذلك في الدنيا أيضاً ولا ينافي الآيات التي دلت على اختصاص الآخرة بصفة الحياة باعتبارها المستمرة الباقية والحقيقية كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر: ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت: ٦٤)

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٣٤١ / ١٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٣٤٣ / ١٢.

فهذا الوصف بلحاظ خلودها وعدم فنائها في الدنيا، اما الوعد بالحياة الطيبة فإنه لحاظ آخر لا مانع من أن تكون مطلقاً فيشمل الدنيا بإطلاقه، فإن من ذكرتهم الآية يتنعمون بالجنة وهم في الدنيا، كما ورد في خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف المتقين: (...فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ)^(١)، وتوجد أدلة من القرآن الكريم والسنة الشريفة على أن الإنسان يعيش الجنة والنار في حياته الدنيوية بنحو من الأنحاء.

بل لعلّ هذا الوعد متعين في الدنيا، لأن حسن جزاء الآخرة مذكور في نهاية الآية ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ وهو أوضح في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر: ٤٠).

ووصفها بالطيبة مطلق ولا يختص بجهة معينة من الحياة، فهي آمنة مطمئنة سعيدة هادئة هانئة، تمتزج فيها المبادئ السامية مع العيش الرغيد، وليس من الضروري أن يتحقق ذلك بمال وفير أو جاه عريض أو سلطة قوية، وتزداد طيبة هذه الحياة بأن الله تعالى نسبها إليه مباشرة ﴿لَنُحْيِيَنَّهٗ﴾ فالمؤمن العامل للصالحات يدبره الله تعالى بحسن صنيعه، ويختار له الخير في جميع أموره، فالله تعالى ينصره في كل مواطن المواجهة وبكل أشكالها ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١)، ويتولى أمره ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (فصلت: ٣١)، ويزيل عنه الهم والحزن ويبشّره ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَأُولَٰئِكَ لَمْ يَخْزَنُوا *

الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ
لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ يونس: ٦٢ - ٦٤ ﴾.

ومما يميّز هذه الحياة الطيبة حصول نور الفرقان في قلبه ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي
أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
(يوسف: ١٠٨)، فيميّز بين الحق والباطل فيعرض عن الباطل ويتعلق بالحق
﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ (يونس: ٨٢). وغير ذلك من المنن الالهية
العظيمة، وتحقق بها استجابة لدعائهم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١).

وقد فسرت الحياة الطيبة في الروايات بمعان عديدة: منها: القنوع^(١) كما
عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة والإمام الصادق (عليه السلام)، وكلها
مصاديق لما يوجب الحياة الطيبة، أو إنها من آثارها على حياة الإنسان كقول
ابن عباس: (أنها السعادة)^(٢).

وتكون النتائج أوضح لو أن المجتمع عمل بهذا القانون فإن حياته الطيبة
ستتجلى في الأمن والسلام والمحبة والتكامل والرفاه والإيثار، وسيزول عنه
الظلم والطغيان والاستبداد والاستكبار والاستعباد وعبادة الأهواء والطواغيت،
ولذا فإن هذه الحياة الطيبة ترتبت على العمل الصالح وليس الإيمان وحده،
وهذه نتائج طبيعية لأنهم سيتصلون بالله تعالى وسيفيض عليهم من صفاته
الحسنى بما يناسب درجاتهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا

(١) نور الثقلين: ٣/ ٨٣، بحار الأنوار: ٦٨ / ٣٤٥.

(٢) الدر المنثور: ٥ / ١٦٤.

أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ
 وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿المائدة: ٦٦﴾، وقال تعالى في الأمم التي تنكّرت
 للإيمان والعمل الصالح فسلبت نعمتا الغذاء والأمن ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً
 كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا
 اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿النحل: ١١٢﴾، وقال تعالى:
 ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ
 وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ
 وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ
 جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ ﴿سبأ: ١٥-١٧﴾.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فإن الله تعالى وعد عباده
 ﴿إِنَّا لَأَنزِعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠)، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام: ٨٤)، وإذا كان عملهم الصالح متفاوتاً في الحسن بحسب
 إقبال قلوبهم ونشاط جوارحهم وتهيئة الظروف المناسبة، فإن الله تعالى
 سيعطيهم الجزاء وفق أحسن عمل قدموه، كالأستاذ الذي يمتحن طلابه عدة
 مرات ثم يحتسب لهم أعلى درجة أحرزوها، أو كتاجر محسن يأتي إلى
 صاحب بضاعة مختلفة في الجودة والسعر فيأخذها كلها بسعر أفضلها، هذا
 بلحاظ عملهم، أما بلحاظ كرم الله تعالى وفضله فإن حسن الجزاء سيزداد بغير
 حساب ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ
 فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٦١) فيكون المعنى
 بأحسن مما كانوا يعملون، وهذا معنى ثانٍ للأحسنية، ويمكن أن يكون المعنى

أنهم إذا كان في عملهم طاعة ومباح إحتسب المباح طاعة كقول النبي (ﷺ):
 (ونومكم فيه عباده)^(١)، وفي وصيته (ﷺ) لأبي ذر أن النكاح يكون عبادة^(٢)
 وفي بعض الأحاديث أنه إذا فاتته طاعة لمرض ونحوه كتبت له^(٣) وهكذا.
 وهنا معنى رابع بأن يكون الأحسن بمعنى الحسن المحض مقابل السيئ
 فيكون المعنى أن الله تعالى يجزيهم على أعمالهم الحسنة فقط أما السيئة فلا
 يحاسبهم عليها لأنه سبحانه سيغفرها لهم برحمته ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ
 أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر: ٤٠)،
 أي لا يحاسبهم عليها أو يبدلها حسنات ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ
 حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان: ٧٠).

والوعد بالحياة الطيبة في الدنيا يدعونا إلى تصحيح أسلوب الخطاب
 الديني فإننا حين ندعو الناس إلى الالتزام بالدين والعودة إلى الله تبارك وتعالى
 نقدّم لهم وعوداً بالجزاء في الآخرة بأنهم سيدخلون الجنة ويتنعمون بها، وهذا
 لا يكفي لإقناع الناس بالدين لأنهم أبناء هذه الدنيا ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾
 (القيامة: ٢٠) وهم يفكرون في تحسين أوضاعهم المعاشية ويسرون خلف من
 يضمن لهم ذلك فلا بد أن تبين لهم أن الدين ليس فقط مشروعاً لإصلاح
 الآخرة بل هو مشروع لسعادة الدنيا أيضاً، وهذا منهج قرآني، فإنه في أوائل
 البعثة الشريفة لما دعاهم إلى عبادة الله تعالى كفل لهم أهم حاجتين الغذاء

(١) الأمالي - الشيخ الصدوق: ١٥٤.

(٢) أنظر: كنز العمال - المتقي الهندي: ٤١٧/٦-ح/١٦٣٣٧.

(٣) أنظر: وسائل الشيعة (آل البيت) الحر العاملي: ١/٥٠-ح/٢٠.

والأمن، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٣-٤) بل إن أول إنسان خلقه الله تبارك وتعالى وهو النبي آدم (عليه السلام) أبو البشر تعهد الله تعالى له بذلك قال عز وجل: ﴿إِنَّ لَكَ إِلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَكَأَ تَعْرَى * وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَكَأَ تَضْحَى﴾ (طه: ١١٨-١١٩)، وقد رغب الله تعالى المؤمنين في الجهاد بثواب الآخرة وغنيمة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ (الفتح: ٢٠).

ومن يتبّع أحاديث النبي واله (صلوات الله عليهم أجمعين) يجد هذه الرؤية واضحة، مثلاً في قضية الزواج تجد الأحاديث الأخروية كقول النبي (ﷺ): (من أحب أن يتبع سنتي فإن من سنتي التزويج)^(١)، وقول الإمام الصادق (عليه السلام): (ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين ركعة يصلوها أعزب)^(٢)، وتجد أيضاً حديث الإمام الباقر (عليه السلام) عن جده رسول الله (ﷺ) قال: (اتخذوا الأهل فإنه أرزق لكم)^(٣)، وقال الإمام الصادق (عليه السلام) لمن شكاه الحاجة: (الرزق مع النساء والعيال)^(٤).

أو قضية طلب العلم فقد وردت فيه أحاديث كقول النبي

(١) وسائل الشيعة: ١٧/٢٠ ط. مؤسسة أهل البيت (عليه السلام).

(٢) وسائل الشيعة: ١٨/٢٠.

(٣) وسائل الشيعة: ١٩/٢٠.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٠/٤٤ ح-٤-٥.

(ﷺ): (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)^(١)، وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (الشاخص في طلب العلم كالمجاهد في سبيل الله)^(٢)، كما ورد فيه مثل قول النبي (ﷺ): (من تفقه في دين الله كفاه الله همه، ورزقه من حيث لا يحتسب)^(٣).

ولا بد من الانتباه هنا إلى أن الأغراض الدنيوية يجب أن تكون في طول نية القربة إلى الله تعالى وتحت سقفها كما يقال، وليس في عرضها على نحو التشريك فضلاً عن كونها هي الغاية، فإنه خلاف الإيمان والإخلاص الذي اشترطته الآية الكريمة وغيرها، خُذ مثلاً حديث الإمام الصادق (عليه السلام) عن طلب العلم (من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة)^(٤).

وهكذا تجد عبادات كثيرة جعلَ جزاؤها دنيوياً معجلاً كتحصيل الذرية أو التوسعة في الرزق أو تفريج الهموم والغموم أو السعادة الزوجية أو راحة البال وغير ذلك، وهو لا ينافي الإخلاص وقصد القربة وتصحيح ذلك أنها من باب الداعي إلى الداعي أي أن الداعي إلى الصلاة تكون القربة إلى الله تعالى وأن الداعي إلى هذا الداعي هي

(١) تنبيه الخواطر: ١٧٦/٢، ميزان الحكمة: ١٥٦/٦.

(٢) ميزان الحكمة: ١٥٧/٦.

(٣) كنز العمال: ح ٢٨٨٥٥، ميزان الحكمة: ١٥٧/٦.

(٤) الكافي: ١/٤٦/٢، ميزان الحكمة: ١٦٤/٦.

هذه الحاجات والمطالب المعجّلة.

ومن يقرأ الأهداف التي أعلنها الإمام الحسين (عليه السلام) لخروجه يجد فيها إقامة السنة وإماتة البدعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويجد إلى جنبها إقامة العدالة الاجتماعية وتوفير الأمن وحرية التعبير عن الرأي وسائر حقوق الناس وتوزيع الثروات على الشعب بالعدل والعمل بالقانون وإبطال إمامة الجور ونحو ذلك من الأغراض التي تلبى الاحتياجات العاجلة للناس.

خطاب المرحلة

(٧١١)

العقيلة زينب (ع) تبشّر بعصر انتشار الإسلام الذي نعيشه^(١)

الحمد لله إننا نعيش عصر انتصار الإسلام المحمدي الأصيل وتقدمه، وإقبال البشرية عليه، وفي ذلك تصديق للوعد الإلهي الذي نقلته لنا العقيلة زينب (ع) بنت أمير المؤمنين (صلوات ربي عليهم اجمعين) عن جدها رسول الله (ﷺ) وحديثها عن ابن أخيها الإمام السجاد (ع) لتسليته ولتخفيف مصيبته بأبيه الإمام الحسين (ع) وأهل بيته، لما مرّ بهم جيش اللعين عمر بن سعد على مصارع الإمام الحسين (ع) وأصحابه ووجدهم مجزّرين كالأضاحي مقطوعي الرؤوس فكاد الإمام السجاد (ع) أن يموت ألماً وحرناً وهو يرى حجة الله في أرضه وسيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله (ﷺ) بهذا الحال.

فقد روى الشيخ الجليل ابن قولويه في كامل الزيارات عن الإمام السجاد (ع) حديثاً طويلاً عن فضل زيارة الإمام الحسين (ع) جاء فيه: (إنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا، وقُتِلَ أبي (ع)، وقُتِلَ من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى، ولم يواروا، فيعظم ذلك في صدري، ويشتد لما أرى منهم قلقي

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظلّه) يوم الخميس ١٧/ رجب/ ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٠٢٣/٢/٩م، مع حشد من الطلبة الأكاديميين الذين نظّم لهم ملتقى العلم والدين دورات في العلوم الدينية والتنمية البشرية خلال العطلة الربيعية.

فكادت نفسي تخرج، وتبيّنت ذلك مني عمتي زينب بنت علي الكبرى، فقالت مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي - ثم قالت (عَلَيْهِ السَّلَام) - لا يجزعك ما ترى فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء (عَلَيْهِ السَّلَام) لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميمسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً^(١).

إن هذه النعمة الإلهية العظيمة التي انقضت أجيال بعد أجيال من أسلافنا الصالحين ولم يدركوها وأدر كناها نحن بفضل الله تعالى، توجب علينا أن نرتقي ونتكامل بالتقوى والإخلاص والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة لتكون أهلاً لها فلا نسلبها ونحرم منها، ويلزمنا أيضاً حق المحافظة عليها وإدامتها ونشرها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١) حتى يزداد المؤمنون إيماناً، ويتعرف عليها من لا يعرفها وأن لا نقصر في ذلك، بكل وسائل النشر والتبليغ والإعلام والترويج المتاحة وهي كثيرة ومتنوعة وفاعلة.

لنكون من الممهدين حقاً لإتمام الوعد الإلهي بالتمكين والاستخلاف ووراثة الأرض على يد الإمام المهدي الموعود (أرواحنا لمقدمه الفدا) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧).

خطاب المرحلة

(٧١٢)

لنقرب يوم الظهور الميمون^(١)

تترقب البشرية إعلان المصلح العظيم (ارواحنا له الفداء) عن نفسه الشريفة وتزداد لهفتها للقائه وقيادته الربانية لمشروع إصلاح شامل فقد أرهقها العدوان والظلم والاستكبار والانحراف والضلال وتسلبت الحمقى والتافهين وتحكّم مافيات الهلاك والخراب التي تدير السياسة العالمية وتمسك بخيوطها، وأرقها الخوف والقلق واليأس والإحباط والأمراض النفسية.

إننا نعيش اليوم في ظل الجاهلية الثانية التي تُفهم من لحن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: ٣٣) فإن فيها إشارة الى جاهلية أخرى آتية، وقد انحدرت فيها البشرية الى فعل ما هو أسوأ مما قامت به تلك الأمم وجمعت كل مفاسدها وضلالاتها وزادت عليها وأضفت عليها شرعية بما تسنُّ لها من قوانين لحمايتها ومنع انتقادها ومناقشتها، كالمثلية وتغيير جنس الأطفال حتى أجازوا الانتحار تحت عنوان (القتل الرحيم) وأنشأوا له عيادات طبية خاصة.

وقد كان يبعث الله تعالى أنبياء ومرسلين في مثل هذه المفاصل من تأريخ البشرية حتى بلغ عددهم مئة وأربعة وعشرين ألف نبي^(٢) ليستنقذوا ما

(١) بيان تلاءمة سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (رحمته الله)، بمناسبة حلول ليلة النصف من شعبان

المبارك يوم ٢٠٢٣/٣/٧ م.

(٢) أنظر: الخصال - الشيخ الصدوق: ١٩/٦٤١ ح.

يمكن إنقاذه وإعادة الرشد الى الناس والحياة إلى ضمائرهم وإثارة فطرتهم السليمة، أما بعد بعثة النبي (ﷺ) خاتم الأنبياء فإنه لا نبوة ولا رسالة، واوكلت وظيفه هداية الأمة وإصلاحها وقيادتها نحو السعادة والفلاح في عصر الغيبة الى ورثة الأنبياء وهم العلماء العاملون الواعون المخلصون.

اما الإصلاح الشامل الكامل وتحقق وعد الله تعالى بالتمكين واستخلاف المؤمنين والهيمنة على سائر الأنظمة الوضعية ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (الفتح: ٢٨)، فإنه يكون على يد الإمام المهدي الموعود (عجل الله فرجه).

فالمأمول من إخواننا المؤمنين وأخواتنا المؤمنات في سائر بقاع الأرض خصوصاً التجمع المليونى ليلة النصف من شعبان عند أبي الأحرار الإمام الحسين السبط الشهيد (عليه السلام) ومعهم المؤمنون المعتمرون عند الكعبة الشريفة والمسجد النبوي المطهر وزوار أمير المؤمنين (عليه السلام) وسائر العتبات المقدسة والبقاع المعظمة أن يضجّوا بصدق وإخلاص ولهفة طالبن من الله تبارك وتعالى تعجيل ظهور بقيته الأعظم قرّة عين الرسول وآله الطاهرين (صلى الله عليهم أجمعين).

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (فلما طال على بني إسرائيل العذاب... ضجّوا وبكوا الى الله أربعين صباحاً فأوحى الله الى موسى وهارون أن يخلصهم من فرعون فحطّ عنهم سبعين ومائة^(١) سنة، هكذا أنتم لو فعلتم

(١) أي أنهم كان مقدراً لهم استمرار العذاب والالام والشقاء مئة وسبعين سنة بحسب استحقاقهم لكنهم لمّا تابوا وضجّوا وبكوا عجل الله تعالى لهم الفرج كل هذه المدة.

لَفَرَجِ اللهُ عَنَّا. فَأَمَّا إِذَا لَمْ تَكُونُوا فَإِنَّ الأَمْرَ يَنْتَهِي إِلَى مَنتَهَاهُ^(١).
إن قضية الاستسقاء وطلب نزول المطر ليست أهم من تعجيل الظهور
الميمون وقد ذُكِرَ^(٢) في مستحبات صلاة الاستسقاء أن يخرجوا إلى صحراء
ويفرّقوا بين الأمهات ورضعائها والحيوانات وصغارها وأن يتوبوا بصدق
لتتحقق حالة الاضطرار والمسكنة والتلهف لنزول الرحمة ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ
الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل: ٦٢) فالمطالبة بتعجيل الظهور أولى
باستحضار هذه الحالة.

إن الترقب والانتظار لمثل هذا الحدث العظيم يستلزم الاستعداد المناسب
له كأى اختبار ينتظر الإنسان الدخول^(٣) فيه، وإنما يتحقق الاستعداد بالإخلاص
لله تعالى والورع والتفقه في الدين والتحلي بالأخلاق الفاضلة وطاعة القيادة
الربانية الرشيدة والترفع عن الباطل وحب الدنيا وتوافه الأمور ﴿قُلْ أَنْتَظِرُوا أَنَا
مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

(١) بحار الانوار: ١٣٢/٥٢.

(٢) أنظر: وسائل الشيعة ٥/٨ أبواب صلاة الاستسقاء، - الدروس - الشهيد الأول: ١/ ١٩٦.

(٣) كالاتحانات المدرسية.

خطاب المرحلة

(٧١٣)

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أمرٌ بالإنفاق في سبيل الله - أي طلباً لثوابه ونيل رضوانه تعالى -، والسبل الموصلة إلى الله تعالى والمقرّبة إليه سبحانه كثيرة يلخصها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)، فلا يختص بمورد سياق الآية وهو الإنفاق في لوازم وتكاليف الجهاد والمجاهدين في سبيل الله تعالى لردّ المعتدين والمفسدين، ونشر الدين وإعزاز المؤمنين وحفظ عقائدهم وأخلاقهم.

والآيات الكريمة الآمرة بالإنفاق كثيرة ومتنوعة فبعضها جاءت مقترنة بالترغيب في الإنفاق وما فيه من خير الدنيا والآخرة كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١)، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

(١) خطبتنا صلاة عيد الفطر المبارك للعام ١٤٤٤هـ- الموافق يوم السبت ٢٢/٤/٢٠٢٣م.

وَيُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿ (البقرة: ٢٧١)، وقوله تعالى:
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
 يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ (فاطر: ٢٩)، وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً
 تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
 (التوبة: ١٠٣)، فالانفاق سبب لنيل الرحمة الإلهية والتطهير والتركية وغفران
 الذنوب ومضاعفة البركات والفوز بالتجارة الخالدة مع الله تبارك وتعالى.

وبعضها عن طريق بيان سوء عاقبة المتخلفين عن الإنفاق كقوله تعالى:
 ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
 أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ
 هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٥-٣٤)، وقوله
 تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا
 فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾
 (الحاقة: ٣٠-٣٤)، وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي
 يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (الماعون: ١-٣)، وقوله تعالى:
 ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينِ﴾
 (المدثر: ٤٢-٤٤)، فهذه صور كعواقب فضيحة يكفي مجرد تصورها للإصابة
 بالذعر والهلع الشديدين، ومنها الآية الكريمة التي نقبتس من نورها فقد جعلت
 عدم الانفاق سبباً للوقوع في التهلكة كما سنبين ان شاء الله تعالى.

أما الأحاديث الشريفة فإنها تفوق حد الإحصاء ولا يسع المجال لذكرها
 نذكر أحدها في جانب الترغيب وهو قول النبي (ﷺ): (ارض القيامة نار، ما

خلا ظلّ المؤمن فان صدقته تطلّهُ^(١)، والثاني في التخويف وهو قول الإمام الباقر (عليه السلام): (الذي يمنع الزكاة يحول الله ماله يوم القيامة شجاعاً (أي ثعبان) من نار له ريمتان^(٢) فيطوقه إياه ثم يقال له: ألزمه كما لزمك في الدنيا، وهو قول قول الله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٨٠)^(٣).

ولأن النفس الإنسانية مجبولة على حب المال ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ٢٠)، ويصعب عليها الإنفاق ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٠)، فقد عرضت الآيات الكريمة عدة محاولات للدخول في أعماق النفس الإنسانية وإقناعها بالإنفاق، كالوعد بأن الله تعالى يخلف على الإنسان ما ينفقه في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩)، مضافاً إلى أنّ له أجر ما أنفق^(٤) قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ﴾

(١) الكافي: ٤ / ٣ / ٦.

(٢) كذا في جميع النسخ، وهكذا نقله في المستدرک أيضاً، والصحيح " زبيتان " ثنية زبيبة وهما نقطتان سوداوان فوق عيني الحية والكلب. يخيل للرائي أن لها أربعة أعين وإذا كانت كان عضها قتلاً.

(٣) بحار الأنوار: ٨/٩٣.

(٤) يوجد في إحدى الدول الأوروبية بنك للوقت تسجّل فيه حساباً للوقت الذي تنفقه في خدمة الآخرين على نحو المدارة الصحية أو الأعمال المنزلية وغير ذلك وهذا الرصيد يُستفاد منه عند الاحتياج إلى المساعدة في الشيخوخة أو المرض أو أي سبب آخر فيأتي من يخدمك مدة تستقطع من الرصيد فهذا تطبيق لما افادته الآية الكريمة من أن الله تعالى يخلف على المنفق.

(البقرة: ٢٧٢) وهذا الإيفاء متحقق في الدنيا والآخرة وغير ذلك من الأساليب

التي سنبينها في قيس مستقل ان شاء الله تعالى.

ومن الواضح أن بعض الإنفاق واجب كزكاة الأموال والأبدان _ أي

زكاة الفطرة _ والخمس والكفارات المالية وردّ المظالم ونفقة الحج الواجب

وغير ذلك، وبعضها مستحب كالإنفاق في وجوه البر والإحسان وما أكثرها،

وبعضها محرم كالذي ينفق في المعاصي كسرب الخمر وحضور حفلات

المجون، أو كان إنفاقه سبباً لإدخال الأذى على الآخرين بالإذلال والتحقير،

كما في قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ

عَنِّي حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣)، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَّا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى﴾

(البقرة: ٢٦٢)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَّا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ

وَالْأَذَى﴾ (البقرة: ٢٦٤) أو كالذي يسرف في إنفاق كل ما عنده ولا يبقى شيئاً

لمن يعول بهم فإنه منهي عنه، قال تعالى: ﴿وَلَّا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ

وَلَّا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩)، والمطلوب

الوسطية والاعتدال، قال تعالى في مدح عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ

يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧)، وقال تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (البقرة: ٢١٩) أي الفضل الزائد عن

احتياجاتكم المعاشية، روي إن شخصاً جاء إلى النبي ﷺ بقطعة ذهبية هي

كل ما يملك متصدقاً بها فلم يقبل النبي (ﷺ) صدقته لما علم أنه لم يُبق لأهله شيئاً^(١).

وحث الآيات الكريمة على أن يكون الإنفاق من المال الجيد الذي ترغب فيه النفس، قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٩٢)، وليس مما لا تقبله النفس إلا مرغمة كالذي يخرج خمسه من بضاعة كاسدة انتهى موسمها أو يخرج في الزكاة والفدية والكفارة نوعية رديئة من الطعام، قال تعالى: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْوِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة: ٢٦٧).

ومن كرم المولى على عبده أنه أعطى نفس أجر الصدقة لمن يتوسط في إيصالها، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (لو أن الصدقة جرت على يدي سبعين ألف ألف إنسان، كان أجر آخرهم مثل أجر أولهم)^(٢).

وينبغي الالتفات الى أن الانفاق لا يقتصر على تملك المال للمحتاج بل يمكن ان يكون من خلال مصنع او شركة تجارية فيوفر للفقير العاطل فرصة عمل يكسب منه مالاً حلالاً او يسلفه مالاً لينشئ متجراً خاصاً به وبذلك يتحول الفقير من شخص مستهلك الى منتج، وهذا من مصاديق الآية الشريفة ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (البقرة: ٢٤٥)، ومن

(١) أنظر: سنن أبي داود: ٣٧٧/١ باب الرجل يخرج من ماله/١٦٧٣، المستدرک- الحاكم النيسابوري: ٤١٣/١.

(٢) ميزان الحكمة: ٧٧/٥ ح ١٠٥٨٨، ح ١٠٥٩٠.

معاني الحديث الشريف عن الامام الرضا (عليه السلام): (أحسن الناس معاشاً من حسن معاش غيره في معاشه، واسوأ الناس معاشاً من لم يعيِّش غيره في معاشه)^(١).

وقد أطلقت الآية الكريمة متعلق الإنفاق ولم تُحدِّد ماذا ينفقون لنتلفت إلى أن موارد الإنفاق كثيرة لا تقتصر على المال، وأوضح موارد الأخرى:

موارد الإنفاق الواسعة:

١- العلم النافع في سائر حقول المعرفة والفنون والتجارب قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): (تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة)^(٢)، وقال (عليه السلام): (تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ورأي يسدده)^(٣)، وقال (عليه السلام): (أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم)^(٤).
وبشّرت من ينفق العلم بالزيادة والانفتاح على علم جديد ففي الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (يا كميل:..... العلم يزكو على الإنفاق)^(٥)،

(١) تحف العقول: ٣٢٩، بحار الأنوار: ٣٤١/٧٨ وتقدم شرح الحديث في موسوعة خطاب

المرحلة: ٣٣٧/١١.

(٢) بحار الأنوار: ١/١٦٦.

(٣) بحار الأنوار: ١٥٥/٧٥ ح ٤٠.

(٤) ميزان الحكمة: ١٥٩٩/٢ - كنز العمال: ح ١٦٣٥٧.

(٥) بحار الأنوار: ٧٦/٧٥.

وفي الحديث (ما أهدى المرء المسلم على أخيه هدية أفضل من كلمة حكمة، يزيده الله بها هدى، ويرده عن ردى)^(١).

٢- الأخلاق الحسنة ومعاشرة الناس بالمعروف، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (البقرة: ٢١٩) بناءً على أن معنى العفو هنا هو الصفح، وفي الحديث النبوي الشريف (يا أبا ذر الكلمة الطيبة صدقة)^(٢)، وقال (ﷺ): (كل معروف صدقة إلى غني أو فقير)^(٣)، وقال (ﷺ): (ترك الشر صدقة)^(٤)، وقال (ﷺ): (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ)^(٥)، وروي أن النبي (ﷺ) قال لعنه العباس: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم)^(٦)، وروي عنه (ﷺ) قوله: (إن على كل مسلم في كل يوم صدقة، قيل من يطيق ذلك؟ قال: إماطتك الأذى عن الطريق صدقة، وإرشادك الرجل إلى الطريق صدقة، وعيادتك المريض صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة، وردك السلام صدقة)^(٧)، وقال (ﷺ): (إن أفضل الصدقة صدقة اللسان، تحقن به الدماء، وتدفع به الكريهة، وتجرّ المنفعة إلى أخيك المسلم)^(٨).

(١) ميزان الحكمة: ٣٤٥٣ / ٤

(٢) بحار الأنوار: ٣٦٩ / ٨٠

(٣) أمالي الطوسي: ١٠٢٣ / ٤٥٨

(٤) بحار الأنوار: ١٦٠ / ٧٧ ح ١٦٨

(٥) كنز العمال: ح ١٦٣٠٥ - ميزان الحكمة: ٧٠ / ٥

(٦) بحار الأنوار: ٣٨٤ / ٦٨

(٧) بحار الأنوار: ١٨٢ / ٩٣

(٨) ميزان الحكمة: ٧٢ / ٥

٣- الجاه والمكانة الاجتماعية: وهذا رصيد كبير يمنحه الله تعالى لبعض الناس يمكن استثماره في الخير، ولا يجعل شأنه ومكانته الدينية أو الاجتماعية مانعاً من القيام بما يريد الله تعالى، فيستطيع الإنسان الوجهه أن يسعى بوجهته لدى الناس لقضاء الحوائج وتيسير الأمور وإصلاح المتخاصمين فيكون ممن أنفق جاهه في سبيل الله تعالى، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في نكاح حتى يجمع الله بينهما)^(١)، وفي حديث آخر عن رسول الله (ﷺ): (إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم)^(٢)، وقال الامام الصادق (عليه السلام): (صدقة يحبها الله: إصلاح بين الناس إذا تفسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا)^(٣)، واهم موارده اليوم إطفاء نائرة الحرب والصراع بين العشائر التي تشتعل بين حين وآخر وتخلف الكوارث فمن واجب الجميع معالجة أسبابها قبل وقوعها وإغلاق هذا الباب للشر والفساد نهائياً.

(١) وسائل الشيعة: ٤٥ / ٢٠، حكى بعض السادة المعروفين ان احد الشباب تعلق بفتاة وطلب من اهله خطبتها فردهم والد الفتاة بعنف لأمر يخصه فوسطوا هذا السيد فردّه الوالد بنفس الطريقة ثم طلبوا منه إعادة المحاولة فلاقى نفس الرد وتكررت العملية ووالد الفتاة يقول له الا تستحي من كثرة الرد العنيف، فقال السيد انا اعمل بتكليفي وفي النهاية لان قلب والد الفتاة وأذن بمناقشة الموضوع وتم الزواج بفضل الله تعالى.

(٢) أمالي الطوسي: ١٣٥ / ٢.

(٣) الكافي: ٢٠٩ / ٢ / ح ١.

٤- بذل النفس في سبيل الله وهي أكمل درجات الإنفاق، قال رسول الله (ﷺ): (فوق كل ذي برٍّ حتى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ)^(١)، ونظم الشاعر هذا المعنى بقوله:

يجود بالنفس إن ضنَّ الجواد بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود^(٢)

وغير ذلك من موارد الإنفاق كالوقت والراحة والجهد قال النبي (ﷺ): (أفضل الناس رجل يعطي جهده)^(٣) بناءً على هذا المعنى من الجهد وليس القليل الذي هو غاية ما يتيسر له، وهكذا أي شيء يمكن أن يتحوّل إلى عمل مثمر ينفع الناس.

التهلكة التي يؤدي إليها عدم الإنفاق:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، تحذير من مغبة عدم الإنفاق في موارد رجحانه بخلاً أو خوف العيلة ومن عاقبة سوء الإنفاق كالإسراف أو إعطاء الردي أو في غير مورده ومن دون هدف راجح ولا تخطيط محكم بأن ذلك سيؤدي بكم إلى الهلاك وسيجعلكم عرضه للفناء لأن التهلكة مصدر^(٤) على وزن تفعلة بضم العين وتعني ((كل شيء تصير

(١) الكافي: ج ٢/ص ٣٤٨/ح ٤.

(٢) أنظر: ديوان مسلم بن الوليد- فؤاد حنا ترزي: ٨٧

(٣) كنز العمال: ١٦٠٨٤.

(٤) قال الطبرسي في مجمع البيان: (٢/ ٢١) وفاقاً لجمع من اللغويين كلسان العرب (ليس في كلام العرب مصدر على تفعلة- بضم العين- إلا هذا) وهكذا قال المفسرون كالآلوسي والطباطبائي، وإذا أرادوا بذلك

عاقبته إلى الهلاك^(١) أو يكون في معرض الهلاك ويكون مصيره مجهولاً، ومن مصاديقها المفازة لأنه يهلك فيها كثيرون.

والباء سببية أي بسببكم وسوء افعالكم وماجنته أيديكم واليد كناية عن فعل الإنسان نفسه لأن أكثر ظهور أفعالها بها كما ورد عن رسول الله (ﷺ): (هذه يداي وما جنيتُهُ على نفسي)^(٢)، وهي شاملة لجنايات نفسه كلها، وفي الحديث النبوي الشريف (على اليد ما أخذت حتى تؤدي)^(٣)، الشامل لجميع الضمانات حتى لو حصلت بغير اليد، فيكون معنى الآية لا تكونوا انتم سبباً للألقاء في التهلكة وعلى هذا فإن المفعول به أي الملقى غير مذكور في الآية

انه شاذ فاننا لا نرى في ذلك شذوذاً لأن السمع لا ينفر منه إذا ألقى إليه وهذا معيار مقبولته، مع إمكان أن تكون بالأصل مكسورة العين وضمت بتعدد القراءات، وحكي عن سيبويه احتمال أن يكون أصلها بكسر اللام فأبدلت الكسرة ضمة (روح المعاني: ١/ ٦٤٨) وعلى كسر العين فإن هذا المصدر موجود كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَجَلَّةً أَيْمَانِكُمْ﴾ (التحریم: ٢) نحو (تبصرة وتذكرة وتجربة وتهنئة وتزكية وتربية وتقوية، وفتح العين نجد (تؤدة) كما في قول النبي (ﷺ): (التؤدة في كل شيء خير الا في عمل الآخرة) (كنز العمال: ح ٥٧٦٣) وعلى أي حال فإن النص القرآني حاكم على اللغة وميزان سلامتها وليس العكس قال الفخر الرازي: (إني لأتعجب كثيراً تكلفات هؤلاء النحويين في أمثال هذه المواضع، وذلك أنهم لو وجدوا شعراً مجهولاً يشهد لما أرادوه فرحوا به، واتخذوه حجة قوية، فورود هذا اللفظ في كلام الله تعالى المشهود له من الموافق والمخالف بالفصاحة، أولى بأن يدل على صحة هذه اللفظة واستقامتها) (المجلد: ٣/ ٥/ ١٤٦).

(١) لسان العرب مادة هلك، قال اليزيدي: التهلكة من نوادر المصادر ليست مما يجري على القياس.
(٢) بحار الأنوار: ٨٩/ ٩٤، قال الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (ﷺ) في ليلة النصف من شعبان عند سجوده (ﷺ) (سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي هذه يداي وما جنيتُهُ على نفسي يا عظيم تُرجى لكل عظيم...).

(٣) سنن ابن ماجه: ٢/ ٨٠٢

فهو مطلق شامل لأنفسكم كأفراد وللمجتمع ككل، فلا تلقوا قوتكم وكيانكم وتقدمكم وحضارتكم وأخلاقكم وعلاقاتكم ونظامكم الاجتماعي والأخلاقي وحتى دينكم في التهلكة والفناء إن لم تنفقوا في ما يتطلبه حفظ كل ذلك من مال وجهد وفكر ووقت وطاقة وإمكانية قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠)، لذا فإن الشعوب الكسولة الخاملة التي تركت ما يجب عليها من الإنفاق المناسب من المال أو الجهد أو النفس تُستعبد وتتخلف وتُصدّر خيراتها وتُمتهن كرامتها وتخسر أضعاف ما بخلت به، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦)، أي انهم وإن لم ينفقوا أموالهم في طاعة الله تعالى إلا أنهم في النتيجة سينفقونها في معصية الله ثم تكون عليهم حسرة^(١).

وحينئذ يمكن أن تكون الباء للمصاحبة كما في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ بِالُدُّهُنَّ﴾ (المؤمنون: ٢٠)، وفي زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة شهادته: (فَطَرَتْ وَاللَّهِ بِنِعْمَائِهَا)^(٢)، فيكون المعنى ولا تأخذوا أنفسكم وقوتكم بأيديكم وتلقوها في الهلاك ولا تدمروا إمكانياتكم وقدراتكم المتنوعة بترك الإنفاق في سبيل الله.

وقال جمع من المفسرين كالطبري في جامع البيان والطبرسي في المجمع والطباطبائي في الميزان أن الباء زائدة كقولك جذبت بالثوب أي

(١) راجع تفسير هذا القيس في تفسير (من نور القرآن: ٩١/٢ / قيس رقم: ٤٨).

(٢) ضياء الصالحين: ٦٤، زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) في يوم استشهاده ٢١ من شهر رمضان.

جذبت الثوب باعتبار أن ألقى يتعدى بنفسه كما في ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾ (الشعراء: ٤٥)، وزيدت لتأكيد معنى النهي ويكون المعنى ولا تلقوا أيديكم كناية عن أنفسكم في التهلكة.

وهذه التهلكة يمكن تصورها من عدة جهات:

١- دينية وأخلاقية: فإن البخل يميئ روح الإنسانية لدى الغني ويمسح فطرته، وبالمقابل فإن الفقير الذي لا يجد من يوفّر له ولعياله القوت يتخلى عن إيمانه ويسلك الطرق المنحرفة والمحرمّة، للحصول على ضرورات حياته، وكم من امرأة تخلّت عن عفتها وحيائها وسيلة لكسبها مدعيه أن الحاجة ألجأتها إلى ذلك، وقد اشتهرت كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام): (كاد الفقر أن يكون كفراً)^(١)، وإن كثيراً من الجياع لما تتحدث لهم عن ضرورة الالتزام بالدين فإنه يطالبك بإشباع بطنه أولاً، قال رسول (ﷺ) في دعائه: (بارك لنا في الخبز ولا تفرق بيننا وبينه فلولوا الخبز ما صلينا ولا صمنا ولا أدينا فرائض ربنا)^(٢)، وقد اشتهرت الكلمة (لولوا الخبز لما عبّد الله تعالى).

٢- اقتصادية: فإن وجود طبقة فقيرة لا تمتلك المال لشراء احتياجاتها يؤدي إلى كساد السوق، فإذا أنفق الموسرون عليهم فإن هؤلاء سيحرّكون السوق والمصانع والتجارة ويعود بالنفع على أصحاب المعامل والتجار أنفسهم، وهذه من أهم النظريات الاقتصادية، ومن تطبيقاتها أن الدول التي تتراكم عليها الديون ويصيبها العجز والإفلاس وتندر بالسقوط فإن الدول الغنية تمدُّ

(١) بحار الأنوار: ٧٠ / ٢٤٦.

(٢) الكافي: ٧٣ / ٥.

إليها يد المساعدة والإقراض لتقويم اقتصادها وتحريك سوقها فتحرّك اقتصاديات تلك الدول المانحة كما حصل لليونان في أزمتها المالية قبل عدة سنوات، حتى أعلنت مؤسساتها الإفلاس.

٣- سياسية: فإن من أهم وسائل إخضاع الأفراد والشعوب والدول هو تجويعهم وفرض الحصار عليهم، فتضطر الدول المحاصرة إلى التنازل عن سيادتها واستقلالها وكرامتها، وترضى بالتبعية والذل والخضوع من أجل الحصول على المساعدات الموعودة، وتجارب دول العالم الثالث كما يسمونها كثيرة، وشعارهم في ذلك المثل القائل (جوع كلبك يتبعك) وهذا المنهج يتخذّه الطغاة والمستكبرون لإخضاع شعوبهم بحرمانهم من الحقوق والخدمات الأساسية ليقبى الشعب خانعاً مستسلماً لإرادة الطاغية طمعاً في الحصول على الفتات منه، وقد استعملت قريش هذا الأسلوب حينما حاصرت رسول الله (ﷺ) وبني هاشم في شعب ابي طالب عدة سنوات، وسياسة خلفاء السقيفة مع علي وفاطمة (عليهما السلام) حينما صادروا فدك وغير ذلك^(١).

٤- أيديولوجية: فقد استعمل الإنفاق المالي لتبديل أفكار الناس وقناعاتهم كالذي يفعله المبشرون المسيحيون خصوصاً في افريقيا لتنصير الفقراء، أو ما يبذله المرشحون في الانتخابات لكسب أصوات الناس مع علمهم بفساد المرشح وعدم أهليته، ولو وجد هؤلاء الناس ما يكفيهم لما اضطروا إلى تبديل عقائدهم والعمل على خلاف قناعاتهم.

(١) أنظر: بحار الأنوار: ١٩/ باب دخول الشعب وما جرى بعده الى الهجرة.

٥- أمنية واجتماعية: فإن المحرومين من حقوق الحياة الأساسية يصبحون قنابل موقوتة في المجتمع جاهزة للانفجار في أي لحظة حينما يفقدون الصبر على حالتهم التعيسة، وإن التمايز الطبقي ووجود طبقة قليلة ثرية مترفة مقابل طبقة واسعة محرومة من أكثر أدوات الحرب الناعمة اليوم فاعلية من خلال اثاره روح الانتقام لدى هذه الطبقة وتوزيع الأموال عليهم لتأجيج الشارع بهم واتخاذهم وقوداً في الفتن والحروب الأهلية وإحداث الخراب والدمار، وأمثلتها من الواقع العراقي ليست بعيدة. وقد اختصر أمير المؤمنين (عليه السلام) المشكلة وحلها بقوله: (حصّنوا أموالكم بالزكاة)^(١).

هذه صور من التهلكة التي تحصل لو بخل الناس بأموالهم ولم ينفقوا في ما أمرهم الله تعالى به، وهو شاهد آخر على ما عرضناه في محاضرة سابقة^(٢) من أن الإسلام يُقدّم مشروعه كبرنامج إصلاحي شامل في الدنيا، ولا يكتفي بوعود السعادة والنعيم في الآخرة، لأن الإنسان بطبعه يرغب في الأجر العاجل، ويحفزه على العمل ما يلمسه من نتائج على أرض الواقع، وتخوفه بالمخاطر والعقوبات المنظورة، وهكذا هو الإسلام في كل تشريعاته حتى العبادية فلم يكتف في الصوم أن يقول أن فيه ثواب الجنة ومغفرة الذنوب ونحو ذلك وإنما قال أيضاً في الحديث النبوي الشريف: (صُومُوا تَصِحُّوا)^(٣)، وقال (ﷺ) أيضاً:

(١) نهج البلاغة: قصار الكلمات/ رقم ١٤٦، وسائل الشيعة: ٩/ ١٥ / ح ١١٤٠٢.

(٢) أنظر: تفسير من نور القرآن: ٢/ ٢٥٧ / قيس رقم: ٦٥.

(٣) بحار الأنوار ٩٣ / ٢٥٥.

(المعدة بيت كل داء، والحمية رأس كل دواء)^(١)، وقد أثبتت الدراسات الطبية حاجة الإنسان إلى صوم أيام في السنة لتصحيح وظائف جسمه وتنظيم عمل أجهزته وغدده وهرموناته.

وبهذا عُرف وجه الإتيان بهذا التحذير عقب الأمر بالإنفاق للملازمة بينهما، واتضح انسجام وقوع الآية ضمن سياق الأمر بالقتال لحفظ الدين ورد عدوان المعتدين والمفسدين، ومنع وقوع الناس في الفتنة والفساد والانحراف والذي بدأ من الآية ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠) إلى أن قال تعالى في (الآية: ١٩٣): ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ إلى أن وصل إلى (الآية: ١٩٥) وهي التي نقتبس من نورها الآن، فإن امتناع الأمة عن بذل المال والجهد والنفس يؤدي إلى اضمحلالها بتسلط الأعداء عليها وسيطرتهم على مقدراتها. ففي هذا الإنفاق إنقاذ للأمة من التهلكة وليس العكس.

فلا يبقى حينئذ وجه للإشكال على حركة الإمام الحسين (عليه السلام) بأنها من إلقاء النفس في التهلكة، لأنه (عليه السلام) حفظ الأمة من التهلكة بتضحياته الجسيمة، وإن النهي عن التهلكة ورد في سياق الأمر بالقتال في سبيل الله فكيف يكون هذا القتال من إلقاء النفس في التهلكة؟ فسياق هذا الآيات يجعل هذا الإشكال غريباً ولا معنى له، وحينئذ لا نحتاج إلى ما أجاب الطبرسي (قدس سره) فإنه بعد أن استدل بالآية على تحريم الإقدام على ما يخاف منه على النفس،

(١) موسوعة الأحاديث الطبية: ٤٠٦/٢.

وعلى جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف، لأن في ذلك إلقاء النفس في التهلكة قال: ((فإن عورضنا بأن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قاتل وحده؟ فالجواب: إن فعله يحتمل وجهين، أحدهما: إنه ظن أنهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والآخر: إنه غلب على ظنه أنه لو ترك قتالهم قتله الملعون ابن زياد صبراً، كما فعل بابن عمه مسلم، فكان القتل مع عز النفس والجهاد، أهون عليه))^(١).

نعم تتحقق التهلكة لو كانت التضحية بلا هدف يستحق ذلك، فالشهادة في سبيل الله تباين تماماً إلقاء النفس في التهلكة لأن هدفها اسمى الأهداف وهو اعلاء كلمة الله تعالى، والمعصوم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أعلم بتمييز هذه الموارد، روى الشيخ الصدوق في الإكمال بسنده عن سلمان الفارسي عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول فيه لعلي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (يا أخي أنت ستبقى من بعدي وستلقى من قريش شدة ومن تظاهروا عليك وظلمهم لك، فإن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم وقاتل من خالفك بمن وافقك، وإن لم تجد أعواناً فاصبر وكف يدك ولا تلق بها إلى التهلكة)^(٢).

وروى في العيون خبراً طويلاً عن إجبار المأمون للإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على ولاية العهد وفيه: (قال له المأمون: فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك فإن فعلت وإلا ضربت عنقك، فقال الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ): قد نهاني الله عز وجل أن ألقى بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك فأنا أقبل على أن لا أولي أحداً ولا أعزل أحداً ولا أنقض رسماً ولا سنة،

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٢/٢.

(٢) تفسير نور الثقلين: ١ / ١٨٠ ح ٦٣٦.

وأكون في الأمر من بعيد مشيراً فرضي منه بذلك، وجعله ولي عهده على كراهة منه (عليه السلام) لذلك^(١).

وفي رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام): (وحق السلطان أن تعلم أنك جعلت له فتنة وأنه مبتلى فيك بما جعله الله عز وجل له عليك من السلطان، وأن عليك ألا تتعرض لسخطه فتلقي بيدك إلى التهلكة، وتكون شريكاً له في ما يأتي إليك من سوء)^(٢).

ثم قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥) فالمطلوب منّا تحسين العمل والإتيان به بأحسن وجه، وليس الاتيان بالعمل على أي نحو كان، لأن التفاوت في الدرجات يكون بحسب حسن العمل قال تعالى: ﴿لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود: ٧)^(٣)، ويتحقق حسن عمل المعروف عموماً ومنه الإنفاق بإخلاص النية وإجادته وإتقانه طبق الموازين الشرعية واجباً كان او مستحباً، وعدم إتباعه بالمنّ والعجب والرياء، وإخفائه إذا كان إعلانه سبباً لهذه القبائح، وتعجيله قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨)، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، وروي عن الامام الباقر (عليه السلام) قوله: (من هم بشيء من الخير فليعجله فإن كل شيء فيه تأخير

(١) تفسير نور الثقلين: ١ / ١٨٠ / ح ٦٣٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦٢٠.

(٣) راجع قيس هذه الآية في تفسير من نور القرآن: ٢ / ٢٥١ / قيس رقم: ٦٤.

فإنَّ للشيطان فيه نظرة^(١)، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (تعجيل البر من البر)^(٢)، وقال (عليه السلام): (خير الأمور أعجلها عائدة وأحمدها عاقبة)^(٣)، وقال (عليه السلام): (رأس السخاء تعجيل العطاء)^(٤)، ومن الإحسان وضع البر في موضعه، وعدم الاكتفاء بالواجب ما دام المستحب متيسراً، واختيار المورد الأمثل والأفضل عند التزاحم، والتوازن في الإنفاق بين الإفراط وهو الإسراف والتفريط وهو الإقتار كما نصت عليه آية الفرقان المتقدمة.

وهذا معنى جارٍ حتى في إنفاق النفس فإن التهور والاندفاع من دون حسابات صحيحة وخطط محكمة يجعله من موارد التهلكة ويحرم المسلمين من أحد عناصر القوة فيه، كما أن التفريط يتحقق بالجبن والانهزام والتخاذل عن أداء العمل المكلف به مما يضعف جبهة الحق، فالفعالان محرمان.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (لو أن رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل الله ما كان أحسن ولا وفق، أليس يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني المقتصدین)^(٥).

(١) الكافي: ١٤٣/٢ ح ٩.

(٢) غرر الحكم: ح ٥٠٣٣.

(٣) غرر الحكم: ح ٥٢٥٠.

(٤) غرر الحكم: ح ٦٧٤١.

(٥) الكافي: ٥٣/٤ ح ٧.

خطاب المرحلة

(٧١٤)

المرأة والمعارف القرآنية^(١)

لا شك إن الأحاديث الشريفة التي بيّنت فضل حملة القرآن وثواب تعلّمه مطلقة، وتشمل الرجال والنساء على حد سواء، كقول النبي (ﷺ): (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)^(٢)، وقوله (ﷺ): (خياركم من تعلّم القرآن وعلمه)^(٣)، وقوله (ﷺ): (لا يعذب الله قلباً وعى القرآن)^(٤)، وقد منّ الله تعالى عليكنّ بهذا الفضل العظيم وهو تعلم القرآن فاشكرنّ الله تعالى عليه وحافظنّ على هذه النعمة بالاستمرار عليها.

وأنتم الآن تطوون المسافة في النصف الأول من الطريق وهو (تعلّم القرآن) بالتدبّر والتأمل في معانيه، ومعرفة القواعد العامة للتفسير، والتزود بالأدوات التي تمكّنكم من تفسير الآيات الكريمة وفهم المراد منها، الى أن تصبح عندكم القابلية للانتقال الى النصف الثاني وهو تعليم القرآن وتفسيره،

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظله) يوم ٤/ شعبان / ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٤ / ٢ / ٢٠٢٣م، مع حشد كبير من الفاضلات اللواتي يتلقين دروساً في تفسير القرآن وقواعده وتدبر معانيه عبر منصة الكترونية للسنة الثالثة على التوالي بإشراف الأستاذ المتمرس في مناهج المفسرين سماحة العلامة السيد عبد السلام زين العابدين (دامت بركاته).

(٢) وسائل الشيعة: ٦ / ١٦٧ - ١٦٨.

(٣) وسائل الشيعة: ٦ / ١٦٧ - ١٦٨.

(٤) وسائل الشيعة: ٦ / ١٦٧ - ١٦٨.

وإيصال ما يفتح لكم من معانيه الى الناس، ليكتمل العطاء الإلهي وتكونوا من خيار الناس كما في الحديث السابق.

ولا شك أن الإحاطة بمعاني القرآن مستحيل على امثالنا، لان معاني القرآن لا حدود لها، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان: ٢٧)، وبحسب الظاهر فإن ألفاظ الكلمات لها عدد محدود، لان عدد الحروف محدود، وكذلك عدد حروف كل كلمة، ويعرف بقوانين الاحتمالات مجموع عدد الكلمات في اللغة العربية مما استقصته المعاجم اللغوية، فكيف تقول الآية إن كلمات الله تعالى سبحانه لا نفاذ لها؟

وقد عرضتُ وجوهاً لتفسيرها^(١)، أحدها أن المراد معاني كلمات الله تعالى أي بتقدير مضاف فإنها لا تنفذ، بل تتجدد وتتكرر كلما ازداد الوعي وتعمق العلم وتطورت الحياة واتسعت شؤونها وقضاياها، وقد عبّر أمير المؤمنين (عليه السلام) عن هذه الصفة للقرآن بقوله: (لا تفني عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به)^(٢).

وإنما نتحدث عما يتيسر لنا من فهم كتاب الله تعالى، وما يفتح الله تعالى علينا من معانيه، وهو لا ينال فقط بالدراسة والتعلم، بل يحتاج الى اخلاص

(١) أنظر: من نور القرآن: ٣ / ٧٩ / قيس: ٩٠ ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ (الكهف: ١٠٩).

(٢) بحار الأنوار: ج ٢ / ص ٢٨٤.

وصفاء النفس، وقد ذكر السيد الشهيد الصدر (قَدَسَتْ) في بعض رسائله في (قناديل العارفين) ان من علامات اهل السلوك الصالح الى الله سبحانه أنه سبحانه يفتح لهم عدة وجود ومعانٍ للآيات الكريمة، قال السيد الحكيم (قَدَسَتْ) في كتابه حقائق الأصول: ((حدَّث بعض الأعاظم «دام تأييده» أنه حضر يوماً منزل الآخوند (ملا فتح علي^(١) «قدس سره»)) مع جماعة من الأعيان منهم السيد إسماعيل الصدر «ره» والحاج النوري صاحب المستدرك «ره» والسيد حسن الصدر «دام ظله» فتلا الآخوند «ره» قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ... الآية﴾ (الحجرات: ٧) ثم شرع في تفسير قوله: تعالى فيها: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ... الآية﴾ وبعد بيان طويل فسرهما بمعنى لما سمعوه منه استوضحوه^(٢) واستغربوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه لهم، فحضروا عنده في اليوم الثاني ففسرها بمعنى آخر غير الأول فاستوضحوه أيضاً وتعجبوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه، ثم حضروا عنده في اليوم الثالث فكان مثل ما كان في اليومين الأولين ولم يزالوا على هذه الحال كلما حضروا عنده يوماً ذكر لها معنى إلى ما يقرب من ثلاثين يوماً فذكر لها ما يقرب من ثلاثين معنى وكلما سمعوا منه معنى استوضحوه، وقد نقل الثقات لهذا المفسر كرامات «قدس الله روحه»^(٣).

(١) وهو الميرزا علي محمد النجف آبادي، قال عنه تلميذه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: (اعلى من حضرت عليه في الحكمة والعرفان، العارف الإلهي الذي كان أكبر أساتذة الحكمة والعرفان وكان درسه في (الأسفار) ولكنه يتفجر بينابيع الحكمة) (عقود حياتي: ٥٩-٦١).

(٢) أي وجوده واضحاً وظاهر الانطباق على الآية.

(٣) حقائق الأصول: ٩٦/١.

وأمام هذا التجدد والتكثُر لمعاني القرآن لا يجوز لنا التوقف عند فهم جيل معين والاكتفاء بما أبدعه السلف الصالح الى زماننا المعاصر من تفاسير، وينقل عن السيد الطباطبائي (قَدَسَ) صاحب تفسير الميزان انه كان يقول: «ان الامة بحاجة الى تفسير جديد للقرآن كل سنتين»، يعني أنه خلال إنجازهِ لتفسير الميزان الذي استغرق عشرين عاماً لا بد أن تصدر عشرة تفاسير متنوعة. إذن علينا أن نتعب أنفسنا في تهيئة المقدمات التي تمكنا من فهم كتاب الله تعالى وروايات أهل البيت (عَلَيْهِمُ) وتحمل علومهم، لنكون ممن شملهم دعاء الإمام (عَلَيْهِ) بالرحمة فيما رواه الشيخ الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن الهروي (قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عَلَيْهِ) يقول: رحم الله عبد أحيا أمرنا فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس)^(١)، فهاتان نفس المرحتين اللتين ذكرهما النبي (صَلَّى) وهما التعلّم أولاً، والتعلّم ثانياً.

وعلومهم (عَلَيْهِ) لا تختص بالأحكام الشرعية المعروفة بالفقه في المصطلح المتداول، وإنما تشمل كل علومهم وعلى رأسها تفسير القرآن، فقد وردت عنهم فيه آلاف الروايات، وخصصوا جملة من أصحابهم لهذا العلم كعبد الله بن عباس في الصحابة، وسعيد بن جبير في التابعين، وجابر الجعفي في تابعيهم، حتى يستفيد منهم الناس الذين حرموا من بركات الاتصال المباشر بأهل البيت (عَلَيْهِ)، بسبب التشويه والتضليل والحصار والمقاطعة والعقوبات القاسية لمن يرتبط بهم (عَلَيْهِ)، لكنهم (عَلَيْهِ) لم يتركوا الأمة وإن اعرضت

(١) بحار الأنوار: ٢ / ٣٠.

عنهم تأسيماً بجدهم المصطفى (ﷺ) الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) فكانت هذه إحدى طرق تواصلهم مع الأمة.

وقابليات المرأة العقلية والذهنية والمعرفية لا تقلّ عمّا عند الرجل، فيمكنها المشاركة في هذا الجهد المبارك إذا أتت البيوت من أبوابها، واتقنت المقدمات المطلوبة.

وأنصح الأخوات أن يتوجهن بعد تحصيل القدرة على فهم معاني القرآن وتفسير آياته على نحو الترتيب في المصحف والمعروف بالتفسير التجزيئي، الى تطبيقها على نحو التفسير الموضوعي فيعالجن برؤية قرآنية قضايا اجتماعية وتربوية واخلاقية وحقوقية وتشريعية تعني المرأة، وهي كثيرة في القرآن الكريم يمكن تشخيصها بمساعدة الأساتذة المتخصصين، وأشارت الى كثير منها في تفسير (من نور القرآن).

وانني أرى أن هذا المنهج في التفسير أكثر عطاء وتركيزاً على القضايا والمشاكل والمعالجات وإجابة الأسئلة، ويمكن أن تتصدى مجموعة من الفاضلات لمعالجة قضية معينه وفق الرؤية القرآنية ثم تجمع هذه الجهود المباركة لنحظى بتفسير متميز.

وأجد نفسي متفائلاً بقطف هذه الثمرة المباركة مع توفر الرغبة الأكيدة والهمة العالية والإخلاص والمثابرة وتعاون الجميع، فقد وعد الله تعالى المؤمنين بالنصر والتثبيت والتأييد إن هم نصره في أي مجال وبأي شكل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧).

خطاب المرحلة

(٧١٥)

رَبَّ فَعْلٍ صَغِيرٍ يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ كَبِيرٌ^(١)

يَحْسُنُ إِضَافَةَ قَاعِدَةٍ إِلَى قَوَاعِدِ التَّنْمِيَةِ الْبَشَرِيَّةِ إِنْ لَمْ تَكُنْ مَدُونَةٌ فِيهَا مَلْخَصَهَا ((دَقِّقْ فِي خِيَارَاتِكَ فَرَبَّ فَعْلٍ صَغِيرٍ يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ كَبِيرٌ)).

وَهَذَا الْمَعْنَى مُسْتَفَادٌ مِنَ النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ لِذَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنْ قَوْلٍ: ﴿أَفٍّ﴾ وَهِيَ شَامِلَةٌ لِلْأَفْعَالِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ، إِذْ إِنَّ كِلَيْهِمَا قَدْ يَكُونُ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّا سَنَخْصِّصُ الْحَدِيثَ عَنِ الثَّانِي لِأَنَّهُ الْأَخْطَرُ عَلَى الْمَجْتَمَعِ.

وَهَذَا الْمَعْنَى مُسْتَفَادٌ مِنَ النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ لِذَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنْ قَوْلٍ: ﴿أَفٍّ﴾ لِلْوَالِدِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ (الإسراء: ٢٣)، أَيُّ لِلْوَالِدِينَ لِأَنَّهَا رَغْمٌ ضَالَّتْهَا إِلَّا أَنَّهَا تَمَثَّلُ مَرْتَبَةً مِنْ مَرَاتِبِ الْعُقُوقِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْكِبَائِرِ.

رَوَى إِحْدَى زَوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ) قَالَتْ: (دَخَلْتُ عَلَيْنَا امْرَأَةً، فَلَمَّا وُلَّتْ، أَوْمَأَتْ بِيَدِي أَنَّهَا قَصِيرَةٌ، فَقَالَ ﷺ: (اِغْتَبْتَهَا)^(٢)، وَرَوَى أَيْضاً أَنَّهَا قَالَتْ: (إِنِّي

(١) مِنْ حَدِيثِ سَمَاحَةِ الْمَرْجِعِ الدِّينِيِّ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْيَعْقُوبِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُتَدَرِّبِينَ لِنَيْلِ شَهَادَةِ مَدْرَبِ تَنْمِيَةِ بَشَرِيَّةٍ يَوْمَ ٢٦/ رَجَبٍ/ ١٤٤٤هـ - الْمَوْافِقُ ١٨/ ٢/ ٢٠٢٣م.

(٢) بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ٧٢/ ٢٢٤، جَامِعُ السَّعَادَاتِ: ٢/ ٢٢٦.

قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي (ﷺ): إن هذه لطويلة الذيل. فقال لي: الفظي الفظي! فلفظت مضغعة لحم^(١).

فهذه الإشارة البسيطة التي لا يعباؤها جعلت فاعلها ممن تورط بإحدى الكبائر وهي الغيبة التي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿أَيُّجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات: ١٢) وذمتها الروايات الشريفة ورتبت عليها أقسى العقوبات.

وروي في الحديث الشريف عن رسول الله (ﷺ): (من نظر إلى مؤمن نظرة يخيفه بها أخافه الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله)^(٢)، فالنظرة فعل بسيط لكنه لا يخفى على الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ (غافر: ١٩) لكنها لما اقترنت بعنوان إخافة المؤمن أوجبت تلك النهاية المرعبة.

حكى ان شيطاناً وصغيره مراً على خباء وبفنائها بقرة تحلبها امرأة وبجانبيها رضيعها وقد خرج الرجل إلى العمل ليحلب لهم القوت، فلم يطبق الشيطان الصغير أن يرى أسرة سعيدة تعيش بهدوء وتكسب من الحلال، فحرك الوجد الذي رُبِّطَ إليه البقرة فنفرت البقرة وداست الطفل الرضيع وقتلته وأهرقت الحليب، فغضبت المرأة وطعنت البقرة وقتلتها من دون أن تعرف سبب فعل البقرة، ولما جاء الزوج وجد طفله ميتاً والبقرة كذلك فانتقم من المرأة وقتلها، ولما علمت عشيرتها اقتصت من الزوج فقتلته وثارَت عشيرة الزوج لانتقم من عشيرة المرأة ووقعت الحرب بينهما، وهنا سأل الشيطان الكبير صغيره: ماذا

(١) كتاب تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: ٤ / ١٧٥٢ / ح ٢٧٥٥، جامع السعادات: ٢ / ٢٢٦.

(٢) ميزان الحكمة: ١ / ٦٦.

فعلت يا خبيث وحدثت كل هذه المصائب، فأجابه بأنه لم يفعل ازيد من تحريك الوتد، فهذه الكوارث سببها فعل بسيط.

فلا بد من التثبت والتدقيق في الاقوال والافعال وحساب نتائجها القريبة والبعيدة جيداً روي عن أبي جعفر (عليه السلام) يقول: (أنه يحشر العبد يوم القيامة وما ندى دماً، فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا رب إنك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دماً، فيقول: بلى، سمعت من فلان رواية كذا وكذا فرويتها عليه فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها، وهذا سهمك من دمه)^(١).

فالإهمال والتساهل والغفلة وعدم التثبت من الأمور توجب الوقوع في الكبائر من حيث يشعر او لا يشعر، قال الله تعالى محذراً: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَمْثَلًا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المجادلة: ٦)، ويقول الإنسان نادماً متحسراً حيث لا ينفعه الندم ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩).

(١) بحار الأنوار: ٧ / ٢٠٢، عن الكافي: ٣٧٠ / ٢.

خطاب المرحلة

(٧١٦)

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾

معالجات قرآنية لعدم الإنفاق^(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٠).

﴿قُلْ﴾ يا رسول الله للكافرين والمعاندين الذين أكثروا المقترحات المذكورة في الآيات السابقة، عناداً واستكباراً وجدالاً أنه لو كانت خزائن رحمة الله تعالى على سعتها بأيديكم وتحت تصرفكم لامتنعتم من الإنفاق وإعطاء العباد احتياجاتهم مدعين خوف الفقر إذا أنفقتهم، والأمر ليس كذلك، لأن خزائن رحمة الله لا تنفذ (ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً)^(٢)، لكن البخل والإمساك والتضييق أصبح صفة لازمة في نفوسكم الأمانة بالسوء.

لقد جُبِلَ الإنسان على حب المال، قال الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ٢٠)، وليس في ذلك نقص ذاتي، فلو كان حب كسب المال من أجل التقرب إلى الله تعالى بإنفاقه في موارد البر والإحسان كالحج والعمرة وزيارة المعصومين (عليه السلام) ومساعدة المحتاجين ونصرة الدين ونشر العلوم

(١) قيس من نور القرآن في درس التفسير الأسبوعي يوم الأربعاء ١٢/شوال/١٤٤٤هـ- الموافق ٣/٥/

٢٠٢٣م.

(٢) من دعاء الافتتاح الذي يقرأ في ليالي شهر رمضان المبارك، مفاتيح الجنان: ٢٣٢.

والمعارف النافعة وترويج الشباب المتعافين وإنشاء المشاريع ذات النفع العام كالمستشفيات والمدارس ومحطات المياه والكهرباء وشق الطرق وغيرها، فإنه سيكون أمراً محموداً بلا إشكال وسيكون من طلب الآخرة وليس الدنيا. وإنما تبرز المشكلة لو كان هذا الحب للمال يدفعه إلى تحصيله بأي نحو كان ولو من طرق غير مشروعة، أو أن هذا الحب يكبله عن دفع ما يتعلق بذمته من مال حيث جعل الله تعالى فيه حقوقاً لغيره ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: ١٩)، وهذه الحالة هي التي ذمها الله تبارك وتعالى، وتتحول بالانسياق المستمر لها إلى صفة متأصلة في النفس الإنسانية وتتغلب على نداء العقل والفتوة والدين وتميتها.

وهذه الصفة أصبحت غالبية لدى البشر حتى عدّها الله تعالى من الصفات اللازمة للإنسان ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٠)، والإقتار هو التضييق في الإنفاق والبخل بالمال والإمساك عن بذله في موارد رجحانه، وصيغة (فعول) من صيغ المبالغة التي تدل على شدة الاتصاف، وقال تعالى في آية أخرى ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ (النساء: ٥٣) والنقير هو الشق في النواة ويضرب مثلاً للشيء الضئيل، وقال تعالى: ﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ (النساء: ١٢٨) والشُّح هو ((بخل مع حرص وذلك فيما كان عادة))^(١)، فهذه الصفة حاضرة لدى الإنسان ومشاهدة فيه بوضوح إلا من عصم الله تعالى فحررهم من عبودية المال وغرائز النفس الأمارة بالسوء وقد أثنى الله تعالى

(١) مفردات القرآن - الراغب الأصفهاني: ٤٤٦.

عليهم بقوله: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)
(التغابن: ١٦).

وقد يبرر الإنسان هذا الحرص على المال والخوف من الإنفاق بخوف الفقر والاحتياج في المستقبل فيدخره للطوارئ حتى قيل في المثل «القرش الأبيض ينفعك في اليوم الأسود» إلا أنه يخدع نفسه، وتفضحه الآية الكريمة بأنه حتى لو ملك خزائن رحمة الله على سعتها وعدم نفادها، فإنه سيمتنع عن الإنفاق، لأن البخل والشح والحرص على المال صفة راسخة في نفس الإنسان. وخزائن رحمة الله هي الجهات التي جعلها الله تعالى سبباً لاستدرار رحمته كما في الدعاء (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك)^(١)، وهي عامة تشمل العطاء المعنوي والمادي.

ولأن الله تعالى هو خالق الإنسان والبصير بما يعاني منه وما يصلحه فقد عالج هذه الصفة المذمومة المتأصلة من خلال عدة أساليب علمية وعملية للدخول إلى أعماق النفس الإنسانية وفتح مغاليقها وكبح جماحها، لتغيير خصالتها وتهذيب صفاتها، ويمكن معرفتها من استقراء الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، منها:

١- الترغيب في الإنفاق من خلال بيان الآثار المباركة له في الدنيا والآخرة كمضاعفة الثواب أضعافاً كثيرة، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١)، وأن الإنفاق سبب لغفران

(١) مصباح المتعبد - الشيخ الطوسي: ١٠٢/دعاء: ١٤١، - مفاتيح الجنان: ٤٢.

الذنوب ومحو السيئات، قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٧١)، وسبب للتثيت على الهدى والصراف المستقيم في الآخرة ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (البقرة: ٢٦٥). - لاحظ مثلاً سورة الحديد فإن فيها ربطاً متعددًا بين التوحيد والإنفاق-، وأن الصدقة تستنزل الرحمة الإلهية والاطمئنان والسكينة، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٣) وغير ذلك.

وقد أخبرت الأحاديث الشريفة ببعض هذه النتائج المباركة كقول النبي (ﷺ): (أرض القيامة نار ما خلا ظلَّ المؤمن، فإن صدقته تُظله)^(١)، وقال النبي (ﷺ): (الصدقة تسدُّ سبعين باباً من الشر)^(٢)، وقال (ﷺ): (أكثرُوا من الصدقة ترزقوا)^(٣).

ولم يكتف بذلك بل فرض حقوقاً يجب إيصالها إلى مستحقيها ولا يُعذر المتخلف عنها ولم يدع الإنفاق لرغبة الشخص، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣)، وقال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: ١٩)، ثم بيّن موارد كثيرة لاستحباب الإنفاق وهكذا.

(١) الكافي: ٦/٣/٤ ح ٦.

(٢) بحار الأنوار: ١٣٢/٩٦ ح ٦٤.

(٣) ميزان الحكمة: ٧٠ / ٥.

٢- ذم البخل والإمساك عن الإنفاق الراجح، واعتبارها صفة مذمومة مقية، ليتحرك الإنسان التواق إلى الكمال والرفي والسعادة إلى معالجتها، وبيان أن البخل لا ينفع نفسه بل يضرها، قال تعالى: ﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨)، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٨٠)، وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (البخل جامع لمساوي العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء)^(١)، وروي عن الإمام الهادي (عليه السلام) قوله: (البخل أذم الأخلاق)^(٢)، ومما قيل من شعر الموعدة في البخل:

يفني البخل بجمع المال مدته لم يعتبر بأناس قبله جمعوا
كدودة القز ما تبنيه يهلكها وغيرها بالذي تبنيه ينتفع^(٣)

٣- التحذير من سوء عاقبة المتخلفين عن الإنفاق كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٥-٣٤)، وقوله تعالى:

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٨، راجع ميزان الحكمة: ١ / ٣٥١ للاطلاع على مزيد من الأحاديث.

(٢) بحار الأنوار: ٧٢ / ١٩٩ / ح ٢٧.

(٣) أنظر: ابن الشبل البغدادي حياته وشعره - د - سهى يونس الجبوري: ٨٥

﴿حُدُوهُ فَعَلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾
 (الحاقة: ٣٠-٣٤)، وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (الماعون: ١-٣)، وقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ﴾ (المدثر: ٤٢-٤٤)، فهذه صور لعواقب فظيعة يكفي مجرد تصورها للإصابة بالذعر والهلع الشديدين ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)، فقد جعلت عدم الإنفاق سبباً لوقوع الفرد والمجتمع في التهلكة بصورها المتعددة التي بيّناها في القبس السابق^(١).

أما الأحاديث الشريفة فإنها تفوق حد الإحصاء ولا يسع المجال لذكرها نذكر أحدها وهو قول الإمام الباقر (عليه السلام): (الذي يمنع الزكاة يحول الله ماله يوم القيامة شجاعاً - أي ثعبان - من نار له ريمتان^(٢) فيطوقه إياه ثم يقال له: الزمه كما لزمك في الدنيا، وهو قول الله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٨٠))^(٣).

(١) راجع خطاب رقم: ٧١٣ / (صفحة: ٤٢٤). ٤٢٤.

(٢) كذا في جميع النسخ، وهكذا نقله في المستدرک أيضاً، والصحيح "زبيتان" تشية زبيبة وهما نقطتان سوداوان فوق عيني الحية والكلب. يخيل للرائي أن لها أربعة أعين وإذا كانت كان عضها قتالاً.

(٣) بحار الأنوار: ٨ / ٩٣.

٤- الوعد بأن الله تعالى يخلف على الإنسان ما ينفقه في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩)، مضافاً إلى أن له أجر ما أنفق^(١)، قال تعالى: ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٢)، وهذا الإيفاء متحقق في الدنيا والآخرة؛ لذا يتعجب الإمام الصادق (عليه السلام) من البخيل ويستنكر فعله قال: (إن كان الخلف من الله عز وجل حقاً فالبخل لماذا!!)^(٢).

٥- بيان حقيقة أن هذا المال ليس مملوكاً حقيقة للإنسان، وإنما هو وديعة لديه وأمانة استخلف عليها وعمّاً قريب تستردّ الوديعة ويرث الله تعالى الأرض وما عليها، قال تعالى معاتباً ومستنكراً: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد: ١٠)، وحينئذ يخرج الإنسان من الدنيا صفر اليدين ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ (الأنعام: ٩٤)، ولا يبقى له إلا ما أنفق في سبيل الله، وحينئذ لا يتردد عاقل في تقديم أكبر مقدار ممكن مما خوله الله تعالى إلى حسابه الثابت في الآخرة ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٠) (المزمل: ٢٠)، وعدم تركه وراءه بلا استثمار في ما ينفعه في

(١) يوجد في إحدى الدول الأوروبية بنك للوقت تسجل فيه حساباً للوقت الذي تنفقه في خدمة الآخرين على نحو المدارة الصحية أو الأعمال المنزلية وغير ذلك وهذا الرصيد يُستفاد منه عند الاحتياج إلى المساعدة في الشيخوخة أو المرض أو أي سبب آخر فيأتي من يخدمك مدة تستقطع من الرصيد فهذا تطبيق لما افادته الآية الكريمة من أن الله تعالى يخلف على المنفق.

(٢) بحار الأنوار: ٧٨ / ١٩٠ / ح ١.

حياته الباقية، قال الله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد: ٧)، وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ١٠-١١)، وسيندم الإنسان على بخله وعدم تقديم الزاد لآخرته، وسيلتمس من المؤمنين أن يسعفه بقبس من نورهم ليضيء ظلمته في القيامة فيأتيه الجواب: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ (الحديد: ١٣)، فإن الدنيا هي دار العمل واكتساب الحسنات والنور، وروت عائشة (أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ): ما بقي منها؟ قلت: ما بقي منها إلا كتفها. قال: بقي كلها غير كتفها^(١)، فإن الباقي الحقيقي هو ما أنفق في سبيل الله وفي وجوه البر والإحسان.

٦- معالجة الإشكالات التي يوسوس بها الشيطان لمنع الإنسان من الإنفاق وعلى رأسها خوف الفقر، ولا يلتفت إلى أن الأمر بالإنفاق هو الرزاق الكريم وبيده خزائن السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨) والشيطان يخوفكم من الفقر إذا أنفقتم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥)، والتخويف هنا مطلق شامل لكل أسبابه وموارده، فقال تعالى في الجواب: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

(١) صحيح الترمذي: ح ٢٤٧٠.

(التوبة: ٢٨)، والعيلة تعني الفقر، ويقال عال الرجل إذا افتقر، وقد منَّ الله تعالى على نبيه ﷺ برفع هذه الحاجة ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (الضحى: ٨). ويتعجب الإمام الصادق (عليه السلام) من هذا التناقض المثير للسخرية الذي يقع فيه البخيل، فقال (عليه السلام): (عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب، ويفوته الغنى الذي إياه طلب، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء)^(١).

ويمكن أن يوسوس الشيطان من جهة مصداقية المستحق للإنفاق او وثاقة الوسيط في نقل المال المستحق، وهذه كلها لا تبرر الامتناع عن الإنفاق وإنما توجب الثبت والتأكد من مورد الصرف والقائمين عليه ونحو ذلك.

٧- إلفات النظر إلى أنهم إن لم ينفقوا المال في طاعة الله تعالى وما يوجب رضاه فإنهم سيبتلون بإنفاق ما هو أكثر منه في معصية الله تعالى ويجمعون عليهم خسارة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦)، فهذه الأموال التي بخلوا بها عن طاعة الله تعالى سينفقونها في معصيته^(٢).

٨- التعجيل في فعل الخير والمبادرة الى عمل المعروف، لأن التأنى والتأخير يفسح مجال للشيطان أن يثير الوسواس لمنعه من الإقدام قال الإمام

(١) بحار الأنوار: ٧٢ / ١٩٩ / ح ٢٨.

(٢) راجع تفسير هذا القبس القرآني لمعرفة تفصيل الفكرة، من نور القرآن: ٩١/٢، القبس ٤٨.

الباقر (عليه السلام): (من همَّ شيء من الخير فليعجله، فإن كل شيء فيه تأخير فإن للشيطان فيه نظرة)^(١).

ونحن وإن ركزنا في الحديث على الإقتار والبخل والشح بالمال إلا أنه شامل لكل موارد الإنفاق التي فصلناها في قبس سابق^(٢)، كالبخل بالعلم والمعرفة والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيفضل ويكون سبباً لإضلال غيره، وهو أحد مصاديق قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (النساء: ٣٧)، فعده الله تعالى أمراً بالبخل عملياً فيتحمل وزره ووزر من تأثر به.

وأسوأ درجات البخل وافظعه الامتناع عن الشهادة لله تعالى بالوحدانية ولمحمد (ﷺ) بالرسالة، وعدم أداء الواجبات الشرعية كالصلاة اليومية أو صوم شهر رمضان فإنه بخل فظيع، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (أبخل الناس من بخل بما افترض الله عليه)^(٣)، كما يروى عن أحد طواغيت قريش أنه أجاب النبي (ﷺ) حين طلب منه أن ينطق بالشهادتين فقال: «إن حمل الجبال الرواسي على ظهري أهون علي من النطق بهما».

(١) الكافي: ٢ / ١٤٣ / ح ٩.

(٢) راجع تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)، خطاب رقم: ٧١٣ / (صفحة: ٤٢٤).

(٣) بحار الأنوار: ٧٣ / ٣٠٠ / ح ٢.

وهكذا من البخل كتمان كل شهادة حق، وعلى رأسها الشهادة
لأمير المؤمنين (عليه السلام) بالولاية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ
يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٣)، ومنها
البخل على أهل بيت النبي (ﷺ) بالموَدَّة، وهو حقهم الذي فرضه الله
تعالى وجعله أجر تبليغ الرسالة، قال تعالى: ﴿قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣).

وتصل ذروة البخل بالامتناع عن أداء حق النبي (ﷺ) وشكره
على جهده وجهاده بالصلاة عليه وعلى آله عند ذكره، ففي الحديث
النبوي الشريف: (إن أبخل الناس من ذُكرتُ عنده ولم يصلِّ عليَّ) (١).
وقال (ﷺ): (البخيل حقاً من ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ) (٢).

ومن موارد الشحِّ ما ورد في تفسير الآية المتقدمة بالنسبة للمرأة
بأنه: عدم ارتدائها اللباس الفاخر وترك التزين والامتناع عن تلبية
احتياجات الزوج، فيعالج الشحُّ بأداء حق الآخر وقد يتطلب التنازل عن
بعض حقه لإيقاع الصلح قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا
صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء: ١٢٨).

(١) كنز العمال: ح ٢١٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ٣٠٦/٧٣ ح ٢٨.

ومن موارد المنع والإمساك أن يبخل الشخص بالسلام فلا
يبتدئ أحداً بالسلام، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (البخيل من بخل
بالسلام)^(١).

بل قد لا يردّ السلام مع وجوبه، وآخر يبخل بالكلمة الطيبة فلا
يقول شكراً لمن قدّم له خدمةً كزوجته مثلاً، وآخر لا يسدي معروفاً
إلى أحد مع قدرته عليه.

خطاب المرحلة

(٧١٧)

دليل فاطمي على إمامة علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(١)

كان مشروع الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هو إثبات ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) على الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والدفاع عن حقه المقدس وتثبيت الأمة على الصراط المستقيم وهو الإسلام المحمدي الأصيل ومنع انحرافها عنه.

وقد أقامت (عليها السلام) أكثر من دليل لفظي وعملي على إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومنها ما نذكره هنا، وهو متكون من عدة مقدمات:

١- تواتر عن الفريقين قول النبي (صلى الله عليه وآله): (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)^(٢)، يعني أن من لم يعرف الإمام الحق ويتبعه فإنه يموت على غير الإسلام وهو المعنى الوارد في الدعاء الذي أوله (اللهم عرفني نفسك) الى أن يقول: (اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن دين)^(٣)، فالميتة الجاهلية تعني الضلال والابتعاد عن الدين.

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (رحمته الله) مع حشد من طلبة وشباب كربلاء يوم السبت ٧/جمادي الثاني/١٤٤٤هـ- الموافق ٢٠٢٢/١٢/٣١م.

(٢) الإقبال بالأعمال الحسنة، ج ٢، ص ٢٥٢، وورد في صحيح مسلم بلفظ آخر: ينقل قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) صحيح مسلم: ٣/١٤٧٨.

(٣) مفاتيح الجنان: دعاء زمن الغيبة.

٢- إن الفريقين يقطعون بأن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بنص الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣).

وقد تواترت الروايات في فضل فاطمة (عليها السلام) وإنها سيدة نساء العالمين وريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبضعة منه ومهجة قلبه وأحب الناس إليه وان الله تعالى يرضى لرضاها ويغضب لغضبها^(١).

ومثل هذه المرأة الطاهرة المعصومة الكاملة التي سادت الخلق لا يمكن أن تموت ميتة الجاهلية لأنه خلاف هذه الأحاديث الشريفة، فلا بد أن تكون عارفة بإمام زمانها ومتبعة له.

٣- وحينئذٍ نسأل من هو إمام الزمان الذي اتبعته السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)؟ لا يخلو الأمر إما أن يكون هو خليفة السقيفة بحسب ما اختارت العامة، أو أمير المؤمنين (عليه السلام) بحسب ما تقول الشيعة، وإذا بطلت إمامة أحدهما يتعيّن الآخر لعدم وجود احتمال ثالث.

وقد أبطلت السيدة الزهراء (عليها السلام) إمامة السقيفة بعدة مواقف منها ما روي ((أنّ عمر قال لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها، فانطلقا فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها، فلم تردّ عليهما السلام، فتكلم

(١) الفضائل الخمسة في الصحاح الستة: ج ١/٣١٠، للسيد الفيروز ابادي والكتب المفصلة في سيرة الزهراء (عليها السلام).

أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله (ﷺ) والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنني مت ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك، وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله (ﷺ)؟ إلا أنني سمعت أباك رسول الله (ﷺ) يقول: «لا نورث، ما تركناه صدقة».

فقلت (عليها السلام): (أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله (ﷺ) تعرفانه وتفعلان به؟) فقالا: نعم، فقلت: (نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله (ﷺ) يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟).

قالا: نعم، وسمعناه من رسول الله (ﷺ).

قالت: (فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتاني وما أرضيتاني ولئن لقيت النبي (ﷺ) لأشكونكما إليه)، فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه ومن سخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه أن تزهد فاطمة تقول: (والله لأدعون عليكما في كل صلاة أصليها، ثم خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم: بيت كل رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتوني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلونني بيعتي)^(١).

فهل تصلح الإمامة لمن اغضب الله ورسوله (ﷺ) واستحق سخطهما؟ وقد تبرأت السيدة الزهراء (عليها السلام) من إمامتهما، وإذا بطلت إمامة السقيفة

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني: ٢٠ / ١.

فتعينت الإمامة الحققة بعلي بن ابي طالب (عليه السلام)، وقد ذكرت المصادر أنها ماتت وهي واجدة عليهما^(١)، وهي مرحلة أشد من الأذى والألم والحزن. وقد رفعت خصومتها معهما الى الله تبارك وتعالى واشهدت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ظلمهما لها حينما قالت في خطبتها: (فنعم الحَكَمَ الله، والزعيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم))^(٢).

وهو ما عبرت عنه (سلام الله عليها) بوضوح في عدة خطب ودافعت عنه وحثت الناس على التمسك به ثم وبختهم على التقاعس عن الوفاء بالعهد وحذرتهم من مغبة ذلك في خطب مفصلة مذكورة في كتاب الاحتجاج وغيره.

نحمد الله تعالى على حسن توفيقه لنا بالسير على نهج الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ونفخر باننا مع من يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها في صف واحد وخذق واحد وهو الذي يؤمن بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ويتبعه، وإنها لعمرى من أعظم النعم الإلهية التي ترفع الرأس سمواً وتطأطئه تواضعاً لله تعالى وشكراً له وفي نفس الوقت نأسف لمن حُرِمَ من هذا الفضل العظيم فأثبتوا عليه ودافعوا عنه وادعوا الناس اليه شفقة عليهم وحباً لهم.

(١) مؤتمر علماء بغداد - مقاتل بن عطية: ١٨٧.

(٢) الاحتجاج: ٩٧ / ١.

خطاب المرحلة

(٧١٨)

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

تنزيه الأمة الإسلامية عن السب^(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ

عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨)

السبّ والشتيم: ذكر الآخر ونبزه بما يُنقص قدره ويشين سمعته من الأوصاف القبيحة، وسبّهم الله تعالى ذكرهم له بما لا يليق بمقامه وقد سجّل القرآن الكريم جملة من مقولاتهم الباطلة كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٩١)، وقيل: أن أصل السب القطع^(٢)، لأنه سبب للقطيعة أو لأنه يقطع تقدم الآخر وانتشار صيته بذمه ونسبة النقائص إليه، قال بعض المحققين: ((الأصل في هذه المادة: هو الحصر والحد بالنسبة إلى سعة شيء وانطلاقه واعتلائه، فيقال: سبّه إذا قال فيه ما يوجب حصره ويمنع عن انطلاقه واعتلائه، والسبب هو ما يتوصّل به إلى شيء

(١) ألقى هذا القبس القرآني في درس التفسير الأسبوعي على طلبة البحث الخارج يوم الأربعاء ١١/ ذو

القعدة/ ١٤٤٤هـ- الموافق ٣١/ ٥/ ٢٠٢٣م تزامناً مع ذكرى ميلاد الإمام الرضا (عليه السلام).

(٢) معجم مقاييس اللغة- ابن فارس: ٦٣/ ٣، جمهرة اللغة- ابن دريد: مادة (سب).

في مقام حصره والإحاطة به، فمعنى يسبوا الله: أي يقولون فيه ما يوجب حصر مقامه وتحديد مرتبته وعلو شأنه^(١).

قال في المفردات: ((السب: الشتم الوجيع، وسبهم لله ليس على أنهم يسبونه صريحاً ولكن يخوضون في ذكره فيذكرونه بما لا يليق به ويتمادون في ذلك بالمجادلة فيزدادون في ذكره بما تنزه تعالى عنه)).

والآية الكريمة تبين أدباً من آداب الإسلام الراقية لحفظ كرامة المجتمع المسلم ولتنزيهه عما يشين وهو الترفع عن سب الآخر والاكتفاء بدعوتهم إلى الحق بالحجة والبرهان على نحو قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل: ١٢٥)، والسب ليس من أساليبها حتى لو كان المقابل من الكفار والمشركين فضلاً عما هو أقرب، لأن ذلك يستفزهم ويدعوهم إلى الرد بما لا يليق بالخالق العظيم ظلماً وجهلاً منهم وحماسة وتعصباً فينسبون إليه سبحانه النقص والتشبيه والظلم والعجز وغير ذلك تعالى الله عما يصفون، ويكون المؤمن سبياً في هذا التجاوز عليه.

فالحكم ليس مبنياً على كون المشركين وآلهتهم يستحقون السب أو لا، وإنما لترتب هذا الفعل المقيت، والله تعالى لا ينقصه هذا السب ولا يضره ولكن هذا الفعل وردة الفعل سيخلقنا أجواءً متشنجة وعصبية تعيق هداية الآخرين، لأنها تقطع طريق الحوار وتدفعهم إلى العناد والمكابرة، ولا يريد الله تعالى لعبادة المؤمنين أي يكونوا سبياً لزيادة آثام الآخرين، وقد استفاد العلامة الطبرسي (رحمته) من الآية ((دلالتها على أنه لا ينبغي لأحد أن يفعل أو يقول ما

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم للمصطفوي: ١٦/٥.

يؤدي إلى معصية غيره))^(١)، وقد يكون الشخص سبباً في سبِّ والديه، روى عن رسول الله (ﷺ) قوله: (من أكبر الكبائر أن يسبَّ الرجلُ والديه، قيل: وكيف يسبُّ والديه؟ قال (ﷺ): يسبُّ الرجلُ فيسبُّ أباه وأمه)^(٢)، فلا بد من ضبط الانفعالات والتصرف بحكمة ودقة نظر لتأثيرات هذا التصرف وتداعياته. ومن خالف هذا النهي واتبع حماسه وعاطفته فقد عصى الله تعالى، روى علي بن إبراهيم في تفسيره بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إنه سئل عن قول النبي (ﷺ) أن الشرك أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء، فقال: كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله وكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سبِّ آلهتهم لكيلا يسبَّ الكفار إله المؤمنين فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون فقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٣)، والشرك المقصود هو شرك الطاعة وليس شرك العبادة.

والمراد من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يمكن أن يكون على نحو الفاعل أو المفعول به فيشمل الداعي والمدعوين، أي الكفار وآلهتهم، لذا فإن النهي عن السب يتسع إلى سائر الرموز المقدسة لدى الآخر لأنه سيدفعه إلى النيل من أولياء الله الصالحين، روى العياشي في تفسيره عن عمر الطيالسي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (سألت عن قول الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا

(١) مجمع البيان: ٤ / ٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ٧٤ / ٤٦ / ح ٦.

(٣) تفسير القمي: ١ / ٢١٣، بواسطة البرهان: ٤ / ١٩.

الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿١﴾ قال: فقال: يا عمر هل رأيت أحداً يسبّ الله؟ قال: فقلت: جعلني الله فداك فكيف؟ قال: من سبّ ولي الله فقد سبّ الله^(١).

وقد دأب الأئمة المعصومون (عليهم السلام) على تربية شيعتهم على التعفف عن السبّ، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله لبعض أصحابه لما سمعهم يسبون أهل الشام: (إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّائِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصُوبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُدْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهَلَهُ، وَيَرَعُو عَنِ الْغِيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ)^(٢)، وفي نقل: كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين^(٣).

أما سبّ المؤمن فهو من الكبائر، قال النبي (ﷺ): (سباب المؤمن فسوق وقاتله كفر)^(٤)، وروي عنه (ﷺ) قوله: (سأبّ المؤمن كالمشرف على الهلكة)^(٥)، وإذا تسابّ شخصان فوزرهما على البادي، روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قوله: (البادي منهما أظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم)^(٦)، وفي رواية (ما لم يعتد المظلوم).

(١) تفسير العياشي: ١/ ٣٧٣/ ح ٨٠، بواسطة البرهان: ٢/ ٢٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٦.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٣/ ١٨١، بواسطة ميزان الحكمة: ٤/ ١٣١.

(٤) كنز العمال: ٨٠٩٤/ ح ٨٠٩٣.

(٥) كنز العمال: ٨٠٩٤/ ح ٨٠٩٣.

(٦) الكافي: ٢/ ٣٦٠/ ح ٤.

لذا كان من أعظم موبقات معاوية وجرائمه سنّه سب أمير المؤمنين (عليه السلام) وأمر عماله على الولايات بذلك، فقد أرسل معاوية كتاباً إلى عماله قال فيه: ((ألا برئت الذمة ممن روى حديثاً في مناقب علي وأهل بيته، وقامت الخطبة في كل مكان على المنابر بلعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) والبراءة منه والوقية في أهل بيته واللعنة لهم بما ليس فيهم (عليه السلام)))^(١)، وعمل بها الأمويون سبعين عاماً عدا فترة عمر بن عبد العزيز وهي سنتان حيث أمر برفع السب، وما وجدوا في علي مثلبة يسبونه بها فافتروا عليه تهماً ليحرضوا الغوغاء عليه كاتهامه بقتل عثمان زورا وبهتاناً وهم يعلمون براءته، روي إن أحدهم سأل مروان بن الحكم فقال: ((بأنكم تقولون بأن علياً تهاون في قتل عثمان، قال مروان بن الحكم: معاذ الله إن علياً بريء من دم عثمان كبراءة الذئب من دم يوسف) فقال له: إذن لم تقولون ذلك؟ فقال مروان بن الحكم: إن أمرنا لا يستقيم إلا بذلك))^(٢)، وروى عمرو بن علي بن الحسين، عن أبيه علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: (قال لي مروان: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم، قلت: فما بالكم تسبونه على المنابر؟ قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك)^(٣).

وروى ابن المغيرة عن شعبة: (دخلت مع أبي علي معاوية فكان أبي يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه،

(١) بحار الأنوار: ١٧٦ / ٣٣.

(٢) الصواعق المحرقة: ٥٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٣ / ٢٢٠.

إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتماً فانتظرته ساعة وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم! قلت: وما ذاك؟! قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت. ولو نظرت إلى إختوك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه. فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه؟! ملكٌ أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر! ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر. وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله! فأبي عمل لي يبقى، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبالك! لا والله إلا دفناً دفناً^(١).

ويظهر من رواية جلييلة عن الإمام الرضا (عليه السلام) أن كثيراً من روايات مثالب خصوم أهل البيت (عليهم السلام) هي من صنع اعدائهم ونشروها مع ما فيها من منقصه على كبرائهم لتصل الى شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ويتداولونها، وتبين الرواية بدقة مسالك أعداء أهل البيت (عليهم السلام) لعزلهم وشيعتهم عن بقية الأمة وإثارة الناس عليهم من خلال دسّ ثلاثة أشكال من الروايات أحدها التي تسبّ الرموز المقدسة لدى الآخرين ليتلاقفها أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بعاطفة وحماس واندفاع ويتحدثون بها فيتنفّر منهم الآخرون ويعزلونهم ويحاصرونهم

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد: ١٢٩ / ٥، نقلاً عن كتاب الأخبار الموقفيات - للزبير بن بكار:

ثم يكفرونهم ويستحلّون دماءهم، وقد نهى النبي (ﷺ) عن ذلك بقوله: (لا تسبوا الناس فتكتسبوا العداوة بينهم)^(١).

قال إبراهيم بن أبي محمود: (قلت للرضا (عليه السلام): يا ابن رسول الله إن عندنا أخباراً في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) وفضلكم أهل البيت وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عنكم، أفنديين بها؟ فقال: يا ابن أبي محمود لقد أخبرني أبي عن أبيه عن جده (عليه السلام) أن رسول الله (ﷺ) قال: من أصغى إلى ناطقٍ فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله عز وجل فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس، أي أعرف من تصغي إليه ولا تتبع إلا الحق، ثم قال الرضا (عليه السلام): يا ابن أبي محمود إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا ونسبواهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨)، يا ابن أبي محمود إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه، إن أدنى ما يخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة: هذه نواة، ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه، يا ابن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة)^(٢).

(١) الكافي: ٢ / ٣٦٠ / ح ٣.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١ / ٢٧٢.

فمشاريع الأعداء في ذلك الزمان وفي كل زمان خفية تنطلي على غير الفطن الذي أنار الله تعالى بصيرته وهي على ثلاثة أنحاء والهدف منها خلق قاعدة شعبية عاطفية مندفعة تتقبل كل طرح يعزز هويتها ويميزها عن الآخرين لأنهم يرون العلاقة مع الآخر صراع وجود، وهذا الصراع يستفيد منه بعض المتصدّين تحت هذا العنوان لترسيخ زعامتهم وهيمنتهم.

وبروايات التقصير يستفزّون المغالين المندفعين ويدفعونهم بعيداً باتجاه الغلو لأن المغالين يستمدون حماسهم من مخاصمة المقصّرين، فيخرج المغالون عن حدّ الوسطية والاعتدال الذي أمر الله تعالى به ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣) ويعادون الجميع حتى إخوانهم في العقيدة إذا لم يشاركوهم في تطرفهم وهي نتيجة طبيعية لمن يعتمد الثقافة الحماسية غير المبنية على الدليل المعروف في المصطلح بالشعبوية.

وهذا درس عميق في علمي السياسة والاجتماع نستفيد منه لترشيد علاقتنا في بيتنا الداخلي ومع الآخرين، وقد عمل أعداء أهل البيت (عليه السلام) كل ما بوسعهم للوصول إلى تطويق مذهب أهل البيت (عليه السلام) وجعل شيعتهم معزولين فلا ينتشر التشيع رغم ما فيه من قابلية التأثير والإقناع (فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)^(١)، بل يؤدي إلى ردة فعل جاهلة حمقاء ضد شيعة أهل البيت (عليه السلام) للانتقام منهم واستئصالهم.

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١ / ٢٧٥.

فلا بد من الرجوع إلى القواعد التي رسمها الله تعالى ورسوله (ﷺ)
وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) في التعامل مع الآخرين فإنه هو الحق ﴿فَمَاذَا بَعْدَ
الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ (يونس: ٣٢).

خطاب المرحلة

(٧١٩)

﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ (آل عمران: ١٥١)

السيدان الشهيدان الصدران.... نموذجاً^(١)

تناولت سورة آل عمران في سياق طويل معركة أُحُد وملاساتها ونتائجها والدروس المستفادة منها، ومنها هذه الفقرة التي تقع ضمن عدة فقرات فيها تسلية وعزاء للمسلمين عن الشهداء الذين سقطوا في معركة أُحُد وهم سبعون من خيرة المهاجرين والأنصار، وفيها تخفيف عن آلام المسلمين وجراحهم بسبب النكبة التي حصلت لهم في المعركة، وتقوية معنوياتهم وإعادة الأمل والثقة إلى نفوسهم، فيذكرهم الله تعالى بعدة حقائق عليهم أن يستحضروها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩-١٤٠) فتبين الآيتان:

١- إنكم أنتم الأعلون بالإسلام فلا يجوز أن تشعروا بالهزيمة والهوان إن كنتم صادقين في إيمانكم.

(١) قيس قرآني ضمنَ دروس (من نور القرآن) الأسبوعي التي يليها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبة البحث الخارج، وقد كان هذا القيس بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد السيد الصدر الثاني (قدس سره) يوم ٤/ ذو القعدة/ ١٤٤٤هـ- الموافق ٢٤/ ٥/ ٢٠٢٣م.

٢- إن أصابكم قتل وجراح في هذه المعركة فقد أصاب عدوكم مثله فيها وفي معركة بدر ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ﴾ (النساء: ١٠٤) ولم يياسوا بل جمعوا قوتهم من جديد وأعادوا الكرة بالهجوم عليكم فلا يكونوا أحرص على باطلهم منكم على حقكم.

٣- إن هذا التقلب في الأحوال هو شأن الدنيا بسعادتها وشقتها فإن ((دوام الحال من المحال)) كما قيل، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الدهر يومان: يومٌ لك ويومٌ عليك)^(١) إذ كل وضع له مقدماته وأسبابه التي تؤدي إليه، وقد أرادها الله تعالى كذلك فنسب المداولة إليه سبحانه ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠) منذ أن بدأت الخليقة، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (ما زال منذ خلق الله آدم دولةً لله ودولةً لإبليس، فأين دولة الله، أما هو إلا قائم واحد)^(٢)، فيوم لآدم على إبليس حينما طرد وعوقب بسبب امتناعه من السجود، ويوم لإبليس على آدم حينما أطاعه وأكل من الشجرة فاهبطه الله تعالى من الجنة، واخرج في الدر المنثور عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: (إن للحق دولة وإن للباطل دولة، دولة من دولة الحق أن إبليس أمر بالسجود لآدم فأدبيل آدم على إبليس وابتلي آدم بالشجرة فأكل منها فأدبيل إبليس من آدم)^(٣).

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٩٦.

(٢) تفسير العياشي: ١/ ١٩٩.

(٣) الدر المنثور: ٢/ ٧٩.

٤- إن هذه الابتلاءات وتغير الأيام تكشف عن حقيقة الناس واستحقاقهم لثواب المحسنون ويعاقب المسيئون ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (آل عمران: ١٤٠)، ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (الأنفال: ٣٧)، وتفرز أهل المطامع والأغراض الدنيوية عن الصادقين في إيمانهم ليتخلص المجتمع المسلم من أولئك الذين ينخرون في عقيدته وأخلاقه.

٥- إن الشهادة كرامة من الله تعالى ووسام يقلده الله من يشاء، وهو عظمت آلاؤه من يصطفي الشهداء منكم ويختارهم، فلماذا الأسى والحزن والله تعالى لا يختار لعباده إلا الخير، و﴿مِنْ﴾ هنا تبعيضية، وهذا المعنى ذكره الإمام السجاد (عليه السلام) بقوله لابن زياد: (وكرامتنا من الله الشهادة)^(١)، وذكرته العقيلة زينب (عليها السلام) وهي ترد على استهزاء ابن زياد وسؤاله: ((كَيْفَ رَأَيْتِ صَنَعَ اللَّهُ بِأَخِيكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟)) فقالت (عليها السلام): ((مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلًا، هُوَ لَاءِ قَوْمٍ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ فَبَرَزُوا إِلَيَّ مَضَاجِعِهِمْ))^(٢).

والشهداء جمع شهيد أو شاهد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ (البقرة: ٢٨١) وهو مأخوذ من الشهود، والشهود والمشاهدة تعني المعاينة الحضورية إما بالبصر أو البصيرة والوجدان ويقابلها الغيب كما في كثير من الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥) والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر: قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ

(١) تاريخ الطبري: ٦ / ٢٦٣.

(٢) بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار) (عليه السلام): ٤٥ / ١١٥.

شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴿يونس: ٦١﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (البروج: ٧)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ (البقرة: ٢٨١)، وقول النبي (ﷺ) وقد سئل عن الشهادة قال: (هل ترى الشمس؟ على مثلها فاشهد أو دع)^(١).

وفي ضوء هذا فإن من وجوه تسمية القتل في سبيل الله شهيداً لأنه يشاهد قبل خروج روحه ما أعده الله تعالى له من النعيم، أو لأنه شهد المعركة وثبت فيها حتى قتل - عن مجمع البيان -.

وقد يجعل الله تعالى في الشهداء من لم يقتل لأنه كان صادقاً في طلبها مهياً نفسه لها، قال رسول الله (ﷺ): (من طلب الشهادة صادقاً أعطيتها ولو لم تصبه)^(٢)، وقال (ﷺ): (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه)^(٣)، وقد يحرم أحدٌ من الشهادة لعدم استحقاقه لها فلم يكرمه بها، وقد يؤخر الله تعالى لعبده الشهادة وهو مستحق لها لمصلحة الدين والأمة، قال أمير المؤمنين من خطبه له: (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أَحَدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحِيَزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ^(٤))، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ لِي: «أَبَشِّرْ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ؟» فَقَالَ

(١) وسائل الشيعة (آل البيت): ٣٤٢ / ٢٧.

(٢) صحيح مسلم: ٣/ ١٥٦-١٥٧ / ح ١٥١٧، بواسطة ميزان الحكمة: ٥١٢/٤.

(٣) صحيح مسلم: ٣/ ١٥٦-١٥٧ / ح ١٥١٧، بواسطة ميزان الحكمة: ٥١٢/٤.

(٤) روي عن أنس بن مالك قال: (أتى رسول الله (ﷺ) بعلي (عليه السلام) يومئذ وفيه نيف وستون جراحة - وفي رواية أخرى تسعون - من طعنة وضربة ورمية، فجعل رسول الله (ﷺ) يمسحها وهي تلتئم بإذن الله تعالى كأنها لم تكن) (مجمع البيان: ٢٢١/٢).

لي: «إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ^(١)، هكذا يتلقى المؤمنون الراضون بما يختاره الله تعالى بشرى القتل في سبيله.

وقد تعرضنا لهذا المعنى من الشهادة وهو القتل في سبيل الله تعالى باعتبار سياق الآيات ونزولها في معركة أحد، وإلا فإنَّ الشهادة في المصطلح القرآني لها معنى أوسع من هذا، فإنها مقام شريف وهي تعني الرقابة والقيام بوظائف الخلافة الإلهية، والالتزام بما عاهدوا الله عليه، وترشيد عمل الناس وفق ما يريد الله تعالى ويرضاه، ويكون الشهداء مسؤولين عن كل ذلك أمام رسول الله (ﷺ) والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

والشهادة على الأمة مسؤولية تتطلب عدة مؤهلات:

١- العلم والمعرفة بالحقائق الدينية عموماً؛ لتتمكنوا من الشهادة عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (المائدة: ٤٤).

٢- الحكمة والرشد في التصرف، وعدم اتباع الهوى ونحوه من أسباب الانحراف، والسلوك بوسطية واعتدال من خلال الالتزام التفصيلي بالشرعية، وهي الملكة المعروفة بالعدالة نعم هو لا يصل الى العصمة لذا

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٦.

احتاج الشهداء من الأمة الى شهادة المعصوم عليهم ومراقبته لهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

٣- الخبرة والنضج في إدراك الواقع ووعي متطلبات المرحلة وتحدياتها من خلال المعاشية الحسية والاستفادة من التجارب، قال تعالى عن لسان عيسى بن مريم (عليه السلام): ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة: ١١٧)، فالشهادة تتطلب معاشتهم ومعاينة أعمالهم فلما غاب عنهم فقد شرطاً من شروطها، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (العارف بزمانه لا تهجم عليه اللوابس)^(١).

٤- توفر الملكات النفسية كالشجاعة والثبات والصبر وقوة العزيمة وعلو الهمة والتفاؤل التي تجعله كفوفاً لهذا المقام الشريف، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما ضعف بدنٌ عما قويت عليه النية)^(٢)، وترسخ هذه الملكات بالتعرض للابتلاءات والمحن.

وهذه المؤهلات تميز الشاهد عن باقي الأمة وتجعل له مقام المشاهدة لأفعال الأمة والإشراف على أعمالها كمن يشرف من علو فيكون محيطاً بما يجري تحت نظره، وسموا شهداء لمشاهدتهم الأعمال التي يشهدون بها. وفي ضوء هذا المعنى فالآية الكريمة التي نحن بصددنا تعني وعد المؤمنين بمنحهم مقام الشهادة اذا عرفوا هذه الحقائق التي استفدناها من

(١) تحف العقول: ٣٥٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤/٤٠٠.

الآيتين وأطمأنوا بها، والبشرية بحاجة الى هؤلاء القيمين على الدين والقائمين بإرشاد الناس وإصلاحهم، وتكون الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

ومن هذا المعنى يتحصل لنا وجه آخر لتسمية القتل في سبيل الله شهيداً، لأنه بتقديم نفسه قرباناً يدلي بأعظم شهادة على الحق الذي مضى عليه وقد شهد بها قتلى أحد على الفارين من الزحف وعلى جميع الناس بحقيقة أن عصيان أوامر القائد الرباني تؤدي الى الهزيمة والخذلان والانكسار، وتستمر شهادتهم الى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٦٩).

وأعظم شهادة في هذا المجال شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) فقد شهد بدمه وتضحياته بأهل بيته وأصحابه على حقانية هذا الدين وسموه وعلو قدره وبذل الغالي والنفيس في نصرته وحفظه ونشره، روى الشيخ الطوسي في الأمالي عن عبد الله بن سيابة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (لما قدم علي بن الحسين (عليه السلام) وقد قُتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقال: يا علي بن الحسين من غلب؟ وهو مغطى رأسه وهو في المحمل، فقال له علي بن الحسين (عليه السلام): إذا أردت تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذن ثم أقم^(١)، أي اذا دخل وقت الصلاة وتشهدت في آذانك

(١) أمالي الطوسي: ٧٧ / ٦.

وإقامتك لله بالوحدانية ولمحمد (ﷺ) بالرسالة ستعرف أن الحسين (عليه السلام) هو المنتصر وأن شهادته قد أدت غرضها.

وقد اختار المعنى الأول للشهداء الشيخ الطوسي في التبيان^(١) بلحاظ سياق الآيات، واحتمل عدة مفسرين المعنيين ومنهم الطبرسي^(٢)، واختار بعضهم الثاني خاصة كالسيد الطباطبائي في الميزان باعتباره المعنى المستعمل^(٣) في القرآن الكريم قال (تَذَكُّرُ): ((وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ (آل عمران: ١٤٠)، فالشهداء شهداء الأعمال وأما الشهداء بمعنى المقتولين في معركة القتال فلا يعهد استعماله في القرآن، وإنما هو من الألفاظ المستحدثة الإسلامية، كما مر في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ (البقرة: ١٤٣)، على أن قوله ويتخذ أيضاً لا يلائم الشهداء بمعنى المقتولين في المعركة كثير ملاءمة فلا يقال اتخذ الله فلاناً مقتولاً في سبيله وشهيداً كما يقال اتخذ الله إبراهيم خليلاً واتخذ الله موسى كليماً واتخذ الله النبي شهيداً يشهد على أمته يوم القيامة^(٤)، ثم قال (تَذَكُّرُ) بعد كلام: ((ويمكن أن يتأيد هذا الذي ذكرناه بقوله بعده: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠)).

(١) أنظر: التبيان: ٦٠٢ / ٢.

(٢) أنظر: مجمع البيان: ٤٠٠ / ٢.

(٣) أما شهداء الحرب فقد ذكروا بالقتل ولم يذكروا بالشهادة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٥٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ٣٠ / ٤، ط. الأعلمي - بيروت.

وقال السيد السبزواري (تَدْبُرُ) في وجه التأييد: ((ولأن قوله تعالى: ﴿لَا يُجِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ قرينة على أن المراد بالشهداء هم شهداء الأعمال أو من يصلح للشهادة على الأمم يوم الحساب.

وفيه: أولاً: أنه خلاف سياق مثل هذه الآيات الشريفة، إذ لا ربط لقبول قول الشهداء في عداد بيان خصوصيات القتال والجهاد في سبيله. وثانياً: إذا كانوا من الشهداء في الحق يكونون من الشهداء على الأعمال أيضاً؛ لما ذكرنا سابقاً من أن الشهداء في سبيل الله لهم مقام الشهادة على الأعمال والشفاعة؛ لما ابتلوا بالصبر والإيثار ببذل النفس.

وثالثاً: إن قوله: ﴿لَا يُجِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ تفصيل بين الشهداء في الحق، فهم ممن أحبهم الله تعالى واتخذهم وارتضاهم، وبين من قُتل في غير الحق. ورابعاً: إن استعمال الشهداء بمعنى المقتول في المعركة مطابق للقواعد العربية الفصيحة، فلا محذور في وروده في القرآن الكريم، فليكن المقام من ذلك^(١).

أقول: يمكن أن يراد كلا المعنيين باعتبار انطباق العنوان عليهما كما أوضحنا، وأن المورد لا يخصّص الوارد، وعدم صحّة إخراج معنى القتل في سبيل الله لأنه محل الكلام، وإن المصطلح موجود في الأحاديث النبوية الشريفة^(٢)، فهو مستعمل في عصر نزول القرآن، بل يمكن استظهاره من بعض الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: للسيد عبد الأعلى السبزواري: ٦/ ٣٦٩-٣٧٠، ط. الخامسة.

(٢) راجع الجزء الثالث من كتاب ميزان الحكمة، ويمكن أن يُنسب إلى الآيات الشريفة.

قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً ﴿النساء: ٧٢﴾، بتقريب أن فرحهم كان لأجل أنهم لم يقتلوا في المعركة، مضافاً إلى أن أمثال هؤلاء الناس لا يمكن أن يفهموا من الشهادة معنى القيمومة على الأمة فالأقرب أنهم يقصدون المقتولين في سبيل الله في المعركة بعد أن صارت تسميتهم بالشهداء تعبيراً عرفياً في المجتمع المسلم فلا وجه لاستبعاده.

وقد دلت الأحاديث الشريفة على أن مصاديق الشهيد واسعة جداً لا تقتصر على القتل في سبيل الله تعالى كراماً من الله، قال الإمام الحسين بن علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (لو لم تكن الشهادة إلا لمن قتل بالسيف لأقل الله الشهداء)، ومن المصاديق الواسعة للشهيد ما ورد في الحديثين المتقدمين (صفحة: ٤١٧) عن رسول الله (ﷺ)، وروي عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله: (ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر^(١) فعف^(٢))، وروي عن رسول الله (ﷺ): (من مات على حب^(٣) آل محمد مات شهيداً)^(٤)، وفي حديث الإمام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (من مات على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأحد)^(٥)، وروي في مجمع البيان عن منهال القصاب

(١) أي قدر على فعل المعصية أو على خصمه لكنه أتقى الله تعالى فانصرف على هواة وميله النفسي وعف فعل الحرام.

(٢) نهج البلاغة الحكمة: ٤٧٤.

(٣) لا بد أن نفهم من الحب المقترن بالطاعة والإتياع (إن المحب لمن أحب مطيع) وليس مجرد الحب العاطفي.

(٤) بحار الأنوار: ٦٨ / ١٣٧ / ح ٧٦.

(٥) بحار الأنوار: ٨٢ / ١٧٣ / ح ٦.

قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام) ادع الله أن يرزقني الشهادة، فقال: ان المؤمن شهيد، وقرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (الحديد: ١٩)^(١)، ووردت في الأحاديث الشريفة مصاديق أخرى كالمرأة التي تموت أثناء الولادة، ومن مات غرقاً، أو بسبب الطاعون، والمواظب على آية الكرسي دبر كل صلاة، وعلى سورة الكهف كل ليلة جمعة^(٢)، وغير ذلك^(٣).

إن الشهادة لا تتحقق إلا بإخلاص العمل لله سبحانه وأن يُقدّم حينما يريد منه الله تعالى الإقدام، ويتأخر عندما يريد الله تعالى له ذلك من خلال طاعة القيادة الربانية الرشيدة التي افترض الله تعالى طاعتها، وليس تبعاً لهواه واندفاعه وحماسه أو تعصباً أو لجماعة أو حباً بشخص أو طمعاً في الدنيا أو غير ذلك، روى الشيخ الطوسي في أماليه بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه الكاظم عليه السلام عن آبائه (صلوات الله عليهم أجمعين) عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث قال: (إنما الأعمال بالنيات، ولكل أمرئ ما نوى، فمن غزا ابتغاء ما عند الله فقد وقع أجره على الله عز وجل، ومن غزا يريد الدنيا أو نوى عقلاً لم يكن له إلا ما نوى)^(٤)، وقال صلى الله عليه وآله: (كم ممن أصابه السلاح ليس بشهيد ولا حميد، وكم ممن قد مات على فراشه حتف أنفه عند الله صديق شهيد)^(٥).

(١) مجمع البيان: ٣٥٩ / ٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٧.

(٣) راجع الأحاديث في ميزان الحكمة: ٥١٢ / ٤.

(٤) وسائل الشيعة (آل البيت): ٤٩ / ١.

(٥) كنز العمال: ١١٢٠٠.

إن للشهادة قيمة كبرى في الإسلام لا يضاهيها شيء من الطاعات بحسب الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كما في قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩)، فالشهداء بعد مرتبة النبيين والصدّيقين، وروي عن النبي (ﷺ) قوله: (فوق كل ذي برٍّ حتى يقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ)^(١).

وقد تتفاوت درجات الشهداء بحسب نوع العمل وظروفه ودرجة الصدق والثبات فيه كالمروي في تفاوت درجة القادة الشهداء في مؤته فإن عبد الله بن رواحه ليس في درجة جعفر الطيار وزيد بن حارثة (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين).

وتبلغ قيمة الشهادة ذروتها عندما تكون بسبب اتخاذ المواقف الحقّة الأمرة بالمعروف والناهية عن المنكر في زمان دولة الجور والظلم والعدوان وانتهاك المقدسات فقد روي في الحديث الشريف عن رسول الله (ﷺ) لما سئل: يا رسول الله! أي الجهاد أفضل؟ قال: (كلمة حق تقال عند ذي سلطان جائر)^(٢).

لقد كان السيدان الشهيدان الصدران (قدس الله سريهما) شهيدين بكل هذه المعاني فقد كانا بمرجعيتهما وعلمهما وعملهما وجهادهما ومواقفهما شهيدين على الأمة وحجتين عليها.

(١) الكافي: ٢/ ٣٤٨/ ح ٤.

(٢) ميزان الحكمة: ٣/ ١٩٤٤.

وكانا شهيدين لأنهما قتلا في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته.
 وكانا شهيدين لأنهما أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، وقالوا كلمة الحق
 أمام سلطان جائر متجبر مستخف بالحرمان.
 فعلى جميع الكتاب والمثقفين والفضلاء أن يهتموا بتدوين سير الشهداء
 ونشرها لتعرف الأمة على السر^(١) الذي استحقوا أن يتخذهم الله شهداء، لأن
 الشهادة نفسها كرامة يمنحها الله تعالى لمن يشاء وليست بأيدينا وإنما علينا أن
 نعرف موجباتها (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك)^(٢)، وطريق الوصول إليها
 واستحقاقها لتتأسى بهم ونستفيد من تجربتهم والله ذو الفضل العظيم.
 نسأل الله تعالى الرحمة والرضوان لشهداء الإسلام وأن يبلغهم المقام
 المحمود الذي وعدهم إنه سبحانه لا يخلف الميعاد ولا يضيع أجر من أحسن
 عملاً.

(١) فالحر الرياحي كمثل للتوفيق للشهادة العظيمة بين يدي الإمام الحسين (عليه السلام) مع أنه قضى عمره
 محارباً في جيش الدولة الاموية حتى أصبح قائداً عسكرياً كبيراً يتمتع بامتيازات ضخمة فلندرس سرّ
 توفيقه، ويمكن اكتشافه من قول الإمام الحسين (عليه السلام) عندما وقف على مصرعه (حرّ كما سمّتك أمك
 حرّاً) فانعاقه من اتباع الشهوات وهوى النفس وطاعة الطواغيت والخوف من الموت الامع الحق سبب
 توفيقه، ويمكن أن ينضمّ اليه احترامه الكبير للسيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وتقديره لها ويعرف
 ذلك من عدم ردّه على الإمام الحسين (عليه السلام) عندما اعترضه في الطريق وهو يقود ألف فارس وحصلت
 مشادة في الكلام وزجر الإمام (عليه السلام) بقوله: (ثكلتك أمك) ولم يردّ على الإمام (عليه السلام) مع إن الإمام
 (عليه السلام) وأهله كانوا في قبضته لأن أم الإمام (عليه السلام) هي فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين.

(٢) مصباح المتجهّد - الشيخ الطوسي: ١٠٢/دعاء: ١٤١، - مفاتيح الجنان: ٤٢.

خطاب المرحلة

(٧٢٠)

الحج وصدق الفرار الى الله تعالى^(١)

قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذاريات: ٥٠) وهو أمر بالفرار إلى الله تعالى وقد شرحنا ذلك في قبس سابق^(٢) ضمن عدة نقاط ويمكن مراجعتها، مثلاً إن الآية ذكرت الفرار إلى الله تعالى ولم تذكر ممن الفرار؟ وأجبنا إن الفرار منه سبحانه أيضاً وليس في ذلك أي تناقض فنحن نفرّ من عدله إلى كرمه وتفضله، ومن غضبه إلى رحمته، وقد تضمنت الأدعية الشريفة هذه المعاني، كما في مناجاة الراغبين للإمام السجاد (عليه السلام): (وہا انا..... فَأَرُّ مِنْ سَخَطِكَ إِلَى رِضَاكَ، هَارِبٌ مِنْكَ إِلَيْكَ)^(٣).

وقد دلت الروايات الشريفة أن الحج هو من أعظم طرق الفرار إلى الله تبارك وتعالى، فقد روى الشيخ الكليني في الكافي والشيخ الصدوق في معاني الأخبار بالإسناد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير الفرار إلى الله قال: (حجّوا إلى الله عز وجل)، وروى الشيخ الصدوق في الفقيه بسنده عن زيد الشهيد عن أبيه السجاد (عليه السلام) قال: (يعني حجّوا إلى بيت الله، يا بنيّ إن الكعبة بيت الله،

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على حشد كثير من مرشدي الحجاج في نهاية مؤتمهم السنوي قبل توجّهم إلى الديار المقدسة يوم الجمعة ٦/ ذو القعدة/ ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٦/ ٥/ ٢٠٢٣م.

(٢) تفسير (من نور القرآن): ٥/ ١٤-٢١.

(٣) الصحيفة السجادية (ابطحي) - للإمام زين العابدين (عليه السلام): ٤٠٨.

فمن حجّ بيت الله فقد قصد إلى الله) ويضيف الإمام (عليه السلام) توسعة لذلك لمن لم يتيسر له الحج فقال (عليه السلام): (والمساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه)^(١).

أن الحياة في ضيافة الرحمن وفي تلك الأراضي المقدسة من نعم الجنة التي عجلها الله تعالى لعبادة المؤمنين في الدنيا قبل الآخرة ليريهم نعم الجنة وجداناً ويشوقهم إليها.

فمدة السفر إلى الديار المقدسة أيام خالصة لله تبارك وتعالى شرفها الله تعالى وأكرمها بارتباطها به تبارك وتعالى، وقد أكدّ دعاء العشرة الأولى من ذي الحجة هذا المعنى (اللهمّ هذه الأيام التي فضّلتها على الأيام وشرفتها وقد بلّغتنها بمنّك ورّحمّتك)^(٢)، والمتوقع من الحاج الذي تجرد عن وطنه وأهله وأحبائه وماله ومنصبه وموقعه الاجتماعي أن يفرّغ نفسه فيها لله تعالى، ويبدأ الاستعداد لهذه السفر الإلهية قبلها بمدة فيبحث عن القافلة التي فيها مرشد ديني فاضل وورع وعامل، ومتعهد مخلص أمين، وأن يبرئ ذمته من حقوق الله تعالى والناس المادية والمعنوية، ويسترضي خصومه، وان يتفقه في مسائل الحج حتى يكون عارفاً بها من أولها ولا يفوته شيء منها، فتجد من يحرم من المطار ولا يلتفت إلى أن التظليل بسقف الطائرة مخالفة شرعية، وأن يصحب

(١) راجع مصادر هذه الروايات في تفسير البرهان: ١٣٤/٩.

(٢) مفاتيح الجنان: ٣١٧.

معه ما يعينه على طاعة الله مما سنذكر إن شاء الله تعالى، ومما يستحب قبل السفر توفير الشعر من أول ذي القعدة^(١) وهكذا.

والفرار إلى الله تعالى له مراتب يحصل الحاج في بعض مراتبه العالية على نور يسدّه في حياته كلها، فكيف نحقق أفضل مراتب الفرار في هذا الموسم العبادي؟

١- الورع عن محارم الله كالغيبة والاختلاط غير المشروع بين الرجال والنساء والممازحة باعتبار طول الرفقة في السفر وتجنب مجالس البطالين والأحاديث الفارغة واللغو التي لا تخلو غالباً من المحرمات كالغيبة والغمز واللمز فالحجاج في ضيافة الرحمن وليسوا في مقهى أو على أرصفة الطرقات، وأن تلتزم النساء بمقتضيات الحياء والعفة ويتجنبن ما ينافيهما فإنهما رأس كل خير، قال تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧).

٢- عدم إضاعة الوقت فيما لا نفع فيه كالتسكع في الأسواق والتفرّج على أنواع البضائع فيها ويكفيه شراء ما يتحف أهله ومحبيه من هدايا تبركاً من الديار المقدسة، واستثمار الوقت بما ينفع حاله كذكر الله تعالى فقد ورد عن رسول الله (ﷺ) في فضل التسيحة الرباعية قوله: (من قال: سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال: الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال: لا إله إلا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال:

(١) أنظر: وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي: ١٢ / ٣١٥ / باب استحباب توفير شعر الرأس واللحية لمن أراد الحج من أول ذي القعدة.

الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة فقال رجل من قريش: يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير، قال: نعم، ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها، وذلك أن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٣)^(١).

أقول: هذه النيران هي المعاصي كالغيبة وظلم الآخرين وايدائهم وغير ذلك.
٣- زيارة البيت الحرام يومياً والصلاة والدعاء فيه والإكثار من الطواف حول الكعبة وهو أفضل من إكثار الصلاة للحجاج الآفاقيين، وإن مجرد النظر إليها عبادة^(٢) وان ينوب في هذه العبادات وغيرها عن المعصومين (عليه السلام) ثم عن جميع المؤمنين ليتضاعف أجره بعددهم.

٤- الالتفات الى الأسرار المعنوية^(٣) لشعائر الحج ومعانيها الحقيقية والأغراض المقصودة منها لتكتمل الاستفادة منها فان جوائز الحج على مراتب، أدناها لمن اقتصر على الشكليات قال تعالى: ﴿كُنْ يَنَالُ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا

(١) بحار الأنوار: ١٦٨/٩٠.

(٢) أنظر: وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي: ١٣/٢٦٣/ح ٤.

(٣) أتذكر انني في حج سنة ١٤٣١هـ- كنت ألقى كلمة أخلاقية عن الآداب المعنوية للحج في إحدى القوافل تأثروا بها، ومما ذكرت من أسرار الحج هو ابتداء الحج بعد الاحرام بالخروج الى عرفة وهي خارج الحرم وفيه رسالة أنكم لا تستحقون بأعمالكم إلا الخروج من حرم الله تعالى الآمن المبارك لكنهم بعد أن يصدقوا في الاستغفار والدعاء في عرفة وإكثار الذكر في مزدلفة يؤذن لهم بدخول الحرم في منى فيرجمون شياطين الجن والإنس وينحرون الأهواء والمطامع وشهوات النفس الأماراة بالسوء ويحلقون رؤوسهم اعلاناً للنصرة التامة لدين الله تعالى ثم يعودون الى البيت الحرام راضيين مرضيين.

دَمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ﴿٣٧﴾ (الحج: ٣٧). وتوجد كتب مؤلفة في هذا المجال.

٥- الالتزام بالصلاة في أوقات فضيلتها فمن المعيب أن ينام الحاج عن صلاة الصبح أو يؤخر صلاته عن وقت الفضيلة لانشغاله بأمور الدنيا.

٦- الحرص على حضور صلاة الجماعة التي يقيمها المرشدون، فإن فيها ثواباً لا يحصى وبركات لا تعدّ.

٧- المواظبة على الاستماع الى المحاضرات الدينية وحضور مجالس الوعظ والإرشاد وتعليم الأحكام الشرعية عموماً وما يتعلق بالحج خصوصاً.

٨- الإكثار من تلاوة القرآن الكريم فقد نزل على النبي (ﷺ) في هذه الأرض المباركة، وأن يعيش أجواء الآيات الكريمة وظروف نزولها وورد استحباب إكمال ختمة قرآن في مكة^(١).

٩- أداء الصلوات المستحبة كالنوافل اليومية خصوصاً صلاة الليل فقد قال الله تعالى في جزاء من يؤديها ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: ١٧)، وصلاة جعفر الطيار في المشاهد المشرفة خصوصاً في ضحى يوم الجمعة، وصلاة ركعتين يوم الجمعة بين الظهر والعصر بالحمد والتوحيد سبعمائة مع دعائها القصير، وصلاة أربع ركعات بالحمد والتوحيد ثلاثاً والمعوذتين كل أحد من ذي القعدة وبعدها الاستغفار والدعاء وصلاة ركعتين بالحمد وآية ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ (الأعراف: ١٤٢) في العشر

(١) أنظر: وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي: ١٣ / ٢٨٨ / باب استحباب الاكثار من ذكر الله وقراءة القرآن والعبادة وخصوصاً الصلاة بمكة.

الأوائل من ذي الحجة، وصلاة أول الشهر حيث سيهلّ عليهم شهر الحجة وهم في الديار المقدسة وغير ذلك مما جرت عليه سيرة الصالحين.

١٠- وما دام الحاج ينوي الإقامة في مكة فإنه يستطيع الصوم من هذه الناحية، فلا يفوته صوم الأيام المستحبة كيوم دحو الأرض وأول خميس من الشهر وآخر خميس والأربعاء في الوسط وصوم الخميس والجمعة والسبت من الأشهر الحرم ومنها ذو القعدة وذو الحجة، كما يستحب صيام الأيام التسعة الأولى من شهر ذي الحجة.

١١- الإكثار من الأدعية المنصوصة في الأوقات المخصوصة وغيرها، أو ما يُنشئه الحاج نفسه مما يعبر عن عمق صلته بالله تعالى وشدة فقره واحتياجه إلى فضله وإحسانه تبارك وتعالى.

١٢- مطالعة كتب المناسك للتفقه في أحكام الحج وأدائها بأحسن كيفية والسؤال عن الأحكام التي لا يعرفها.

١٣- أن يحسن معايشة الآخرين وصحبتهم ويكون لطيفاً وودوداً ساعياً في خدمتهم قدر الإمكان ويؤثرهم على نفسه إن حصل تزاحم في أمر ما كالطعام أو المكان ولا يؤذيهم، وقد عقد صاحب الوسائل كتاباً مفصلاً لروايات أهل البيت (عليهم السلام) في آداب العشرة قبل الدخول في مسائل كتاب الحج^(١).

١٤- وتوجد مستحبات خاصة بمناسك الحج كاستحباب الإحرام من المسجد الحرام للخروج إلى الحج وإن كان الإحرام من المنزل مجزياً وغير ذلك

(١) أنظر: وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي: ١٢ / ٥ أبواب أحكام العشرة في السفر والحضر.

مما ذكرته كتب المناسك، وقد يصعب أداء بعضها بسبب تنظيم حركة القوافل وحفظ الحجاج من الضياع كالمبيت ليلة عرفه في منى وكذا الليلة الثالثة عشرة لمن لم تجب عليه فلا بد من الاتفاق بين المتعهد والمرشد الديني.

١٥- إظهار وحدة الشعب واستثمار هذه الفرصة حيث يجتمع الحجاج من كافة الطوائف والقوميات والمناطق، وتذويب جميع الخلافات والتذكير بالقواسم المشتركة التي أرادها الله تعالى ورسوله (ﷺ) ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

١٦- الاهتمام بقضايا المسلمين جميعا في شرق الأرض وغربها والتعاطف معهم والمساعدة في حل مشاكلهم ولو بكلمة مواساة او نصيحة أو بنقل مشاكلهم الى المعنيين، وتبادل الرؤى النافعة مع جميع المسلمين قال الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ (الحج: ٢٨).

خطاب المرحلة

(٧٢١)

﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١) (فاطر: ٥)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥)، وفي معناها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ (محمد: ٣٨).

الفقير مقابل الغني، وهي صفة مشبهة فتدل على حال علق بالذات على نحو مستمر كما في قتييل بمعنى مقتول، وليس مؤقتاً كاسم الفاعل، أو هي صيغة مبالغة تدل على شدة اتصاف الموصوف بالصفة على نحو رحيم وكريم وعظيم.

والفقر يتضمن معنى النقص والضعف الموجب للاحتياج، فنقول إن هذا الشيء يفتقر إلى كذا أي يحتاج إليه، أما الغني فيتضمن معنى الكمال والقوة الرافعة للاحتياج، والاحتياج سببه فقدان والانفصال عما يحتاج إليه، ولعله لهذا سميت الفقرات في العمود الفقري، لأنها حلقات منفصلة محتاجة إلى بعضها.

وبذلك يتحصّل لنا أكثر من وجه لتسمية الفقير:

أ- لانفصاله وانقطاعه عن سبب كماله وحاجته وفقدانه له كالمال وغيره.

(١) ألقى هذا القبس القرآني ضمن درس التفسير الأسبوعي يوم الأربعاء ٢٥/ ذو القعدة/ ١٤٤٤هـ -

ب- لأن الفقر بذلته ومسكنته وشدة وطأته كسر ظهر صاحبه وقطع عموده الفقري، ومن كسر عموده الفقري فإنه يكون مشلولاً عاجزاً عن الحركة والنهوض وهكذا الفقير لا يستطيع سد احتياجاته إلا بأن يكمل أحد نقصه، سواء كان على مستوى الفرد أو الأمة فإنها إذا كانت لا تمتلك مقومات القيام فإنها عاجزة مستعبدة.

وقد أطلق القرآن الكريم على المصيبة العظيمة بأنها فاقرة أي قاطعة للعمود الفقري وكاسرة للظهر في قوله تعالى: ﴿وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ﴾ (القيامة: ٢٤) أي عابسة بائسة ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٥) وهي الداهية العظمى التي تكسر فقار الظهر كما يقال قاصمة الظهر، وفي الحديث الشريف عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (من القواصم الفواقر التي تقصم الظهر جار السوء)^(١).

ويراد بالفقير في المصطلح هو الذي لا يستطيع توفير احتياجاته المعاشية الأساسية بشكل مستمر فهو في ضعف عن سد الحاجة ونقص من هذه الجهة ويحتاج إلى من يسد حاجته، وعرفه الفقهاء بأنه من لا يملك قوت سنته، وأشكلنا على التعبير^(٢) وقلنا إن الصحيح هو أنه لا يجد قوت سنته، لأنه قد يتوفر لديه ما يحتاج على نحو غير التملك كإباحة التصرف أو دخوله في عنوان الموقوف عليهم ونحو ذلك، فهو ليس فقيراً مع عدم تملكه.

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ٦٦٨ / ٢.

(٢) سبل السلام، العبادات، كتاب الزكاة، (ط ٦ / ص ٤٧٧ / مسألة: ١٦٦٥).

وفي حصر الفقير بنقص المال تضيق لمعناه الواسع إذ يمكن أن يكون فقيراً في الدين أو العلم أو الأخلاق أو الجاه أو العلاقات الاجتماعية ونحو ذلك، روى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (الفقر الموت الأحمر، فقلت لأبي عبد الله: الفقر من الدينار والدرهم؟ فقال (عليه السلام): لا، ولكن من الدين)^(١)، وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (الفقر فقر القلب)^(٢)، ومن كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا فقر كالجهل)^(٣) و(أكبر الفقر الحمق)^(٤).

بل الأهم من ذلك أن يلتفت إلى فقره الذاتي وحاجته إلى الغني المطلق وهو الله تبارك وتعالى، وهذا هو الفقر الحقيقي الذي تفرعت عنه المصدايق الأخرى، فقد يكون صاحب مال أو علم أو زعامة أو أي شيء آخر من هذه الأمور الدنيوية لكنه في حقيقته فقير.

وهذا الفقر دليل على وجود الله تعالى الغني، لأن الفقير لا يتمكن من الحياة إلا بإمداد الغني، (إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك)^(٥).

فالإنسان محتاج إلى الله تعالى ابتداءً حيث أعطاه الله تعالى كل تلك النعم ولم تكن عنده، واستمراراً إذ يمكن أن يسلبها في أي لحظة وإلى هذا

(١) الكافي: ٢/ ٢٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ٧٢/ ٥٦/ ح ٨٦.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٥٤.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨.

(٥) مفاتيح الجنان، الدعاء الملحق بدعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة.

أشار الإمام الحسين (عليه السلام) في دعائه يوم عرفة: (إلهي أنا الفقيرُ في غِنَايَ فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيرًا فِي فَقْرِي)^(١)، فهذا الغنى نسبي بلحاظ حالة معينة، وإلا فإن الفقر صفة ذاتية ثابتة فيه.

وثمررة الالتفات إلى هذه الحقيقة ألا يَغْتَرَّ الإنسان بما عنده من هذه الأمور فيطغى ويؤدي به الطغيان إلى كفران النعمة والتمرد على الله تبارك وتعالى وعصيانه، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى، أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾ (العلق: ٦-٧) فهو لم ولن يستغني ولكنه توهم الغنى ورآه بعينه غير البصيرة فتصور أن الثراء وكثرة المال واقتداره الظاهري يحميانه من الفقر والحاجة، ولم يلتفت إلى أن هذا كله معرض للزوال فأعجب بنفسه وطغى، لذا يتعوذ المعصومون (عليهم السلام) من هذا الغنى الوهمي ففي الدعاء (اللهم أغنني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك)^(٢).

ويذكر القرآن الكريم قارون مثلاً على ذلك فقد أعطاه الله تعالى مالا كثيراً ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ (القصص: ٧٦) ولما نصحوه بأن يحسن ولا يبغى الفساد في الأرض ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: ٧٨) أي بقدراتي الذاتية وليس بفضل الله تعالى، ولم يلتفت إلى حقيقة مهمة ﴿أَوْ لِمَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص: ٧٨).

(١) بحار الأنوار: ٢٢٥/٩٥، مفاتيح الجنان: دعاء يوم عرفة.

(٢) بحار الأنوار: ٣١/٦٩.

وروى الشيخ الكليني (تَدْبِيرٌ) في الكافي عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: (جاء رجل موسر إلى رسول الله ﷺ نقي الثوب، فجلس إلى رسول الله ﷺ) فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال له رسوله الله ﷺ: أخفت أن يمسك من فقره شيء؟ قال: لا، قال: فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟ قال: لا، قال: فخفت أن يوسخ ثيابك؟ قال: لا، قال: فما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله إن لي قريناً يزئني لي كل قبيح ويقبح لي كل حسن وقد جعلت له نصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: للمعسر أتقبل؟ قال: لا، فقال له الرجل: ولم؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك^(١).

وهذا ما أرادت الآية الكريمة التنبيه عليه وإخراج الناس من وهمهم وغفلتهم وطغيانهم، فأنتم فقراء ومحتاجون دوماً إلى الله تعالى وهو الغني المطلق عنكم وعن غيركم ولا تنفعه عبادتكم ولا أي شيء. ونحن محتاجون إليه تعالى بجميع أسمائه الحسنى كالرحيم والغفور والهادي والرازق والعليم؛ لذا جيء بلفظ الجلالة الجامع لصفات الكمال، وإن الإنسان ليخجل من غفلته عن هذه الحقيقة التي يشهد بها وجدانه وكيانه حتى يذكره الله تعالى بها.

وهو الحميد الذي يستحق أن يحمد لأن الغنى صفة كمال تستحق الحمد، وهو محمود على كل ما يفعل لأنه يختار الخير لعباده حتى وإن منع عنهم العطاء، وهو حميد لأنه مع غناه عن خلقه يذكرهم برحمته ويشفق عليهم

(١) الكافي: ٢/ ٢٦٢-٢٦٣، بحار الأنوار: ١٥/ ٧٢.

وينزل إليهم كل ما فيه صلاحهم وسعادتهم، وجعل الإنسان خليفته في أرضه، وهو حميد لأنه يعطيهم بلا عوض لأنه غني عنهم وهذا وجه ارتباط الغني بالحميد، وينحصر الحميد به لأن طبع البشر الأغنياء هو اللؤم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٠).

لكن الشيطان ينسي الإنسان هذه الحقيقة ويوهمه بأن غناه في الحرص على تملك هذه الأمور الدنيوية والاستزادة منها بأي نحو كان ليمنعه من إنفاقها في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٦٧) إلى أن قال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨).

وتذكر الآية التالية لمحل البحث مثلاً لفقيرهم، قال تعالى فيها: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بأن يفنيكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ غيركم كما أتى بكم ولم تكونوا موجودين من قبل ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي محال وممتنع، وورد مثله في آيات أخر^(١) كما في آخر آية من سورة محمد (ﷺ) المتقدمة قال تعالى أيضاً: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨).

فالإنسان فقير ومحتاج إلى ربه الغني في كل حركاته وسكناته وأفكاره وهو اجسه بل هو محتاج في كل نفس وفي كل نبضة للقلب وهكذا.

(١) لاحظ مثلاً سورة إبراهيم: آية ٢٠، النساء: آية ١٣٣، الأنعام: آية ١٣٣.

والغنى هو في إدراك هذه الحقيقة ومعرفة أن الفقر صفة لازمة له، لكي يلتجئ إلى الله تعالى في سائر أمورهِ طالباً فضله ويتوسل إلى الله تعالى بفقره وحاجته (ها أنا أتوسل إليك بفقرِي إليك وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك)^(١) وهذا هو كرم الله وسعة فضله أن يكتفي منها بالاعتراف بالعجز. وحينئذٍ يكون هذا الإحساس بالفقر كمالاً للإنسان وقوة لأنه سيَتَّصِلُ بفيض المنعم الواسع العليم، ولأنه سوف لا يَرجو أحداً سواه ولا تذللُه الحاجة إلى أحد من الخلق، ولأنه يحفّزه على التحلي بالأخلاق الفاضلة والإتيان بالأعمال الصالحة راجياً ما عند ربِّه الكريم، ولأنه سيدرك عظمة نعمة الله تعالى حين يلتفت إليه وهو الغني عنه ومع افتقاره إليه سبحانه فكيف يقابله بالجحود والعصيان؟!.

وتوجد ثمرة أخرى لإدراك هذا الفقر الذاتي للإنسان والاحتياج إلى ربِّه الغني تعرف من ضمّ هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ (التوبة: ٦٠) حيث يفهم أن الله تعالى عطاءً خاصاً يتصدق به ويفضل به على من أدرك معنى الفقر في حقيقته فانقطع إلى الله تعالى، وهذا العطاء متفاوت بتفاوت المعرفة بهذا الفقر واستحضاره.

وهذا الفقر الذاتي صفة كل المخلوقات الممكنات المحتاجة إلى الواجب الغني بذاته فإنها جميعاً لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا قدرة ولا قوة (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٤).

(١) مفاتيح الجنان: ٤٧٤ من دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة.

وتذكر آية أخرى صورة من صور الاحتياج لكل المخلوقات، وهي الزوجية قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الذاريات: ٤٩-٥٠).

وهنا يأتي سؤال بأن الآية لا تخلو من ظهور في حصر الفقر بالناس المخاطبين وكأن لسانها: أنتم أيها الناس دون سواكم الفقراء لله تعالى كما حصرت الغنى به تعالى، فكيف ينسجم هذا مع حقيقة أن كل المخلوقات فقراء إلى الله تعالى؟، ويمكن جوابه بوجوه: -

أ- الأولوية بأن يقال: إذا كان الإنسان خليفة الله في الأرض المجعول بأحسن تقويم شأنه الفقر والنقص والاحتياج فمن باب أولى بقية المخلوقات الأقل منه شأنًا.

ب- التجريد عن الخصوصية فإن ملاك الفقر والاحتياج الذي جعل الناس فقراء إلى الله موجود في غيرهم أيضاً، وقال السيد الطباطبائي (تذكرة): ((وذلك أن عموم علة الحكم يعمم الحكم))^(١).

ج- إن الناس إنما خُصَّوا بهذا الخطاب لأنهم وحدهم المتمردون والمتوهمون بخلاف الحق، أما المخلوقات الأخرى فإنهم مطيعون مذعنون مسلمون ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤).

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٧ / ٣٤، وذكر (فَلْيَسِّرْ) عدة أجوبة وصفها بأنها لا تلائم مفاد الآية وهي بعيدة فعلاً.

د- إن هذا الحصر إضافي، وإنما خوطب به الناس لأنهم يظنون أن الله تعالى حينما يدعوهم إلى توحيده ونبذ الشركاء عنه ويجاهد الرسل من أجل هدايتهم إلى طاعته وعبادته فإنه محتاج إليهم، وكذا حينما يطلب منهم الإنفاق فإنه سبحانه محتاج إليهم وأنهم أغنياء بما عندهم وبآلهتهم التي يعبدونها وتعطيهم ما يشاؤون، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (آل عمران: ١٨١)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (المائدة: ٦٤)، فنبههم الله تعالى إلى هذا الوهم وأن الحقيقة معكوسة فأنتم الفقراء إلى الله تعالى والله غني عنكم، وحينئذ لا تدل الآية على حصر الفقر بهم بل تدل على حصرهم بالفقر.

والغفلة عن هذا الفقر نقص وفقر مذموم فلا بد أن نفهم وجوه الفقر ونفرق بين أحواله.

ومما ينبغي الالتفات إليه أن المعصومين (عليه السلام) تارة يذمون الفقر حتى قالوا فيه: (كاد الفقر أن يكون كفراً)^(١) ويتعوذون منه كما في الدعاء (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ... وَالْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ وَكُلِّ بَلِيَّةٍ)^(٢) لكنهم (عليه السلام) يفتخرون باتصافهم به تارة أخرى كما في الحديث النبوي الشريف (الفقر فخري وبه أفتخر)^(٣) وسئل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما الفقر؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (خزانة من خزائن الله

(١) أمالي الصدوق: ٣٧١.

(٢) بحار الأنوار: ٩٥/٩٣، مفاتيح الجنان: دعاء أبي حمزة الشمالي.

(٣) بحار الأنوار: ٦٩/٣٠، عوالي اللئالي: ٤/١٢٥.

تعالى، قيل ثانياً: ما الفقر يا رسول الله؟ قال: كرامة من الله، قيل ثالثاً: ما الفقر؟ فقال (ﷺ): شيء لا يعطيه الله إلا نبياً مرسلأً أو مؤمناً كريماً على الله تعالى^(١).
ومن وجوه الجمع أن الأول استعاذة من الحاجة الموجبة إلى نقص الدين وتدنيس الكرامة الإنسانية والاحتياج إلى الناس، والثاني هو الانقطاع إلى الله تعالى وشدة الاحتياج إليه وإنما يفتخر به لأنه (ﷺ) كان في أكمل صور الانقطاع إلى الله تعالى والفقر والحاجة إليه سبحانه، وقد ورد في المناجاة الشعبانية لأمر المؤمنين (ﷺ): (اللهم هب لي كمال الانقطاع إليك).

(١) ميزان الحكمة: ١٣٨/٧ عن جامع الأخبار: ٢٩٩/ح ٨١٥

خطاب المرحلة

(٧٢٢)

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ (الكهف: ٢٨)

مصاحبة الصالحين تحمي من الوقوع في الفتن^(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨).

أي احبس نفسك ووطنها على مصاحبة الصالحين وملازمة مجالسهم، وهم الذين صدقوا مع الله وأخلصوا نياتهم لله تعالى، وكرسوا أنفسهم لما يحب ويرضى، فقربهم وتقرب إليهم، واستمع إلى مشاكلهم، واقض حوائجهم ودارهم، وتحملهم إن ضاقت نفسك بمواساتهم، وتحمل معاناتهم ومقاطعة المجتمع لك بسببهم، فإنهم انقطعوا إلى الله تعالى وكرسوا حياتهم بكل تفاصيلها لله، واستوعبوا رسالة الإسلام عقيدة وفكراً وسلوكاً، فهم القوة الحقيقية للدين ويعول عليهم في مواجهة الأخطار والفتن، وإن كانوا لا يملأون العين لخلو أيديهم من مظاهر الترف وزينة الدنيا.

ولعل في التعبير بالغداة والعشي كناية عن ذكرهم المستمر لله تعالى واستيعاب الوقت فيه، قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى المبارك سنة ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٩ / ٦ / ٢٠٢٣م.

وَالْإِبْكَارِ ﴿غافر: ٥٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (آل عمران: ٤١)، وحضور الهدف لديهم وهو طلب رضا الله تعالى في كل تفاصيل حياتهم: عبادتهم وعملهم وعلاقاتهم الاجتماعية وأحاديثهم وحركتهم، ويراد أيضاً بالغداة والعشي جمعهم في أوقات الصلاة روي عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) في تفسير هذه الآية قالوا: (إنما عنى بها الصلاة)^(١).

ورفعت الآية من منزلتهم حينما وصفتهم بأنهم يريدون وجهه أي مخلصين لله تعالى لا يريدون جزاءً ولا شكوراً.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا تُعرض بوجهك عنهم وتبتعد عن مصاحبتهم، مجاملة للأغنياء والمترفين والمستكبرين واللاهين العابثين الذين يستنكفون من مجالسة هؤلاء المستضعفين، وطمعاً في إصابة شيء من دنياهم أو لتحظى بمكانة عندهم، فالآية الكريمة لا تدعو إلى مقاطعة المترفين وعدم إيصال صوت الحق إليهم، لأن الإسلام دين الرحمة والهداية لكل الناس ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، ولا إلى عدم الاستفادة من إمكانياتهم لنصرة الدين وتحسين أوضاع المحرومين، ولكن مع الفطنة والحذر من مكائدهم وشيطنتهم، وتنهى عن مجاملتهم والانسحاق وراء رغباتهم على حساب الحق طمعاً في الدنيا.

ولا يبرر إبعاد المؤمنين حتى لو كان الهدف كسب المترفين وهدايتهم حيث عدت آية سورة الأنعام من يفعل ذلك من الظالمين، قال تعالى: ﴿وَلَا

(١) نور الثقلين: ٣/ ٢٥٨، عن تفسير العياشي.

تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾
(الأنعام: ٥٢).

روي في سبب نزول الآية أن مشركي قريش عرضوا على النبي (ﷺ) أن يبعد عنه أصحابه من الطبقة الاجتماعية المتدنية بحسب نظرهم كعمار وبلال وخبّاب حتى يجلسوا إليه ويسمعوا منه وأنهم ما يمنعهم منه إلا وجود هؤلاء حوله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكَى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (عبس: ١-١٢).

والأمر بالصبر يكشف عن تعرض النبي (ﷺ) لضغط من قبل المترفين لإبعاد الفقراء والمستضعفين، وكانت خديعة منهم لتفريق شمله وتوهين منزلته لدى أصحابه لما في ذلك من الإهانة والتحقير لهم.

وقد وقع مثل ذلك في المدينة بعد فتح مكة من بعض الوجهاء الذين اضطروا للدخول في الإسلام، فقد روى علي بن إبراهيم في تفسيره قال: (فهذه نزلت في سلمان الفارسي كان عليه كساء فيه يكون طعامه وهو دثاره ورداؤه وكان كساء من صوف فدخل عيينة بن حصن على النبي (ﷺ) وسلمان عنده، فتأذى عيينة بريح كساء سلمان وقد كان عرق فيه وكان يوم شديد الحرّ فعرق في الكساء، فقال: يا رسول الله إذا نحن دخلنا عليك فأخرج هذا واصرفه

من عندك فإذا نحن خرجنا فأدخل من شئت فأنزل الله ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ وهو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري^(١).

فجاء الرد من الله تبارك وتعالى حازماً واضحاً في رفض كل هذه العروض، لأن الإسلام رسالة إلهية لإصلاح الإنسان وقلع جذور الجاهلية في نفوس الناس، ومنها هذا الاستعلاء والطبقية.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ واحذر أن تنزلق إلى مطاوعة ما يريدونه منك، أو يخدعك أولئك الذين أعمت الدنيا بصيرتهم وشغلتهم عن معرفة الحقيقة، فقصوا حياتهم في اللهو والعبث والاستمتاع واللامبالاة، وشغلوا فكرهم وقلوبهم بهذه الأمور وغفلوا عن الوصول إلى الغاية، وتحقيق الغرض الذي خلُقوا من أجله وهو السعي نحو الكمال والفوز برضوان الله تعالى، فحرموا من توفيق الله تعالى وتأييده.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ولم تكن أفعالهم عن حكمة ورشد وبصيرة بل اتباعاً للأهواء والنزوات والإثارات العاطفية شهوة أو غضباً أو جهلاً أو تعصباً، فكأن تلك الغفلة سبب لسقوطهم في اتباع الأهواء والشهوات أو نتيجة له أو كل منهما سبب للآخر، فهم في هذا التسلسل من الانحدار: غفلة ثم اتباع هوى حتى يصلوا إلى قعر الانحطاط.

﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ أي ضائعاً مشتتاً غير محافظ على الاستقامة، منحرفاً عن الحق ومثله التعبير في سورة مريم ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ (مريم: ٥٩) وهو الضلال وفقدان الرشد.

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٦/١٣٢/ح ٢، عن تفسير القمي: ٢/٣٤، الدر المنثور: ٥/٣٥٤.

إن الآية الكريمة ترشد إلى أدب من آداب القرآن يرَبِّي عليه قادة الإسلام في نظرتهم إلى الناس وكيفية تعاملهم معهم، ويربِّي أتباعه أيضاً على هذا الأساس خصوصاً الحوزة العلمية والمتصددين لمواقع المسؤولية والعاملين الرساليين، بأن لا يترفعوا عن عامة الناس وأن لا يضعوا الحواجز بينهم.

وبنفس الوقت تقدم الآية الكريمة هذا العلاج لأكثر من مشكلة:

١- اجتماعية: وهي التمايز الطبقي حيث يُصنَّف أبناء المجتمع الواحد إلى طبقة مستعلية من أهل الثراء والترف وهم قلة، وطبقة متدنية لا تملك ما عند أولئك وهم الكثرة، وتُميِّز الطبقة الأولى نفسها عن الثانية في مجالسها ونمط حياتها في المأكل والملبس وواسطة النقل وسائر شؤونها حيث يعتادون الإسراف والتبذير وبعثرة الأموال على اللهو والعبث، بينما تعيش الطبقة العامة في ضنك من العيش وصعوبة في تدبير احتياجاتها الأساسية، مما يولِّد شعوراً بالانتقام من الذين يعتاشون على دمائهم، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مَتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ)^(١)، ونقل عن بعض النسخ المخطوطة للنهج (بما منع).

وهذه مشكلة معقدة عانى منها جميع الأنبياء (عليهم السلام) فواجهوا بها نوحاً (عليه السلام) ﴿قَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لَدُنْكُمْ وَأَنْتُمْ كَذِبُونَ * قَالَ وَمَا عَلَّمِي مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الشعراء: ١١١-١١٥)، وواجهوا بها النبي هوداً (عليه السلام) ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٣٢٥.

بَادِي الرَّأْيِ ﴿هُود: ٢٧﴾، وهذا ما جرى عليه فرعون في خطابة لموسى وهارون وقد جاءه بهيئة الفقراء يدعوانه إلى الإيمان بالله تعالى ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ * أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهينٌ ولا يكادُ يُبينُ * ﴿فَلَوْلَا أَلْقَيْنا عَلَيْهِ اسْمُورَةَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ (الزخرف: ٥١-٥٣) فهم يريدون من الأنبياء والقادة المصلحين الرساليين أن يدوروا في فلكهم ويحفظوا لهم مصالحهم وزعامتهم، وأن يسكتوا عن مظالمهم واستثارتهم بأموال الناس، وأن يجعلوا من الدين غطاءً يشرعون به كل هذه الجرائم والانحرافات، ويجلدوا به معارضيتهم، مقابل أن يحضوا بالمكانة عندهم ويعدونهم من طبقتهم، وإلا فسيواجهونهم بشراسة، وهذا التحدي مستمر يواجهه العلماء الربانيون ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (سبأ: ٣٤-٣٥) فهذه النظرة الاستعلائية وجعل المقياس الأمور الدنيوية موجودة عندهم.

وضمن هذا المنهج الإصلاحى لهذه العقدة الجاهلية يجيء هذا الأمر فإن في الاستجابة لهم تأكيداً لهذه الفوقية التي يتعاملون بها مع بقية الناس مع ما يتطلبه من تقديم تنازلات على حساب العقيدة الحقة والأخلاق السامية والمداهنة ﴿وَدُّوا لَوْ تَدْهِنُ قَيْدُهُنَّ﴾ (القلم: ٩).

فجاءت الآية الكريمة بهذا الأمر الإلهي ليردم هذه الفجوة، ويشعر طبقة المستضعفين بأهميتهم ويزرع الثقة بأنفسهم وأنهم الأقرب ما داموا يريدون

وجه الله تعالى مع زجر المتعالين حتى يتواضعوا ويحسّوا بمعاونة غيرهم ويواسوهم ويعطوهم حقوقهم.

وقد دأب قادة الإسلام المعصومون (عليه السلام) على هذا الأدب الإلهي في حياتهم فكانوا - مع جلاله قدرهم وعلو مكانتهم التي لا يضاهيها أحد - يجالسون الفقراء والعبيد ويؤاكلونهم ويدعونهم إلى دورهم^(١).

وبذلك وحّد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الجميع تحت راية الإسلام وصنع من أعراب الجاهلية خير أمة أخرجت للناس ومنحها القوة والافتقار لتفتح العالم وتبني أرقى حضارة إنسانية.

لما علم أمير المؤمنين (عليه السلام) أن واليه على البصرة عثمان بن حنيف دعي إلى مأدبة للأغنياء ورجال الأعمال كما يسمونهم أسرع في إرسال كتاب له جاء فيه: (أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قومٍ عائلهم مجفوّ وغنيهم مدعو^(٢)).

وتنقل الآيات الكريمة مشهداً في يوم القيامة للمفاجأة المذهلة التي يصدّم بها المترفون المتعالون حينما يجدون أنفسهم في الجحيم ويجدون من كانوا يصفونهم بالأراذل في أعالي النعيم ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَنْ نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنْ الْأَشْرَارِ * أَخَذْنَاَهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ (ص: ٦٢-٦٣).

(١) أنظر: بحار الأنوار: ٤٣ / ٣٥١ ح ٢٨.

(٢) نهج البلاغة: قسم الكتب، رقم ٤٥.

وتصف الآية التالية للآية محل البحث عاقبة هؤلاء وصورتهم الحقيقية في الآخرة بعد أن خدعوا بالصورة الدنيوية المزوّقة، لكن الحقيقة أن ما أكلوا من أموال ناس بالباطل سيصير سوائل مذابة فائقة الحرارة تشوي الوجوه عند تقريبها قبل شربها، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يَعْثَوُا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: ٢٩) فالمشروبات المثلّجة التي كانوا يتعمّمون بها في الدنيا على حساب المحرومين أصبحت بهذه الصورة لأنهم بترفهم حرقوا قلوب أولئك المحرومين والمستضعفين.

وبالمقابل يتساءل أصحاب الجنة فيما بينهم وهم يرفلون بأنواع النعم التي وصفتها سورة الصافات ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ﴾ (الصافات: ٥٤-٥٧) وفي هذا كله تحذير وتنبية لأهل الغفلة من المترفين.

٢- دينية وأخلاقية: وهي مشكلة الضياع والقلق وعدم الاستقرار وسط تجاذبات الفتن فتعالج الآية الكريمة هذه المشكلة لترويض النفس حتى تكون مطمئنة ولتطهير القلب حتى يكون سليماً من الرذائل وتشير الأحاديث الشريفة إلى أن التدبر في سورة الكهف يقي من الفتن ففي مجمع البيان عن أبي بن كعب عن النبي (ﷺ) قال: (من قرأها فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة، فإن خرج الدجال في تلك الثمانية الأيام عصمه الله من فتنة الدجال)، وروي

أيضاً عن النبي (ﷺ) قال: (من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه) (١).

فقدّمت السورة عدة عواصم منها ومثبات على الهدى والاستقامة، منها:
أ- الإخلاص لله تعالى كما في الآية الأخيرة من السورة.

ب- الاهتداء بالقرآن حيث جاء في الآية السابقة ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٧).

ج- تحقير الدنيا التي من مساوئها مفارقة الصالحين، والتحذير منها والانخداع بزخارفها التي هي وهمٌ تزول لذّته وتبقى تبعته كقوله تعالى في الآية: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ (الكهف: ٤٥) فإن (حب الدنيا رأس الفتن وأصل المحن) كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأن (رأس كل خطيئة حب الدنيا) (٢) كما عن الإمام الصادق (عليه السلام).

د- ما في هذه الآية فيكون أحد وسائل الإنقاذ من الفتن والثبات على الاستقامة، مصاحبة الصالحين وملازمة مجالسهم خصوصاً إذا كانوا من العلماء الذين يتحفونك بالنصيحة والإرشاد والهداية وتعليم ما ينفعك في دنياك وآخرتك، روى ابن عباس قال: (قيل يا رسول الله (ﷺ): أي الجلساء خير قال

(١) مجمع البيان: ١٦٨/٦، الدر المنثور: ٣٥٤/٥.

(٢) الحديثان في ميزان الحكمة: ٨٩٦/٢.

(ﷺ): من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله^(١).

والم تأمل في سورة الكهف يجد أنها عرضت أشكالا من الفتن من خلال قصص أصحابها، فورود الآية ضمن السورة فيه إرشاد لبعض وسائل مواجهتها، وقد ذكرت السورة عدة فتن منها:

١- الفتنة التي عاشها أصحاب الكهف وهي فتنة الدين المزيف الذي يصنعه بعض المتاجرين المتسترين بالدين ويضعون من عندهم طقوس وتعاليم وآلهة تعبد من دون الله تعالى ويستعينون بالدجل والخداع ليصنعوا لهم زعامة على الناس وليتسلطوا على أموالهم وأعراضهم ويتحالفون مع السلطات الظالمة لترسيخ زعامتهم وفرض نفوذهم واستئصال خصومهم، لكن أصحاب الكهف لم يُغرهم ترف القصور ولم يرعبهم بطش الطواغيت فوقفوا ونطقوا بالحقيقة الكبرى أمام الناس ليزيلوا العشاوة عن بصائرهم ﴿أَنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ (الكهف: ١٣-١٤)، وهذا القول الشطط هو علامة من كان أمره فرطاً، وفوجئ أصحاب الكهف ببقاء نفس الثقافة لدى الناس رغم مرور مدة طويلة تبلغ ثلاثمائة عام وتحولهم إلى الإيمان ظاهراً.

حيث اختلفوا فمنهم يريد أن يبني عليهم بنياناً كالمعبد لتنشيط السياحة والحركة التجارية ونحوها من أمور الدنيا، وغفلوا عن الاتعاظ بهذه المعجزة

(١) امالي الطوسي: ١/ ١٥٧.

الإلهية ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا﴾ (الكهف: ٢١).

٢- فتنة المال من خلال قصة الرجلين الذين رزقهما الله تعالى ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَغْنَابٍ وَخَفْفَانِهَا مِمَّا بَنَحْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾ (الكهف: ٣٢) فاغتر أحدهما وكفر بنعمة الله تعالى وقال: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا﴾ (الكهف: ٣٤)، بل أعتقد إن إقبال الدنيا عليه والحياة المترفة التي يعيشها دليل على أحقيته وجدارته، وهذا الانحراف في الرؤية يحصل داخل الوسط الديني ويرون إن العامل الرسالي الذي يعاني من الضيق والبلاء ويعيش وسط الفقراء والمحرومين ليس بصاحب حق؟ فيستضعفونهم ويحاصرونهم ويقللون من شأنهم وينفرون الناس منهم، و﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَىٰ رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (الكهف: ٣٥-٣٦) ولم يستمع إلى وعظ صاحبه فجاءت الضربة القاضية ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٢).

٣- فتنة العلم من خلال قصة موسى (عليه السلام) والعبد الصالح ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥) فتواضع موسى (عليه السلام) وهو الرسول الكريم من أولي العزم لعلم العبد الصالح ولم يغتر بما عنده، وسعى للاستفادة منه.

٤- فتنة السلطة من خلال قصة ذي القرنين ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ (الكهف: ٨٤) فلم يشغله هذا الملك العظيم عن

ذكر ربّه ولم ينسبه إلى نفسه، بل يردّد إنه من فضل ربّه والاعتراف بفضله ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ (الكهف: ٩٨) ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ (الكهف: ٩٥) واستثمر هذه القوة في تحرير المستضعفين الذين لجأوا إليه لتخليصهم من ظلم وطغيان يأجوج ومأجوج فكان مثلاً لهؤلاء المحررين وسيدهم أمير المؤمنين لذا ورد في التفسير إنه (عليه السلام) (ذو قرني هذه الأمة)^(١) وكان ميزان ذي القرنين في التعامل: التقوى والعمل الصالح ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (الكهف: ٨٨).

فتكفّلت الآية الكريمة ببيان هذا العلاج مع جملة من العلاجات للخروج من الأزمات ومواجهة الفتن بنجاح.

ولذا حثّت الأحاديث الشريفة على مجالسة العلماء والصالحين والاستفادة منهم روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (ما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم إلا ناداه ربّه عز وجل: جلست إلى حبيبي، وعزتي وجلالي لأسكننك الجنة معه ولا أبالي)^(٢)، وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (اجتمعوا وتذاكروا تحفّ بكم الملائكة، رحم الله من أحيا أمرنا)^(٣) وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (يا خيشمة: اقرئ موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم عز وجل، وأن يتلاقوا في بيوتهم فإن لقيامهم حياة أمرنا، ثم رفع يده (عليه السلام) فقال: رحم الله امرؤاً أحيا

(١) البرهان في تفسير القرآن: ١٦٢ / ٦.

(٢) بحار الانوار / ١ / ١٩٨، عن أمالي الصدوق.

(٣) وسائل الشيعة: ٢٣ / ١٢.

أمرنا^(١)، حتى روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (النظر إلى وجه العالم عباده)^(٢)، وفسره الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: (هو العالم الذي إذا نظرت إليه ذكرك الآخرة، ومن كان خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة)^(٣).

وورد في الأحاديث أن مجالسة العلماء والصالحين من أسباب التوفيق، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (لا يستغني المؤمن عن خصلة وبه الحاجة إلى ثلاث خصال: توفيق من الله عز وجل، وواعظ من نفسه، وقبول من ينصحه)^(٤) وأن الابتعاد عنهم سبب للخذلان وعدم التوفيق ورد في دعاء أبي حمزة للإمام السجاد (عليه السلام): (أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلفاً مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني).

كما إن هؤلاء الصالحين الذين أمرنا بمجالستهم ليسوا موجودين في المساجد وأماكن الشعائر الدينية فقط، بل يجب أن نعمل لنوجد هذه المجالس المباركة التي تتناول قضايا الدين والمجتمع والوطن والإنسان في الجامعات وفي الأسواق أو البيوت بل حتى في المقاهي والحدائق العامة وأرصفة الطرقات، روي عن النبي (ﷺ) قوله: (تذاكروا وتلاقوا وتحديثوا، فإن الحديث جلاء، إن القلوب لترين - أي تصدأ - كما يرين السيف وجلاؤها

(١) بحار الأنوار: ١/ ٢٠٠، عن أمالي الطوسي.

(٢) بحار الأنوار: ١/ ١٩٥ ح ١٤.

(٣) ميزان الحكمة: ٦/ ١٥٥، عن تنبيه الخواطر: ١/ ٨٤.

(٤) وسائل الشيعة: ١٢/ ٢٥.

الحديث^(١)، ولم يحدد (عليه السلام) مكاناً محدداً لهذا اللقاء وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكر أمرنا، فإن ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلا باهى الله تعالى بهما الملائكة فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر، فإن في اجتماعاتكم ومذاكرتكم أحياءنا وخير الناس من بعدنا من ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا)^(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤).

(١) بحار الانوار: ١/ ٢٠٣.

(٢) بحار الانوار: ١/ ٢٠٠.

خطاب المرحلة

(٧٢٣)

أسباب التوفيق

الشهيد السعيد الشيخ حسين السويدي مثالا^(١)

يحظى بعض الناس - رجالاً ونساءً - بتوفيق خاص من الله تعالى يغبطهم عليه الآخرون ويودّون أن ينالوا مثله، ولما كان هذا التوفيق فضلاً من الله تعالى وكرماً يختص به بعض عباده فهو من فعل الرب الكريم وليس بأيدينا، وأن ما نستطيعه هو القيام بالأسباب التي نالوا بها هذا التوفيق وتُعرف من خلال تحليل سيرة هذه الشخصيات ومراجعتها والتأمل فيها، وفعل هذه الأسباب بأيدينا، لذا يقول في الدعاء (اللهم إني أسألك مَوجبات رحمتك)^(٢) لأن رحمة الله تعالى من أفعاله سبحانه وما نفعه هو استجلابها بفعل موجباتها.

والتاريخ حافل بمثل هذه الشخصيات وعندما نعرض سيرة المعصومين (عليه السلام) وأهل بيتهم كالعقيلة زينب (عليها السلام) وأبي الفضل العباس (عليه السلام) وعلي الأكبر والقاسم بن الحسن يقال لنا هؤلاء ناس مخصوصون بكرامة من الله تعالى ولا نستطيع أن نكون مثلهم، وهو إشكال مردود لأنهم بشر مثلنا لكنهم تمتعوا باستعداد فائق للتكامل فأتاهم الله تعالى من فضله والله واسع عليم.

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (رحمته الله) مع جمع من الطلبة والشباب العاملين يوم الأحد ٢٩ / ذو القعدة / ١٤٤٤ هـ - الموافق ١٨ / ٦ / ٢٠٢٣ م ويوم ٨ / ذي الحجة / ١٤٤٤ هـ - الموافق ٢٧ / ٦ / ٢٠٢٣ م.

(٢) مصباح المتعجد - الشيخ الطوسي: ١٠٢ / دعاء: ١٤١، - مفاتيح الجنان: ٤٢.

ومع ذلك فإننا نستطيع أن نأتي بأمثلة من واقعنا عاشوا معنا وعرفنا سيرتهم كالشهيد السعيد الشيخ حسين السويدي (رضوان الله تعالى عليه) الذي كان أول شهيد من أئمة الجمعة الذين عينهم السيد الشهيد الصدر الثاني (قَدَسَتْ) وقد كرّس نفسه للإسلام ولإعلاء كلمة الله تعالى ونصرة أوليائه وإصلاح العباد وإنقاذهم من ظلمات الجهل والانحراف والتعصب والغفلة إلى نور الإيمان والعمل الصالح والثبات على الحق فهو من فتيان الإسلام الذين نعتزّ بهم وندعو شبابنا للتأسي بهم والتعرف على كيفية حصولهم على التوفيق الخاص.

يتحدث والداه عنه أنه منذ صغره كان باراً بهما ويصحب أباه والشباب المتدينين الذين يكبرونه إلى المساجد ومجالس أهل البيت (عليه السلام)، وكان قلبه رحيماً محبباً للناس فيشتري بما يحصل عليه من مصروف اليومي بعض الحلويات ويوزعها على الأطفال ليرى البسمة في وجوههم ويحب مساعدة الآخرين، ويحدث أقرانه بما تعلّم في المساجد والمجالس من أمور الدين.

وعندما تصدى السيد الشهيد الصدر الثاني (قَدَسَتْ) للمرجعية بعد الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م وشجّع الشباب الأكاديميين على الالتحاق بالحوزة لسدّ النقص الكبير الذي أحدثه صدام وزبانيته خلال عقود حكمهم المظلمة واستأصل خيرة العلماء وفضلاء الحوزة العلمية، وكان الشهيد طالباً جامعياً في البصرة فحرك فيه الرغبة للالتحاق بالحوزة العلمية وهذا ما تحقق فعلاً وهو في العشرين من عمره تقريباً (ولادته عام ١٩٧٢م والتحق بالحوزة

العلمية عام ١٩٩٣م تقريباً) وواظب على تحصيله العلمي بهمة عالية حتى وصل إلى الدروس العالية.

وخلال دراسته في الحوزة العلمية قويت بصيرته وانفتح على المزيد من أحكام الشريعة والأخلاق وسيرة أهل البيت (عليه السلام) وكان يسجل في ورقة خاصة ما يهديه الله تعالى إليه من فعل أو سلوك حتى تجمع لديه برنامج عملي كالمواظبة على صلاة الليل وترك الغيبة وتجنب إضاعة الوقت في ما لا نفع فيه، والسعي في قضاء حوائج الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البلاء، كان في النجف حينما أخبر بأن زوجته ولدت طفلة وقد ماتت الطفلة فاحتسبها عند الله تعالى ومضى إلى درسه، وكان يوصل المساعدات إلى الطلبة الذين أنهكهم الحصار الظالم خلال تسعينات القرن الماضي من دون أن يعلموا، وغير ذلك من الأخلاق السامية.

وكان يستثمر عطلة نهاية الأسبوع في التبليغ والإرشاد والتوعية من خلال إمامة الصلاة في بعض مساجد مدينة الصدر (مدينة الثورة سابقاً) في بغداد ويعقد الجلسات التثقيفية وحلقات الدروس الدينية للشباب، وأداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيشتري من ماله الخاص أو مما يصل إليه من تبرعات ما تتحجب به النساء العفيفات بعد إقناعهن بالحجاب، ويحذّر من الظواهر والسلوكيات المنحرفة، ويشتري الكتب التي تساهم في زيادة وعي الشباب وتثيت عقائدهم والتمسك بأخلاق الإسلام، وقد أوجب عمله مراقبة جلاوزة النظام ومتابعتهم له لأنهم يخشون أي صوت واع يوقظ الأمة من غفلتها ويحررها من عبادة الطاغوت ويهديها إلى دين الله القويم.

وعندما أعلن السيد الشهيد الصدر الثاني (قَدَسَتْ) عن إقامة صلاة الجمعة في العراق تزامناً مع ميلاد السيدة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) في جمادى الثانية / ١٤١٨ (١٩٩٧م) كان من الطبيعي أن يقع عليه الاختيار لإمامة صلاة الجمعة وعُيِّن في منطقة المعامل في بغداد، ووجد الشهيد في هذا التشريف فرصة سانحة لأداء رسالته بشكل أوسع ومخاطبة شريحة من المجتمع للإقبال الجماهيري الواسع الذي شهدته صلاة الجمعة، مما أوجب تكثيف مراقبة النظام الجائر له، ونصحه بعض محبيه بمغادرة العراق ليحفظ نفسه من النتيجة الحتمية التي تقتضيها سياسة الطواغيت لكنه (رحمه الله) أبى أن يترك ساحة العمل والجهاد ويتخلى عن نصرته دينه ومرجه وقائده.

وبعد خمسة أسابيع تقريباً من إقامة صلاة الجمعة اعتقله جلاوزة النظام في ٢٦/ رجب، وتعرض لأنواع التعذيب القاسي ولفَّقوا له تهماً ثم حكموا عليه بالإعدام، ونُفِّذ فيه الحكم بعد ثمانية أشهر تقريباً (في شهر ربيع) وتألَّم السيد الشهيد الصدر (قَدَسَتْ) لفقدانه وقال فيه كلمات إكبار وثناء.

لم يتجاوز عمره السادسة والعشرين وتضمنت سيرته العطرة كل هذه الإنجازات التي سجّلناها باختصار وفاءً للشهيد الراحل، ولنضعها أمام الشباب حتى يتأسَّوا بهؤلاء الفتية الذين ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَزَقْنَاهُمْ هُدًى، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُنَّا إِذَا شَطَطًا﴾ (الكهف: ١٣-١٤).

خطاب المرحلة

(٧٢٤)

حثُّ المؤمنين من مختلف البلدان على زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير وتعظيم

شعائره^(١)

نَحْتُ الْمُؤْمِنِينَ عَامَةً عَلَى زِيَارَةِ أَمِيرِهِمْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي النَجْفِ الْأَشْرَفِ بِمُنَاسِبَةِ عِيدِ الْغَدِيرِ اسْتِجَابَةً لِنِدَاءِ الْأُئِمَّةِ الْمَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) عَلَى لِسَانِ الْأَمَامِ الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَائِلًا لِأَحَدِ أَصْحَابِهِ الْمُقْرِبِينَ (يَا ابْنَ أَبِي نَصْرٍ أَيْنَمَا كُنْتَ فَأَحْضِرْ يَوْمَ الْغَدِيرِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَمُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ ذُنُوبَ سِتِينَ سَنَةً، وَيَعْتَقُ مِنَ النَّارِ ضِعْفَ مَا أَعْتَقَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَلَيْلَةَ الْقَدْرِ وَلَيْلَةَ الْفِطْرِ، وَالْدَّرْهَمَ فِيهِ بِأَلْفِ دَرْهَمٍ لِإِخْوَانِكَ الْعَارِفِينَ)^(٢).

والدعوة بصريح العبارة (أينما كنت) مطلقة موجهة إلى الجميع في شرق الأرض وغربها بلا استثناء، الا من اقعده عذر غالب فيؤدي الزيارة من بعد، ويشارك في شعائره المتنوعة.

وان هذا اليوم يستحق كل اهتمام، لأنه يوم اكمال الدين واتمام النعمة بنص القرآن الكريم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، وقد اكتمل الدين وتمت النعمة

(١) الخطبة الثانية لعيد الأضحى المبارك سنة ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٩/٦/٢٠٢٣م.

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت): ١٤/٣٨٨/باب ٢٨/ح ١.

بتنصيب علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله (ﷺ) وأميراً للمؤمنين ومن بعده أولاده المعصومين (عليه السلام)، فلا غرابة في اعتباره أعظم أعياد الإسلام، وفي الرواية السابقة عن الامام الرضا (عليه السلام) قال: (ان يوم الغدير في السماء أشهر منه في الأرض).

إن الاحتفال بعيد الغدير وتعظيم شعائره والتذكير بواقعه ليس قضية طائفية ولا تستهدف أحداً مخالفاً لنا في المذهب أو الدين، وإنما هو بيان لأساس قضايا الإسلام المحمدي الأصيل وجوهرها وروحها، قال الامام الصادق (عليه السلام): (بني الاسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشئ كما نودي بالولاية)^(١).

وقد شرع النبي (ﷺ) في بيانها من أول أيام البعثة النبوية المباركة عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤)، فجمع بني هاشم، وعرض عليهم نصرته ومؤازرته والتضحية من أجله، وفي ذلك الاجتماع أعلن (ﷺ) أن علياً (عليه السلام) وزيره وخليفته^(٢)، حتى تهكّم عمه أبو

(١) الكافي: ج ٢ / ١٨.

(٢) روى الطبري في تهذيب الآثار بسنده عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال: (قال رسول الله ﷺ): يا بني عبد المطلب، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي وقال: «هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» تهذيب الآثار للطبري: مسند علي بن أبي طالب: ٦٢ / ح ١٢٧.

وقال الطبري في تاريخه مثله: (لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ) ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم إذ ذاك أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً، فقال: أياكم يكون أخي ووصيي ووارثي ووزير و خليفتي فيكم بعدي؟.==

لهب من عمه أبي طالب وقال ساخراً: ((إن ابن أخيك محمداً يريد منك أن تكون تابعاً لولدك الصغير علي))^(١)، لكن أبا طالب كان راسخ الإيمان صلب الاعتقاد بأن ما يبلغه النبي (ﷺ) حق وصدق وهو وحي من عند الله تعالى.

وقد توالى البيانات لتأكيد هذه القضية في وقائع متعددة حتى أصبح ذلك واضحاً لدى الصحابة، وعُرف عن جماعة من صادقي الإيمان منهم، الشيع والولاء لعلي (عليه السلام) في عهد رسول الله (ﷺ) كسلمان وابي ذر والمقداد وعمار وذي الشهادتين وابن التيهان وأبي أيوب الأنصاري وحذيفة بن اليمان وآخرين ممن ثبتوا على الحق ولم يزيغوا.

وجاء يوم الغدير وما قام به النبي (ﷺ) أمام ذلك الملاء الذي بلغ عشرات الآلاف من تبليغ لرسالة الله تعالى، تتويجاً لتلك البيانات وإعلاناً واضحاً وصريحاً لما يريده (ﷺ) من أن علياً هو ولي أمر المسلمين جميعاً من بعده، وهو الذي يجب أن يكون امتداداً له (ﷺ) في إقامة الدين وحفظ كيانه الأمة وهدايتها وصلاتها^(٢).

وبذلك أفضل مؤامرات الأعداء الداخلين وهم المنافقون والحاسدون

==فعرض عليهم ذلك رجلاً رجلاً، كلهم يأبى ذلك، حتى أتى علي، فقلت: أنا يا رسول الله، فقال: يا بني عبد المطلب! «هذا أخي ووارثي ووصيي ووزير وخليفتي فيكم بعدي».. تاريخ الطبري: ٢/٣١٩.
أقول: لكنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: "إن هذا أخي" وكذا وكذا،": تفسير الطبري: ١٩/٤١٠.

(١) أنظر: تفسير فوات الكوفي: ٣٠٢، - بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٢١٧/٣٨.

(٢) أنظر: بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ١٠٨/٣٧، - معاني الأخبار - الشيخ الصدوق: ٦٥، - موسوعة الغدير - العلامة الأميني.

وطلاب الدنيا والذين أُشرب التعصب الجاهلي في قلوبهم، والخارجيين من الأمم الأخرى المتحالفة للقضاء على الإسلام الذين كانوا يترّبصون برسول الله (ﷺ) يريدون موته لكي ينتهوا من أمر الإسلام، وعند ذلك نزل قوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ (المائدة: ٣).

فقضية الغدير أهم قضايا الإسلام، لأن الإسلام النقي الناصح حُفِظَ بها، وإن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ضمان لوحدة الأمة، وعدم ضياعها بالصراعات والخلافات، كما ورد في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) (وجعل إمامتنا نظاماً للملة)^(١)، وبإضاعة بيعة الغدير انفرط عقد الأمة ومزقتها الصراعات وأتانتها الكوارث والويلات وحُرّف الدين، وقد جعل الله تبارك وتعالى أمر تبليغها معادلاً لتبليغ رسالة الإسلام كلها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧).

وهي قضية يشهد العقلاء بصحتها وضرورتها، إذ كيف يمكن لقائد حكيم مثل رسول الله (ﷺ) أن يترك الأمة سدى من بعده، دون أن يُعيّن له خليفة، وخالفه كل الذين جاءوا من بعده فعينوا الخليفة التالي، فأحياء قضية الغدير فيه تأكيد على الطاف المرسل تعالى وحكمة الرسول (ﷺ) وخلود الرسالة رحمة بالعباد الى قيام الساعة.

إن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) أعظم النعم بعد نعمة الإسلام، وبها اكتمل هذا الدين وتمت النعمة، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

(١) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي: ١٣٤/١.

وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿المائدة: ٣﴾.

وقد أمرنا بتعريف هذه النعمة الى جميع الناس ودعوتهم للفوز بها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١).

وقد فسرت النعمة في آيات كثيرة بدين الإسلام وولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)^(١)، كقوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣) وقوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠)، وإن ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (إبراهيم: ٢٨)، هم الذين خالفوا رسول الله (ﷺ) ولم يلتزموا بهذا العهد والميثاق.

فتعظيم شعائر يوم الغدير هو تذكير بهذه النعمة العظيمة، وتجديد الالتزام بهذا الميثاق الغليظ مع الله تبارك وتعالى ومع رسوله الكريم (ﷺ)، فلا بد من أن تكون الزيارة وسائر الشعائر المقررة لهذا اليوم العظيم بمستوى الحدث والمشروع والغرض المقصود حتى قيام المهدي الموعود (ﷺ)

ان النبي وآله المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) يُسرُّون بتواجد الحشد المليونى عند أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير، ليلفتوا أنظار العالم إلى هذه القضية الكبرى التي رسمت مستقبل الأمة وحددت لها طريقها في ذلك المفصل التاريخي المهم حتى لا تضيع الأمة بعد رحيل نبيها (ﷺ) كما ضاعت وانحرفت الأمم الأخرى.

(١) أنظر: بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٣٥ / ٤٢٥، - تفسير كنز الدقائق - الميرزا محمد المشهدي:

١٨٧/٢، - تفسير القمي: ١٦٦/٢، - تفسير العياشي: ٢٢٩/٢ ح ٢٤.

كما أنّ حضور الملايين في زيارة الأربعين سلط الأضواء على قضية الامام الحسين (عليه السلام) ودفع الناس من مختلف الأديان والملل إلى السؤال عن هذه الظاهرة العجيبة والتعرف عليها، لكن الإعلام المعادي استطاع أن يبرزها على أنها مجرد فعالية بكاء وحزن على مقتل سبط رسول الله (ﷺ)، وتبراً بسهولة من فاعلها وهو يزيد الفاجر الفاسق، فلم تقطف الأمة ثمراتها المباركة كاملة، على المدى الاستراتيجي.

فلو حصل مثل هذا التحشيد في يوم الغدير - ولو بعد سنين - وأثار الانتباه لقضيته لكان في ذلك نصرة لرسول الله (ﷺ)، ورداً على من يقول بأنه مات ولم يترك خليفة من بعده وهو منطلق يخالف الحكمة وسيرة العقلاء، ولنفهم العالم بحقيقة ما جرى، فزيارة الغدير جديرة بهذا الحشد والاهتمام وستكون نتائجها أكبر بإذن الله تعالى.

وفي هذا الإحياء المليوني إنصاف لأمير المؤمنين (عليه السلام) ورفع بعض الظلمة عنه وشهادة بحقه المضيّع، وفيه أيضاً اعلاء لذكر أهل البيت (عليهم السلام) وتمهيد للظهور الميمون، فلا تضيعوا هذه الفرصة الثمينة، وسجّلوا أسماءكم فيمن نصر الله ورسوله وأمير المؤمنين وأدخل السرور عليهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

كما ندعو كل الميسورين وأصحاب المواكب لتوفير الطعام وسائر مستلزمات الخدمة والدعم اللوجستي والنقل للزوار الكرام.

ولا تغفلوا عن كل الشعائر والاعمال التي حثّ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) على إقامتها في هذا اليوم المبارك، كإطعام الطعام وإظهار المودة بين

الموالين واسقاط الحقوق والمظالم مع المؤمنين، وإظهار علائم الفرح والسرور والصدقة على الفقراء والتوسعة على العيال، والصوم شكراً لله تعالى وطلباً للتثبيت على الصراط المستقيم، صراط النبي واله الطاهرين (صلى الله عليهم اجمعين)، وسائر الفعاليات المعبرة مثل توزيع الهدايا و(العيديات) خصوصاً على الأطفال لتعريفهم بأهمية هذا اليوم.

ومن تعظيم الشعائر في هذا اليوم: خروج مواكب الفرح والسرور مرددة أهازيج الولاء لأهل البيت الطاهرين (عليهم السلام)، وتوزيع الحلويات مصحوبة بقصاصات ورقية تبين اسرار هذه الأيام، وسبب كونه عيد الله الأعظم، وقد ذكرت عدة وجوه بالمناسبة^(١).

ومنها أيضاً: إقامة المجالس التي تبين للناس التفاصيل التاريخية لواقعة الغدير، وبيان حقيقة المراد من الآيات الكريمة النازلة فيها والأحاديث الشريفة الميَّنة لها، وردّ الشبهات والتأويلات الباطلة التي حاول أعداء أهل البيت (عليهم السلام) من خلالها طمس هذه الحقيقة الناصعة، وأنى لهم ذلك وقد شاء الله تعالى إظهار هذا النور.

وتذكروا لوعة وحزن الائمة المعصومين (عليهم السلام) على تضييع الامة لهذه الهدية الالهية الثمينة التي تكفل لهم سعادة الدنيا والآخرة، وفي ذلك يقول الامام الصادق (عليه السلام): (ان حقوق الناس تثبت بشهادة شخصين وقد أنكر حق جدي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعليه سبعون الف شاهد كانوا مع رسول الله

(١) من نور القرآن: ١ / ٤٢١، موسوعة خطاب المرحلة: ١ / ٢٢٨.

(ﷺ) في غدير خم^(١)، فأصيبت الامة بقتل وتشريد وقهر واستعباد وإذلال وجوع وتخلف ونزاع مستمر وغير ذلك مما ذكرته في خطاب (ماذا خسرت الامة حينما ولت أمرها من لا يستحق)^(٢)، ولكن ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل: ١١٨)، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤)، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنِينَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَا مُكْمُوهُنَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (هود: ٢٨)، ﴿أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (الزمر: ١٩).

مسألة: قد يعتذر بعض المؤمنين عن القدوم بأنه يريد أن يصوم هذا اليوم لما فيه من الأجر العظيم والسفر ينافي الصوم، ونبيّن هنا أن أجر الزيارة أعظم، ويستطيع الزائر ان يُمسك عن المفطرات خلال سفره ويجدد نية الصوم حين عودته إلى أهله ولو قبيل الغروب بلحظة، لأن الصوم المستحب لا يشترط فيه ان يكون حاضراً في بلده عند الزوال باعتبار امتداد نيته إلى غروب الشمس.

(١) بحار الانوار: ٣٧ / ١٥٨ / باب ٥٢.

(٢) أنظر: من نور القرآن: ١ / ١٩٧، قيس رقم: ١٥، - موسوعة خطاب المرحلة: ١ / ٢٤١.

خطاب المرحلة

(٢٢٥)

بسمه تعالى

الرد الحاسم على أعداء القرآن الكريم^(١)

شكر الله تعالى جهود كل الذين دفعتهم غيرتهم على المقدسات إلى المساهمة بإخلاق في الفعاليات المتنوعة للدفاع عن القرآن الكريم وإظهار مكانته السامية، ونرجو أن يدخلهم الله تعالى في شفاعة القرآن فإنه (شافع مشفع) أي مقبول الشفاعة قطعاً كما في الحديث الشريف^(٢)، وأن يقودهم إلى رضوان الله تعالى، وهو بنفس الوقت (ماحل مصدق) أي خصم لا تُردُّ دعواه ومصدق في حجته غالب على من يحاول الإساءة إليه ويصد الناس عن الاهتداء به، فالخزي والذل والهوان لكل من أنتهك حرمة القرآن سواء كانوا حكومات أو مؤسسات أو أفراد، فقد فضحتهم أفعالهم هذه وأظهرت وجوههم القبيحة ونواياهم الخبيثة التي طالما زينوها بشعارات برائة مزيفة كالحرية وحقوق الإنسان والتعبير عن الرأي وغير ذلك، لكن النار لما تصل إليهم كما في اضطرابات فرنسا الحالية تنقلب مواقفهم إلى النقيض فيطالبون بمحاسبة الإباء بدعوى أنهم لم يربوا أولادهم المشاركين في الاحتجاجات، وبنفس

(١) الخطاب الذي القاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) يوم عيد الغدير: ١٨ / ذي الحجة / ١٤٤٤هـ - الموافق ٧ / ٧ / ٢٠٢٣م في أجواء الاحتجاج على موافقة السويد حرق نسخة من المصحف الكريم.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ٢ / ٥٩٨ / ح ٢.

الوقت هم يمنعون الإباء من تأديب أولادهم بحجة العنف الاسري ويسحبونهم منهم، وهذا من تناقضات حضارتهم البائسة، فالحمد لله الذي فضحهم وأكذب أحدوثتهم.

لكن على المؤمنين أن يلتفتوا إلى إن الأعداء يراهنون على أن تقتصر ردود الأفعال على حدود العواطف والانفعالات الثورية التي لا تدوم فيعودون إلى أفعالهم الشنيعة مرة أخرى لأنهم ماضون في حربهم على الإسلام بل على الفطرة الإنسانية، وما هذه التفاهات التي تثار هنا وهناك الا حركات استفزازية ضمن هذه الحرب المسعورة، وهم مصرون على تنفيذ مشاريعهم الشيطانية التي تريد إلهاء الناس وتحويلهم إلى قطيع من الحيوانات لا تفقه من الحياة شيئاً إلا تلبية غرائزها وشهواتها، ويبقون هم متحكمين في مصير البشرية، لذلك فإنهم يجدون في القرآن الذي يوقظ البشر وينبهم من غفلتهم ويهديهم إلى المبادئ السامية، ويعتمده المسلمون دستوراً لهم، وفي رسول الله (ﷺ) وأهل بيته (عليه السلام) الذين يترجمون رسالة القرآن إلى واقع عملي يجدون فيهم عدوهم اللدود الذي يجب القضاء عليه وفصل الناس عنه.

فعلينا أن نتخذ مواقف وإجراءات حازمة ضمن إستراتيجية ثابتة واضحة الأهداف، لنحوّل جرائمهم إلى انتصار وتقدّم حقيقي للإسلام، فإن أعداءنا حمقى مع خبثهم ومكرهم ولا يعلمون إن أية قضية يزيدون الطرق عليها فإنها تثبت وتستقر أكثر، وتزداد وضوحاً و يقيناً، وتدفع المؤمنين إلى ترسيخها والدفاع عنها وإجابة كل الشبهات المثارة عليها، كما حاولوا طمس الهوية الإسلامية وإسقاط حجاب المرأة، ونشر الرذيلة في المجتمع من خلال الترويج

للإلحاد والشذوذ الجنسي وزواج المثليين مخالفين بذلك الفطرة الإنسانية وليس الدين فقط، فانقلبت عليهم بالضد وزاد تمسك المسلمين بهويتهم وإيمانهم، وحاولوا محو الشعائر الدينية والسخرية منها فازداد تعلق المؤمنين بها حيث ترى الملايين من أصقاع العالم يؤدون مناسك الحج ويحضرون في المساجد ويتلون القرآن، كما انتعشت مسألة الإمامة وولاية أهل البيت (عليهم السلام) والشعائر الحسينية وأمثالها بكثرة الطرق عليها.

وهذا من لطف الله تعالى بعباده أن يحوّل الأفعال الشريرة لبعض البشر إلى أسباب لصالح الناس وتقوية الإيمان في نفوسهم، كما جعل الله تبارك وتعالى من فعلة بني أمية بقتلهم الحسين (عليه السلام) سبباً لانتشار الدين وهداية الناس به ودوامه إلى يوم القيامة.

إن الإسلام يمتلك القدرة الفائقة على التأثير في الناس، وإصلاح أشد الناس قسوة وهمجية كالمغول وغيرهم من الأمم المتوحشة التي اكتسحت بلاد المسلمين وعاثت فيها فساداً وقتلاً وتدميراً، لكنها سرعان ما آمنت بالإسلام وأذعنت له خلال مدة قصيرة، لكن ذلك التأثير يتطلب ذوبان أهل الإسلام والقرآن فيهما^(١).

ويتحدث كثير من الذين اعتنقوا الإسلام من الأمم الأخرى عن كيفية تأثرهم بآية من آيات القرآن لأنها حلّت لهم مشكلة أو أجابت عن سؤال عويص ونحو ذلك، وأوجبت هذا التحول في حياتهم، كآية التوحيد التي فسّرت لهم انسجام الخلق، أو آية الخلود في الآخرة التي أعطت الثقة بأنفسهم

(١) راجع تفصيل الفكرة في الكلمة الآتية.

بأنهم لم يخلقوا عبثاً وإنما لغاية، أو ما دلّ على إن الله معكم وأنه قريب من عباده يسمع دعاءهم ويقرب إليهم أكثر مما يقتربون إليه ونحو ذلك.

فالرد الحقيقي على هذه الإساءات والذي يرعب الأعداء ويجعلهم يتندمون على فعلتهم هما أمران:

١- وحدة المسلمين ونبذ الفرقة بينهم بعد أن ميزوا من خلال هذه الانتهاكات بين الصديق والعدو، فليس من أتباع القرآن من عادى أخاه المسلم الذي انتفض معه غيرة على القرآن، ويوالي العدو الذي يتبجح بالإساءة إلى القرآن.

٢- التمسك بتعاليم القرآن وأحكامه وانظمتة وقوانينه، والتدبر في آياته وإحياء دوره في حياة الأمة، واتخاذة قائداً وهداياً لا نحيد عن نهجه وصراطه المستقيم، فإنه الثقل الأكبر والحبل الممدود من السماء الذي لا يضل من تمسك به، وعلينا أن نجعله ميزاناً لأعمالنا فنفعل ما يأمرنا به ونجتنب ما ينهانا عنه من دون مجاملة لأحد أو خوفٍ من آخر، أو نغلب أهواءنا وعواطفنا وشهواتنا على ما يريد الله تعالى، وبذلك نحبط محاولات شياطين الإنس والجن الذين همُّهم وغرضهم إبعاد الناس عن الله تعالى وإضلالهم عن طريق الحق ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف: ١٦)، ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٣٩).

وهذان الأمران اعني إقامة دين الإسلام ووحدة الامة هما الغرض الأسمى للقران الكريم بل لكل الشرائع السماوية، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ

الدِّينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿الشورى: ١٣﴾.

وفي ضوء هذه الآية الكريمة يعرف الترابط الوثيق بين القرآن والامامة التي صدع بها النبي الاكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في يوم الغدير، وتعبير اخر بين الثقلين بحسب الحديث النبوي المشهور لدى الفريقين^(١)، فبالولاية حفظ القرآن من التحريف والتأويل، وضمن ديمومة بقائه الى نهاية الدنيا لتتهدي به البشرية الى سعادة الدنيا والاخرة، وليوحدتها على المبادئ الإنسانية العليا.

وهنا نقول بكل ألم وأسف أن ما يقوم به بعض المسلمين من منكرات كوضع الانظمة والقوانين المخالفة للقرآن والحكم بغير ما انزل الله تعالى، والإثراء بغير حق على حساب قوت الشعب وحرمانه من حقوقه، أو نشر بؤر الفساد الأخلاقي كمحلات الخمور والملاهي وحفلات المجون، وظهور النساء متبرجات أمام الرجال الأجانب، وترك الصلاة وغير ذلك، فضلاً عن إراقة الدماء وانتهاك الأعراض وتعطيل مصالح الناس من أجل أطماع شخصية أو تعصباً لجهة معينة، لهو أشد إساءة إلى القرآن الكريم وأقسى إيلاًماً لقلب النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من حرق المصحف هنا أو نشر صور مسيئة هناك، وهو ما يشكو منه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بحسب قوله تعالى ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣٠) فانتهبوا أيها المسلمون ولا يخذعنكم الشيطان بمكره.

(١) أنظر: وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي: ٢٧ / ٣٣ / ح ٩.

وعلى أي حال فإنّ هذه النهضة القرآنية الظاهرة لها عدة أدوات ومظاهر منها:

١- أن يجعل الخطباء مادتهم في المجالس والمحاضرات من تفسير الآيات الكريمة، واستلهاهم الدروس والعبر منها، وبيان القضايا العقائدية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها التي تتناولها، وهو منهجنا في تفسير (من نور القرآن) واخترنا منه أربعين مجلساً قرآنياً في كتاب (المعارف القرآنية والمنبر الحسيني).

٢- أن يدأب أئمة المساجد على قراءة صفحتين من القرآن الكريم عقب كل صلاة جماعة قبل أن يتفرق المصلّون وهي لا تحتاج إلى أزيد من بضع دقائق.

٣- تلاوة القرآن باستمرار ولو في أوقات الصلوات المفروضة فقد ورد استحباب قراءة خمسين آية يومياً.

٤- الاستفادة من الأجهزة المحمولة للاستماع إلى التلاوات المباركة بأصوات جهابذة القراء في أوقات الانتظار أو السفر أو وقت الاستراحة والخلوة.

٥- مطالعة التفاسير المختصرة كتفسير شبر والمعين للإمام بالمعاني العامة للآيات الكريمة وتهيئة الذهن للتدبر فيها.

٦- عقد محافل الانس بالقرآن الكريم واختيار القراء الذين يشدّون المستمعين إلى آياته.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن أستضاء بنور القرآن وسار على نهجه القويم ونصره وانتصر به والحمد لله رب العالمين.

قابلية الدين الإسلامي العظيم على صناعة التغيير والإصلاح شرط ان يذوب أبناؤه في مبادئه السامية وفي مضامين القرآن الكريم

أكد سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) على استمرارية وديمومة مؤثرية الدين الإسلامي العظيم وقدرته الكاملة على صناعة التغيير والإصلاح إلى الأبد.

وأشار سماحته خلال كلمة ألقاها^(١) في وفد من مؤسسة ملتقى العلم والدين من محافظة ذي قار بمكتبه في النجف الأشرف الذين توجّهوا لإحياء يوم عرفة في النجف وكربلاء - والذي أصطلح عليه سماحة المرجع (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) بـ(يوم التوبة العالمي) ودعا لإحيائه في خطاب مفصّل صدر عام ١٨/ ذي القعدة/ ١٤٢٨هـ- المصادف ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٧م^(٢) - إلى إن الله تبارك وتعالى أودع الدين الإسلامي من عناصر القوة والاستمرارية ما يجعله حياً وغيّاً ومتجدداً في كل العصور، وضمّنه من المقومات والمبادئ ما يمنحه القابلية لأن يكون برنامجاً عظيماً ودستوراً رصيناً يستنبط الحلول الناجعة لكل المشاكل والتحديات في تعاليمه ومبادئه، وأشترط سماحته (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) لتحقيق ذلك وتطبيقه ميدانياً على الأرض بذوبان أبناء الإسلام في الإسلام نفسه وفي القرآن الكريم ومضامينه العالية وخلوص إيمانهم به كمنظومة متكاملة، وكنظام دقيق ومشروع شامل لكل مناحي الحياة.

(١) يوم الثلاثاء ٨/ ذو الحجة/ ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٧/ ٦/ ٢٠٢٣م.

(٢) خطاب المرحلة: ٥/ ٤٦٧.

وعزى سماحته (متأسفاً) تراجع مؤثرية الإسلام في بعض المحاور إلى ابتعاد أبناء الإسلام والمتسمين باسم الإسلام عن ذلك.

وأستشهد سماحته (ذاتُ ظلاله) بقصة قوم النبي موسى (عليه السلام) إذ لم تمر إلا برهة قصيرة من الوقت من نجاتهم من فرعون وجنوده عن طريق المعجزة الإلهية التي شاهدوها بأعينهم حتى طلبوا من نبيهم أن يجعل لهم إلهاً ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف: ١٣٨)، والادهى من ذلك أنهم لم يقفوا عند هذا الحد من الانحراف والجحود، بل وصل بهم الأمر إلى عبادة العجل الذي صنعه لهم السامري، بل تعدى كفرهم إلى ذوبانهم في حب ذلك العجل ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (البقرة: ٩٣).

وفي هذا السياق يتساءل سماحته مستكراً: لماذا لا يذوب المتدينون أو لماذا لا ندوب نحن المتدينون في الله تعالى وفي الإسلام العظيم والقرآن الكريم؟! أو لماذا لا يشرب في قلوبنا حب الله تعالى جلّ وعلا وحب رسوله وأهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)؟! وهل عبادة العجل أولى بالذوبان في مشروعهم المنحرف منا نحن في مشروعنا وهو الدين الإسلامي والقرآن الكريم!!

وفي ختام حديثه حثّ سماحته الشباب المؤمنين على السعي لتوفير مقومات وعناصر الذوبان في المشروع الإلهي ليكونوا مؤهلين لتلقي هذه الألفاظ العظيمة، وأن يبذلوا سعيهم المبارك هذا في بواكير شبابهم ومن أول الطريق، ويبدأ ذلك بمصاحبة الصالحين وحضور مجالسهم والاستفادة منهم وإدانة زخم هذه التجمعات المباركة التي تُعقد في مواسم الزيارة.. والإكثار

من قراءة القرآن وتدبر القرآن الكريم والاطلاع على التفاسير الميسرة فيه (كتفسير شبر والتفسير المعين وتفسير المفيد) فقد ورد في الحديث الشريف (من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه)^(١) وغير ذلك من أسباب التوفيق الإلهي.

للشباب القدرة على التفوق على أصحاب العناوين الكبيرة^(٢)

أروي لكم حادثة من معركة الجمل لناخذ منها العبرة، ففي تلك المعركة وقف عدد من شيوخ الصحابة كطلحة والزبير وعائشة زوج النبي (ﷺ) في مواجهة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأندس معهم بنو أمية لإشعال الفتنة بين المسلمين حتى يصفى ملك الشام لمعاوية، وقد كان الجميع يعلمون بأن علياً (عليه السلام) هو الإمام الحق بكل المقاييس فقد بايعوه على ذلك يوم الغدير بأمر رسول الله (ﷺ)، ثم أجمعت الأمة على مبايعته بعد قتل عثمان، وكانت النتيجة إزهاق أرواح الآلاف من المسلمين وإحداث الشرخ الكبير بين أبناء الأمة، والتمهيد لقيام دولة بني أمية الظالمة المنحرفة.

وقد حاول أمير المؤمنين (عليه السلام) ثني القوم عن الحرب، وذكّرهم بأحاديث رسول الله (ﷺ) ومواقفه فتذكّرها الزبير وأعتزل المعركة لكن الآخرين أصروا على الحرب، وكمحاولة أخيرة لوعظهم عرض علي أصحابه أن يذهب أحدهم إلى القوم رافعاً كتاب الله تعالى بيده ويدعوهم إلى تحكيمه

(١) بحار الأنوار: ٧ / ٣٠٥.

(٢) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (رحمته الله) مع جمع من الطلبة الجامعيين والشباب يوم الخميس ٢٤ / ذو الحجة / ١٤٤٤هـ - الموافق ١٣ / ٧ / ٢٠٢٣م.

والعمل به وأخبرهم بأنه سيقتله القوم ويستشهد، فأستجاب له شاب نقي من أهل الكوفة وتعهد بتنفيذ المهمة، وبعد تكرار الدعوة عدة مرات وافق الإمام (عليه السلام) على تشريفه وناوله المصحف، فوقف الشاب بإزاء الجيش المعاند وبلغ الرسالة فقطعوا يده اليمنى التي كان يحمل بها المصحف الشريف، فرفعه باليسرى فقطعوها ثم قتلوه.

ووقفت والدته تراثه:

يا ربّ إن مسلماً أتاهمّ يتلو كتاب الله لا يخشاهمّ
فخضبوا من دمه لحاهمّ وأمه قائمة تراهم
وتقصد بأمه أم المؤمنين عائشة التي كانت حاضرة ولم تنههم عن هذه
الجريمة، ورأى الإمام (عليه السلام) حينئذٍ إن الحجة قد اكتملت على القوم فقال
لأصحابه: (الآن حلّ قتالهم) ^(١).

وهذه الحادثة تعطينا درساً بأن من عندهم تاريخ في العمل وسلسلة من الإنجازات والعناوين الكبيرة كطلحة والزبير الذين كانا من السابقين للإسلام في مكة وهاجرا إلى المدينة وشاركا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في معارك بدر وأحد والأحزاب، وكان الزبير من المدافعين عن دار فاطمة (عليها السلام)، ورشحا علياً للخلافة من بين الستة أهل الشورى الذين عينهم عمر، إلا إنهما سقطا في الامتحان وغرّتهم زينة الحياة الدنيا ومالت نفوسهم إلى الطمع وإتباع الأهواء،

(١) موسوعة سيرة أهل البيت (عليهم السلام) للشيخ القريشي: ٨٧/٨، عن مروج الذهب: ٢/٢٤٦، مناقب آل أبي

وخضعوا لتسويلات ولديهما الحالين بالسلطة، فوقعوا في هذه الجريمة الكبرى ونقضوا غزلهم.

بينما ينجح شاب في مقتبل العمر نقي السريرة لم تتلوث فطرته ولم يتعلق قلبه بالدنيا ففاز بطاعة الله تعالى ورسوله (ﷺ) ونال رضا أمير المؤمنين (عليه السلام)، فعلى الشباب أن يثقوا بأنفسهم ويلتفتوا إلى قدراتهم ولا يقللوا من شأنهم وإمكانياتهم الهائلة في نصره دين الله تعالى وخدمة أمتهم، وألا يثبّط عزيمتهم الكبار الذين يتباهون ببعض الإنجازات وربما يستصغرون الشباب، ويضعون مقاييس مغلوبة لتقييم الاستحقاقات فالمقياس هو العمل الصالح المثمر المبارك، وإنَّ الله تعالى ناصر من ينصره وهو ولي المؤمنين.

(ألسنا على الحق) شعار المؤمنين الرساليين^(١)

(ألسنا على الحق) كلمة قالها علي الأكبر شبيه رسول الله (ﷺ) خلقاً وخلقاً ومنطقاً كما نعته أبوه الإمام الحسين (عليه السلام) وهو أول شهداء أهل البيت (عليهم السلام) في معركة الطف بين يدي أبيه الإمام الحسين (عليه السلام)، قال الكلمة أثناء مسيرة الإمام (عليه السلام) من مكة إلى كربلاء، روى المؤرخون عن عقبه ابن سمعان قال: (فَلَمَّا ارْتَحَلْنَا مِنْ قَصْرِ بَنِي مُقَاتِلٍ وَسِرْنَا سَاعَةً، خَفَقَ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِرَأْسِهِ خَفَقَةً، ثُمَّ انْتَبَهَ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. قَالَ: فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى فَرَسٍ لَهُ فَقَالَ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَا أَبَتِ، جُعِلَتْ فِدَاكَ! مِمَّ حَمَدتَ اللَّهَ وَاسْتَرَجَعْتَ؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ! إِنِّي خَفَقْتُ بِرَأْسِي خَفَقَةً، فَعَنَ لِي فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ، فَقَالَ: الْقَوْمُ يَسِيرُونَ وَالْمَنِيَا تَسْرِي إِلَيْهِمْ، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَنْفُسُنَا نُعَيْتَ إِلَيْنَا. قَالَ لَهُ: يَا أَبَتِ، لَا أَرَاكَ اللَّهَ سَوْءًا، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ؟ قَالَ: بَلَى وَالَّذِي إِلَيْهِ مَرْجِعُ الْعِبَادِ؛ قَالَ: يَا أَبَتِ، إِذْنٌ لَنَا فِي نُبَالِي؛ نَمُوتُ مُحَقِّينَ. فَقَالَ لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ وَكْدٍ خَيْرًا مَا جَزَى وَكْدًا عَنِ الْوَالِدِ)^(٢).

أقول: لم يرتبك علي الأكبر ولم يقلق من سيرهم نحو الموت ولم يطلب من والده الرجوع إلى المدينة وإلغاء هذه السفارة، وهو شاب في مقتبل العمر

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد العقبوي (رحمته الله) مع جمع من الزوار يوم ٣٠/ ذي الحجة/ ١٤٤٤هـ- الموافق ١٩/٧/٢٠٢٣م.

(٢) الصحيح من مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) للريشهري: ٥٧٧، عن تاريخ الطبري: ٤٠٧/٥، مقتل الحسين للخوارزمي: ٢٢٦/١، ومصادر كثيرة.

وأبواب الدنيا السعيدة مفتوحة أمامه وإنما أجاب أباه بكل عزيمة وثبات (ألسنا على الحق) وهو على اطمئنان تام إلى الحق الذي هم عليه ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: ١٠٨).

هذه ليست كلمة عابرة وإنما تستحق أن تكون شعاراً يأوي إليه المؤمنون الرساليون العاملون (ألسنا على الحق) فما دمنا على الحق، إذا لا نبالي بالصعوبات والمشاكل والمثبطات والآلام القاسية التي تنالنا من الأعداء والخصوم، ولا شك إن الأكبر يقصد بضمير (نا) الثلة المخلصة التي كانت مع الإمام الحسين (عليه السلام) من أهل بيته وأصحابه الذين استشهدوا بين يديه، ولكن الشعار لا يختص بهم بل يشمل آخرين ممن شملهم الله تعالى بلطفه وتأييده ﴿وَكُلُّوا فَاذْكُرُوا اللَّهَ عَالِمًا إِنَّكُمْ لِلَّذِينَ إِذْ هَبْتُمْ فِي سَبِيلِهِ بِرُحْمَةٍ وَأَنْتُمْ بِاللَّهِ وَأَعْيُنُهُمْ الْغُلَامُ﴾ (النور: ٢١) فالمهم أن نعرف من المقصودون بضمير (نا) وما هي أوصاف الذين يصدقون بقولهم (ألسنا على الحق) ويكونون جديرين بالالتحاق بهذه الحركة المباركة، وهذه الأوصاف هي:

١- الإسلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩)
 وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

٢- الولاية لأمر المؤمنين (عليهم السلام) فإنه الحق بصريح قول رسول الله (عليه وآله): (علي مع الحق والحق مع علي والحق يدور حيثما دار علي)^(١)، وإتباع

(١) بحار الأنوار: ٢٩ / ٣٨، برواية سعد ابن أبي وقاص.

أئمة أهل البيت (عليه السلام) فمنهم يؤخذ الإسلام المحمدي الأصيل، وهم عدل القرآن الذي أوصى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتمسك بهما في حديث الثقلين المشهور: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) (١).

٣- الرجوع إلى العلماء الجامعين لشرائط المرجعية والتقليد فإنهم الحجج المنصوبون من قبل الأئمة المعصومين (عليه السلام) ولا تبرأ الذمة بغير إبتاعهم (اللهم عرّفني حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِ) (٢) وكلما كان العلماء أجمع للصفات التي أكد عليها الأئمة المعصومون (عليه السلام) كان الاقتراب إلى الحق أكثر، بأن يكونوا حريصين على الأمة مشفقين عليها دؤوبين في توعيتها وإرشادها وهدايتها إلى ما يصلح دنياها وآخرتها، وأن يبذلوا وسعهم في خدمتها وقضاء حوائجها ورفع مظلوميتها ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) وأن يكونوا حاذقين فطنين من أهل الحكمة والتدبير والنظر كما في الحديث الشريف: (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس) (٣).

إن مبدأ (ألسنا على الحق) والثبات عليه ليس ادعاءات ولقلقة لسان بل له حقيقة تظهر على السلوك والأفكار والمواقف ولا يتحقق إلا بتوفيق الله تعالى وتأييده ولا يأتي بالرغبات والتشهيات، لذا يعلم الإمام الصادق (عليه السلام) شيعة أن

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ٢٧ / ٣٤.

(٢) مفاتيح الجنان: دعاء زمن الغيبة.

(٣) تحف العقول: ٣٥٦.

يطلبوا من الله تعالى في دعاء عقيب الصلوات الواجبة اليومية (وأرني الحق حقا حتى أتبعه، وأرني الباطل باطلا حتى أجتنبه)^(١) فمجرد العلم بالحق نصف الطريق وكم من شخص يعرف الحق لكنه لا يتبعه ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤) فلا بد من تحقق النصف الآخر وهو حسن التوفيق باتباعه.

نعم المضي على الحق والثبات عليه يتطلب جهوداً استثنائية ويعرض صاحبه للمشاق والصعوبات والآلام وكثرة الأعداء ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٠) ولذا كثر أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام) وحاسدوه ومبغضوه^(٢) لأنه مع الحق، لكن المؤمن الرسالي الواعي لما ينظر إلى ما أعد الله تعالى من الجزاء الكريم للثابتين على الحق فإنه تهون عليه تلك المصاعب وتخف الآلام، لأنه لا قيمة لعناء زائل إذا كانت عاقبته نعيماً مقيماً خالداً مع سادة الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) بحار الأنوار العلامة المجلسي: ٨٣ / ١٢٠.

(٢) راجع موسوعة خطاب المرحلة: ٨ / ٢٣٩، مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) لا تنهاه كأعدائه.

مختارات

من صحيفة الصادقين: الاعداد

٢١٤ - ٢٣٥

أخبار- استفتاءات - قصائد

أخبار

المرجع اليعقوبي يمتنع عن تبادل التهاني بالعيد مواساة لذوي الضحايا^(١)

امتنع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) عن تقديم التهاني والتبريكات بمناسبة عيد الأضحى المبارك واستهّل سماحته خطبتي صلاة العيد بالكلمات التالية:

لا يسعنا أن نتبادل التهاني والتبريكات ونستشعر الفرح والسُرور في العيد، ودماء الأبرياء المحرومين - الذين لا شأن لهم في الصراعات السياسية وتصفية الحسابات - لم تجفّ بعد في مدينة الصدر^(٢) ومستشفى الحسين (عليه السلام) في الناصرية ومستشفى ابن الخطيب ودماء المجاهدين المضحّين المرابطين في خنادق المواجهة مع الأعداء.

لكن الذي يسلينا ما وعد الله تعالى الصابرين من حُسن الجزاء وعظيم الأجر، فليس لنا إلا التسليم لمشية الله تعالى، وحُسن الظنّ بما عنده تبارك وتعالى، والثقة بحُسن تدبيره لعباده، وأن العاقبة للمتقين، ورد في الرواية الصحيحة عن الإمام الصادق (عليه السلام): (عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِمَا يَقْضِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ قُرْضَ بِالْمَقَارِيفِ كَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ مَلَكَ

(١) نشرت في صحيفة الصادقين العدد: ٢١٤ الصادر بتاريخ ٣/ محرم/ ١٤٤٤هـ- الموافق ٢/ ٨/ ٢٠٢٢م.
(٢) لقي المئات حتفهم وأصيب آخرون ونكبت عوائل بعدة أفراد في حرائق التهمت هذه المستشفيات بسبب الفساد المستشري في وزارة الصحة حيث التشييد الفاشل للأبنية وسوء التجهيز وعدم وجود شروط السلامة والأمان وان ضحايا المستشفى ابن الخطيب وحده ناهزوا المئة وتجاوز المصابون مئة وعشرة وقد وقع يوم: ١١/ رمضان/ ١٤٤٢هـ- الموافق ٢٤/ ٤/ ٢٠٢١م.

مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا كَانَ خَيْرًا لَهُ^(١).

حث الشباب على مطالعة الكتب النافعة والتحذير من الاستغراق في تصفح مواقع التواصل الاجتماعي.

حثَّ سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) الشباب على مطالعة الكتب النافعة لزيادة معرفتهم بما يهمهم من أمر الدنيا والآخرة وتنمية ثقافتهم وصقل مواهبهم وزيادة خبرتهم وتقوية شخصيتهم وشحن أذهانهم وتفجير طاقاتهم.

وحذّر سماحته خلال استقباله^(٢) للطلبة الذين أكملوا الدورات الربيعية في النجف الاشرف من استغراق الوقت في متابعة مواقع التواصل الاجتماعي واستعمال الأجهزة الالكترونية لأنها تسطح الفكر وتجمّد الذهن وتؤدي الى الخرف المبكر وأضرار صحية عديدة بينها المختصون، مضافاً الى ما تسببه من تشويش، لتضاربها وعدم مصداقيتها وايحاءاتها الوهمية.

وطالب سماحته أولياء الأمور من آباء وأمهات ومعلمين ومرشدين بتنبية أبنائهم الى خطورة ما يعرض على هذه المواقع من ترويج للجريمة والردائل الخلقية والانحرافات والمفاسد والعقد النفسية والاجتماعية والاسرية، وان لا يستهينوا بتأثير هذه المواقع لأنها تملك التأثيرات القوية لتوجيه الرأي العام، وصنع ثقافة مجتمعية بعيدة عن الدين والأخلاق والقيم الإنسانية.

(١) اصول الكافي: ٢ / ٦٢ / باب القضاء / ح ٨

(٢) كان اللقاء يوم الجمعة ١٦ / رجب / ١٤٤٣هـ - الموافق ١٨ / ٢ / ٢٠٢٢م.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدورات تقيمها مؤسسة ملتقى العلم والدين في النجف الاشرف خلال العطل على مدى عدة أيام تستضيف فيها مجاميع كبيرة من طلبة وشباب المحافظات لتلقي محاضرات دينية واخلاقية وتنموية وتوعوية ويتخللها برامج ترفيهية وسياحية.

سماحة المرجع اليعقوبي يناقش الأوضاع في أفغانستان

استقبل^(١) سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بمكتبه في النجف الأشرف سماحة آية الله الشيخ محمد هاشم الصالحي (دامت بركاته) رئيس مجلس شورى العلماء في أفغانستان الذي يقود الشيعة هناك، وقدم الضيف الكريم صورة عن الأوضاع الجديدة في أفغانستان، واستمرار الحوزات العلمية والشعائر الدينية في نشاطها رغم بعض الحوادث المفجعة التي حصلت ولازالت مستمرة حيث تستهدف المساجد والمدارس والتجمعات بتفجيرات إرهابية خلفت اعداداً كبيرة من الشهداء والمصابين.

وقد عبّر سماحة المرجع عن قلقه إزاء تلك الأوضاع ومعاناة الشعب الأفغاني وأمله بأن ينجح المجلس في مواصلة الإنجازات التي تحققت على يد سلفه الصالح المرحوم الشيخ آصف محسني (قدس الله سره) حيث أصبح الشيعة قوة سياسية واجتماعية مؤثرة في الدولة وحافظوا على الكثير من خصوصياتهم الدينية وشعائرهم وشرعوا قانون الأحوال الشخصية الجعفري لضمان اجراء أمورهم على طبق الشريعة الإسلامية.

(١) يوم الاثنين ١٩/ رجب/ ١٤٤٣هـ- الموافق ٢١/ ٢/ ٢٠٢٢م.

وواعد سماحة المرجع (دام ظله) بمواصلة دعمه المادي والمعنوي للحوزات العلمية والمؤمنين المحتاجين في المدن الأفغانية ورعاية الطلبة الأفغان في حوزات العراق وإيران.

يُذكر ان سماحة الشيخ الصالحي أكمل تحصيله العلمي في النجف الأشرف منذ أواخر عام (١٩٦٨م) وحضر أبحاث الخارج للسيد الخوئي والشهيد الصدر (قدس الله سريهما) واستفاد من عمق أبحاثهما ثم اعتقلته سلطات البعث البائد مدة شهرين وأبعد إلى إيران عام ١٩٧٦م حيث استقر في قم للبحث والتدريس.

خواطر في نهاية شهر رمضان المبارك

نظمت إدارة ملتقى العلم والدين لقاءً موسعاً لجمع كبير من الشباب، من عدة محافظات مع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في آخر ليلة^(١) جمعة من شهر رمضان المبارك.

وتضمن حديث سماحته ذكر عدة^(٢) أحاديث عن النبي (ﷺ) في فضل الملتزمين بالدين في هذه الأزمنة، حيث وصفهم النبي (ﷺ) بأنهم (إخواني) ويدعو الله تعالى للقائهم وأن أجر الواحد منهم يعادل أجر خمسين بدرياً ممن قاتل مع رسول الله (ﷺ) في معارك المسلمين الفاصلة.

وقال سماحته: أن هذه الأحاديث تشكل محفزات للالتزام بالدين،

(١) ليلة ٢٧/شهر رمضان/١٤٤٣هـ- الموافق ٢٩/٤/٢٠٢٢م.

(٢) راجع نصوص الأحاديث مع بيان سماحة المرجع في خطاب المرحلة: ٤٥/٩ و٣٤٠.

ومثبات لقلوب المؤمنين على الاستقامة، تعينهم على مواجهة الضغوط والمغريات والتحديات التي تواجههم، لما تضمنته من منزلة رفيعة وثواب عظيم لهم في الدنيا والآخرة بحيث وصف النبي (ﷺ) هذه المواجهة بأنها كالقابض على الجمر وخرط القتاد - أي خرط الشوك الصحراوي القاسي ذي الرؤوس المدببة كالإبر باليد-.

ثم تطرق سماحته للحزن واللوعة التي كان يشعر بها أولياء الله تعالى، عند فراق شهر رمضان وهم يودّعون كأعز صاحب وصديق، حيث ترتفع بانتهاه بركات عظيمة، ويصف الإمام السجاد (عليه السلام) تلك الحالة في دعائه بالمصيبة فقال: (وأجبر مصيبتنا بشهرنا)^(١)، ثم قرأ سماحته عدة فقرات من الدعاء تبين ما وفرّ شهر رمضان من معونة على الاحسان ووقاية من السيئات وتطهير للنفوس والقلوب ومعرفة بالله تبارك وتعالى، لكن أملنا بربّ شهر رمضان أن يجعل لنا بكرمه أسباباً لنيل هذه اللطاف الالهية كما جعل لنا شهر رمضان.

وأوصى سماحته بإدامة هذه الآثار والبركات التي حصل عليها المؤمنون من شهر رمضان، لأن قيمة العمل بمقدار تحصيل آثاره والاستمرار عليها، كجواب الإمام الصادق (عليه السلام) لمن سأله عن مقدار قبول صلاته، فأجاب أنه بمقدار نهيها إياك عن الفحشاء والمنكر^(٢)، لأن الصلاة تنهى عنهما، والغرض من الصوم تحصيل التقوى، فعلينا تحصيل أنفسنا باستمرار بكل ما يقرب إلى

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٢٠، دعاء وداع شهر رمضان.

(٢) معاني الأخبار - الشيخ الصدوق: ٢٣٦/ ح ١.

الله تعالى ويبيد عن معصيته، لأننا في سفر إلى الآخرة فلا بد لنا من التزود بما يعيننا على إتمام سفرنا بنجاح، وقد أخبر الله تعالى عن الزاد النافع ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (البقرة: ١٩٧)، وقد جعل الله تعالى لنا برحمته وكرمه محطات لا تعد ولا تحصى للتزود بالطاقة، ومن أهمها شهر رمضان المبارك وقد أشرنا إلى هذا المعنى في خطابات عديدة^(١).

وحذر سماعته من الانخداع بمكائد الأعداء الذين يريدون إبعاد المجتمع عن الدين وعن العلماء المخلصين الواعين الذين يقودونهم نحو الحياة الهنيئة الطيبة ليتمكنوا من السيطرة على الشعوب واستعبادهم ونهب ثرواتهم من خلال إطلاق الشعارات الخادعة والوعود الكاذبة، وذكر سماعته شواهد على واقعهم الفاسد الذي يريدون نقله إلينا، وشبههم بالذئاب التي تتربص بالأغنام الودیعة وتسعى لإبعاد حارسها الأمين عنها حتى تفترسها. وفي نهاية اللقاء أجاب سماعته عن بعض أسئلة الحاضرين، ثم ودّعهم بمحبة وحفاوة واحترام، وتوجهوا إلى حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) لإتمام فعاليتهم المباركة.

المرجع اليعقوبي: يدعو إلى توظيف رسالة الفن الهادف العابرة للحدود في نشر مبادئ الإسلام السامية ومواجهة الثقافات الدخيلة

استقبل^(٢) سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

(١) أنظر: خطاب المرحلة: ٩ / ٣٤٠.

(٢) تاريخ اللقاء ٢٤ / ذي الحجة / ١٤٤٣ هـ - الموافق ٢٤ / ٧ / ٢٠٢٢ م.

بمكتبه في النجف الأشرف، مدّاح أهل البيت (عليه السلام) (ابو ذر روهي)، الذي أشتهر بأشودته الأخيرة (سلام يا مهدي) حيث ردّد المنشد جزءاً من نسختها العربية، وأثنى سماحته على هذا العمل الذي توسّم فيه النجاح والتأثير من حين صدور النسخة الأولى منه، لاتصافه بالإخلاص والصدق وأدائه من قبل الأطفال ذوي الفطرة السليمة، ولتعلقه بقضية مصيرية هامة يتلهف لها كل إنسان حُرّ شريف، وهي قيام دولة العدل الإلهي على يد المصلح العظيم الإمام المهدي المنتظر (صلوات الله وسلامه عليه)، فاستطاع النشيد إثارة هذه القضية وجلب الانتباه إليها وتحريك العواطف نحوها وتوحيد الشعوب عليها.

وأكد سماحته خلال اللقاء على أهمية الفن في أداء رسالة الإسلام العقائدية والأخلاقية والفكرية والاجتماعية، وإن الفن من أهم أدوات الحرب الناعمة التي تُشنُّ على الشعوب لاستعبادها و(عولمتها) فلا بد أن نسخر نفس الأداة للوصول إلى الأهداف العظيمة، وان مما يميّز به الفن ان رسالته عالمية تتجاوز حدود اللغة والقومية والجنس، ويفهمها الجميع بلا حواجز.

وطبق سماحة المرجع (دام ظله) حديث الإمام الرضا (عليه السلام) (أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيانا أمرنا- وقوله (عليه السلام) - فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)^(١) على الفن باعتباره أداة مؤثرة وفاعلة في إيصال رسالة أهل البيت (عليه السلام) إلى الناس، لذا يجب تفعيل هذا الجانب من الدعوة الى الله تبارك وتعالى، ونشر تعاليم أهل البيت (عليه السلام).

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) الشيخ الصدوق: ٢ / ٢٧٥ / ح ٦٩.

حفل تكريم الجامعات الزينيات

برعاية سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظلّه) وفي بادرة نوعية اريد منها زرع الأمل والبسمة وقطف ثمرة النجاح من وسط ركام الحرب التي شنت على الشعب السوري الشقيق، وتيمناً بحلول ذكرى عيد الغدير الأغر أقام^(١) قسم شؤون المرأة الثقافية في مكتب سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظلّه) في سوريا حفلاً تكريمياً لما يقارب ثمانين طالبة جامعية تخرجن وحصلن على شهادة البكالوريوس في مختلف الاختصاصات والأقسام في الجامعات السورية كالطب والهندسة والعلوم والتربية والقانون وغيرها.

على قاعة حسينية المضافة الفاطمية القريبة من حرم السيدة زينب بنت الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

وأفتتح الحفل الذي شارك فيه عدد من الأستاذات الاكاديميات والحوزويات وحضره جمعٌ من ذوي أمهات وإخوات الطالبات المكرمات المصاحبات لهُنّ، بقراءة سورة الفاتحة على أرواح الشهداء السعداء وقوفاً.

ثم ألقى إحدى الطالبات المكرمات كلمة نيابة عن بقية الطالبات صدرتها بالشكر لله تعالى لحسن توفيقه وتسديده في طلب العلم ولاجتياز المرحلة الجامعية بنجاح بعد سنين من السهر والمثابرة.

كما ازدانت الكلمة بمعاني الشكر والعرفان بالجميل والامتنان لكل من ساعدهن للوصول الى هذه المرتبة وعلى رأسهم الكريمة والأساتذة

(١) ١٨ / ذي الحجة / ١٤٤٣هـ - الموافق ١٨ / ٧ / ٢٠٢٢م.

والتدريسيون وغيرهم.

واختتمت الكلمة بإهداء نجاحهن وتفوقهن إلى سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) لرعايته الأبوية الطيبة التي أسعدت الطالبات وأدخلت السرور على قلوبهن.

ثم أنشدت (فرقة الممهديات) نشيد التخرج والذي نظمه الدكتور عباس فتوني (أحد الشعراء اللبنانيين المتميزين) كان مطلعته:

حَمْدًا لِلَّهِ تَفَوَّقْنَا بِشَابِ الْعِزِّ تَخَرَّجْنَا
شُكْرًا لِلشَّيْخِ الِيعْقُوبِيِّ بِرِعَايَتِهِ قَدَّ كَرَّمْنَا

ثم جاء دور كلمة مدير مكتب المرجعية الرشيدة في دولتي سوريا ولبنان والتي كانت بعنوان (الثبات والاستقامة وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع)

وفي ضوء الآية الكريمة ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٧).

وكانت فقرة أداء قَسَمِ التخرج من أكثر فقرات الحفل تميزاً من جهة المنطوق الرائع والمعاني التي تضمنتها، ومن جهة تأثيره في نفوس الحاضرين خاصة أمهات الطالبات فامتزجت مشاعر الحزن والفرح والدمعة والابتسامة واختلجت في نفوسهم هذه الألوان المختلفة من الأحاسيس خاصة اللواتي أستشهد لهن زوج أو أبن أو أخ ويستشعرن فقدته وغيابه في لحظات الإنجاز وقطف الثمار.

وفيما يلي نص القسم الجامعي الذي تلتته الطالبات على مسامع الحضور

بسم الله الرحمن الرحيم

(نحنُ دفعة الجامعاتِ الممهّداتِ لدولةِ الإمامِ المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ... نُلِزِمُ
أنفسنا بمحضر الله جل جلاله ورسوله الأكرم محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والسيدة زينب
(عَلَيْهَا السَّلَامُ) وصاحب الزمان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأساتذتنا والعالم أجمع أن نكون أوفياء
للإنسانية والدين والوطن، وأن نقدم خالصَ جهودنا العلمية في بناء ورقي بلدنا
... وأن نبذل قُصارى جُهدنا وبالغ سعينا في تحقيق ذلك متبعين فيه المبادئ
الحقة التي ضحّى من أجلها الأنبياء والمرسلون والأئمة الأطهار (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) سيما
مولانا الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ... اللهم فأشهد، اللهم فأشهد، اللهم فأشهد).

وفي نهاية الحفل الذي شهد كل من حضره بتمييزه من حيث الفكرة
والإعداد والتنظيم، خاصة انه تزامن مع حلول أعظم أعياد الإسلام وهو عيد
الغدِير المبارك وفيها من الدلالات ما لا تخفى على المتابع المنصف.
وختم الحفل بتوزيع الهدايا الرمزية والشهادات التقديرية التي تكون
تذكراً مباركاً للطالبات الموفقات لقابل الأيام وملهماً ومعيناً لهن في تحمل
المسؤوليات المستقبلية بلطف الله تعالى.

وفد المرجعية الرشيدة يتفقد الوضع الديني في البرازيل^(١)

بأمر من سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) توجه

(١) نُشِرت في صحيفة الصادقين العدد المئتان والخمسة والعشرون الصادر بتاريخ ٢/

فضيلة الشيخ صلاح الكعبي مدير مؤسسة التبليغ الإسلامي في الخارج على رأس وفد إلى البرازيل لتفقد الحالة الإسلامية عموماً والشيعية خصوصاً في تلك البلاد، وتشخيص المشاكل ومعوقات العمل الديني وما يمكن فعله لهداية الناس إلى هذا الدين العظيم.

وقد بدا الوفد رحلته يوم الأول من ذي الحجة ١٤٤٣هـ ووضع من حين وصوله برنامجاً حافلاً شمل العاصمة وأغلب المدن البرازيلية بمساعدة بعض الفضلاء المقيمين هناك، وقد تضمن البرنامج زيارة المساجد والمراكز الإسلامية والمؤسسات الخيرية والثقافية وإلقاء المحاضرات ونقل تحيات واهتمام مرجعية النجف الأشرف بهم، كما قام الوفد بزيارة العوائل والمشاركة في بعض الفعاليات الاجتماعية والخيرية التي عمّت حتى الديانات الأخرى من الجاليات المتعددة، مما أثار إعجاب الناس بأخلاق الإسلام وتعاليم أهل البيت (عليه السلام) والوسطية والاعتدال والمحبة والتواضع التي تتميز بها المرجعية الدينية في النجف الأشرف.

واطلع الوفد عن كثب عن فراغ الساحة من المبلغين المخلصين العاملين مما أدى إلى انحراف الكثير من الشباب وشابات العوائل الإسلامية المهاجرة واعتناقهم عقائد وأفكار المخالفة مع جهل واسع بأحكام الشريعة، وشكى كثيراً من أرباب العوائل المسلمة ضياع أبنائهم وعدم قدرتهم على إصلاحهم لعدم وجود المبلغين وأئمة المساجد إلا بعدد محدود، وشكروا مرجعية النجف على هذه الالتفاتة الكريمة وعقدوا عليها الآمال التي انتعشت في قلوبهم، مما يلقي مسؤولية كبيرة على الحوزة العلمية في النجف لتنتقل

برسالتها العالمية إلى كل بقاع الأرض.

لدى استقباله وفدا من رؤساء عشائر ووجهاء محافظة ميسان المرجع اليعقوبي: يجدد دعوته لإقرار مشروع مجلس الأعيان والحكماء

أثنى سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) على الجهود الطيبة والمسعّية المباركة لشيوخ العشائر المخلصين والنخب والواجهات الاجتماعية المثقفة والواعية، التي تصل الليل بالنهار من أجل حل المشاكل التي عجزت الدولة عن حلها، ومساعدة الناس وقضاء حوائجهم وإصلاح ذات البين وحقن الدماء.

وأصغى سماحته (دام ظلّه) لدى استقباله^(١) وفداً من فضلاء وشيوخ العشائر ووجهاء محافظة ميسان بمكتبه في النجف الأشرف، لعرض موجزٍ قدّمه الوفد الزائر عن المشاكل التي يعاني منها النسيج الاجتماعي للمجتمع العراقي عموماً والميساني خصوصاً، كانتشار ظاهرة تعاطي المخدرات وانتشار استخدام السلاح المنفلت والقتال بين العشائر.

والتحديات والمعوقات التي تواجه مساعي الإصلاح (إصلاح ذات البين) ودرء الفتن التي غالباً ما تؤدي إلى الاقتتال العشائري الذي يؤدي بحياة الأبرياء ويضر بالأمل العام والخاصة ويعطل عجلة الحياة.

وانتقد سماحته غفلة (الساسة) عن مراقبة الله تعالى لهم وعن مسؤولياتهم وعن علاج هذه المظالم ورفعها، وعن إسناد ودعم ورعاية الجهود المخلصة

(١) الثلاثاء ٢٦ / ذي الحجة الحرام / ١٤٤٣هـ - الموافق ٧ / ٢٦ / ٢٠٢٢م.

والخيرة لجملة من الواجهات العشائرية والاجتماعية التي تسعى لملئ الفراغ الذي تركته الدولة لانشغال (الساسة) بالمصالح والغنائم الشخصية والجهوية، وتقصيرهم في أداء مسؤولياتهم .

وقال سماحته (دام ظله): إن باب المرجعية مفتوح دائماً لأبنائها وهي تتابع باهتمام مجريات الأحداث وتسعى بمقدار ما ييسره الله تعالى لإيجاد الحلول للمشاكل ورفع المعاناة عن كاهل أبناء البلد خاصة إن وجدت الأذن الواعية التي تصغي بمسؤولية لإرشادات المرجعية وتطبق توجيهاتها ميدانياً. وأكد سماحته على دعواته السابقة لتشكيل مجلس الأعيان والحكماء الذي حظي بتأييد عشائري ونخبوي واجتماعي واسع بحيث أخرج القائمين على سدة الحكم في الوزارات السابقة لشموليته ولكونه مشروعاً واعداداً تتوفر فيه عناصر النجاح، لكنه اصطدم بالإرادات السياسية الضيقة لعدد من رؤساء الكتل البرلمانية حينئذٍ فعرقلوا إقراره وجمدوه، وحُفظ مع كثير من الملفات المهمة التي أهملها البرلمان مع شديد الأسف.

استثمار الأجواء المباركة للزيارة الأربعينية في توحيد الكلمة ورص الصفوف في مواجهة التحديات.

دعا سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) إلى استثمار أجواء الزيارة الأربعينية المباركة لتوحيد الكلمة ورص الصفوف وسد الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها الأعداء لينالوا من همّة المؤمنين ويثبطوا من عزيمتهم.

جاء ذلك في كلمة ألقاها^(١) سماحته (دام ظله) في ثلثة من كادر موكب مكتب سماحة المرجع في محافظة البصرة لخدمة زوار الإمام الحسين (عليه السلام) الوافدين من مختلف الدول عبر المنفذ الحدودي في (السلامجة) بمكتبه في النجف الاشرف.

وبين سماحته إن من حسن توفيق الله تعالى وتسديده أن يدلَّ عباده الصالحين على سُبُل الطاعة التي تقرب إليه ويأخذ بأيديهم إلى حيث رضاه ورحمته.

وأشار سماحته إلى أحد مصاديق التوفيق وهو قلة أعداد الصامدين في كل ساحات المواجهة وبمختلف أنماطها، والمتوقع وفقاً للحسابات الطبيعية المادية عدم القدرة على الاستمرار في الصمود، لكن الشواهد والناتج تشير إلى غير ذلك، فبركات المدد الغيبي والتسديد الإلهي واضحة في كل ساحات النزال مع الأعداء بمرور الزمن وإن لم تظهر جلياً للعيان في ذات الوقت.

وأستشهد سماحته (دام ظله) بالمعارك التي خاضها رسول الله (صلى الله عليه وآله) للدفاع عن الدين الإسلامي العظيم، وما حظي به من تأييدٍ ونصرٍ مبين ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة: ٤٠).

وبارك سماحته لجميع خدمة زوار الإمام الحسين (عليه السلام) في مختلف محافظات بلدنا العزيز من شماله إلى جنوبه، ولكادر موكب (منفذ السلامجة) نيلهم هذا الشرف العظيم الذي يزيدهم رفعةً في الدنيا والآخرة بلطف الله تعالى وكرمه ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (الضحى: ٤).

(١) يوم الجمعة ٢٧ / محرم المحرم / ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٦ / ٨ / ٢٠٢٢م.

هذا ويُذكرُ أنّ موكبَ المرجعية الرشيدة في (منفذ الشلامجة) من المواكب التي كان لها قَصَبُ السبق في خدمة الزوار حيث يستقبل في كل عامٍ مئات الآلاف من الزوار ويصل عدد الزوار أحياناً إلى (٨٠،٠٠٠) زائر في اليوم. وبعد تعدد المنافذ البرية لدخول الزوار إلى العراق بسبب تزايد أعداد الزائرين، وجّه سماحة الشيخ المرجع (دام ظلّه) (قبل عدة اعوام) كادرَ مكتبه في محافظة ميسان بإقامة موكبٍ آخر لخدمة الزوار قرب (منفذ الشيب) الحدودي.

حيث يستريح الزوار وتقام صلاة الجماعة مع وجود لجنة من الفضلاء للإجابة عن الاستفتاءات وتوزيع المنشورات التوعوية في كلا المنفذين (الشلامجة والشيب).

وفي سياقٍ متصلٍ إستقبل^(١) سماحتهُ كادر موكب جعفر الطيار (رضوان الله تعالى عليه) الذي يحظى برعاية ودعم سماحة المرجع اليعقوبي منذ عدة سنوات ويعمل على خدمة زوار الإمام الحسين (عليه السلام) الوافدين من منطقة الشبكة (شبكة) حيثُ يرافقهم ويوفر لهم الخدمات على طول الطريق الصحراوي بين العراق والمملكة السعودية ومرقد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) (طريق الحج العراقي التاريخي) حيثُ يقطعون أراضٍ وعرة وسط الصحراء ولا تتوفر فيه أية خدمة أو مكان للراحة.

ويمرُّ الزوار خلال سيرهم على بعض الأماكن التي نزلَ فيها الإمام الحسين (عليه السلام) خلال رحلته المباركة من مكة المكرمة إلى كربلاء المقدسة،

(١) يوم السبت ٢٨/ محرم المحرم ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٧/ ٨/ ٢٠٢٢م.

حيث استشهد هو وأهل بيته وأصحابه (رضوان الله تعالى عليهم) بعد أن خاضَ ملحمةً خالدةً امتزجت فيها كل المبادئ والقيم والمثل العليا التي نادى بها الرُّسل والأنبياء والأوصياء (عليهم الصلاة والسلام) عبر مراحل الزمن.

دور الهيئات والمواكب الحسينية الخدمية في التوعية والتثقيف الديني والمجتمعي

أشاد سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بالدور الكبير والجهود الاستثنائية المباركة، التي تؤديها المواكب الحسينية والهيئات والمؤسسات الخدمية، من أجل خدمة زوار الإمام الحسين (عليه السلام) على طول الطريق من المنافذ الحدودية الى كربلاء المقدسة.

وأكد سماحته (دام ظله) خلال لقائه^(١) بجمع من أصحاب المواكب والهيئات الحسينية بمكتبه في النجف الأشرف، إن هذه الخدمات الجليلة بمختلف أنواعها والجهود والأموال التي ينفقها محبو وأتباع أهل البيت (عليهم السلام)، بعين رسول الله والأئمة من آل البيت (عليهم السلام)، لأنها اقترنت باسم سيد الشهداء الخالد على مدى الأزمان.

وأشار سماحته (دام ظله) الى أن نصرته الإمام الحسين (عليه السلام)، انما تكون بنصرة المبادئ التي نهض من أجلها على مرّ السنين، لأنه (عليه السلام) واجه إنقلاب المفاهيم وتشويهها حينما سعت السلطة الاموية الحاكمة آنذاك الى ترسيخ الانحراف عن خط النبوة في عقول الناس بالخداع والتزييف والظلم والقهر.

(١) يوم الخميس ٢٦ / محرم / ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٥ / ٨ / ٢٠٢٢م.

ولفت سماحته (دام ظله) الى أن من أوجه نصره مبادئ القيام الحسيني المقدس، في هذا العصر هو المبادرة الى التصدي للمخططات الخطرة التي تستهدف تفكيك البنى التحتية الاجتماعية والقيم الأخلاقية لشعبنا الممتحن، وتهدد أسسه التربوية، وعدم التواني في معالجتها، من خلال التمسك بتعاليم الدين الإسلامي العظيم والتعريف بها، في ضوء مبادئ مدرسة أهل البيت (عليه السلام)، معرباً عن أمله بالجهود المخلصة للمؤمنين الغيارى على دينهم وشعبهم ووطنهم، في أن يوظفوا بركات الزيارة والزخم الروحي الذي يفيض منها للتوعية والمعالجة، لكونها من أفضل الأيام ومن أكثرها عطاءً وخيراً، وفيها من نفحات وأطاف الإمام الحسين (عليه السلام) ما يمكننا توظيفه لهذا الهدف السامي.

وفي سياق متصل أثنى سماحته خلال لقاء آخر، على الانشطة الهادفة وبرامج التوعية والتثقيف الديني والمجتمعي، التي يقيمها الفضلاء ولمختلف الفئات العمرية الشبانية.

وأعتبر سماحته (دام ظله) إن استثمار أجواء النهضة الحسينية، في رعاية النشء الجديد، ورفدهم بالثقافة الدينية والتربوية الصحيحة، من أفضل القربات الى الله تعالى، خصوصاً في ظل الفتن والازمات التي تهدد كيان المجتمع، وكثرة الشبهات والمزالق، ومع وجود الاجواء الضاغطة باتجاه نشر الظواهر المجتمعية المنحرفة، واصطناع دوامات السلوك الجمعي الذي يصعب السير بعكس اتجاهها في هذه الأيام، إلا من الشجعان أصحاب الهمم العالية والإرادة الصلبة، ممن سددهم الله تعالى وثبتهم على دينه.

وأكد سماحته (دام ظلّه) على أن ملئ نفوس وعقول الشباب بالقيم والاخلاق الفاضلة وتغذيتها بالغذاء الروحي الذي يناسب المرحلة الزمنية من موجبات السعادة والاطمئنان والفلاح في دار الدنيا والاخرة، ومن مظان القرب الإلهي والابتعاد عن الدنيا ومظاهرها الخداعة، التي تغرق من ركن اليها وعلق بشراكها.

في ذكرى اليوم العالمي للطفل.. المرجع اليعقوبي (دام ظلّه) يبعث برسالة اهتمام للأطفال المصابين بسرطان الدم وفقر الدم البحري.. ويبادر بالتبرع بالدم ويدعو الى المساهمة في إنقاذ أطفال العراق

تزامناً مع ذكرى اليوم العالمي للطفل ومن أجل تسليط الضوء على قضية المصابين بمرض سرطان الدم (اللويميا) وفقر الدم البحري (الثلاسيميا) بادر سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه)^(١) للتبرع بالدم، لما تعانيه هذه الشريحة من نقص في الخدمات الصحية اللازمة التي تتناسب مع الوضع الصحي للأطفال المصابين بهذا المرض الخطير.

كما وجه سماحته بالتبرع بجهاز فصل مكونات الدم بعد شكوى المؤسسة الصحية في البصرة من عدم كفاية الأجهزة الموجودة.

وحت سماحته المؤمنين المستطيعين على التبرع بالدم للمساهمة في إنقاذ الأطفال المصابين ولو من خلال الجمعيات الخيرية المتصدية لهذا العمل الإنساني كمؤسسة فيض الزهراء (عليها السلام) الخيرية، أو من خلال القيام بحملات

(١) يوم الأربعاء ٢٢/ ربيع الأول/ ١٤٤٤هـ- الموافق ١٩/ ١٠/ ٢٠٢٢م.

التبرع بالدم، كالتي يقوم بها عدد من المؤمنين جزاهم الله خيراً لجمع فصائل الدم النادرة وغيرها.

ودعا سماحته المحسنين لاستثمار أموالهم في الصدقات الجارية، ومنها توفير أجهزة فصل مكونات الدم لتلافي النقص التي تعاني منه القطاعات الصحية المختصة.

ممثل سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) في باكستان يتفقد المدارس الدينية والمؤسسات العلمية ويقيم صلاة الجمعة في كبرى المساجد^(١)

مع إتساع ساحات العمل الإسلامي وإزدياد فرص الطاعات لإيصال صوت مدرسة أهل البيت (عليه السلام)، وخدمة ورعاية أيتام آل محمد (عليهم الصلاة والسلام)، إهتم سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) بتفعيل حركة ممثليه في مختلف البلاد الإسلامية وغيرها، وحيثما وجدت الحاجة ووات الظروف، فكان لممثل سماحة المرجع (دام ظلّه) في دولة باكستان الشيخ هادي حسين حركة مباركة في مختلف الميادين.

ففي العاصمة الباكستانية إسلام آباد، أقام ممثل سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) في باكستان صلاة الجمعة في المسجد الكبير في إسلام آباد، المعروف بإسم (مسجد اثنا عشرية)، وهو المسجد الأكبر

(١) نُشرت في صحيفة الصادقين العدد ٢٢٨ الصادر بتاريخ ١٠/١/١٤٤٤هـ- الموافق ١٢/٥/٢٠٢٢م.

لأتباع أهل البيت (عليه السلام) في إسلام آباد، وتقام فيه أكبر صلاة جمعة للشيعة في إسلام آباد بحضور (٣٥٠٠-٤٠٠٠) مصلي، كما تقام فيه مختلف الشعائر الدينية من إحياء لمناسبات (ولادات واستشهاد) المعصومين (عليه السلام) ويشارك فيها خطباء وعلماء كبار على مستوى باكستان.

كما قام ممثل المرجعية الرشيدة في باكستان بعدة زيارات لعدد من المدن الباكستانية المهمة وقد أبلغه المؤمنون شكرهم لسماحة المرجع على دعمه المادي والمعنوي للحوزات العلمية في مختلف المدن الباكستانية ومساعداته للمحتاجين خصوصاً المتضررين في الفيضانات الأخيرة.

ومنها مدينة كراتشي كبرى المدن الباكستانية وعاصمة إقليم السند ويقطنها ما يزيد على خمسة عشر مليون نسمة، حيث نظّم جولة على المدارس الدينية المعروفة فيها لأجل تفقد احتياجاتها ورعاية الاساتذة والطلبة فيها، ومن بركات تلك الزيارة هو التوفيق لإقامة صلاة الجمعة المباركة في مسجد (خوجة إثني عشرية) وهو من المساجد المعروفة في كراتشي ويرتاده حوالي أربعة آلاف مصلي في كل جمعة ويتضاعف العدد في ليالي القدر والمناسبات الدينية الكبرى، وقد لاقت هذه الجولة المباركة ترحيباً من الاساتذة والفضلاء القائمين على تلك المدارس والمؤسسات الدينية، وطالبوا بإدامة التواصل وتنسيق الرؤى لأجل رفع مستوى الاداء وما تقتضيه متطلبات العمل الإسلامي والمرحلة الراهنة.

وفد المرجعية الرشيدة يزور العلماء الأعلام ويتفقد الحوزات العلمية.. ويرعى العوائل المتعففة في أفغانستان^(١)

تنفيذاً لتوجيهات سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) في زيادة دعم الشعب الأفغاني وحوزاته العلمية مادياً ومعنوياً، فقد توجه وفد من مكتب المرجعية في مدينة مشهد المقدسة لزيارة أفغانستان في شهر ربيع الثاني المنصرم وجرى للوفد الزائر في مطار كابل استقبال علمائي ورسمي بحفاوة وتقدير يليق بسمو مقام المرجعية الدينية في النجف الأشرف.

وبدأ الوفد برنامجه بلقاء سماحة آية الله الشيخ الصالحي (دام ظلّه) رئيس شورى علماء أفغانستان في مكتبه في العاصمة كابل بحضور جمع من أعضاء المجلس وشرح له غرض الزيارة، وشكره وسائر العلماء على دورهم في تثبيت دعائم مدرسة أهل البيت (عليه السلام) وإعزاز أتباعهم في تلك الدولة الإسلامية العريقة.

ووقف الوفد مع مرافقيه من أعضاء شورى العلماء عند مرقد المرحوم آية الله الشيخ آصف محسني (رحمته) للترحم عليه واعترافاً بعبائمه الغزير حيث كانت له اليد الطولى في استعادة كثير من حقوق أتباع أهل البيت (عليه السلام) في أفغانستان سواء على مستوى الثقافة أو قانون الأحوال الشخصية أو التعليم المدرسي أو التمثيل السياسي وغير ذلك.

وعرف رئيس الوفد الجموع الغفيرة من العلماء والفضلاء، والنخب

(١) نُشرت في صحيفة الصادقين العدد ٢٢٨ الصادر بتاريخ ١٠/١٠/١٤٤٤هـ - الموافق ٥/١٢/٢٠٢٢م.

الثقافية والاجتماعية - الذين زاروه في محل إقامته أو وجهوا له دعوات الزيارة - تاريخ مرجعية سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظلّه) وابداعاته العلمية وإنجازاته الفكرية والتربوية ومشاريعه الاجتماعية والدينية ومواقفه الأصيلة تجاه مختلف قضايا الأمة الإسلامية، بل الإنسانية جميعاً، وحظي الوفد بترحيب عالٍ وشغف كبير للاستماع إلى حديث مرجعية النجف الأشرف والتعرّف عليها وعلى حركتها الرسالية، وقد انهمرت الدموع من بعضهم فرحاً باللقاء حيث قالوا أنهم يتنعمون لأول مرة بزيارة من وفد يمثل مرجعية النجف الأشرف.

ثم تجوّل الوفد في المدن الأفغانية الرئيسية مثل مزار شريف وهرات وبلخ وباميان وسربل وبلخاب رغم وعورة الطرق واكتساء بعض المناطق الجبلية بالثلوج للاطلاع ميدانياً على أوضاع الحوزات العلمية ونشاطاتها العلمية والدينية والاجتماعية، حيث يوجد في المدن الأفغانية عدد كبير من المساجد والمدارس الدينية للرجال والنساء، وتابع الوفد كيفية إيصال الرواتب والمساعدات إلى الحوزات والعوائل المتعففة.

وتعرّف الوفد مباشرة على أحوال الناس وظروفهم لوضع برامج لمساعدتهم في ما يعانون من أوضاع إنسانية قاسية.

وختم الوفد زيارته بالاجتماع مرة أخرى بسماحة الشيخ الصالحي (دام ظلّه) في كابل والاستماع إلى توجيهاته فيما يخص العمل في أفغانستان، كما استفاد من محضر العلماء الآخرين.

وقد أكد الجميع على ضرورة فتح مكتب لمرجعية سماحة المرجع

اليعقوبي (دام ظلّه) في كابل مضافاً إلى الممثلات الموجودة اصلاً، والتي
تزاوّل نشاطها في المدن الأفغانية ليتمكن من تفعيل دور المرجعية هناك بشكل
أكبر.

هذا وقد استمرت الزيارة (١٧) يوماً عاد بعدها الوفد الى مدينة مشهد
المقدسة مكثلاً بالنجاح.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذه الحركة في عينه وسعياً لنيل مرضاته وأن
يشملها صاحب الأمر وبقية الله في أرضه بألطافه.

العمل الديني النسوي ومتطلبات المرحلة (النهوض بالمؤسسات النسوية انموذجاً)

أكد سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) على أهمية العمل الديني النسوي في العراق وضرورة نشر الوعي والثقافة والتعليم الديني الحوزوي على الشرائح النسوية بما يناسبها وبحسب الظروف الموضوعية ومتطلبات المرحلة والتحديات الراهنة والمستقبلية التي تواجه العمل الإسلامي عموماً.

وأشار سماحته (دام ظلّه) خلال اللقاء^(١) الذي عقده مع مسؤولي المؤسسات النسوية المرتبطة بمكتبه في النجف الاشرف - وهي جامعة الزهراء (عليها السلام) بقسميها الحضوري والالكتروني ومؤسسة مجمع المبلغات الرساليات ومعاهد الزهراء (عليها السلام) التبليغية إلى تكاثر المسؤوليات على عاتق المرأة، كالاهتمام بشؤون الأسرة وتربية الأولاد ورعايتهم الأمر الذي يشكل عائقاً أمام حركتها التبليغية ومسيرتها التعليمية، داعياً المؤسسات المشار إليها إلى رفع الهمة وتكثيف الجهود على كافة الصُّعد، وفي كل ساحات العمل المتاحة لنشر الوعي والمعرفة والثقافة الدينية لأكبر عدد ممكن من شريحة النساء من خلال توسيع مساحة استيعاب البرامج الدينية وبمختلف الوسائل المتاحة، ومنها منصات التعليم الإلكتروني لتوفير فرصة أكبر للنساء ذوات الهمة والراغبات في التحصيل العلمي بمختلف أقسامه، من أجل إيجاد شريحة

(١) يوم السبت: ٨ / شوال / ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٩ / ٤ / ٢٠٢٣م.

واسعة من المبلغات الرساليات واستيعابهن ضمن مؤسسات المرجعية الرشيدة
ياذنه تعالى.

ولفت سماحته (دام ظله) الى أن الخطط الموضوعة لتنفيذ هذا المشروع
ينبغي أن تكون بثلاثة مستويات

المستوى الأول: نشر الثقافة الدينية والأخلاقية المرتبطة بمدرسة أهل
البيت (عليهم السلام) لأكبر شريحة ممكنة من النساء ليتعرفن على تكاليفهن الشرعية
ومسؤولياتهن الأسرية والاجتماعية.

والمستوى الثاني: إنتاج مجموعة من المبلغات الرساليات الواعيات ممن
يحملن هم رسالة الإسلام ويحرصن على نشر الثقافة والتوعية الاجتماعية
الحوزوية من خلال العمل النسوي.

والمستوى الثالث: مرحلة التخصص للطالبات والمبلغات الراغبات
بإكمال تحصيلهن العلمي والتخصص في المراحل المتقدمة من الدراسة
الدينية في الفقه أو العقائد أو التفسير وغير ذلك من المعارف الإسلامية.

وفي ختام اللقاء شدد سماحته على ما أشار له في جملة من محاضراته
السابقة وهو ضرورة السعي الجاد لتوظيف المرأة وجعلها أداة للإصلاح
والهداية والسمو من خلال الوعي والمعرفة والثقافة الصحيحة الهادفة بدل أن
تكون أداة لإفساد وإضلال وابتذال (كما يسعى الغرب لجعلها كذلك).

إصلاح العالم منوط بنهضة الشيعة

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

التحديث بولاية أهل البيت (عليهم السلام) ونشرها

تناول سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في درسه التفسيري الأسبوعي^(١) الذي يلقيه على جمع من طلبة الحوزة العلمية بمكتبه في النجف الأشرف قبساً من نور قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١) وقدّم سماحته وجوهاً لمعنى النعمة والتحديث الذي يناسبها مستفادة من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، مؤكداً أن أكملها وأرقاها هو أن المراد بالنعمة الإسلام وولاية أهل البيت (عليهم السلام) والتحديث بها هو نشرها وإقناع العالم بها بعد التعرف على تفاصيل الإسلام ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام). ولفت سماحته أن أنظار العالم متوجهة إلى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، بعد فشل كل المشاريع الأخرى، ثم أورد حقيقة بالغة الأهمية قال فيها: (وعلينا أن ندرك أن إصلاح العالم اليوم أخلاقياً وفكرياً واجتماعياً وإعادة الناس إلى رُشدتهم منوط بنهضة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ومقدار تحرّكهم خصوصاً في العراق لأنه محط أنظار العالم من جهات عديدة بينها في أحاديث سابقة).

ثم قال سماحته إن تطبيقات الآية الكريمة واسعة ولها مساحات متنوعة ومتعددة فمن وفقه الله تعالى للتفقه في الدين وللاتحاق بالحوزة العلمية عليه أن يحدثّ المؤهلين لطلب العلم بهذه النعمة ليحثّهم على تحصيلها، والشاب

(١) الأربعاء ١٩ / شوال / ١٤٤٤هـ - الموافق ١٠ / ٥ / ٢٠٢٣م.

المتدين يحدث أقرانه بما في ذلك من السكينة والاطمئنان والاستقرار ليكسبهم الى الدين، والمرأة العفيفة المحجبة تتحدث مع قريناتها بالآثار المباركة لهذه النعمة لإقناعهم بالستر والعفاف، والمواظب على حضور صلاة الجماعة والجمعة في المساجد يتحدث بهذه النعمة مع غيره ويدعوهم إلى نيل ألفتها وهكذا^(١).

(١) ومن أراد التفصيل فليراجع القيس: ١٧٨/ من نور القرآن: ٢٤٩/٥.

وفد من مثقفي شارع المتنبي في ضيافة المرجع اليعقوبي

أستقبل^(١) سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) وفد مثقفي وأدباء شارع المتنبي من بغداد بمعية إدارة (مخيم اقرأ الثقافي) بمكتبه في النجف الاشرف، حيث ألقى الوفد كلمة تضمنت ملخصاً تقييماً لمجمل الوضع الثقافي العام - وبالخصوص في شارع المتنبي، لكونه من المعالم الثقافية البارزة في العراق والوطن العربي - وفرص إدامة العمل الثقافي وتطويره والروى المستقبلية.

من جانبه أعرب سماحة المرجع عن ارتياحه لوجود هذه الثلة الطيبة من رواد الفكر والمهتمين بالثقافة الواعية في الساحة الثقافية، وبارك وجود الأعمال الثقافية الهادفة، وأكد سماحته على ضرورة إدامة الجهد والمثابرة، لأن النجاح والوصول للقمة ليس هو الغاية وحسب، بل الأهم يكمن في استدامة عناصر هذا النجاح وتطويرها لمواجهة التحديات المتنوعة.

كما أوضح سماحته ان أهم أدوات وقوى الحرب الناعمة هو السلاح الثقافي وقد أصبح اليوم السبيل الأمثل لتحقيق الانتصار في الحروب الحديثة، ومواجهة التحديات المعاصرة، ويُلجأ له كأداة فاعلة قبل التفكير بالحرب المباشرة والترسانة العسكرية والسلاح التقليدي.

واستشهد سماحته بما حدث قبل سنوات من إسقاط الأنظمة المستبدة التي عجزت كل وسائل التغيير عملياً عن هزيمتها فضلاً عن إسقاطها، لعقود

(١) يوم الأحد ١٩/ شعبان المعظم / ١٤٤٤هـ - الموافق ١٢/ ٣/ ٢٠٢٣م.

من الزمن، فيما تكفلت القوى الناعمة والمواجهة الثقافية عبر نوافذ وسائل التواصل الاجتماعي من اسقاطها بوقت قياسي، بما عُرف في حينها بـ(الربيع العربي).

واسترجع سماحته ذكرياته أيام كان طالباً في كلية الهندسة جامعة بغداد، في السنوات ١٩٧٨-١٩٨٢م حينما كان مع بعض زملائه يروحون عن أنفسهم بارتياح المكتبات في هذا الشارع وما جاوره للاطلاع على ما هو مفيد.

مشيراً الى عمق الارتباط النوعي بين الأكاديميين وشارع المتنبي الذي كان يُمثل المتنفس الأبرز للطلبة الواعين، حيث يشهد الشارع حركة ثقافية دؤوبة لمتابعة آخر الإصدارات الفكرية والنتاجات الثقافية المتنوعة.

وتعليقاً على أهمية العمل المسرحي والدرامي ومجمل الاعمال الفنية الهادفة باعتبارها من القوى الناعمة المؤثرة في الاوساط المجتمعية لفت سماحته، (أن عملاً مسرحياً من عدة دقائق يمكن أن يفوق تأثيره الكثير من الكتب والاصدارات التقليدية) مؤكداً على ضرورة تجديد الخطاب، وتحديث الآليات، لمواكبة التطور والتقنيات العلمية والذائقة الاجتماعية، وأستشهد ببعض الأعمال الدرامية والوثائقية من التي أنتجت بطريقة فنية احترافية مؤثرة وترجمت لعدة لغات لاقت رواجاً كبيراً بين شعوب العالم الاسلامي

استفتاءات

بسمه تعالى

استفتاء / حد المبيت الواجب في منى

من مناسك الحج الواجبة المبيت في منى ليلتي الحادي عشر والثاني عشر من أيام التشريق، وقد يجب المبيت ليلة الثالث عشر على بعض الحجاج في حالات خاصة نشير إليها إن شاء الله تعالى.

والمأمول من الحاج أن يكون حاضراً في منى من غروب الشمس يوم العاشر، فإن مكث فيها الى منتصف الليل جاز له الخروج من منى بعده وان استحب له قضاء تمام الليل فيها، وإن لم يكن حاضراً في منى في النصف الاول من الليل وجب عليه أن يعود إليها قبل منتصف الليل ولو بدقائق ليكث فيها النصف الثاني الى الفجر إن كان الذي شغله عن المبيت في منى غير زيارة البيت الحرام وأداء المناسك فيها.

وإن كان شغله النسك أول الليل فلا يجب عليه الحضور عند منتصف الليل ويكفيه مقداراً ما من آخره بحيث يطلع عليه الفجر وهو في منى.

وهنا مسائل:

- ١- يجوز للحجاج البقاء بمكة مشغلاً بالعبادة الى الفجر ويجزي عن المبيت في منى، وإن كان الأولى والأفضل هو الرجوع الى منى قبل انتهاء الليل ليطلع عليه الفجر وهو فيها حتى لا يفوته فضل المبيت في منى.
- ٢- من بات خارج منى تمام الليل وجبت عليه شاة حتى لو كان ناسياً أو

- جاهلاً أو مضطراً، لأن الشاة جبران للنقص المعنوي وليست كفارة حتى تسقط عن المعذور ويستثنى من الحكم من بات في مكة مشتغلاً بالعبادة.
- ٣- نصف الليل الذي هو نهاية مبيت النصف الاول يكون منتصف الوقت بين غروب الشمس وطلوعها، أما منتصف الليل الذي هو مبدأ مبيت النصف الثاني فيكون منتصف الوقت بين غروب الشمس وطلوع الفجر احتياطاً.
- ٤- يجب مبيت ليلة الثالث عشر على من لم ينفر من منى بعد زوال يوم الثاني عشر حتى غربت عليه الشمس فيها، وعلى من لم يتجنب الصيد، أما من لم يتجنب الجماع حال الاحرام فالأولى له ذلك.
- ٥- يستثنى من وجوب المبيت ذوو الأعذار المسقطة للتكليف، أو من خاف على نفسه أو ماله من المبيت بمنى، أو من كان في وجوده خارج منى مصلحة عامة مهمة كالطبيب في المستشفى أو رجل الامن ونحو ذلك.

بسمه تعالى

من لم يتخذ رأس سنة خمسية

المكلف الذي لم يجعل له رأس سنة يحاسب فيها نفسه من حيث اشتغال ذمته بالخمس غفلة أو تسامحاً أو جهلاً أو عمدًا وكان له مالٌ من راتب يتقاضاه أو تجارة يربح فيها أو هبات وهدايا تصل إليه وغير ذلك، فعليه ان يبادر إلى تحديد يوم معين يحاسب فيه نفسه ففي الرواية عن أبي بصير قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام): أصلحك الله ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: من

أكل من مال اليتيم درهماً ونحن اليتيم)^(١).

فيجعل هذا اليوم رأس سنته الخمسية ويجرد فيها ممتلكاته وهي على

نحوين:

١- ما يدخل في احتياجاته المعيشية كدار السكن والسيارة الشخصية والأثاث والملابس والكتب اللائقة بشأنه وحُلِيِّ النساء ونحو ذلك.

٢- ما زاد عن ذلك من نقد تحت يده أو في البنوك أو عقار أو سيارة أو معدات وآلات للانتفاع بواردها أو بضاعة تجارية أو أصول تركات لها قيمة فعلية.

فالأول لا خمس عليه إلا إذا اشتراه بمال إدخره لأزيد من سنة أو أنه لم ينتفع بالعين كالأثاث والملابس إلى أن دارَّ عليها سنة فعليها الخمس بمبلغ شرائها وإذا شك ولم يحرز أنها كذلك فلا خمس عليه أيضاً.

وأما الثاني فيجب عليه الخمس بالسعر الحالي وإذا تردد بين قيمتين فله ان يأخذ الأقل

ويلاحظ هنا:

١- ما صرفه خلال الفترة السابقة على أمور معاشه واحتياجاته الشخصية بما فيها زواجه وزواجه أو ولاده أو سفراته الدينية أو الترويحية ليس عليه خمس إلا ان يكون المال قد إدخره لأزيد من سنة ثم صرفه في هذه الأمور أو انه صرفه في أشياء محرّمة أو بذرها في ما لا يليق بشأنه.

٢- الحقوق التي يبذل المال بإزائها كوكالة الحصرية لشركة عالمية أو

(١) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق: ٢ / ٤١ / ح ١٦٥٠.

علامة تجارية معينة لا يجب الخمس على قيمتها الا ان يبيعها ويصبح المال بيده ولا ينفقه في احتياجاته حتى تحول عليه السنة فيجب فيه الخمس.

استفتاء / حكم جرائم الخطف والتهديد والفساد المالي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

س ١/ ما رأي سماحتكم في عمليات الخطف التي تحصل في هذه الازمة، وكذلك اللص والمحارب، إذا كان بشهر السلاح والتخويف وقصد التخويف، او دون ذلك؟

س ٢/ ما رأي سماحتكم في المفسد الاقتصادي الذي يخل في نظام عيش الناس، ويخل بسوقهم ويفسد الاقتصاد والتجارات بالاحتكار، وتهريب العملة والامتعة الاساسية؟

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ج ١/ لا شك ان عمليات الخطف والابتزاز والتخويف بالسلاح ومطلق تهديد الأمن العام والاخلال بالنظام الاجتماعي هي من مصاديق الفساد في الأرض لها مراتب متعددة في تأثيراتها وقد أخذ الشارع المقدس ذلك في نظر الاعتبار، ولذا فانها تترتب عليها عقوبات مختلفة حيث ذكرت بعض هذه الجرائم والعقوبات المنصوصة عليها في الشريعة المعروفة بالحدود ولم تذكر كل الجرائم والجنايات لأنها كثيرة وقابلة للاستحداث بالعقوبات عليها غير منصوصة وإنما ترك تقديرها لرؤية الحاكم الشرعي وهي المعروفة بالتعزيرات.

ج ٢/ هذا النوع من الاضرار الاقتصادي بنظام معاش الناس له مدى واسع من المصاديق والتطبيقات وتتفاوت عقوباته بحسب درجة اضراره فمحتكر المواد الغذائية الأساسية في وقت ندرتها يجبر على بيع بضاعته بسعر غير مجحف بالناس والذي يتاجر ببضائع تضرّ بالصناعة الوطنية تفرض عليه ضرائب عالية وهكذا فلا بد من تشكيل لجنة مشتركة من الفقهاء ذوي النظر في الأمور الاجتماعية والقانونيين المتخصصين في هذه المجالات لتحديد الموضوعات أولاً ثم استنباط الأحكام وجعل العقوبات بإزائها.

وفقكم الله تعالى لما يحب ويرضى.

محمد اليعقوبي

١٨ / جمادي الأولى / ١٤٤٣ هـ

٢٣ / ١٢ / ٢٠٢١ م

استفتاء- حول الاذن بصرف الحقوق الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دامت بر كاته)..

هل تأذنون لنا بصرف ما تعلق بدمنا من الحقوق الشرعية على

المحتاجين كلياً او جزئياً؟ جزاكم الله خيراً.

بسمه تعالى

لقد رخصنا للمؤمنين بصرف ثلث ما بدمهم من الحقوق الشرعية على المؤمنين المحتاجين من معارفهم في ضرورات المعيشة وتزويج المتعفين والمساعدة في العلاج الطبي والعمليات الجراحية التي يتعسر توفير متطلباتها على أن يسلمه إليهم مباشرة ومن دون وسيط وبعد التثبت من مصداقية الاحتياج، اما الثلثان الآخران فيرجع بهما المكلف الى وكلاء ومعتدي المرجعية فقد يرون أن الأولى إيصالها الى النجف الأشرف وجلب وصل قبض بها، وقد يرون أن الأرجح إعطاء الأذن للمكلف بصرفها في الموارد المقررة أعلاه أو التبويض في مبلغ الحق الشرعي بين هذا وذاك وفقكم الله تعالى لما يحب ويرضى.

محمد اليعقوبي

١٥/ جمادى ٢/ ١٤٤٣هـ

١٩/ ١/ ٢٠٢٢م

مسائل في تغيير الجنس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي حفظكم الله لأجل إكمال دراسة الماجستير بعنوان (الآثار المترتبة على التحول الجنسي في مسائل الأحوال الشخصية دراسة مقارنة) أضع بين يديكم مجموعة من الاستفتاءات الشرعية من أجل وضع الأحكام الشرعية تجاه هذه المسائل الابتلائية اليوم، والقانون الوضعي لا توجد فيه إجابة عن هذه المسائل:

السؤال الأول. ما هو الحكم الشرعي للتحول الجنسي؟

بسمه تعالى:

يحرم على الرجل الطبيعي والمرأة الطبيعية التحول إلى الجنس الآخر، ويمكن الاستدلال على الحرمة بوجوه:

١- عموم قوله تعالى في مقام النهي ﴿فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (النساء: ١١٩)، الذي استدل به الفقهاء على حرمة ما هو أهون من هذا الفعل.

٢- ارتكاز المشرعة إن لم نقل إجماعهم على بشاعة هذا الفعل وانتهاكه للفطرة الإنسانية ونظام الخلق.

٣- الذوق الفقهي فان الفقهاء منعوا عن ما هو أقل من ذلك بكثير كلبس أحد الجنسين ملابس الآخر أو الظهور بمظهره الخارجي فيحرم التحول الجنسي بالأولوية.

٤- لزوم آثار محرمة كالمرأة تتحول إلى رجل وتطالب بحصة رجل من الميراث عند وفاة مورثهم وفي ذلك ظلم للورثة الآخرين وتجاوز على

حقهم اذا قلنا بالاستصحاب التعليقي، وكدخول الرجل المتحوّل إلى أنثى على النساء غير المحجبات وهو غير جائز لأن تحوّلَه إلى أنثى شكلي وليس حقيقياً وقد نقلت الأخبار في الشهر الماضي ان رجلاً متحولاً أُدخل سجن النساء فاغتصب امرأتين وحملتا منه.

٥- حصول الاضرار الجسيمة نتيجة التلاعب بهورمونات الجسم والتصرف في أعضائه وهو فعل محرم.

٦- إنه عمل سفهي وعبثي لا معنى له بل فيه انحطاط وتساقل حتى الحيوانات، ولا دافع وراءه الا تدمير المجتمعات والقضاء على الأواصر الأسرية وتحوّل البشر إلى قطعان لا تعرف غير إتياع الشهوات والأهواء لتسهيل السيطرة على البشرية وتسييرهم وفق ما يشاء المستكبرون.

هذا كله اذا لم يكونا متزوجين. أما بعد الزواج فيضاف إلى أدلة الحرمة أنه على خلاف مقتضى العقد.

السؤال الثاني. ماهي الآثار المترتبة على التحول الجنسي على عقد

الزواج؟

ملاحظة (اذا تحول الرجل أو المرأة)

بسمه تعالى

الزواج لا يكون الا بين ذكر وأنثى أي بين رجل وامرأة، فلا يجوز للرجل أن يعقد على رجل متحول إلى أنثى، ولا يجوز للمرأة أن تقترن مع أنثى متحوّلة إلى رجل.

السؤال الثالث. ماهي الآثار المترتبة على التحول الجنسي على أحكام

العدة

بسمه تعالى

قلنا ان حرمة العملية أشد على المتزوجين فلا يجوز للزوج أن يتحول إلى امرأة ولا المرأة تتحول إلى رجل لأنه على خلاف مقتضى العقد، فأحكام العدة تترتب على من كانت امرأة حين العقد.

السؤال الرابع. ماهي الآثار المترتبة على التحول الجنسي على احكام

الميراث

ملاحظة (اذا تحول الرجل وأصبح أنثى أو العكس ما هو نصيبه من

الميراث)

بسمه تعالى

تطبق أحكام الميراث على الورثة بلحاظ وضعهم الطبيعي حين وفاة مورثهم.

السؤال الخامس. ماهي الآثار المترتبة على التحول الجنسي على أحكام

النسب

ملاحظة (هل يتأثر النسب اذا قام الرجل في التحول إلى أنثى أو

بالعكس)

بسمه تعالى

لا يتأثر نسب المتحول فهو ابن والديه.

السؤال السادس. ماهي الآثار المترتبة على التحول الجنسي في أحكام

النفقة

ملاحظة (اذا تحول الرجل إلى أنثى هل يلزم في النفقة اما اذا تحولت المرأة إلى ذكر هل يلزم الزوج بأداء النفقة الى زوجته المتحولة)

بسمه تعالى

قلنا بأن العملية محرمة على المتزوجين لأنها خلاف مقتضى العقد ولو فعلها أحدهما فلا تترتب عليها أي آثار خلاف مقتضى العقد.

السؤال السابع. ماهي الآثار المترتبة على التحول الجنسي في أحكام

الولاية

ملاحظة (اذا تحول الرجل إلى أنثى هل تبقى الولاية له أم تنتقل الى

شخص آخر)

بسمه تعالى

ولاية الأب ثابتة له وإن تحول إلى انثى والأحوط إشراك الجد للأب بها ولا تنتقل الولاية إلى الأم اذا تحولت إلى رجل لأنها ليست أباً.

محمد يعقوبي

٩/ جمادي الثانية / ١٤٤٣هـ

استفتاء يخص مناسك الحج مع وجود المخالفة القطعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله وكما يستحقه حمداً كثيراً وصلى الله على سيد

خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

بلغنا الحرج الذي يشعر به ضيوف الرحمن وحجاج بيته الحرام

للاختلاف الواقع في أول الشهر الى درجة يعتقد أنه مخالف للواقع قطعاً، أي لا

يُحتمل المطابقة حتى يمكن القول بالإجزاء على بعض المباني عند الأعلام كالسيد الخوئي (قَدِّسَ).
ونحن نُظَمِّنُ ضيوف الرحمن بأنه دَلَّ الدليل على إجزاء الوقوفين على

طبق فتوى قضاة العامة وإن علمنا بالمخالفة القطعية، وقد جرت سيرة أئمتنا (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) على الحجِّ بحجِّهم وإن اختلفوا معهم، وحكم الإمام المعصوم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يمثّل الواقع قطعاً فمُخالفته تعني المُخالفة القطعية فلا حاجة الى اشتراط الموافقة الإحتمالية.

أما بقية المناسك في منى، فإذا أمكن الإحتياط فيها بالطريقة التي شرحها السادة مرشدو الحجّاج فهو أفضل وإن تعذّر لوجود ضرر في مخالفة قوانين السلطة فتؤدّي على طبق مواقيتهم من دون احتياط بالجمع ووجه الاحتياط نظر الدليل الى الوقوفين وليس من جهة وجود المخالفة القطعية.

وفق الله تعالى الجميع لما يحب ويرضى وأعان حجاج بيته الحرام على أداء مناسكهم بأحسن وجه وأكمّله وتقبل منهم بأحسن القبول وأعادهم الى أهلهم سالمين غانمين ونلتمسهم الدعاء والزيارة.

محمد اليعقوبي - النجف الاشرف.

٧ / ذي الحجة / ١٤٤٣ هـ

استفتاء حول إجراء التجارب الطيبة على الإنسان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

إني طالبة دكتوراه في كلية العلوم الإسلامية وأريد تضمين أطروحة

الدكتوراه أجوبتكم عن الأسئلة التالية:

ما حكم إجراء التجارب الطبية على الإنسان سواء كانت هذه التجارب علاجية أو بحثية أو لاختبار علاج ما وسواء كانت سريرية أو جراحية أو وقائية؟

وهل يفرق الحكم فيما إذا كان الإنسان مكلفاً أم غير مكلف؟ وفيما إذا كان محكوماً عليه بالموت حداً أو قصاصاً؟

وهل يحق للإنسان التصرف بجسده وما حدود هذا الحق؟

وهل يحق له التطوع في إجراء هذه التجارب سواء كان سليماً أو مريضاً أو ميؤوساً من برئه أو معوقاً؟

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سنجعل الإجابة في نقاط بإذن الله تعالى:

١- لا يجوز إجراء التجارب على الإنسان من غير إذنه، لأنه تصرف في حقه فلا بد من الإذن، حتى لو كان محكوماً بالإعدام، إلا إذا توقف إنقاذ حياة إنسان على شيء من ذلك، ولو تصرف في بدن الآخر من غير إذنه فعلى الفاعل دية ما أحدث.

٢- غير البالغ يؤخذ الإذن من ولي أمره.

٣- ولو أذن وتطوع بإجراء العملية، فلا يجوز إجراء التجارب التي يتحقق فيها ضرر جسيم عليه او يحتمل ذلك احتمالاً معتداً به، لأن الإنسان ليس حراً مطلق التصرف في بدنه، وإنما هو أمين عليه خوّله التصرف فيه وفق

الشريعة المقدسة ﴿وَتَرَكَتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ (الأنعام: ٩٤) فلا يجوز له التصرف في بدنه بفعل نهى عنه الشارع المقدس كالذي ذكرناه، أو ما أجاز مؤخراً في الغرب من تغيير الجنس حتى للأطفال من دون إذن ولي الأمر فهذه جريمة كبرى.

٤- لو كان الإنسان مريضاً وأنحصر علاج حالته بالدواء المراد تجريبه باحتمال معتد به فلا مانع من استعماله وإن لم يأذن في ذلك، ولا دية على الفاعل لأنه مُحسن في عمله و﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (التوبة: ٩١)، ولأنه لم يرتكب جناية حتى تُضمن ديته ولو خطأً.

٥- لو وصل المريض إلى حالة الموت الدماغية (موت الجهاز العصبي) فقد يكون المنع من إجراء التجارب عليه أخف مما ذكرنا وكذا لو كان العضو المراد إجراء التجارب عليه ميتاً.

٦- للقائل بولاية الفقيه في الأمور العامة جواب أوسع مما قلناه آنفاً، نظراً للمصالح العامة أو من باب تقديم الأهم على المهم ونحو ذلك، وتوجد تفاصيل أوسع في كتابنا المطبوع (فقه الانجاب الصناعي) مع دعائنا لكم بالتأييد والتوفيق

محمد يعقوبي

٢٦ / ربيع ١ / ١٤٤٤ هـ

٢٣ / ١٠ / ٢٠٢٢ م

استفتاءات حول النزاعات العشائرية

اني طالب الدكتوراه في قسم الاجتماع / كلية الآداب / جامعة بغداد، وأعمل على اطروحة بعنوان: الكلفة الاجتماعية والاقتصادية للنزاع العشائري. أرجو من سماحتكم الإجابة على التساؤلات الخاصة بالدراسة والمدرجة أدناه:

١- لماذا برأي سماحتكم يلتجأ الأفراد إلى العرف العشائري في حل مشاكلهم ونزاعاتهم بدلاً عن الدولة أو المؤسسة الدينية؟ ولماذا زادت هذه النزاعات؟

٢- ما هو رأي سماحتكم بالتعويضات المالية (الفصل العشائري) والتي لا تخضع لضابط معين حول ارتفاعها وانخفاضها وأنواع الحوادث التي تؤخذ لأجلها؟

٣- كيف يرى سماحتكم موضوع (الدكة العشائرية) وما موقف الشرع الديني منها؟

٤- هل يجوز ملاحقة الأطباء والكادر الطبي بالمطالبة العشائرية حول حالات الوفاة أو تفاقم بعض الحالات الطبية؟

٥- ما هو رأي سماحتكم ببعض أفراد العشائر الذين يعرقلون عمل المؤسسات كوزارة الداخلية والدفاع في حالات القبض على المتورطين بأعمال خارجة على القانون، المؤسسات التربوية وكوادرها التعليمية في حال فشل أبنائهم في الدراسة، المؤسسات الخدمية مثل المؤسسات البلدية والمشاريع الخدمية في حال تعارضها مصالحهم؟

٦- برأي سماحتك أي المسالك أفضل لحل النزاعات العشائرية

(التشريع الديني، قانون الدولة الرسمي، القانون العرفي السنيّة) ؟
هذا ولكم فائق الشكر والتقدير، وفقكم الله وحفظكم بحفظه

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١- يلتجئ بعض الأفراد إلى الإجراءات العشائرية في حل مشاكلهم ونزاعاتهم لعدة أسباب سياسية واجتماعية ونفسية (منها) ضعف الأجهزة الحكومية في فرض الأمن والقانون (ومنها) عدم الثقة بعدالة المحاكم الوضعية وخضوعها للابتزاز والرشوة ونحو ذلك (ومنها) البيئة الاجتماعية التي تجعل السلطة العليا للقانون العشائري (ومنها) ميل النفوس لفرض الهيمنة والتسلط على الآخرين بقوة السلاح فيريد أن يحقق الغلبة لنفسه بأي نحو كان، وكلما عجزت السلطة عن بسط العدالة والأمن فإن هذه النفوس الجامحة للأنايية والاستعلاء تبرز أكثر فتكثر النزاعات العشائرية.

٢- لقد حدّد الشرع المقدس مقادير لديات النفس والأعضاء والجراح والشجاج حتى الخدشة في الجلد، وإذا وجدت جنائية لم يقدر الشارع المقدس ديتها فأمرها موكول إلى الحاكم الشرعي ليقدر ما يراه مناسباً، وقد أراد الله تعالى بهذه التشريعات إطفاء غضب المجني عليه وذويه وردّ الاعتبار له لإيقاف مسلسل الدم والعدوان، وبدونه فإن الفعل وردّ الفعل سيستمران، وإذا تراضى الطرفان على بدلٍ معينٍ جاز أخذه.

٣- لا يوجد مبرّر لما يسمى بالدكة العشائرية بل هو فعل محرم لأن فيه

ترويعاً للناس الآمنين وتحميل الأبرياء ثمن أفعال لم يرتكبوها وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله عز وجل يوم لا ظل الا ظله)^(١) فكيف بالترويع بإطلاق النار الطائش؟ فلا بد للمسلم أن يتورع عن الظلم والعدوان وورد في الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)^(٢).

٤- إذا أدى الطبيب وظيفته بمهنية واثقان وكان من أهل الاختصاص ثم حصل قدر للمريض فلا ضمان على الطبيب ولا يجوز تحميله المسؤولية، وإذا اتهم ذوو المجني عليه الطبيب بالتقصير والإهمال فعليهم أن يرفعوا أمرهم إلى القاضي الشرعي ليحقق في السبب والضمان.

٥- ورد في الأحاديث الشريفة^(٣) ان من رضي بفعل الظالم كان شريكاً له في ظلمه، فكيف بمن نصر الظالم أو حماه من المسؤولية والمحاسبة، فعلى الجميع التعاون لإحقاق الحق وردّ الحقوق إلى أهلها وردع الظالم، قال تعالى ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتَوْوُونَ﴾ (الصفات: ٢٤) وحينئذ لا قيمة لكل هذه المصالح الدنيوية التي تغري البعض وتدفعه إلى ارتكاب هذه المحرمات.

٦- لا بد من الالتزام بالحكم الشرعي فإن به يتحقق الإيمان الصحيح كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

(١) وسائل الشيعة: ٣٠٣/١٢، أبواب أحكام العشرة، باب ١٦٢، جامع أحاديث الشيعة: ٢٤٨/٢٦.

(٢) كنز العمال: ٧٣٨.

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) الشيخ الصدوق: ٢/٢٤٧/٥٣.

يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿النساء: ٦٥﴾، وبما أننا في بلد أغليته الساحقة من المسلمين فلا بد أن يكون القانون الرسمي والسنية العشائرية مأخوذين من أحكام الشريعة المقدسة وليس فيهما ما يخالفها نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لطاعته ويجنبنا معصيته.

محمد يعقوبي

٦ / جمادى الأولى / ١٤٤٤ هـ

بسمه تعالى

مسألة ابتلائية

لا يتنجس الماء القليل بملاقاة المتنجس مطلقاً حتى المتنجس الأول إذا كان خالياً من عين النجاسة وإنما يتنجس بملاقاة عين النجاسة فقط. مثال توضيحي: لو بال الطفل على الأرض أو سقطت قطرة دم ومسحت عين النجاسة بقطعة قماش حتى زالت فان هذه الأرض تكون متنجسة خالية من عين النجاسة وحينئذٍ لو وقع ماء من قرح أو إناء أو من شخص يغسل وجهه أو يديه على هذه الأرض فإنه لا يتنجس ولا يجب التحرز منه لأنه لا ينجس ما يلاقيه من بدن أو ثوب أو غيرهما. ولا شك ان هذه الفتوى ستعالج مشكلة كبيرة يعاني منها المؤمنون وفقنا الله تعالى وإياهم إلى ما يحب ويرضى.

محمد يعقوبي

١ / جمادى الأولى / ١٤٤٤ هـ

٢٦ / ١١ / ٢٠٢٢ م

نصائح عملية في جهاد النفس وتهذيبها

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هل يستطيع الإنسان السالك في طريق الله تعالى ويريد تهذيب نفسه من الرذائل وما شابه وتطهير القلب ومجاهدة النفس من الهوى وهو في ريعان الشباب هل يستطيع بدون أستاذ يرشده لذلك وما نصيحتكم لنا لان هذه النصيحة ان شاء الله تعالى نصيحة مصيرية ان شاء الله تعالى والحمد لله كما هو أهله وصلى الله على سيدنا محمد وآل محمد

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جهادك في هذه المرحلة التعفف عن المحرمات والالتزام بالواجبات وأداء الصلوات اليومية في أوقاتها مهما أمكن، وإذا استطعت أن تجعلها جماعة في المسجد بحسب المتيسر فهو نور على نور، والبرّ بالوالدين، وأن تفعل الخير بمقدار الممكن، وأن تتجنب إيذاء الآخرين والإضرار بهم، وهذا كلّه لا يحتاج الى أستاذ ومرشد خصوصاً مع ثبوت زيف الكثير من المدّعين للسلوك والعرفان فحذروهم، وفقكم الله لما يحب ويرضى.

محمد يعقوبي

٢ / جمادي الأولى / ١٤٤٤هـ

استفتاء / جواز تقليد الميت

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) هل تجيزون تقليد المرجع الميت ابتداءً أو بقاءً؟ جزاكم الله خير جزاء المحسنين.

بسمه تعالى

الحياة شرط في مرجع التقليد، لأن وظائف المرجعية لا تنحصر بالفتاوى حتى يمكن أن يقال بجواز الرجوع إلى الرسالة العملية للميت، وإنما هي قيادة للأمة ولا يمكن أن تكون إلا لفيقه يعايش هموم الأمة وتطلعاتها، ويمتلك فطنة ليحلل بدقة الأحداث الجارية ويتخذ المواقف الحكيمة المسدّدة من قبل الله تعالى بناءً على ما في الحديث الشريف (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس)^(١) فلا يجوز تقليد الميت حقيقةً أو حكماً وهو الفاقد لأهلية المرجعية، أو العاجز عن أداء وظائفها.

نعم أجزنا لمن قلّد مجتهداً جامعاً للشرائط ويُشار إليه بأنه من دائرة محتملي الأعلمية أن يبقى على تقليده في خصوص المسائل التي تعلمها في حياته، واشترطنا في جواز البقاء الرجوع إلى الأعلم الحي في المسائل المستحدثة والخلافية.

أما المسائل المستحدثة فالمشهور أن المراد منها القضايا التي استجدت وليس للمرجع الميت رأي فيها لكن هذا المعنى يجعل الشرط تحصيل حاصل ولا يحتاج الى ذكر لذا عرّفت المسائل المستحدثة، بالمسائل التي لم يعرفها المكلف في حياة المرجع الميت والتفت إليها بعد وفاته، حتى لو كانت

(١) تحف العقول: ٢٥٩.

موجودة في رسالته العملية، فحداثتها بلحاظ المكلف حيث لم يكن يعرفها من قبل لا بلحاظ موضوعاتها.

ووجه هذا الشرط أن المسائل التي تعلمها المكلف من مرجعه حال حياته يخرج فيها من عنوان الجاهل إلى العالم بها فلا يكون مشمولاً بوجوب رجوع الجاهل إلى العالم، إلا إذا انكشف خطأه في الرجوع إلى الميت كما في المسائل الخلافية فيما لو خالف الحي الواجب تقليده فتوى الميت.

وأما المسائل الخلافية وهي التي يختلف فيها المرجع الحي مع الميت فيجب الرجوع فيها إلى الحي لأنه المرجع الذي يجب تقليده، وهو يرى ما توصل إليه بالدليل هو الحجة أمام الله تعالى، وأن ما أفتى به الميت ليس بحجة فكيف يجيز للمكلف ترك الحجة والعمل باللاحجة؟ ولو كان الحي يعتقد أن الميت أعلم منه في هذه المسألة الخلافية - باعتبار أن وجوب تقليد الأعم انحلالي في كل مسألة - وأن ما أفتى به الميت هو الموافق للدليل المعبر فإنه يجب مطابقته ولا تجوز مخالفته وينتفي كون المسألة خلافية.

فمن الضروري إضافة هذا الشرط وإن لم يكن متعارفاً في فتاوى الأعلام، (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين)، ولعلمهم نظروا إلى أن المكلف يرى الميت هو الأعم فيبقى على تقليده في المسائل الخلافية، لكن هذا مردود لأن التقليد فعلاً إلى الحي وهو الذي يحدد المساحة الجائزة للرجوع فيها إلى الميت.

مضافاً إلى أن الحي يمتلك فرصة لتقوية ملكة الاجتهاد أو الاستفادة من الخبرات المتراكمة في مجال الاستنباط خصوصاً إذا طالت مدة بقائه بعد

الميت الذي يكون قد توقف علمه الظاهري بالنسبة لنا، وربما لو كان حياً لغيّر بعض فتاواه كما كان يفعل خلال سني حياته.

ونلفت النظر الى أنه لا يجب على المكلف الفحص عن المسائل الخلافية لعدم وجوب الفحص في مثل هذه الشبهات^(١) الموضوعية، لكن لو علم بمسألة أنها خلافية وجب الرجوع فيها إلى الحي، وإن لم يعلم بالخلاف فإنه يجوز له العمل بالمسألة التي تعلمها في حياة الميت، ومنه يظهر جواب الإشكال بأن هذا الشرط لا يبقى مورداً لجواز البقاء على تقليد الميت، فإن مساحة الجواز ستشمل كل المسائل التي تعلمها في حياة الميت ولم يعلم مخالفة فتوى الحي لها.

محمد يعقوبي

النجف الأشرف

٤/ جمادى الآخرة / ١٤٤٤هـ

(١) استعملت هذا التعبير لأنني لا أقول بما عليه المشهور من عدم وجوب الفحص في الشبهات الموضوعية مطلقاً فقد يجب في موارد، وقد فصلت البحث في موسوعة (فقه الخلاف) ويمكن مراجعته في (كتاب الدرر الأصولية في موسوعة فقه الخلاف: ٣٩١).

بسمه تعالى

استفتاء: جبر صلاة القصر للمسافر

يُستحبُّ للمسافر الذي يقصّر في صلاته الرباعية وهي الظهر والعصر والعشاء فيصلّيها في السفر ركعتين أن يقول ثلاثين مرة بعد كلِّ صلاة قصر (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) جبراً للنقص المعنوي للخبر الذي رواه المروزي عن الإمام الهادي (عليه السلام) قال: (قال الفقيه العسكري (عليه السلام): يجب على المسافر أن يقول دبر كل صلاة يقصّر فيها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ثلاثين مرة لتمام الصلاة)^(١). وتقريب دلالتها على الاستحباب معروف لدى الفقهاء.

وروي عن رجاء بن أبي الضحاك - وهو القائد العسكري العباسي الذي رافق الإمام الرضا (عليه السلام) عندما استدعاه المأمون من المدينة إلى مرو - أنه صحب الإمام الرضا (عليه السلام) في سفره فكان يقول بعد كل صلاة يقصّرهما: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ثلاثين مرة، ويقول هذا تمام الصلاة)^(٢).

ويحفّز على هذا الفعل أكثر ما ورد من ثواب لهذه التسيحة عن النبي (ﷺ) قال: (من قال: سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال: الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال: لا إله إلا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال: الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة فقال

(١) وسائل الشيعة: ٨/ ٥٢٣

(٢) وسائل الشيعة: ٨/ ٥٢٣.

رجل من قريش: يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير، قال: نعم، ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها، وذلك أن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٣)^(١)، وأراد (ﷺ) بالنيران المحرقة للأعمال فعل المعاصي كالغيبة والنظرة الخائنة وايداء الآخرين وغير ذلك.

نسأل الله تعالى أن يجبر تقصيرنا وقصورنا بمنه وكرمه وأن يعاملنا بفضله

وإحسانه.

قصائد مختارة

يا ناصراً بنت النبي محمدٍ بمسيرةٍ تجري دموع الناظر
فدعوت شيعتها الى تشيعها مُتذكِّرين مُصاب بيت طاهر
تأريخها الله أحيى بدأها والله أيدها بلطف ظاهر

أبيات نظمها سماحة العلامة الشيخ حيدر صادق اليعقوبي في
التأريخ الشعري لانطلاق أول زيارة فاطمية كبرى في هذه المناسبة قبل
سبعة عشر عاماً في ٣ جمادى الثاني / للعام ١٤٢٧هـ

ونصرة الله ان تحيا النفوس على ميثاقه^(١)

هزي اليك بجدع الباب هم وصلوا
لو تقبلين سنأتي قبل أن يصلوا
لعلنا لو رأنا الضلع يقبلنا
لو تقبلين سنعطيهن اضالعنا
او او لعلهم قد يخجلون ولو
لو تقبلين سنعطيهن طفولتنا
لو تقبلين صنعنا من أصابعنا
لو تقبلين مشينا والنساء معا
وانت تمشين ليلا لا يبين له
لكي تقيم حدود الله في وطن
أنسته من هو من هم آل عزته
تتلين فيه صراط الله في نسق
دفع يسامر ببرد النائمين على
تخاطبين ضمير الشوك عل به
ولو تأست بك الأجيال ناطقة

هم أوقدوا النار وهم والفيل والجمال
لعلنا قبل دفع الباب ننسدل
نصير من حوله ضلعا فيندمل
لعلهم ان رأوها كسرت رحلوا
كن لا لقد أسقطوا طفلاً وما خجلوا
ويسلم الطفل لو ترضين ننسمل
خدا ترد لهم كفاً فلا تصل
ندور حولك ما شاءت لنا الاسل
ظل تأبط بدرا وهو مكتمل
تناهيت خيره الاوطان والدول
وقام فيه اماما وحده الدجل
من التراويل أدنى وقعه زجل
اعتاب من كلما مروا بهم ذبلوا
مروءة لتقايض وخزه القبل
بالصدق ما اختلفوا يوما وما اقتتلوا

(١) قصيدة ألقاها فضيلة الشيخ حسين قفطان في مكتب سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في ذكرى استشهاد السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم ٣/ جمادى الثانية / ١٤٤٣ هـ وقد ضمَّنها أفكاراً من خطاب سماحة المرجع (دام ظله) صباح نفس اليوم ومنها اشكال النصرة التي دعانا الله تعالى إليها.

وقيل للدين سمعا نحن من جعلوا
 ان يغرق الدين لكن يعبد العجل
 بالدمع لكن لكي تحيا به المثل
 اوراقه ولينب عن غيثك البلل
 اضمى غدير منانا كل من هطلوا
 تزال عنه فيبقى انه البطل
 لنصره الناس وحي الله والرسول
 أمرا ويفضح من لو عاهدوا نكلوا
 ميثاقه مذبلوا وقالوا وقد سألوا
 لكي يردوا الى الميثاق من عدلوا
 كي لا تشط بطلاب الهدى السبل
 الدين او لا فلا قاموا ولا نزلوا
 قل واعملوا حيث ان المائر العمل
 ولا خليل الى إيمانه تكل
 فأين عنك رجال الدين يا رجل
 يرضى لها الله ان ترضى وينفعل
 وحينها الرب اما الله او هبل
 اسواطهم نطقت كي يحسم الجدل
 في كل عام لها نغلي ونشتعل
 سوى نسيج بخلف الباب ينهمل

في ادلالة اني جاعل نسخت
 ويا سفينة نوح ليس مطمحهم
 ويا دمالم يسئل حتى تؤننه
 كي يثمر الغصن فلتنشدك دوح ندى
 ولتهطلبي في منانا فلكرة فلقد
 ويا ابا حسن من لو مناقبه
 لم يعجز الله نصر الله وانتدبت
 نعم ليمنح اجرا من أطاع له
 ونصرة الله ان تحيا النفوس على
 وان يطاع الذين اختارهم حججا
 وان يرى الدين في الدنيا سبيل هدى
 وان يقيم بأعلى منزل علماء
 وان تعظم لله الشعائر في
 وانت وحدك لا مال ولا ابل
 لكل دين رجال يندبون له
 من هؤلاء الذين استوهنوا امرأة
 كانت مع الله مع من كان قائدهم
 وجادلتهم ومذاصواتهم خرست
 قد عدبتنا الروايات الثلاث أسى
 لا قبر يقصد لا دار نحج لها

ينقض عنها بمن يا خضر منشغل
فغالي بسيف الظمأ والجوع قد قتلوا
تأتي ومن طول ما قد جوعوا اكلوا
في كل عام فتستشفى به العليل
حروفه بسملات كلها أمل

ماتت وابتقت جدارا كان يوشك ان
يا خضر لا تقتل الطفل الصغير فأطـ
جاعوا وما أكلوا غير انتظارك ان
سوى بصيص خطاب كان يكلؤهم
لولاه لأختنقت باليأس أنفسنا

الوصال بعد الفراق^(١)

أما آن وصل لهذا الفراق
وشوق العيون لرؤياكم
وروحى اليك مولهة
بقربك كانت تقر النفوس
فيا رحمة الله بين العباد
سليل الكرام وابن النبوغ
ركبت المعالي وخضت الغمار
حباك الآله بخير الصفات
خلوقاً تقياً حليماً عطوف
رفعت لواءً وقدت الجموع
فكنت أميناً ونعم الوريث
أصاب الجموع وباء خطير
وهذا جزاء غلاظ القلوب
علوت علوت وهم نكسوا

فوجد القلوب يذيب الجبال
كشوق الليالي لرؤيا الهلال
فداؤك نفسي وروح الرجال
وجنبك تهفو تحط الرحال
كما الغيث احيا بك المستحال
ليعقوب فخر بكل مجال
فاحرزت بالعلم كل الكمال
وكنت انعكاساً لذاك الجمال
عفواً رؤوفاً كثير الوصال
ونلت بعزمك ما لا ينال
ومفخرة حين يدنو النزال
فعز اللقاء ليال طوال
جنوه وما رمت أنت انفصال
سجوداً لصبرك دون اقتتال

(١) قصيدة ألقاها الأديب الشاب حيدر الكنانى في مكتب سماحة المرجع العيوقبى (دام ظلّه) باسم وفد مدينة الكاظمية المقدسة يوم ١٨/ شعبان/ ١٤٤٣هـ- الموافق ٢١/٣/٢٠٢٢م، للتعبير عن الفرح بانتقال سماحته إلى المقر الجديد قرب حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) وإعادة الجلسة العامة لاستقبال الأحيّة والاخوة.

فأوضحت سرّاً عليهم خفي	بأن التواضع منهم محال
وان القلوب لتهفو اليك	بأمر القدير لحسن الفعال
قسمت عليك بنحر الذبيح	وجسمٌ عليه سجود النبال
بأننا نكفر ذنب الفراق	نعود اليكم ولا نستمال
فهلا مننت علينا بفضل	وتقبل منّا هذا المقال

تأريخ ميلاد سماحة المرجع الديني الشيخ محمد موسى اليعقوبي (دام ظله)

أبيات جادت بها قريحة الدكتور عباس^(١) الفتوني جزاه الله خير الجزاء

وَجَهُ السَّمَاةِ، بِالْحَصَافَةِ يُعْرِفُ	عَلَامَةٌ كَالشَّمْسِ أَنْي يُوصَفُ؟
مِنْ نَبْعِهِ كَمِ مِنْ ظَمِي يَرِشْفُ!	هُوَ لَائِقٌ بِالْجَهَادِ وَمَرْجِعُ
بِكِتَابِ رَبِّ الْكَوْنِ دَوْمًا يَهْتَفُ	رَمَزُ النَّدَى، صَوْتُ الْهَدَى بَلِغِ الْمَدَى
هُوَ خَيْرٌ مِنْ فِي الْخَافِقِينَ وَأَشْرَفُ	مُتِمِّنًا بِاسْمِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
مِنْ عِلْمِهِمْ فِي كُلِّ حُكْمٍ يَغْرِفُ	وَوَلَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ سَرُّ بَهَائِهِ
وَالْعُمْرُ فِي نَشْرِ الْفَضِيلَةِ يَصْرِفُ	فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ يَعْمَلُ جَاهِدًا
مَا شِئْتَ حَدَثُ كَمْ يَحْنُ وَيَعْطَفُ!	الْحُبُّ وَالْإِخْلَاصُ بَعْضُ خِصَالِهِ
وَتُعِيرُهُ أَسْمَاعُهَا، تَنْتَقِفُ	تَهْوَاهُ أَفْئِدَةٌ، تَعْشَقُ وَصَلُهُ
لِلَّهِ رَأْفَتُهُ، مَنِ الْأَبِ أَرَأْفُ	هُوَ الرَّؤُوفُ بِمَنْ يُلُوذُ بِحَجْرِهِ
وَعِبَاءَةٌ بِالْمَكْرُمَاتِ تُرْفَرُفُ	نَجَلُ الْيَعَاقِبِ تَوَجَّتْهُ عِمَامَةٌ
سَنَةُ الْوِلَادَةِ أَرَّخَتْ: تَشْرَفُ	حَيِّيَّتُهُ رُوحًا مُشْرِفَةً، بِهِ

كانت الولادة الميمونة: ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م

(١) أستاذ جامعي لبناني حاصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية.

أبيات في رسالتكم العملية المباركة الموسومة (سبل السلام)

يا مرجعاً هو للبلادِ دَعَامُ	دوماً بخدمتك أعتلى الإسلامُ
طُبعتْ رسالتك الشريفة فأغدتُ	(سُبلَ السَّلامِ) إلى العبادِ سَلامُ
بَيَّنتَ فِقْهَكَ بالمسائلِ وأرتقتُ	بجليلِ وَعَيْكَ هِمَّةً ودوامُ
أ (محمَّد) البَر الكريمِ بظَلِّهِ	مأوىً وللكرمِ الوفيرِ مُقامُ
وَنَشَرْتَ كُلَّ فَضِيلَةٍ مَحْمُودَةٍ	درباً لهُ التَّقْلِيدُ والإِفْهَامُ
من كلِّ خَيْرٍ للعلَى في بَيْتِهِ	في بيتِ مَجْدٍ والأَمِينِ إِمَامُ
فلتعرِفْ الدُّنْيَا بِكُتُبِكَ نَهْجَهَا	وتُزِيلُ مِحْنَتَهَا وليسَ تَضَامُ

خادمكم المخلص

إياد عيدان البلداوي

صور مختارة لبعض أحداث الكتاب

صور مختارة لبعض احداث الكتاب

لقاء سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام) سماحة آية الله الشيخ رضا رمضاني (دامت بركاته) وعدداً من كبار مساعديه والوفد المرافق له.
راجع صفحة (٢٣) من الكتاب



لقاء سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) مع أئمة المساجد في العراق الذي عُقد في النجف الأشرف تحت شعار (المسجد يقود الحياة) راجع صفحة (٤٩) من الكتاب



لقاء سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه بقافلة (نداء الأقصى) التي ضمت جمعاً من علماء الدين المجاهدين من فلسطين وسوريا ولبنان من الطائفتين، الذين عزموا على إقامة موكب لهم في طريق زوار الامام الحسين (عليه السلام). راجع صفحة (٦٥) من الكتاب



الخطاب الفاطمي السنوي في عامه السابع عشر الذي ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على الجموع المحتشدة في ساحة ثورة العشرين قبل إنطلاق مواكب العزاء نحو الحرم الطاهر لأمر المؤمنين (عليه السلام) في ذكى استشهاد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم الجمعة ٣ / جمادي الثانية / ١٤٤٣ هـ - الموافق ٧ / ١ / ٢٠٢٢ م.
راجع صفحة (٨٨) من الكتاب



حضور سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (عليه السلام) إلى قاعة
حسينية الإمام الرضا (عليه السلام) التي أقيم عليها مهرجان منتدى شاعرات أهل
البيت (عليهم السلام) يوم الجمعة ١٦ / رجب / ١٤٤٣ هـ - الموافق ١٨ / ٢ /
٢٠٢٢ م. راجع صفحة (١١٢) من الكتاب



لقاء سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) مع مجموعة الباحثات القرآنيات التابعة لمجمع المبلغات الرساليات يوم الجمعة ٢٢/شعبان/١٤٤٣هـ - الموافق ٢٥/٣/٢٠٢٢م. راجع صفحة (١٢٣) من الكتاب



لقاء سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) مع سعادة
سفير اليابان في العراق بعد أن أدى مراسيم الزيارة لضريح أمير المؤمنين
(عليه السلام)، يوم الثلاثاء ١٥ / شوال / ١٤٤٣هـ - الموافق ١٧ / ٥ / ٢٠٢٢م.
راجع صفحة (١٦٣) من الكتاب



لقاء سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع وفداً من الكفاءات وأساتذة الجامعات والذين نالوا شهادة عالمية بعدد كبير من براءات الاختراع وقدموا الكثير من الأبحاث العلمية، من مختلف محافظات بلدنا العزيز، يوم الجمعة ١١ / شوال / ١٤٤٣هـ - الموافق ١٣ / ٥ / ٢٠٢٢م.
راجع صفحة (١٧١) من الكتاب



لقاء سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع حشد كبير من الشباب الذين أنهموا معايشة ايمانية في النجف الأشرف وآخرين وفدوا على سماحته بمناسبة قرب حلول شهر محرم الحرام يوم الخميس ٢٨ / ذو الحجة / ١٤٤٣هـ- الموافق ٢٨ / ٧ / ٢٠٢٢م.

راجع صفحة (٢٠٧) من الكتاب





الخطاب الفاطمي السنوي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد
اليعقوبي (دام ظله) في ساحة ثورة العشرين على الالاف من المعزين قبل
انطلاق التشيع الرمزي للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في ذكرى
استشهادها يوم الثلاثاء ٣ / ٢ / ١٤٤٤هـ- الموافق ٢٧ / ١٢ / ٢٠٢٢م.
راجع صفحة (٢٨١) من الكتاب





لقاء سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) مع وفداً من علماء أفغانستان ضم العلامة المجاهد الشيخ أكبري نائب رئيس مجلس شورى العلماء وعدداً من مسؤولي المكاتب في المجلس، يوم السبت ١٤ / جمادى الثاني / ١٤٤٤هـ - الموافق ١ / ٧ / ٢٠٢٣م.

راجع صفحة (٣٣٥) من الكتاب



الإسلام يحقق الرفاه في الدنيا والسعادة في الآخرة
صور من محاضرات من نور القرآن التي يلقيها سماحة المرجع على جموع
الطلبة من كل اسبوع راجع صفحة (٣٤٦) من الكتاب





لقاء سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) يوم ٤/ شعبان / ١٤٤٤هـ - الموافق ٢٤ / ٢ / ٢٠٢٣م، مع حشد كبير من الفاضلات اللواتي يتلقين دروساً في تفسير القرآن وقواعده وتدبر معانيه عبر منصة الكترونية للسنة الثالثة على التوالي.

راجع صفحة (٣٨١) من الكتاب



لقاء سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بمكتبه في النجف الأشرف سماحة آية الله الشيخ محمد هاشم الصالحي (دامت بركاته) رئيس مجلس شورى العلماء في أفغانستان الذي يقود الشيعة هناك، يوم الاثنين ١٩ / رجب / ١٤٤٣هـ - الموافق ٢١ / ٢ / ٢٠٢٢م.
راجع صفحة (٤٨٩) من الكتاب



لقاء سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) مع جمع كبير من الشباب، من عدة محافظات في آخر ليلة جمعة من شهر رمضان المبارك الذي نظّمته إدارة ملتقى العلم والدين ليلة ٢٧/شهر رمضان / ١٤٤٣هـ- الموافق ٢٩ / ٤ / ٢٠٢٢م.

راجع صفحة (٤٩٠) من الكتاب



لقاء سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بمكتبه في النجف الأشرف، مع مدّاح أهل البيت (عليه السلام) (ابوذر روعي)، الذي أشتهر بأشودته الأخيرة (سلام يا مهدي) بتاريخ ٢٤ / ذي الحجة / ١٤٤٣هـ- الموافق ٢٤ / ٧ / ٢٠٢٢م.

راجع صفحة (٤٩٣) من الكتاب



تزامناً مع ذكرى اليوم العالمي للطفل ومن أجل تسليط الضوء على قضية
المصابين بمرض سرطان الدم (اللوكيميا) وفقر الدم البحري (الثلاسيميا)
بإدارة سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) للتبرع بالدم،
يوم الأربعاء ٢٢ / ربيع الأول / ١٤٤٤هـ - الموافق ١٩ / ١٠ / ٢٠٢٢م
راجع صفحة (٥٠٤) من الكتاب



الفهرس

- خطاب المرحلة (٦٦٠) أيها الشباب: احذروا الضجر والكسل ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ
عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ (يوسف: ٣٢) ٥
- كيفية ضبط الغرائز والشهوات ٥
- أولاً: العوامل الذاتية: ١٠
- ثانياً: العوامل الخارجية التي تضبط سلوك المجتمع: ١٦
- خطاب المرحلة (٦٦١) خلال لقاءه الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت
(عليه السلام) المرجع اليعقوبي: العالم يعيش عصر ازدهار التشيع ٢٣
- خطاب المرحلة (٦٦٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾
(النور: ٢١) خطط الشيطان الناعمة للوصول الى غرضه ٢٧
- خطاب المرحلة (٦٦٣) ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ
هَوَاهُ﴾ ٣٦
- خطاب المرحلة (٦٦٤) القيام الحسيني حركة وعي وإصلاح ٤٥
- خطاب المرحلة (٦٦٥) نعزي الأمة الإسلامية برحيل المرجع الديني السيد
محمد سعيد الحكيم (رض) ٤٨
- خطاب المرحلة (٦٦٦) ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ (البقرة: ١٦٧)
لنحذر الحسرة يوم القيامة ٤٩
- خطاب المرحلة (٦٦٧) نداء الأقصى ٦٠

خطاب المرحلة (٦٦٨) البيان الختامي لزيارة الأربعين للعام ١٤٤٣ هـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾
(الأعراف: ٤٣)..... ٦٦

خطاب المرحلة (٦٦٩) ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَأَن نَّرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾
(ص: ٦٢) عاقبة التسقيط والاستهزاء الذي يتعرض له الرساليون ٦٩

خطاب المرحلة (٦٧٠) حول ارتفاع نسبة الفقر والبطالة في العراق ٧٩

خطاب المرحلة (٦٧١) قراءة في سيرة سماحة المرجع اليعقوبي ٨٢

خطاب المرحلة (٦٧٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ (الصف: ٩٤)
القيام الفاطمي نصرته لله تعالى ٨٨

خطاب المرحلة (٦٧٣) مسؤوليتنا عن حفظ الدين ١٠٠

خطاب المرحلة (٦٧٤) ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
(طه: ٧٢) مبدأ استراتيجي في الحياة ١٠٤

خطاب المرحلة (٦٧٥) منتدى شاعرات أهل البيت (عليه السلام) الشهيدة بنت الهدى
(رضوان الله تعالى عليها) نموذجاً ١١٢

خطاب المرحلة (٦٧٦) تأيين العالم والمفكر الإسلامي الكيني الشيخ عبد الله
ناصر ١٢٠

خطاب المرحلة (٦٧٧) ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ﴾ (القصص: ٢٥)
العفة والحياء يرفعان قيمة المرأة ١٢٣

خطاب المرحلة (٦٧٨) ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ (المائدة: ٦٤)
المسلمون وحرب الجيل الخامس... العراق انموذجا ١٣٢

- خطاب المرحلة (٦٧٩) الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَام) في القرآن الكريم ١٤٢
- خطاب المرحلة (٦٨٠) ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (نوح: ١٠-١١) ١٤٣
- خطاب المرحلة (٦٨١) لطيفة قرآنية: لا توقف في عمل المؤمن الرسالي ١٥٦
- خطاب المرحلة (٦٨٢) تصرف مشين لبعض النساء عند وفاة قريب لهن ١٥٩
- خطاب المرحلة (٦٨٣) حملة شاملة لمحو الأمية ١٦١
- خطاب المرحلة (٦٨٤) المرجع اليعقوبي خلال استقباله السفير الياباني في العراق: الإسلام يدعو إلى الوسطية والاعتدال ومحبة كل الناس على اختلاف ديانتهم ١٦٣
- خطاب المرحلة (٦٨٥) في ذكرى هدم قبور الائمة المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَام) في بقية المدينة ١٦٦
- خطاب المرحلة (٦٨٦) المخترعون والكفاءات العلمية جزء مهم من الثروة الوطنية والرصيد الاستراتيجي للبلد ١٧١
- روايات تنموية (١) أخلاق الإسلام خير داعية له ١٧٤
- روايات تنموية (٢) من آداب التعامل مع الآخرين ١٧٦
- خطاب المرحلة (٦٨٧) ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (الروم: ٤١) إرتباط فساد الحياة وصلاحها بأفعال الناس ١٧٨
- خطاب المرحلة (٦٨٨) (حتى تسكنه أرضك طوعاً) الفتح السلمي للعالم ١٨٨
- تكاليفنا تجاه التمهيد لليوم الموعود ١٩٤

- خطاب المرحلة (٦٨٩) ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج: ١) في من رفض التسليم بحديث الغدير ١٩٧
- خطاب المرحلة (٦٩٠) إني أحامي أبداً عن ديني ٢٠٧
- خطاب المرحلة (٦٩١) واقعة الغدير من أهم قضايا الإسلام وليست طائفية. ٢١١
- خطاب المرحلة (٦٩٢) ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ (النساء: ١٤٨) مسؤولية الاعلام والنشر ٢١٥
- خطاب المرحلة (٦٩٣) الثبات على الحق في زمان الفتن ٢٢٢
- خطاب المرحلة (٦٩٤) النخب الجامعية وقيادة حركة النهضة والإصلاح ... ٢٢٦
- خطاب المرحلة (٦٩٥) اغتنام العمر في العمل المثمر... التعليم نموذجاً ٢٣٠
- خطاب المرحلة (٦٩٦) ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ (البقرة: ١٠٩) سبب عداة الكفار للمسلمين ٢٣٤
- خطاب المرحلة (٦٩٧) التبليغ رسالة الأنبياء (عليهم السلام) التي ورثتها الحوزة العلمية ٢٤٠
- لابد من ملئ جميع الساحات بالدعوة إلى الله تبارك وتعالى إقليم كردستان نموذجاً ٢٤٦
- خطاب المرحلة (٦٩٨) الزيارة الأربعينية ممارسة تعبوية لنصرة الامام المهدي (عليه السلام) ٢٤٩
- خطاب المرحلة (٦٩٩) ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النبا: ٩) ٢٥١
- خطاب المرحلة (٧٠٠) ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ (التوبة: ١٢٨) ٢٦٠
- خطاب المرحلة (٧٠١) حرمة إخافة الآخرين ولو بنظرة ٢٦٦

- خطاب المرحلة (٧٠٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب:٥٦)
فضل الصلاة على النبي وآله وآثارها المباركة ٢٧١
- لا تتم حقيقة الصلاة على النبي الا بضم آله اليه ٢٧٤
- خطاب المرحلة (٧٠٣) ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف:٩٦) الصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) تدعو
إلى إقامة دين الله تعالى وإتباع الأمان عليه ٢٨١
- خطاب المرحلة (٧٠٤) دور المرجعية الدينية في ترسيخ الهوية الوطنية ٢٨٧
- خطاب المرحلة (٧٠٥) المرجعية الدينية وتأثيراتها الفكرية والاجتماعية ... ٢٩١
- خطاب المرحلة (٧٠٦) ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
(يس:٨٢) الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام): يرضى الله لرضاها ٣٠٩
- خطاب المرحلة (٧٠٧) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ
فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الجمعة:٩) ٣١٩
- خطاب المرحلة (٧٠٨) خلال استقباله لوفدٍ من مجلس شورى علماء
أفغانستان ٣٣٥
- خطاب المرحلة (٧٠٩) ﴿يُخْرَبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا
أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر:٢) أسباب انهيار الحضارات والدول ٣٣٨
- خطاب المرحلة (٧١٠) ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ
حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل:٩٧) الإسلام يحقق الرفاه في الدنيا والسعادة في الآخرة ٣٤٦
- خطاب المرحلة (٧١١) العقيلة زينب (عليها السلام) تبشّر بعصر انتشار الإسلام الذي
نعيشه ٣٥٨

- خطاب المرحلة (٧١٢) لتقرّب يوم الظهور الميمون ٣٦٠
- خطاب المرحلة (٧١٣) ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ٣٦٣
- موارد الانفاق الواسعة: ٣٦٨
- التهلكة التي يؤدي اليها عدم الانفاق: ٣٧١
- خطاب المرحلة (٧١٤) المرأة والمعارف القرآنية ٣٨١
- خطاب المرحلة (٧١٥) ربّ فعل صغير يكون له أثر كبير ٣٨٦
- خطاب المرحلة (٧١٦) ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ معالجات قرآنية لعدم الإنفاق ٣٨٩
- خطاب المرحلة (٧١٧) دليل فاطمي على إمامة علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَام). ٤٠١
- خطاب المرحلة (٧١٨) ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ تنزيه الأمة الإسلامية عن السبّ ٤٠٥
- خطاب المرحلة (٧١٩) ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ (آل عمران: ١٤٠) السيدان الشهيدان الصدران.... نموذجاً ٤١٤
- خطاب المرحلة (٧٢٠) الحج وصدق الفرار الى الله تعالى ٤٢٧
- خطاب المرحلة (٧٢١) ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥) ٤٣٤
- خطاب المرحلة (٧٢٢) ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ (الكهف: ٢٨) ٤٤٤
- مصاحبة الصالحين تحمي من الوقوع في الفتن ٤٤٤

- خطاب المرحلة (٧٢٣) أسباب التوفيق الشهيد السعيد الشيخ حسين السويدي
مثالاً ٤٥٨
- خطاب المرحلة (٧٢٤) حثّ المؤمنين من مختلف البلدان على زيارة أمير
المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير وتعظيم شعائره ٤٦٢
- خطاب المرحلة (٧٢٥) الرد الحاسم على أعداء القرآن الكريم ٤٧٠
- قابلية الدين الإسلامي العظيم على صناعة التغيير والإصلاح شرط ان يذوب
أبناؤه في مبادئه السامية وفي مضامين القرآن الكريم ٤٧٦
- للشباب القدرة على التفوق على أصحاب العناوين الكبيرة ٤٧٨
- (ألسنا على الحق) شعار المؤمنين الرساليين ٤٨١
- مختارات من صحيفة الصادقين: الاعداد ٢١٤ - ٢٣٥ (أخبار - أستفتاءات -
قصائد) ٤٨٥
- أخبار ٤٨٧
- المرجع اليعقوبي يمتنع عن تبادل التهاني بالعيد مواساةً لذوي الضحايا ٤٨٧
- حث الشباب على مطالعة الكتب النافعة والتحذير من الاستغراق في تصفح
مواقع التواصل الاجتماعي ٤٨٨
- سماحة المرجع اليعقوبي يناقش الأوضاع في أفغانستان ٤٨٩
- خواطر في نهاية شهر رمضان المبارك ٤٩٠
- المرجع اليعقوبي: يدعو إلى توظيف رسالة الفن الهادف العابرة للحدود في نشر
مبادئ الإسلام السامية ومواجهة الثقافات الدخيلة ٤٩٢
- حفل تكريم الجامعات الزينيات ٤٩٤

- ٤٩٦ وفد المرجعية الرشيدة يتفقد الوضع الديني في البرازيل
- لدى استقباله وفداً من رؤساء عشائر ووجهاء محافظة ميسان المرجع
اليعقوبي: يجدد دعوته لإقرار مشروع مجلس الأعيان والحكماء ٤٩٨
- استثمار الأجواء المباركة للزيارة الأربعينية في توحيد الكلمة وحرص الصفوف
في مواجهة التحديات ٤٩٩
- دور الهيئات والمواكب الحسينية الخدمية في التوعية والتثقيف الديني
والمجتمعي ٥٠٢
- في ذكرى اليوم العالمي للطفل.. المرجع اليعقوبي (دام ظلّه) يبعث برسالة
اهتمام للأطفال المصابين بسرطان الدم وفقر الدم البحري.. ويبادر بالتبرع بالدم
ويدعو الى المساهمة في إنقاذ أطفال العراق ٥٠٤
- ممثل سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) في باكستان
يتفقد المدارس الدينية والمؤسسات العلمية وقيم صلاة الجمعة في كبرى
المساجد ٥٠٥
- وفد المرجعية الرشيدة يزور العلماء الأعلام ويتفقد الحوزات العلمية.. ويرعى
العوائل المتعففة في أفغانستان ٥٠٧
- العمل الديني النسوي ومتطلبات المرحلة (النهوض بالمؤسسات النسوية
انموذجاً) ٥١٠
- إصلاح العالم منوط بنهضة الشيعة ٥١٢
- وفد من مثقفي شارع المتنبى في ضيافة المرجع اليعقوبي ٥١٤
- استفتاءات ٥١٦

- ٥١٦ استفتاء / حد المييت الواجب في منى
- ٥١٧ من لم يتخذ رأس سنة خمسية
- ٥١٩ استفتاء/ حكم جرائم الخطف والتهديد والفساد المالي
- ٥٢١ استفتاء - حول الاذن بصرف الحقوق الشرعية
- ٥٢٢ مسائل في تغيير الجنس
- ٥٢٣ ملاحظة (اذا تحول الرجل أو المرأة)
- ٥٢٥ استفتاء يخص مناسك الحج مع وجود المخالفة القطعية
- ٥٢٦ استفتاء حول إجراء التجارب الطبية على الإنسان
- ٥٢٩ استفتاءات حول النزاعات العشائرية
- ٥٣٢ مسألة ابتلائية
- ٥٣٣ نصائح عملية في جهاد النفس وتهذيبها
- ٥٣٤ استفتاء / جواز تقليد الميت
- ٥٣٧ استفتاء: جبر صلاة القصر للمسافر
- ٥٣٩ قصائد مختارة
- ٥٤٠ ونصرة الله ان تحيا النفوس على ميثاقه
- ٥٤٣ الوصال بعد الفراق
- ٥٤٩ صور مختارة لبعض احداث الكتاب
- ٥٦٩ الفهرس